المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية

تأليف

شيخ الإسلام الإمام

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

١١١٥ - ١٢٠٦هـ

درسها وحققها وشرحها

يوسف بن محمد السعيد

الجزء الأول

دار المؤيد

أصـــل هــذا الكتــاب رسالـــة علميـــة

تقـدم بهـا المؤلـف الـى قسـم العقيـدة والمذاهـب المعاصـرة

بجامعـة الامـام محمـد بن سعـود الاسلاميـة

باشـــراف فضيلـة الدكتـور محمـد بـن ابراهيـم العجـــلان

ونــال بهـا درجـة الماجستيـر بتقديـر ممتـاز

الطبعة الأولى

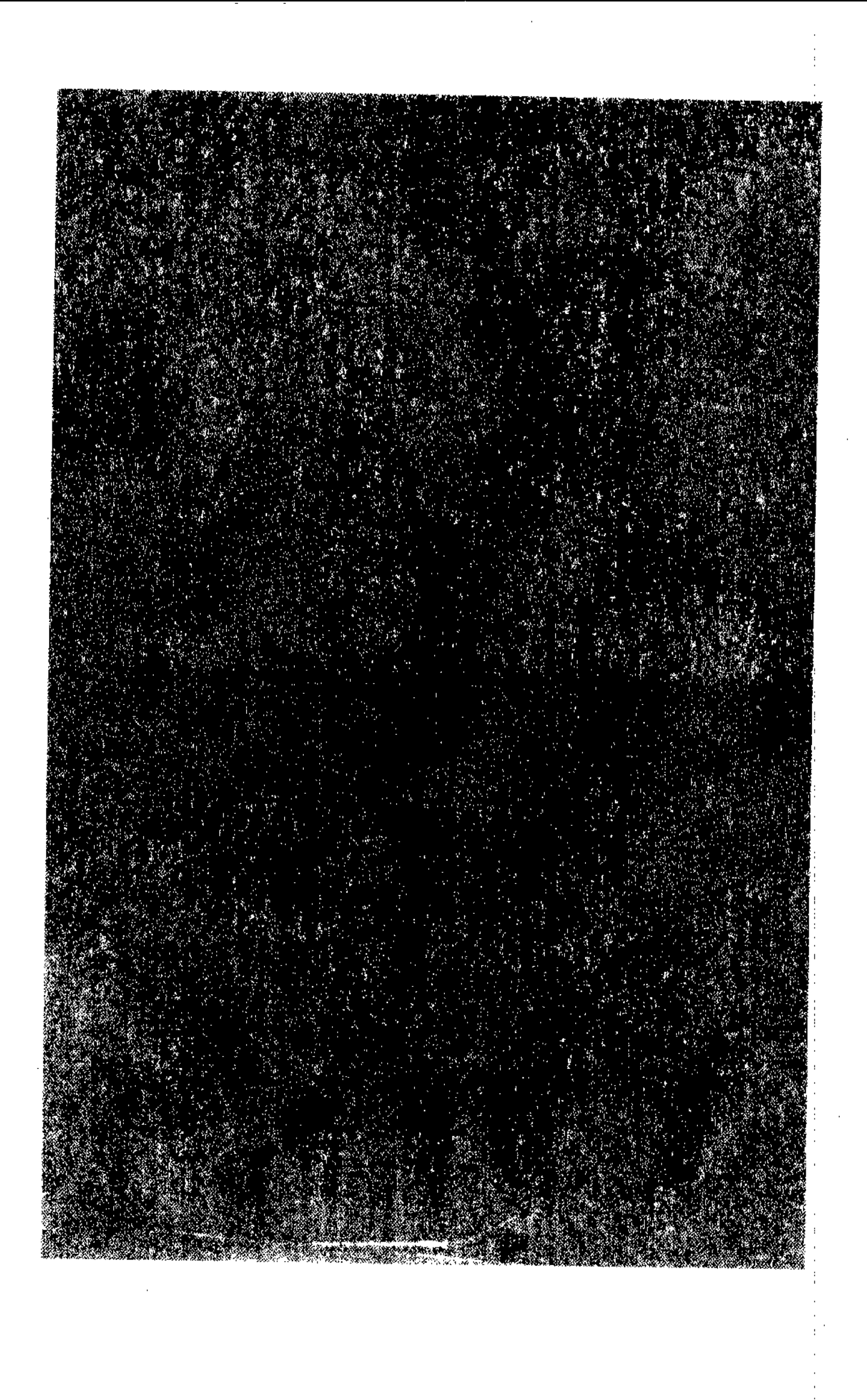
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار المؤيد للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٠٢٥١٩٧

فاكس : ٤٠٢٢٦١٥





بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسنا ، ومن سيِّئَات أعمالنا ، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ، ومن يضللْ فلا هاديَ له .

وأشهدُ أن لاإلهَ إلا اللهُ وحده لاشريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه .

﴿ ياأيُّها الذين آمنوا اتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاته ولاتَموتُنَّ إلاوأنتم مُسلِمون﴾[آل عمران : ١٠٢] .

﴿ ياأيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكمُ الذي خَلَقَكم مِّن نَّفسٍ واحدةٍ وَخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ مِنهُما رِجالاً كثيرًا ونساءً واتَّقوا اللهَ الذي تَسَاءَلون بِهِ والأرحامَ إنَّ اللهَ كانَ عَلَيكم رَقيبًا ﴾ [النساء :١] .

﴿ ياأيُّها الذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وقُولوا قولاً سديدًا ○ يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكم ويَغْفِرْ لكم ذُنُوبَكمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١]

أمَّا بعدُ ، فإن خير الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ابن عبد الله ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

هذا ، وإن الله ـ تعالى ـ بعث نبيه محمدا ﷺ إلى الخلق على حين فترة من الرسل ، وقد مقت ـ جل جلاله ـ أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، ففتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وبصر به من العماية ، وأرشد به من الغواية ، فحصل ببركة نبوته الخير العظيم ، والنفع العميم .

وكان الناس إذ بُعث فيهم النبيُّ ﷺ ، قد حادوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا طرق الشياطين ، فكثر فيهم الفساد ، فكانوا أحوج مايكونون إلى من يدلهم إلى ماأضلوا ، وهو دين الله ، ووحيه.

وكان ذلك بسبب البعد عن منهج الله ـ تعالى ـ ، فأكثر ماجاء عن الله قد درس ، ومابقي منه لايعلم صدقه من كذبه ، إذ سلك فيه المؤتمنون عليه ـ وهم العلماء ـ مسلك التغيير والتبديل ، فاشتبه حقه بباطله .

ولما بعث نبي الله ﷺ كان غاية همه ومراده ، العودة بالناس إلى الأصل الأول ، وهو عبادة الله ـ تعالى ـ ونبذ كل مايعارض ذلك، والقضاء على مآثر الجاهلية ، وسحقها حتى لايبقى لها وجود، فجد ﷺ في ذلك واجتهد ، حتى ترك الناس على البيضاء ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك ، ولم يتوف ﷺ حتى حقق له ربه ماأراد ، فاكمل به الدين ، وأتم به النعمة على العالمين ، كما قال ـ

تعالى ـ : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة :٣] .

وقد حذر ﷺ من إحياء سنن الجاهلية ، أوالتشبه بأهلها ، أوموافقتهم في شيء منها ، فوقع هذا موقعه لدى أصحابه ﷺ ، فاستجابوا له ، وتبعهم على ذلك من بعدهم ، ولما بعد الناس عن نور النبوة ، اجتالتهم الشياطين ، فاتبعوا أهواء الذين من قبلهم ، فدبت إليهم أنواع من البدع والمحدثات التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا قبلهم ، حتى استمرأ كثير منهم ذلك ، فأنكروا على من أنكر عليهم ، وحاربوه ، فصار المعروف عندهم منكرا ، والمنكر معروفا ، وغدت بينهم البدع سننا ، والسنن بدعا ، وتشبهوا بأهل الجاهلية : الأميين والكتابيين ، ووقعوا فيما حذر منه ﷺ .

ولما رأى علماء هذه الأمة الخاتمة ماوقع فيه المسلمون من ذلك، انتهضوا لبيان الحق من الباطل ، وللتحذير مما حذر منه نبيهمﷺ ، وللعودة بالناس إلى ماأراد ﷺ أن يكونوا عليه .

فكلما رأوا شيئا من ذلك تجردوا لمحاربته .

ولما كان القرن الثاني عشر الهجري ـ امتدادا للقرون قبله ـ قد أصاب الناس فيه ماأصابهم من التشبه بأعداء الله ، وترك دينه ، والابتعاد عن كتابه وسنة نبيه ﷺ ، حيث كان الناس في تخبط عقدي وأخلاقي واجتماعي وغير ذلك ، فإن الإمام محمد بن عبدالوهاب قد

قام بما أوجب الله عليه القيام به ، من الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر حيث رأى من أهل عصره مايندى له الجبين ، ويدمى له القلب ، فدعا الناس إلى توحيد الله، وحذر الناس من مغبة التشبه بأهل الجاهلية ، فحورب وعودي ، لكنه صبر وظفر وتم له ماأراد من نشر دين الله ، وإحياء سنة نبيه ﷺ ، والقضاء على كثير مما تلبس به أهل عصره من أمور الجاهلية وعاداتها.

وقد صنف ـ محذرا من الوقوع في ذلك ـ كتبا كثيرة ، ورسائل عديدة ، بيد أنه جمع زبدة ذلك كله في كتاب « مسائل الجاهلية » ، حيث جمع فيه مسائل كثيرة جدا ، كانت موجودة في عصره ، وقد حذر منها ﷺ .

ولما كان عصرنا هذا مشابها إلى حد كبير عصر الشيخ ، وكانت المسائل التي ذكرها الشيخ موجودة ، فإني استعنت الله ـ تعالى ـ على شرحها ، وبيان معانيها ، والاستدلال لها ، خاصة أني لاأعلم أن أحدا قد تعرض لشرحها سوى العلامة أبي المعالي الألوسي[1] ، وهو شرح مقتضب جدا، بل إنه ترك كثيرا من المسائل

---

(١) هو العلامة الكبير ، محمود بن شكري بن عبدالله بن محمود الألوسي ، أبوالمعالي ، جمال الدين ، ولد سنة ١٢٧٣هـ وتلقى العلم عن والده وعمه وغيرهما ، ورحل في طلب العلم ، وكان سلفي المعتقد ، شديدا على أهل البدع ، فأوذي في سبيل ذلك،وكان يناصر الدعوة السلفية التي أحياها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقد =

دون شرح لها .

كما أن من أسباب اختياري هذا الموضوع : ماانتشر بين كثير من الناس من حصر مفهوم الجاهلية على فرد من أفرادها ، كمن يحصرها - مثلا - في جاهلية الحاكمية ، ويغفل عما سواها ، أوجاهلية التعطيل ، ويغفل عما سوى ذلك، أوجاهلية الاقتصاد . . .

وهذا الحصر ظهرت آثاره على تصرفات كثير من حاصريه .

ولاريب أنه يجب التنبه إلى صور الجاهلية كلها ، وليس بعضها ، ومن هنا تظهر أهمية كتاب الشيخ .

فهذه بعض أسباب اختيار الموضوع .

وقد كانت خطة البحث على النحو الآتي :

المقدمة ، وتشتمل أهمية البحث ، وأسباب اختيار الموضوع ، ورسم الخطة والمنهج المتبع .

التمهيد ، ويحتوي ترجمة موجزة للمؤلف .

القسم الأول : الدراسة ، وفيها فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالكتاب ، ومنهج المؤلف فيه ،

= صنف كتبا كثيرة منها : غاية الأماني في الرد على النبهاني ، شرح مسائل الجاهلية، وقد توفي سنة ١٣٤٢هـ .
انظر : إيضاح المكنون للبغدادي (١/ ١٩٤) ، أعلام العراق لبهجة الأثري (٨٦ - ٢٤١) ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان (٤/ ٢٨٥) ، معجم المؤلفين لكحالة (١٢/ ١٦٩ - ١٧٠) .

ويشتمل خمسة مباحث :

المبحث الأول : اسم الكتاب .

المبحث الثاني : توثيق نسبته لمؤلفه .

المبحث الثالث : منهج المؤلف فيه .

المبحث الرابع : التماس الأسباب التي دعت المؤلف إلى الاقتصار على هذه المسائل دون ماعداها .

المبحث الخامس : التعريف به مخطوطا ومطبوعا .

الفصل الثاني : في الجاهلية ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :تعريف الجاهلية .

المبحث الثاني : أنواع الجاهلية .

المبحث الثالث : وجوب مخالفة أهل الجاهلية ، مع الأدلة ، والمناقشة.

القسم الثاني : شرح المسائل الواردة في الكتاب .

المنهج المتبع في شرح المسائل :

أولا : تحقيق النص في ضوء القواعد المتبعة في ذلك .

ثانيا : بيان المراد بالمسألة على وجه الإجمال .

ثالثا : بيان وجه الاستدلال من الدليل الذي يورده المؤلف ، مع تخريج الحديث ، وذكر كلام أهل العلم في درجته من حيث القبول والرد .

رابعا : الاستدلال للمسألة المذكورة .

خامسا : بيان الحكم في المسألة التي خالفت فيها بعض الطوائف ، مع المناقشة التي سأقتصر فيها على أهم ماتستدل به كل طائفة .

سادسا : تمييز ماكان من عادة الجاهليين الأميين ، وما كان من عادة جاهلية أهل الكتاب .

سابعا : بيان ماهو موجود من تلك المسائل في عصرنا الحاضر، وبيان ماقد يلحق به .

الفهارس اللازمة لمثل هذا البحث .

هذه هي خطة هذا البحث .

منهج البحث :

المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث ينقسم قسمين :

القسم الأول : المنهج في التحقيق .

أولا : قابلت بين النسخ الخطية ، وأثبت الفروق بينها في الحاشية ، وأهملت الفروق غير المؤثرة نحو « تعالى - « سبحانه » .

ثانيا :إذا كان هناك مسائل ليست موجودة في النسخة الأصل ، فإني أذكرها في المتن بين معقوفين هكذا [ ] ، ولاأجعل لها رقما ، وأبين في الحاشية ذلك ، وأشرحها ؛ حيث إني رأيت من الفائدة ذكرها

ثالثا : قمت بعزو الآيات في المتن بين معقوفين [ ].

رابعا :خرجت الأحاديث الواردة في هذا الكتاب .

خامسا : جعلت حاشية المتن والشرح واحدة ، وأرقامهما متسلسلة .

القسم الثاني : المنهج المتبع في الشرح :

أولا : المنهج في بيان مراد المؤلف .

ذكرت في الخطة أني أبين المراد بذلك على سبيل الإجمال ، وهذا يعني أني لن أتطرق للشرح التفصيلي ، بحيث أقف عند كل عبارة ، وأشرحها ، وأبين معاني مفرداتها ، لكن قد أفعل ذلك في بعض المسائل ، وهي قليلة جدا .

ولما كان هناك مسائل متقاربة إلى حد كبير جدا ، فإني أشرح المسألة أول ورودها شرحا يغني عن إعادته مرة أخرى في المسألة المشابهة ، وحين أبلغ تلك المسألة ، أحيل القاريء على المسألة الأولى ولما كان هناك مسائل يكمل بعضها بعضا ، وهي متوالية الترتيب ، فإني أجمعها ، وأتكلم عليها بكلام واحد ، يفهم القاريء المراد من كل .

ثانيا : المنهج في أدلة وجود الخصلة عند أهل الجاهلية .

أعتمد في إثبات وجود الخصلة التي ذكرها المؤلف عند أهل الجاهلية بنصوص الكتاب والسنة الصحيحة ، فإذا وجدت من ذلك

شيئا ، اكتفيت به غالبا ، وإذا لم أجد بحثت في كلامهم ، واستدللت عليها من شعرهم ونثرهم ، وأحيانا أجمع بين الأمرين .

ثالثا : المنهج في التمييز بين ماكان من خصال الأميين والكتابيين.

أعتمد في ذلك على الأدلة من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، ثم إذا لم أجد أثبت ذلك من كلامهم ، ثم بينت هل هذا أمي أوكتابي ، وذلك من خلال ترجمة القائل ، فأقول مثلا : من شعراء النصرانية ، أو يهودي ، أو نحو ذلك مما يدل على المقصود، كما أني أحاول قدر مااستطيع أن أثبت ذلك من خلال كتبهم كي يكون أقوى في الاحتجاج .

رابعا : المنهج في بيان كيف خالف رسول الله ﷺ أهل الجاهلية في ذلك .

لقد ظهر لي من خلال المسائل أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ حينما ذكر أن هذه المسائل قد خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ، أنه لايعني بذلك محمدا ﷺ وحده ، وإنما عنى بذلك جميع الرسل ، لأنه يذكر مسائل يستدل عليها بما جرى بين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والجاهليين في زمنهم ، أو أنه عنى بذلك محمدا ﷺ، لكون هذا جاء من خلال بيانه ، ومن خلال ماجاء من التشنيع على أولئك الجاهليين في كتاب الله ـ تعالى ـ الذي أنزل عليه .

وعلى هذا ، فإني أسلك في بيان كيفية مخالفة رسول الله ﷺ لهم ، ماسلكه المؤلف ، فأذكر أحيانا إجابة الله ـ تعالى ـ عن هذه الخصلة من خلال ماأجاب به نبي من الأنبياء قومه ، وأحيانا أذكر أمر الله ـ تعالى ـ نبيه ﷺ بكذا وكذا ، مما يدل على المخالفة ، أونهيه، أوتشنيعه ـ جل وعلا ـ على من فعل ذلك ، أوأذكر كلاما من كلامه ﷺ مما يدل على بطلان عمل أهل الجاهلية ، ولذلك فإني أقول في أحايين كثيرة : وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، كما في قوله ـ تعالى ـ آمرا نبيه ، أوناهيا نبيه ﷺ، أو مشنعا على أهل الجاهلية ، وليس من الضروري أن أتبع ذلك بشيء من كلامه ﷺ ، لأني قد أجد ذلك في القرآن ، ولاأجده في السنة ، والقرآن وما جاء فيه لاريب أن اتباعه من اتباع هدي رسول الله ﷺ .

خامسا: المنهج في إثبات وجود هذه الخصلة في العصر الحاضر.

سلكت في إثبات وجود هذه الخصلة الخطوات الآتية :

أولا : توثيق ذلك من كتب القائلين بها ومقالاتهم .

ثانيا : إخبار من أراهم ثقات عن وجود هذه الخصلة في بلادهم وذلك إذا لم أجد هذا مدونا في الكتب ونحوها ، وخاصة في بعض المسائل التي قد توجد في بلد دون آخر ، كمؤاخذة الرجل بجريرة

غيره ، ونحوها ، وهي مسائل قليلة جدا .

ثالثا : استفاضة وجود هذه الخصلة عند الناس ، كاستفاضة وجود عبادة غير الله ـ تعالى ـ ، واستفاضة وجود الفرقة والاختلاف، واستفاضة وجود التقليد ، واستفاضة وجود تحكيم شرائع الطواغيت ، ونحوها .

وإثبات أمر عن طريق الاستفاضة طريقة معروفة ، وجادة مسلوكة.

رابعا : لما كانت فرق أهل البدع لاتزال موجودة إلى يومنا هذا، وهذا أمر لايخفى ، فإني أثبت وجود تلك الخصلة من كتب متقدميهم؛ لأنهم الأصل ؛ ولكون هؤلاء الموجودين اليوم تابعين لهم ثم ، إن وجدت من كتابات المتأخرين شيئا ، استأنست بها ، وإلا اكتفيت بما تقدم .

وقد يلحظ أني أعتمد في الربط بالواقع المعاصر كثيرا على فرق قد يظن أنها انقرضت ، ولم يعد لها وجود ، كالمعتزلة ، والخوارج، وغلاة المتصوفة من أهل وحدة الوجود ، ونحوهم .

والذي حملني على ذلك أن هذه الفرق ليس بصحيح أنها انقرضت ، بل مامن فرقة من الفرق إلا ولها وجود ، وفي هذا يقول الدكتور عبد الرحمن المحمود : « . . . فما من نحلة قديمة إلا وهي موجودة الآن ، ولها معتنقوها وأتباعها ، لم تتغير في آرائها

وعقائدها الأصيلة ، بل إن وجد تغيير ففي بعض المظاهر أوالجزئيات أما الأصول فباقية ، فالنصرانية ، واليهودية ، والفرق الأخرى ، كالشيعة ، والإسماعيلية ، والباطنية ، والمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرها ، لاتزال إلى الآن موجودة ، وأتباعها كثر ، وكتبها ورسائلها تطبع ، ويعتنى بها ، ودعاتها يؤلفون ، وينشرون كل مامن سبيله الدعوة إلى مذهبهم»[1]

فالمعتزلة التي قد يعتقد أنها انقرضت ، موجودة إلى هذا العصر، بدليل وجود من يدافع عن فكرها ، وآرائها ، ويشيد بشخصياتها[2].

---

(١) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن المحمود ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة (١٦٨) .

(٢) ممن يشيد بمذهب المعتزلة في هذا العصر الدكتور محمد عمارة في كثير من كتبه ، وخاصة : نظرة جديدة إلى التراث ، وكتاب الإسلام والمستقبل ، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، كما أن اهتمامه بنشر كتب المعتزلة يدل دلالة واضحة على انتصاره لهم ، ومن الكتب التي نشرها : رسائل في العدل والتوحيد .
وانظر : محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة لسليمان الخراشي (٢٦١ - ٢٦٢) وممن يثني عليهم - أيضا - الدكتور زهدي حسن جار الله في كتابه « المعتزلة » فقد دافع عنهم دفاعا حارا ، وخاصة في مقدمته ، حيث اتهم فيها أهل السنة بعدم العدل مع المعتزلة ، وأنهم شوهوا صورتهم .
والدكتور فهمي جدعان في كتابه « المحنة » (ص ٤٧) .
وممن أثنى عليهم - أيضا - علي بن مصطفى الغرابي في تاريخ الفرق الإسلامية (٦٠ - ٦١) حيث ادعى أن ماأجمع عليه المعتزلة هو ماأجمع عليه المسلمون ، والدكتور عرفان عبدالحميد في : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (١٢٥ - ١٢٨) .

=

ولو سلمنا ـ جدلا ـ أنها انقرضت كفرقة ـ كما يزعم بعضهم[1] ـ فإن أصولها لاتزال موجودة في بعض الفرق كالرافضة[2]، والزيدية[3].

والخوارج لايزالون موجودين ، ويتمثلون اليوم في الإباضية، وبعض الجماعات التي تأخذ بالفكر الخارجي ، وإن لم تتسم به .

وغلاة الصوفية من أهل وحدة الوجود ، لايزالون موجودين إلى هذا العصر ، بدليل تحمس كثير منهم إلى تحقيق كتب هذه الطائفة ، ككتب ابن عربي المشحونة بهذا[4] .

= ومما يدل على وجود من يتبنى أفكارهم ، ويدافع عنها : نشر كثير من كتبهم ، كقيام الهيئة المصرية العامة للكتاب بنشر كتاب المغني في أبواب العدل والتوحيد ، واهتمام الدكتور عبدالكريم عثمان بكتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة ، واهتمام الدكتور عبدالهادي أبو ريدة بكتاب في التوحيد لأبي رشيد سعيد النيسابوري ، واهتمام فؤاد السيد بكتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لثلاثة من كبار المعتزلة، وغير ذلك كثير ، والقصد التنبيه ، وليس الحصر.
وانظر كتاب : فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام لغالب عواجي ، فقد عدهم من الفرق التي لاتزال موجودة ، وذلك حينما صنفهم في هذا الكتاب (٢/ ٨٢١ ـ ٨٥١) .

(١) انظر : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (١٠٣) .
(٢) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٣٩) ، ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٢٣٥) ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (٤٣٩) ، الخطط للمقريزي (٤/ ١٨٤)
تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي (٤٢) ، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (١١٦ـ ١٢١) .
(٣) انظر : الزيدية نشأتها ومعتقداتها للقاضي إسماعيل الأكوع (٤٥) الزيدية د. أحمد صبحي (٢٢١ ـ ٢٢٧) .
(٤) انظر مثلا دفاع الدكتور عبد الحليم محمود عن القول بوحدة الوجود ، ودفاعه عن =

فالمقصود التنبيه على أني حينما أذكر المسألة ، وأذكر مايدل عليها من خلال كتب هذه الفرق ، أني لم أخالف منهجي في ذلك ؛ لأن وجود هذه الفرق من الواقع المعاصر الذي نعيش فيه .

سادسا : المنهج في عزو الآيات .

منهجي في عزو الآيات ، أني أذكر اسم السورة ورقم الآية بين قوسين معقوفين هكذا [ ] ، وذلك عند ورودها أول مرة في المسألة التي أنا بصدد شرحها ، فإذا تكررت مرة أخرى في نفس المسألة ، فإني لاأذكر العزو ، اكتفاء بذلك ، ولكون الآية تتكرر كثيرا في المسألة الواحدة ، فإعادة العزو يثقل.

سابعا : المنهج في تخريج الأحاديث والآثار ، والحكم عليها .

سلكت في هذا عدة أمور :

الأمر الأول : إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ، فإني أخرجه منهما ، وأكتفي بذلك عما سواهما ، وذلك لأن المقصود التأكد من صحة الخبر ، ووجوده فيهما يغني عما سواهما ، وعلى ذلك جرى أكثر الباحثين ، تبعا لأئمة هذا الشأن .

ثانيا : إذا لم يكن الحديث في الصحيحين ، فإني أتوسع في

= الحلاج وابن عربي في تذييله على المنقذ من الضلال للغزالي (٢٦٩ ـ ٢٧٧) ، وانظر : العقيدة الحقة في الرد على أهل الحلول والوحدة المطلقة لأحمد الرفاعي (١٢٩ ـ ١٣٩) ، كما أن هذه العقيدة موجودة في أكثر الطرق الصوفية كالتجانية والرفاعية وغيرهم ، كما سترى ذلك عند التعريف بهم .

تخريجه قدر مااستطيع من كتبِ السننِ ، والمسانيدِ ، والمصنَّفاتِ ، والأمالي ، والأجزاءِ الحديثيّةِ ، وغيرِها .

ثالثًا : إذا كان الحديث مرفوعًا ، فإني أذكر حكمَ الأئمّةِ المُتقدِّمينَ عليه من حيثُ القبولُ والردُّ ، فإن لم أجد للمتقدمين كلامًا ، أخذت من كلام المتأخرين مايفيد ذلك .

وأمّا إن كان الحديثُ ليس مرفوعًا ، فإن وجدت حكمًا للأئمّةِ عليه ذكرته ، وإلا فإني لاألتزمُ بذكرِ الحكمِ عليه ، وعلى هذا جرى أكثرُ الباحثين في بحوثهم .

رابعًا : عند تخريجِ الحديثِ ، أذكرُ اسمَ المؤلِّفِ ، ثم اسمَ الكتابِ والبابِ ، ورقمَ الجزء والصحيفةِ ، ورقمَ الحديثِ إن وجدَ .

سابعًا : المنهج في تخريج الأبيات الشعرية .

أذكرموضعَ البيتِ في الديوانِ إذا كان لشاعرٍ له ديوانٌ مطبوع ، ثم أذكرُ مواضعه من كتب الأدب الأخرى ، وكتب تخاريج الأشعار ، وكتب اللغة ، وكتب التراجم وغيرها .

ثامنًا : المنهج في تراجم الإعلام .

لقد ترجمتُ لجميعِ الأعلامِ المتوفين الواردين في البحث ، عدا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، والخلفاء الراشدين ، والذي جعلني لاأقتصر على غير المشهورين : أن الشهرة أمرٌ نسبي ، وخصصت المُتَوَفَّينَ بذلك ؛ لصعوبة الحصول على تراجمَ للأحياء غالبا .

تاسعًا : المنهج في المصادر .

لقد سلكت في الإفادة من المصادر المنهج الآتي :

١ ـ الإفادة من الأقدم ماوجدت إلى ذلك سبيلاً .

٢ ـ أنسأتُ التعريفَ بالكتاب من حيث : ذكرُ ناشره ، وتأريخ نشره ، ورقم الطبعة للفهرس .

٣ ـ أذكرُ اسمَ المؤلِّفِ عند ورودِهِ أوَّلَ مرةٍ ، ثم لاأعودُ لِذِكرِهِ مرةً أخرى ، وإنما أكتفي بِذكرِ الكتابِ ، إلا عند وجود كتابين متماثلين في الاسم .

هذا هو منهجي في هذا البحثِ .

ولايفوتُني في نهاية هذه المقدمة أن أحمدَ الله ـ تعالى ـ وأشكرَه على ماأولانيه من نعم ، وأسأله المزيدَ .

كما لايفوتني أن أشكر كلَّ من ساعدني في هذا البحث ، وفي مقدمتهم: فضيلةُ الأستاذِ الدكتور السَّيِّدِ محمدِ الأنورِ بنِ حامد عيسى المشرفِ الأوَّلِ على هذا البحثِ ، وفضيلةُ الشيخِ الدكتور محمدِ بنِ إبراهيمَ العَجْلانِ ، الذي أكملت معه مسيرةَ هذا البحثِ ، فكان نعم الموجهُ ، بارك اللهُ له في وقتِه وعلمِهِ ، كما أتقدم بالشكرِ إلى أخي الأكبرِ الأستاذِ الدكتور عبدِالرحمنِ ابنِ حمد العكرش ، وفضيلةِ الشيخ صالحِ بنِ عبدالعزيزِ آلِ الشيخِ ، وفضيلةِ الدكتور الوليدِ بنِ عبدِالرحمنِ آلِ فُرَيَّانِ ، والأخِ الشيخِ سُعُودِ بنِ عبدِالعزيزِ الخُنَيْنِ ، والأخِ الشيخِ عبدِ العزيزِ بنِ محمد السَّعيدِ ، وابنِ أخي المهندسِ الوليدِ بنِ عبدِالرحمنِ العكرشِ ، والأخِ الفاضلِ المهندسِ عبدِاللطيفِ بنِ صالح السُّليمانِ ، والأخِ الفاضلِ الأستاذِ عبدِالعزيزِ بنِ عبدِالرحمنِ

الهذَّابِ،على مابذلوه من نصحٍ وتوجيهٍ ومعونةٍ ، فلهم مني جزيل الشكر ، وأسأل الله لي ولهم المغفرة والعتق من النار.

هذا ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، كما يحب ربُّنا ، ويرضى ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قال الشيخ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والذين آمنوا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الناس [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم هذه مسايل خالف
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه اهل الجاهلية الكتابيين والاميين
مما لا غنا للمسلم عن معرفتها والضد يظهر حسنه الضد وبضدها
تتبين الاشياء واهم ما فيها واشده خطرا عدم ايمان القلب بما
جا به الرسول فان انضاف الى ذلك استحسان ما عليه اهل الجاهلية
تمت الخسارة كما قال تعالى والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اوليك
هم الخاسرون المسئلة الاولى انهم يتعبدون باشراك الصالحين في
دعا الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم ان الله يحب ذلك
وان الصالحين يحبونه كما قال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولا
شفعاونا عند الله فاتى بالاخلاص واخبر انه دين الله سبحانه الذي امر

فعل ما استحسنوه فقد حرم الله عليه الجنة وماويه النار وهذه المسئلة
التي تفرق الناس لاجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة
ولاجلها شرع الجهاد كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين كله لله الثانية انهم متفرقون في دينهم كل حزب بما لديهم
فرحون وكذلك في دنياهم ويرون ان ذلك هو الصواب فاتى بالا
جتماع في الدين بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك الاية وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شي
ونهانا عن مشابهتهم بقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من
بعد ما جاهم البينات فامرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق بقوله و
اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الثالثة ان مخالفة ولي الامر

بسم الله الرحمن الرحيم هذه مسائل خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية

من الكتابيين والأميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها والضد يظهر حسنه الضد وبضدها

تتبين الأشياء وأهم ما فيها وأشده خطرا عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة والعياذ بالله من ذلك

كما قال تعالى والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

المسألة الأولى

أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله

يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه كما قال تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم

إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا

ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بالإخلاص وأخبر أنه دين الله الذي

أرسل به جميع الرسل وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص وأخبر أن من فعل

ما استحسنوا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة

التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها

شرع الله الجهاد كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله

الثانية

أنهم متفرقون في دينهم كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون

وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب فأتى بالاجتماع في الدين بقوله

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم

وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى إن الذين فرقوا دينهم

وكانوا شيعا لست منهم في شيء ونهانا عن مشابهتهم بقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا

واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ونهانا عن التفرق في الدين

بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الثالثة أن مخالفة ولي الأمر وعدم

الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة ذل ومهانة فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأمر بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة وغلظ في ذلك وأبدى

وأعاد وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه في الصحيح أن الله يرضى لكم ثلاثا

أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه

الله أمركم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله هذه امور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه اهل الجاهلية الكتابيين والاميين مالا غنا للمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الاشياء فاهم ما فيها واشدها خطرا عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فان انضاف الى ذلك استحسان ما عليه اهل الجاهلية تمت الخسارة كما قال تعالى والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون

المسئلة الاولى انهم يتعبدون باشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذه اعظم مسئلة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى بالاخلاص واخبر انه دين الله الذي ارسل به جميع الرسل وانه لا يقبل من الاعمال الا الخالص واخبر ان من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار

(٢)

هذه مسائل الجاهلية للشيخ
الإمام العالم الحبر
الفاهم محمد بن عبد
الوهاب عفا الله
لنا وله آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمور خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين مما
[illegible]
[illegible] يظهر حسنه الضد
وبضدها تتبين الأشياء وأهم ما فيها وأشده خطراً عدم
إيمان القلب بما جاء به الرسول فإن انضاف إلى ذلك
استحسان ما عليه أهل الجاهلية تمت الخسارة قال
تعالى والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم
الخاسرون المسألة الأولى أنهم يتعبدون بإشراك
الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم
عند الله كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا

يضرهم

وقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الآية
وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل بيع الرطب بالتمر اينقص الرطب
اذا جف قالوا نعم فنهى عنه وقوله لا يتناجى اثنان دون الثالث
فان ذلك يحزنه وقوله اذا وقع الذباب الى آخره وقد قرب
النبي صلى الله عليه وسلم الاحكام الى امته بذكر نظائرها واسبابها
وضرب لها الامثال قال عمر يا رسول الله صنعت اليوم امرا عظيما
قبلت وانا صائم فقال ارايت ان تمضمضت بماء وانت صائم
فقلت لا باس بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا ان
حكم المثل حكم مثله وان المعاني والعلل مؤثرة بالاحكام نفيا
واثباتا لم يكن لذكر هذا التشبيه معنى فذكره ليدل به على ان
حكم النظير حكم مثله وان نسبة القبلة التي هي وسيلة الى الوطئ
كنسبة وضع الماء في الفم الذي هو وسيلة الى شربه فقال ارايت
لو كان على ابيك دين فقضيته عنه اكان يجزئ عنه قال فحج عنه
ومنه في الحديث الصحيح وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله
يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايت لو وضعها
في حرام اكان عليه وزر قالوا نعم قال فكذلك اذا وضعها في
الحلال يكون له اجر وهذا من قياس العكس الجلي المبين وهو
اثبات نقيض حكم الاصل في الفرع لثبوت ضد علته فيه
ومنه الحديث الصحيح ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان امرأتي ولدت غلاما اسود واني انكرته فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من الابل قال نعم

من ابل

فقال لو نهاه لحمر قال فما الوانها قال حمر قال هل فيها من اورق
قال ان فيها لورقا قال فانى ترى ذلك جاءها قال يا رسول الله عرق نزعه
قال ولعل هذا عرق نزعه ولم يرخص له في الانتفاء منه
من تراجم البخاري على هذا
الحديث والله اعلم
وصلى الله على محمد
وسلم

هذه مسائل الجاهلية تأليف الشيخ العالم العلامة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ما عليه اهل
الجاهلية من الكتابيين والاميين مما لا غنى للمسلم عن معرفتها
والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الاشياء واهم ما فيها
واشده خطرا عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول فان انضاف
الى ذلك استحسان ما عليه اهل الجاهلية تمت الخسارة والعياذ بالله
من ذلك كما قال تعالى والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم
الخاسرون المسألة الاولى انهم يتعبدون باشراك الصالحين في
دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم ان الله
يحب ذلك وان الصالحين يحبونه كما قال تعالى والذين اتخذوا
من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء

التمهيد

ترجمة المؤلف

* اسمه ، ونسبه ، ومولده :

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد ابن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة ابن أبي أسود بن مالك بن حنظل بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وكنيته : أبو الحسن .

ولد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١١١٥ للهجرة في بلدة العيينة من بلاد نجد ، ونشأ في بيت علم ودين ، فقد كان أبوه عبد الوهاب قاضي العيينة ومفتيها[١] ، وجده سليمان كان مفتي بلاد نجد بعامة[٢] ،

---

(١) توفي سنة ١١٥٣ هـ .
انظر : روضة الأفكار والأفهام لابن غنام (١/ ١٧٥) .

(٢) توفي سنة ١٠٧٩ هـ ، وله رسائل وإجابات كثيرة .
انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (٢/ ٢١٠) ، مشاهير علماء نجد لعبدالرحمن آل الشيخ (٢٩) .

وعمه إبراهيم بن سليمان كان فقيها ، وابن عمه عبد الرحمن بن إبراهيم[1] كان عالما معروفا ، وكان أخوه سليمان معروفا بالعلم والمعرفة[2] .

في هذه البيئة العلمية نشأ الشيخ ، وتأثر بها تأثرًا كبيرًا ظهر في حياته العلمية والدعوية .

** طلبه العلم ، ورحلاته فيه ، وشيوخه :

بدأ الشيخ - رحمه الله تعالى - في طلب العلم صغيرا ، حيث قرأ القرآن على والده ، وحفظه عن ظهر قلب قبل العاشرة من عمره ، ثم قرأ مبادىء الفقه الحنبلي عليه ، وشرع يحفظ عليه المتون العلمية في شتى الفنون ، ورحل لطلب العلم في ضواحي نجد ، ثم استأذن والده للحج ، فأذن له ، فحج ، وجاور في مكة ، وقرأ على علمائها في المسجد الحرام، ثم رحل إلى المدينة النبوية ، فقرأ على علمائها ، ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف[3] ، وابنه الفرضي

---

(١) توفي سنة ١٢٠٦ ، وصفه الفاخري بأنه كان فقيها .
انظر : الأخبار النجدية لمحمد بن عمر الفاخري (١٢٤) .

(٢) وقد تولى قضاء حريملاء ، وناوأ أخاه محمدًا ، وكتب كتابه « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » ، ويقال : إنه رجع عن ذلك ، توفي سنة ١٢٠٨ هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/٣٠٢) ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ومنهجه في الدعوة رسالة ماجستير بقسم العقيدة بجامعة الإمام للطالب محمد السكاكر (١٢٦) الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حياته وفكره - د. عبد الله العثيمين (٦٨ - ٦٩) ، دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبد العزيز العبداللطيف (٤١ - ٤٢) .

(٣) هو عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشمري ، ولد بالمجمعة من قرى سدير ، ثم رحل مع والده إلى المدينة النبوية ، وأقام بها ، وأخذ عن علمائها ، وكان ضليعا في علم الأنساب والتاريخ ، له رسائل ونظم رائق ، وتوفي سنة ١١٤٠هـ .

إبراهيم ،[1] والشيخ محمد حياة السندي ، ثم رجع إلى العيينة لزيارة أهله، ثم عاد مرة أخرى إلى المدينة ، ولازم علماءها .

بعد ذلك رحل الشيخ إلى العراق ، حيث أقام بالزبير والبصرة ، وكان يتردد على علماء تلك البلدتين ، ومن أبرزهم : الشيخ محمد المجموعي ، ثم لما نفد مامعه من النفقة أراد الرجوع إلى العيينة ، وفي طريقه وفق له الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي في الأحساء ، فنزل عنده مدة ، وأخذ عنه ، ثم رجع بعد ذلك إلى بلاده .

ويذكر بعض الكتاب أن الشيخ رحل إلى بغداد ودمشق والقدس ومصر والهند وكردستان وهمذان وأصفهان والري وقم وقرية أبي لباس وحلب[2] ، بيد أن هذا القول لاأساس له من الصحة[3] .

هذه أهم رحلات الشيخ ، وهؤلاء هم أهم شيوخه .

= انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (١/ ٢٠ ، ٧٤ ، ١١٦) ، فهرس الفهارس للكتاني (١/ ٢٧١) ، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لعثمان القاضي (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن سيف ، ولد بالمدينة النبوية سنة ١١١٩ هـ، وأخذ عن علمائها ، وكان فرضيا شهيرا ، له كتاب « العذب الفائض شرح ألفية الفرائض » ، وكان ـ فيما يذكر ـ ممن شرق بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ توفي سنة ١١٨٩ هـ .
انظر : روضة الناظرين (١/ ٣٣ ـ ٣٤) .

(٢) انظر : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب لمؤلف مجهول (٩ـ ١٣) ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ حياته وفكره ـ (٤٠ ـ ٤١) .

(٣) انظر : الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ لعبد الله الرويشد (١/ ٣٨) .

*** عقيدته :

لقد اتهم أهل الزيغ والضلالة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بفساد المعتقد ، ودفعا لذلك ، فإليك بيان عقيدته بما ذكره هو ؛ ليتبين لك أن عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة .

قال ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته لأهل القصيم لما سألوه عن معتقده : « أشهد الله ومن حضرني من الملائكة ، وأشهدكم أني أعتقد ماعتقدته الفرقة الناجية : أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولاتعطيل ، بل أعتقد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فلاأنفي عنه ماوصف به نفسه ، ولاأحرف الكلم عن مواضعه ، ولاألحد في أسمائه وآياته ، ولاأكيف ولاأمثل صفاته ـ تعالى ـ بصفات خلقه ؛ لأنه ـ تعالى ـ لاسمي له ، ولاكفوء له ، ولاند له ، ولايقاس بخلقه ، فإنه ـ سبحانه ـ أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثا ، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ○ وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] . . . وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدا

وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد ﷺ .

وأومن بأن الله فعال لما يريد ، ولايكون شيء إلا بإرادته ، ولايخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ، ولايصدر إلا عن تدبيره ، ولامحيد لأحد عن القدر المحدود ، ولايتجاوز ماخط له في اللوح المسطور .

وأعتقد الإيمان بكل ماأخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فأومن بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين ، وتوزن بها أعمال العباد ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ، وتنشر الدواوين ، فآخذ كتابه بيمينه ، وآخذ كتابه بشماله .

وأومن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأبعدها .

وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

وأومن بشفاعة النبي ﷺ ، وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولاينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لاتكون إلا من بعد

الإذن والرضا ، كما قال - تعالى - : ﴿ ولايشفعون إلا لمن ارتضى﴾[الأنبياء : ٢٨]، وقال - تعالى - : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾[البقرة : ٢٥٥] ، وقال - تعالى - : ﴿ وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ [النجم: ٢٦] ، وهو لايرضى إلا التوحيد ، ولايأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال - تعالى - :﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ [المدثر : ٤٨] .

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لايفنيان ، وأن المؤمنين يرون أبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لايضامون في رؤيته .

وأومن بأن نبينا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين ، ولايصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته .

وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة : أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة - رضي الله عنهم - وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ ، وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم ، وأستغفر لهم ، وأكف عن مساويهم ، وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله - تعالى - : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين

آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ [الحشر:١٠] ، وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء .

وأقر بكرامات الأولياء ومالهم من المكاشفات ، إلا أنهم لايستحقون من حق الله ـ تعالى ـ شيئا ، ولايطلب منهم مالايقدر عليه إلا الله .

ولاأشهد لأحد من المسلمين بجنة ولانار ، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ، ولكني أرجو للمحسن ، وأخاف على المسيء ، ولاأكفر أحدا من المسلمين بذنب ، ولاأخرجه من دائرة الإسلام .

وأرى الجهاد ماضيا مع كل إمام : برًّا كان أوفاجرًا ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لايبطله جور جائر ، ولاعدل عادل .

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين : برهم وفاجرهم ، مالم يأمروا بمعصية الله .

ومن ولي الخلافة ، واجتمع عليه الناس ، ورضوا به ، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته ، وحرم الخروج عليه .

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة.

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأرى

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ماتوجبه الشريعة المحمدية المطهرة.

فهذه عقيدة وجيزة ، حررتها وأنا مشغول البال ؛ لتطلعوا على ماعندي ، والله على مانقول وكيل »[1]

فهذه عقيدة الشيخ - رحمه الله تعالى - وهي عقيدة أهل السنة والجماعة ، التي أجمع عليها المسلمون ، خلا أهل البدع والمذاهب الباطلة .

**** تلامذته :

لقد تتلمذ على يدي الشيخ طلبة نجباء ، أصبحوا بعدُ علماء أجلاء ، حملوا الدعوة التي أحياها الله على يدي الشيخ بعد اندراسها ، وتولوا مناصب قضائية وتعليمية ودعوية ، فنفع الله بهم ، حيث أكملوا مابدأه الشيخ.

ومن هؤلاء التلاميذ أبناؤه : الشيخ عبد الله[2]، والشيخ حسين[3]،

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥/٨ - ١١) .

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، أحد أئمة أهل السنة والجماعة المتأخرين ، ولد سنة ١١٦٥هـ ، ونشأفي بيت علم ودين وهو بيت والده الإمام ، وتربى تربية صالحة ، وأخذ عن أبيه العلم ، ولما توفي والده تولى مهام الدعوة من بعده ، له مؤلفات منها : مختصر السيرة ، والرد على الرافضة والزيدية، وقد توفي ١٢٤٤هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/٤٨ - ٥٥) .

(٣) هو الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب ، أحد كبار علماء الدعوة النجدية السلفية ، قرأعلى والده ، وأفاد منه ، وتولى الخطابة في جامع الدرعية الكبير ، =

والشيخ علي[1]، وحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن[2]، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر[3]، والشيخ حسين بن غنام[4]، والشيخ عبدالعزيز

= كما تولى التدريس ، له رسائل إصلاحية عديدة وفتاوى مفيدة ، وقد توفي سنة ١٢٢٤هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) .

(١) هو الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب ، أكبر أبناء الشيخ ، كان عالما جليلا ، ورعا كثير الخوف من الله ، له إلمام عظيم بالفقه والتفسير ، شارك في نشر الدعوة السلفية بلسانه وسنانه ، حيث كان يخرج للجهاد في سبيل الله ، وقد توفي سنة ١٢٤٥هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (٣/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦) ، روضة الناظرين ومآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد القاضي (٢/ ١٢٣ ـ ١٢٥) .

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة المجدد الثاني عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، أحد العلماء الأعلام والأئمة الكرام ، ولد سنة ١١٩٣هـ ، وقرأعلى جده شيخ الإسلام ، وعلى الشيخ حمد بن ناصر المعمر وغيرهما من سادات أهل العلم ، وجاهد في سبيل الله بكل مايستطيع ، وصنف الكتب النافعة ، منها : فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ، وقرة عيون الموحدين ، وتوفي سنة ١٢٨٥هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٥٦ ـ ٦٢) ، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر لإبراهيم بن عيسى (٧٠ ـ ٨١) ، روضة الناظرين (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٥) .

(٣) هو الشيخ العلامة الفقيه الإمام الحافظ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري السعدي التميمي ، من العلماء الكبار والأئمة الحفاظ ، نشأ وترعرع في أحضان الدعوة السلفية التي أحياها الإمام محمد بن عبدالوهاب ، وتأثر بها تأثرا كبيرا ، ولازم الإمام وأخذ عنه حتى غدا من كبار أئمة الدعوة ، وقادتها المصلحين ، وجلس للتدريس فأفاد الناس منه ومن علمه ، وقد توفي سنة ١٢٢٥هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٣) ،

(٤) هو الشيخ المؤرخ حسين بن أبي بكر بن غنام النجدي الأحسائي ، أحد المؤرخين الكبار ، لازم حلق الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأفاد منه ، وكتب سيرته ، وجمع كثيرا من رسائله ، فأفاد الناس من ذلك ، وقد صنف كتبا منها : العقد الثمين في شرح أصول الدين ، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام ، وتعداد غزوات ذوي الإسلام ، وقد توفي سنة ١٢٢٥هـ .
انظر : عنوان المجد (١/ ١٤٩) ، هدية العارفين (٣٢٨) ، مشاهير علماء نجد (١٨٥ ـ ٢٠١) .

الحصين[1]، والشيخ عبد العزيز بن سويلم[2] وغيرهم كثير .

***** مؤلفاته :

صنف الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ مصنفات كثيرة ، دلت على سعة علمه ، وقوة استنباطه ، وأنه لم يكن مجرد جماع لما في بطون الكتب ، بل كان يكتب عن علم وبصيرة.

وقد ركز في مؤلفاته على ماوجد أن أهل عصره بحاجة إليه ، ومن هذه المؤلفات :

١ ـ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

٢ ـ مسائل الجاهلية .

٣ ـ كشف الشبهات .

٤ ـ الأصول الثلاثة .

٥ ـ مفيد المستفيد بكفر تارك التوحيد .

---

(١) هو الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد الحصين التميمي ، ولد عام ١١٥٤هـ ، ولازم دروس الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ، وأفاد منه ، وتولى القضاء لثلاثة من أئمة آل سعود ، وهم عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، وابنه سعود، وابنه عبدالله بن سعود ، له عدة رسائل متفرقة موجود بعضها في الدرر السنية ، وقد توفي سنة ١٢٣٧هـ .
انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٨٢) .

(٢) هو الشيخ العلامة عبد العزيز بن سويلم بن عبدالعزيز العريني السبيعي ، ولد في الدرعية ، وتربى تربية حسنة ، ولازم الشيخ محمدا وابنه عبد الله ، ولاه الإمام عبد العزيز بن محمد قضاء القصيم وتوابعه ، له مخطوطات ووثائق وحواش ، توفي سنة ١٢٤٤ هـ .
انظر : روضة الناظرين (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

٦ ـ مختصر زاد المعاد .

٧ ـ مختصر السيرة .

٨ ـ مختصر المغني والشرح الكبير ، وغيرها كثير جدا[١] .

وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع مؤلفات الشيخ ورسائله المخطوطة والمطبوعة ، وأسندت تحقيقها ومراجعتها إلى بعض العلماء والباحثين ، ثم قامت بطبعها في عدة مجلدات.

***** وفاته :

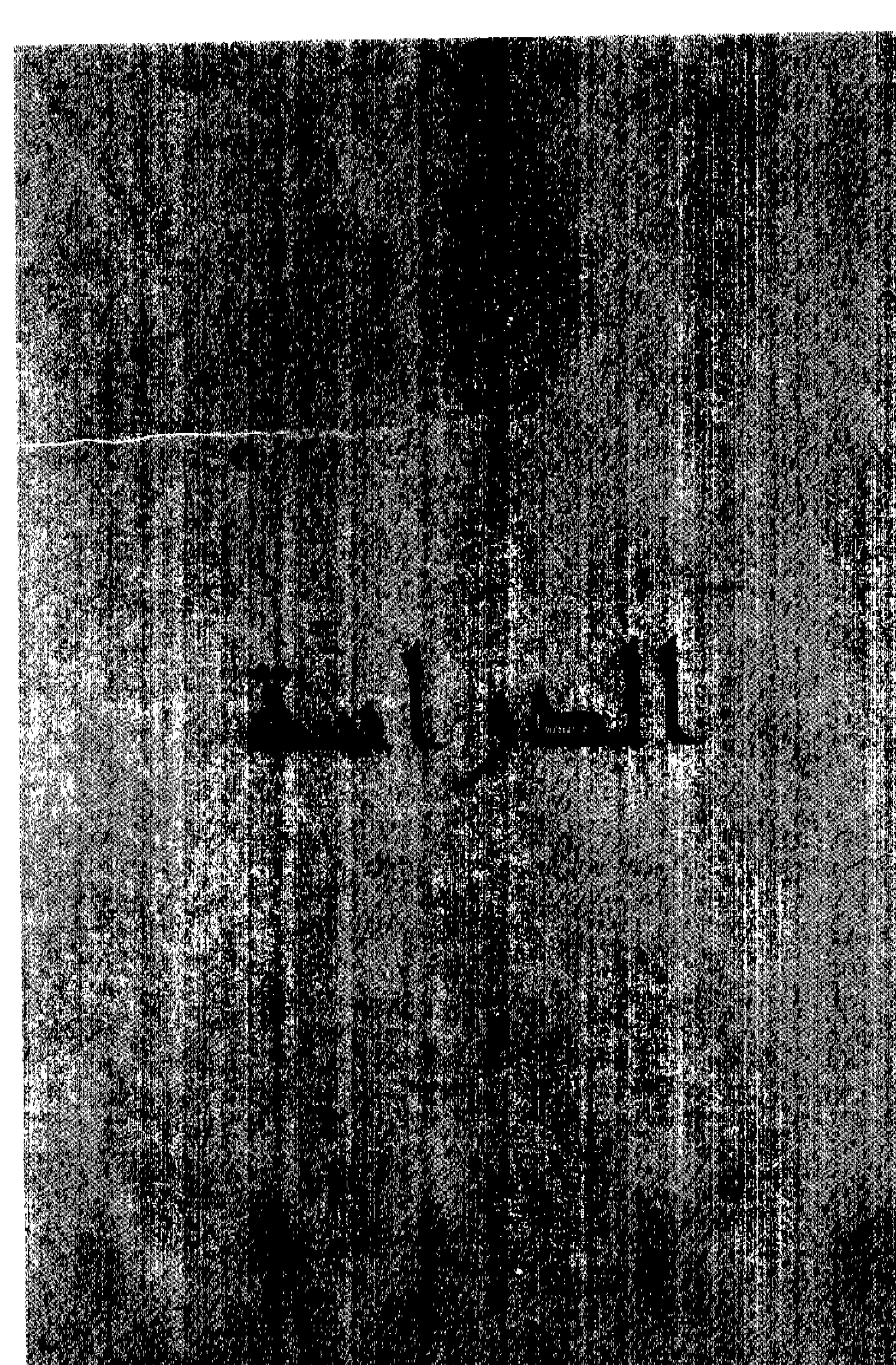
ألم بالشيخ مرض شديد في أواخر شهر شوال من عام ١٢٠٦هـ ، واستمر معه حتى توفاه الله في أواخر شهر ذي القعدة من العام نفسه .

فرحمه الله ، ورضي عنه ، وأسكنه الفردوس الأعلى [٢].

---

(١) انظر : آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب د . أحمد الضبيب .

(٢) انظر في ترجمته : روضة الأفكار والأفهام (١/ ٧٥ ـ ٨٥) ، عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٨٩ ـ ٩٦) ، الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لحسين خزعل ،سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد ، محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبد الغفور عطار ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بوطامي، داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ حياته وفكره د. عبدالله الصالح العثيمين ، الإمام محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ لعبد الله بن سعد الرويشد ، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٥ ـ ٤٨) ، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب لجمع من الباحثين نشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تاريخ الدولة السعودية الأولى لأمين سعيد (٤٥ ـ ٤٧) .
والكتب التي تناولت حياة الشيخ محمد كثيرة جدا ، فقد ألفت رسائل علمية ، وبحوث خاصة تناولت حياة الشيخ ودعوته من جوانب عديدة .


الدراسة

الفصل الأول

المبحث الأول

اسم الكتاب

لم ينص المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على اسم لكتابه هذا ، فمقدمته خالية من هذا ، وإنما بين مضمون مافي الكتاب بقوله : « هذه مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية » أو « هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية » على اختلاف بين النسخ في ذلك ، كما سيظهر من خلال تحقيق النص ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وهذا الأسلوب لايدل على أن هذه العبارة تسمية للكتاب ، ونما هي إشارة إلى مايتضمنه الكتاب .

والذين جاؤا من بعده لم يتفقوا على اسم واحد ، فمنهم من يسميه بـ « مسائل الجاهلية »[1] ومنهم من يسميه بـ « المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية »[2] ، وكأنهم ـ والله أعلم ـ أخذوا هذه التسمية مما فهموه من كلام المؤلف .

---

(١) انظر : علماء نجد خلال ستة قرون (٤١/١) ، مختصر طبقات الحنابلة (١٦٥) .

(٢) انظر : عنوان المجد (٩٢/١) ، أبجد العلوم (١٩٨/٣) ، الأعلام (٢٥٧/٦) ، معجم المؤلفين (٢٦٩/١٠) .

وخلاصة القول في هذا : أننا لانستطيع الجزم باسم معين للكتاب؛ لأن الجزم يمكن لو أننا وجدنا نصا للمؤلف في ذلك ، أما ونحن لم نجد ، فأنى لنا ذلك ؟ .

لكننا نستطيع أن نرجح بأن اسم الكتاب هو « مسائل الجاهلية»؛ وذلك لما جاء على طرة الكتاب من تسميته بذلك في بعض النسخ الخطية ، كالنسخة المرموز لها بـ(د) و (هـ) .

وعلى كل حال ، فسواء كان اسمه هذا ، أوذاك ، فإنه لافرق بينهما إلا في الإطالة والاختصار ، والله أعلم .

المبحث الثاني

توثيق نسبته لمؤلفه

إن نسبة الكتاب للشيخ محمد بن عبدالوهاب ثابتة قطعا ، ويدل على ذلك أمور ، منها :

أولاً : أن حفيده وتلميذه العلامة عبدالرحمن بن حسن قد نسب هذا الكتاب إليه ، فقال : « ولشيخنا مصنَّفٌ لطيفٌ ذكر فيه ماخالف رسولُ الله ﷺ فيه أهلَ الجاهلية ، بلغ مائةً وعشرين مسألةً »[1].

ثانيًا : أن أكثر من ترجم للمؤلف ذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، ومن هؤلاء : مؤرخ هذه الدعوة العلامة ابن بشر[2] في عنوان المجد[3]، وصديق حسن خان[4] في أبجد

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن (٢٦١) .

(٢) هو عثمان بن عبدالله بن عثمان بن بشر النجدي ، الحنبلي ، مؤرخ شهير ، ولد نحو سنة ١٢١٠هـ ، وأخذ عن جماعة من أهل العلم ، له مؤلفات منها : عنوان المجد في تاريخ نجد ، بغية المحاسب وغيرهما ، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ .
انظر : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر (١٠١) ، مقدمة عنوان المجد (ص ب) ، الأعلام للزركلي (٤/٢٠٩) ، معجم المؤلفين لرضا كحالة (٦/٢٥٩) .

(٣) (١/٩٢) .

(٤) هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي البخاري ، أحد علماء الهند السلفيين ، ولد سنة ١٢٨٤هـ ، وأخذ عن جماعة من أهل العلم ، وصنف كتبا كثيرة ، منها : الفتح والبيان في تفسير القرآن ، والدين الخالص ، وقد توفي سنة ١٣٠٧هـ .
انظر : أبجد العلوم له (١/٢٧٤ ـ ٢٨٤) ، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي (٣٠) ، إيضاح المكنون لإسماعيل باشا (١/١٠) ، حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر للبيطار (٢/٧٣٨ ـ ٧٤٦) .

العلوم[1]، والبغدادي[2] في هدية العارفين[3]، والشطي[4] في مختصر طبقات الحنابلة[5] وابن بسام في علماء نجد خلال ستة قرون[6]، والزركلي[7] في الأعلام[8] ، وكحالة في معجم المؤلفين[9]، وغيرهم .

ثالثًا : ماجاء على طرة مابين أيدينا من المخطوطات من نسبة

---

(١) (١٩٨/٣) .

(٢) هو إسماعيل بن محمد أمين بن مير الباباني ، البغدادي ، عالم بالكتب ، له كتب منها : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، هدية العارفين في أسماء المؤلفين ، وقد توفي سنة ١٣٣٩هـ انظر : إيضاح المكنون (١٥٨/١) ، الأعلام (٣٢٦/١) ، معجم المؤلفين (٢٨٩/٢ ـ ٢٩٠) .

(٣) (٣٥٠/٢) .

(٤) هو محمد جميل بن عمر بن محمد الشطي الحنبلي ، ولد سنة ١٣٠٠هـ ، وأخذ عن بعض علماء عصره ، وشارك في علوم عدة ، له مؤلفات منها : مختصر طبقات الحنابلة ، السيف الرباني ، وتوفي سنة ١٣٧٩هـ .
انظر : حلية البشر في أخبار القرن الثالث عشر (١٦٢٦/٣ ـ ١٦٢٩) ، معجم المؤلفين (١٦١/٩) ، تكملة النعت الأكمل للغزي لرياض المالح ومطيع الحافظ (٤٣١ـ ٤٣٣) .

(٥) (١٦٥)

(٦) (١ / ٤١).

(٧) هو خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي ، عالم بالكتب ، ولد سنة ١٣١٠هـ ، وتعلم في مدارس دمشق الأهلية ، وتخرج في كلية لايك العلمانية ببيروت ، وعين أستاذا بها ، وأنشأ عدة صحف ، وتولى مناصب قيادية في وزارة الخارجية السعودية ، له مؤلفات منها : الأعلام ، مارأيت وماسمعت ، وتوفي سنة ١٣٩٦هـ.
انظر : الترجمة التي كتبها بقلمه ، وأتمها الناشر بعد موته في : الأعلام (٢٦٧/٨ ـ ٢٧٠) .

(٨) (٢٥٧/٦) .

(٩) (٢٦٩/١٠)

الكتاب إليه ، فإنها كلها تذكر ذلك .

رابعًا : أنه لم يعارض أحد في ذلك ، حيث لاأعلم أن أحدا زعم أن هذا الكتاب غير ثابت له ، أو أنه لمؤلف آخر ، أوغير ذلك من الاعتراضات .

خامسًا : أن أسلوب المؤلف في هذا الكتاب هو أسلوبه في كثير من كتبه ، كالتفسير ، ومسائل كتاب التوحيد ، وفوائد صلح الحديبية .

سادسًا : أن القضايا التي عالجها المؤلف في هذا الكتاب هي نفس القضايا التي عالجها في كتبه الأخرى ، ككتاب الكبائر .

فهذه الأمور لاشك أنها تدل دلالةً قاطعةً على إثبات نسبة الكتاب للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والله أعلم .

المبحث الثالث

منهج المؤلف فيه

يمكن بيان منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذا الكتاب في النقاط الآتية:

أولاً : لم يذكر المؤلف مقدمة لكتابه يذكر فيها منهجه فيه .

ثانيًا : الإيجاز في الكلام على هذه المسائل ، حيث إنه ذكر رؤوس أقلام للمسائل .

ثالثًا : استدل المؤلف على بعض هذه المسائل ، وترك كثيرا منها دون استدلال ، ولعله تركها اختصارا .

رابعًا: اعتمد في الاستدلال على نصوص الكتاب والسنة .

خامسًا : لم يرتب المؤلف المسائل الواردة في هذا الكتاب ترتيبا موضوعيا ، وإنما سردها سردا .

سادسًا : وجود مسائل متقاربة ، مع وجود فرق بينها ، لكنه يمكن إدخال مسألة ضمن أخرى ، كأن يكون بين المسألتين ـ مثلا ـ عموم وخصوص .

مثال ذلك : مسألة تحريف كتاب الله من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ، ومسألة تحريف الكلم عن مواضعه ، فالثانية لاريب أنها أعم من الأولى .

هذا ماظهر لي من منهج المؤلف ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

المبحث الرابع

التماس الأسباب التي دعت المؤلف للاقتصار على هذه المسائل دون ماعداها

أولاً :لم يدَّعِ المؤلفُ ـ رحمه الله تعالى ـ أن ماذكره من مسائلَ هي كلُّ مسائل الجاهلية ، ولاتدل عبارته على ذلك ، فإنه قال: « هذه مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية » وهذا الأسلوب ليس من أساليب الحصر ، فلايمكن أن يعترض معترض عليه في ذلك .

ثانيًا : إنه من خلال معايشتي مدة هذا البحث لكتب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تبين لي أنه اقتصر على هذه المسائل فقط لكونها كانت منتشرة في زمنه كثيرا ، وهو ـ كما هو معلوم ـ إمام دعوة ، قبل أن يكون مؤلفا .

ومامن مسألة ذكرها في هذا الكتاب إلا ووجدته يذكرها في كتب له أخرى ، أوفي رسائله التي يرسلها إلى العلماء والأمراء وشيوخ القبائل .

ولولا خشية الإطالة لذكرت جميع هذه المسائل وربطتها بكتبه ورسائله ، ولكن أكتفي بذكر بعض الأمثلة ، وأترك مااشتهر منها كالتعبد بإشراك الصالحين ، والفرقة والاختلاف ، وعدم طاعة الأئمة، والقياس الفاسد ، وإنكار القياس الصحيح ، والتعطيل ، والإلحاد

في الأسماء والصفات ، والقول بالجبر والقدر ، وغيرها من المسائل المشهورة.

فمن هذه المسائل : مسألة الاغترار بالكثرة ، فهذه المسألة مما احتج بها عليه خصومه ، وادعوا شذوذه ، ومفارقته الإجماع ، ونحو ذلك من الألفاظ[1] .

ومنها : مسألة الاعتذار عن اتباع ماجاء عن الله بعدم الفهم[2] .

ومنها : مسألة الاستدلال بقوم أعطوا قوى في الأفهام[3] .

ومنها : مسألة الصد عن سبيل الله[4] .

ومنها : مسألة إنكار ماأقروا أنه من دينهم[5] .

ومنها : رمي أهل الحق بسب الملك ودينه وآلهته ، والإفساد في الأرض[6] .

ومنها : مسألة السحر والكهانة ، والاعتقاد في مخاريق السحرة

---

(١) انظر رسالته إلى ابن عبداللطيف في : روضة الأفكار والأفهام (٢/ ١٤) ، ورسالته إلى عبدالله السويدي في الروضة ـ أيضا ـ (٢/ ١٥٦) .

(٢) انظر رسالته إلى ابن عبداللطيف في : الروضة (٢/ ٢٠) ، ورسالته إلى ابن سحيم في الروضة (٢/ ١٢٦) ، ورسالته إلى السويدي في الروضة (٢/ ١٥٧) .

(٣) انظر رسالته إلى ابن عبداللطيف في: الروضة (٢/ ٢١) .

(٤) انظر رسالته إلى ابن عباد في : الروضة (٢/ ٧٥) ، وانظر : (٢/ ٢٥)و (٢/ ٣٤٢)

(٥) انظر رسالته إلى ابن عباد في : الروضة (٢/ ٨٢) ، وإلى ابن سحيم (٢/ ٩٣) ، وإلى أحمد بن يحيى (٢/ ٢١١) .

(٦) انظر ماقاله علماء مكة للشريف غالب في : الروضة (١/ ١٧٥) .

وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين[١] .

ومنها : نسبة الباطل إلى الأنبياء[٢].

ومنها : مسألة أن أئمتهم إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل[٣].

ومنها : إعمال الحيل[٤] .

ومنها : تسمية اتباع الإسلام شركا[٥].

ومنها : مسألة الإيمان بالجبت والطاغوت[٦] .

ومنها : المجادلة بغير علم[٧] .

ومنها : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المتسبين إليهم[٨] .

ومنها : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله[٩].

ومنها : التعبد بكشف العورات[١٠].

---

(١) انظر رسالته إلى ابن عبد اللطيف في : الروضة (٢/ ٢٥) ، ورسالته لابن سحيم في الروضة (٢/ ١٠٠) و (٢/ ١٢٤) .
(٢) انظر : الروضة (٢/ ٢٥) .
(٣) انظر : الروضة (٢/ ٢٥) و (٢/ ١٠٣) .
(٤) انظر رسالته إلى عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم في : الروضة (٢/ ٧٢٨) .
(٥) انظر رسالته لابن عبد اللطيف في : الروضة (٢/ ٢٤) و (٢/ ٩٧) .
(٦) انظر رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة في : الروضة (٢/ ١٣٨) .
(٧) انظر : المرجع السابق .
(٨) انظر : الروضة (٢/ ٢٨١) .
(٩) انظر : المرجع السابق .
(١٠) انظر : الروضة (٢/ ٤٠٦) .

فهذه بعض الأمثلة التي تدل على أن المؤلف إنما قصد بتأليفه معالجة الأوضاع الخاطئة التي كان يعيشها أهل زمانه ، وهذا هو السبب الوحيد الذي أرى أن المؤلف اقتصر على هذه المسائل دون ماعداها لأجله ، فلعل هذه المسائل مجموع تلك الرسائل التي أرسلها.

ويجدر أن نذكر هنا أن الشيخ عبدالله الدويش[1] - رحمه الله تعالى - زاد على هذه المسائل إحدى عشرة ومائتي مسألة في كتاب أسماه « زوائد مسائل الجاهلية » ، ونهج فيه نهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقال في مقدمته : « فإن قيل : ألف الشيخ محمد بن عبدالوهاب مسائل الجاهلية ، فما فائدة ماجمعته ؟ فالجواب أن هذه ماذكرها[2] الشيخ ، ثم ليعلم أن هذا ليس استدراكا عليه ؛ لأنه لم يذكر أنه جمع كل ماعليه أهل الجاهلية ، وإنما ذكر أمورا خالفهم فيها رسول الله ﷺ ، فلم يدَّعِ الحصرَ حتى يقال : إنَّ هذا استدراك عليه »[3] .

---

(١) هو الشيخ الحافظ عبدالله بن محمد بن أحمد الدويش ، ولد سنة ١٣٧٣هـ ، وقرأ على بعض علماء القصيم ، حفظ الأمهات الست عن ظهر قلب ، له مؤلفات منها: التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد ، ودفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن ، توفي سنة ١٤٠٩هـ .
انظر : مقدمة مجموعة مؤلفاته لعبد العزيز المشيقح (١/٩ - ١٦) .

(٢) الظاهر أن « ما » هنا نافية ، وليست موصولة .

(٣) زوائد مسائل الجاهلية (٩) .

والظاهر أن الشيخ الدويش لم يرد ـ أيضا ـ الحصر ، حيث إنه فاته شيء كثير جدا ، تبين لي من خلال مقارنة ماذكره بما تركه ، وهو من خصال الجاهلية .

المبحث الخامس

التعريف به مخطوطا ومطبوعا

أولا : التعريف به مخطوطا .

توافر لدي عند الشروع في تحقيق الكتاب ست نسخ خطية ، كلها خالية من اسم الناسخ ، وتاريخ النسخ ، والسماعات ، وإليك التعريف بكل نسخة ، مع بيان مصدرها ، والرمز الذي اخترته لها ، وسبب اختيار الأصل .

أولا : النسخة التي اتخذتها أصلا :

مصدرها : كلية الشريعة بالرياض ، وهي مصورة من مكتبة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشد.

عدد أوراقها : ثمان ورقات ، متوسط عدد الأسطر في كل ورقة: واحد وعشرون سطرا ، متوسط عدد الكلمات في كل سطر عشر كلمات ، وخطها حسن جدا .

سبب اختيارها : السبب الذي جعلني أختار هذه النسخة لتكون أصلا ، أمور :

أولا : أنها أقل النسخ أخطاء في الجملة .

ثانيا : أنها أوفى النسخ من حيث عدد المسائل .

ثالثا : أنها أحسن النسخ في الترتيب ، وذلك أن المؤلف يأتي

ـ أحيانا ـ بمسألتين ، فيذكر الأولى بدليلها ، ثم يذكر الثانية ويقول : « كما في الآية » ، أويأتي بمسألة ، ثم يأتي بأخرى ، ويعيد عليها بالضمير ، فتأتي بعض النسخ فتفصل بين هاتين المسألتين بمسألة أوأكثر ، فلايعرف القاريء علام يعود الضمير ، فهذه النسخة خالية من هذا اللبس

ثانيا : النسخة التي جعلت رمزها الحرف (أ) .

مصدرها : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، وتقع تحت الرقم (١٣) ضمن مجموع رقمه (٩٠٦) .

عدد أوراقها: تقع هذه النسخة في تسع لوحات ، وفي كل لوحة ورقتان ، ومتوسط عدد الأسطر في كل ورقة : واحد وعشرون سطرا، ومتوسط كلمات كل سطر: تسع كلمات ، وهي بخط مقروء .

ثالثا : النسخة التي جعلت رمزها الحرف (ب) .

مصدرها: مكتبة فضيلة الدكتور الوليد بن عبدالرحمن آل فريان.

عدد أوراقها : تقع هذه النسخة في ست ورقات ، متوسط عدد الأسطر: في كل ورقة ثمان وعشرون سطرا ، متوسط كلمات كل سطر : ثلاث عشرة كلمة ، وخطها مقروء غالبا .

رابعا : النسخة التي جعلت لها الرمز (جـ) .

مصدرها : مكتبة فضيلة الدكتور الوليد بن عبدالرحمن آ ل فريان ورقمها في مكتبته العامرة (٦/١٧) .

عدد أوراقها : ثلاث عشرة ورقة ، متوسط عدد الأسطر في كل ورقة سبعة عشر سطرا ، متوسط كلمات كل سطر : ثمان كلمات، وخطها حسن .

خامسا : النسخة التي جعلت لها الرمز (د) .

مصدرها : مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، وتقع تحت ضمن المجموع رقم (٨١) ورقمها (٧) .

عدد أوراقها : تقع هذه النسخة في أربع لوحات ، في كل لوحة ورقتان ، متوسط عدد الأسطر في كل ورقة عشرون سطرا ، متوسط عدد كلمات كل سطر عشر كلمات ،وخطها مقروء ، وفي الصفحة الأولى منها يوجد في السطر الحادي عشر مسح .

سادسا : النسخة التي جعلت رمزها الحرف (هـ) .

مصدرها :مكتبة فضيلة الدكتور الوليد بن عبدالرحمن آل فريان.

عدد أوراقها : تقع هذه النسخة في أربع لوحات ، في كل لوحة ورقتان ، متوسط أسطر كل ورقة : عشرون سطرا ، ومتوسط كلمات كل سطر : عشر كلمات ، وهي نسخة ناقصة الآخر ، حيث تنتهي بنهاية المسألة التاسعة والسبعين ، وخطها مقروء .

هذا مااستطعت الوقوف عليه من مخطوطات هذا الكتاب .

ثانيا : التعريف به مطبوعا

لقد تم طبع هذا الكتاب مرات عديدة ، وماوقفت عليه من هذه الطبعات مايأتي:

١ـ النسخة المطبوعة ضمن مجموعة التوحيد ، وهذه طبعت أول مرة في مطبعة الأنصاري بدلهي بالهند أواخر القرن الثالث عشر ، ثم أعيد طبعها بمصر ولبنان عدة مرات ، وهي طبعة خالية من التحقيق والتعليق ، ولم تذكر الأصول المعتمدة في التحقيق ، وعدد المسائل فيها (١٢٩) مسألة .

٢ ـ النسخة المطبوعة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع الشيخ عبدالرحمن القاسم ، وهي نسخة خالية من التحقيق والتعليق ، ولم يذكر الشيخ الأصول التي اعتمدها في التحقيق .

وقد تم طبعها أول مرة عام ١٣٥٦هـ ، وأعيد طبعها عام ١٣٨٥هـ ، ثم أعيد طبعها بإشراف محمد بن عبدالرحمن القاسم ١٤٠٢هـ ، وذكر أنه أفاد من طبعة جامعة الإمام.

وعدد المسائل فيها (١٣١) مسألة .

٣ ـ النسخة المطبوعة في المكتبة السلفية بمصر ، وهذه طبعت أول مرة عام ١٣٩٠هـ ، وأعيد طبعها خمس مرات .

وذكر الناشر محب الدين الخطيب أن هذا الكتاب قوبل على أصول متعددة إحداهن مخطوطة بقلم أحمد بن عيسى بن أحمد بن بكري ، وأنه تم الفراغ من نسخها وقت الظهر من يوم الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ .

والمخطوطة ـ كما ذكر الناشر ـ موجودة بمكتبته بالدقي بمصر تحت رقم (٥١٣٨) .

وقد اتصلت بأحفاد المحقق كثيرا ، وقابلتهم في معرض الكتاب بجامعة الملك سعود عام ١٤١٤هـ ، لأجل الحصول على هذه النسخة ، فوعدوني خيرا ، بيد أنهم اعتذروا بحجة أن لديهم ماينيف عن أربعين ألف مخطوط ، هذه إحداها ، ويصعب عليهم البحث عنها ، وأن الرقم المذكور في الكتاب قد تغير .

وعدد المسائل في هذه النسخة (١٢٩) مسألة .

٤ ـ النسخة المطبوعة ضمن كتاب « الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ » لعبد الله بن سعد الرويشد ، وقد طبع الكتاب لأول مرة برابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، عام ١٣٩٤هـ ، ولم يذكر النسخ المعتمدة في التحقيق ، وعدد المسائل فيه (١٢٤) مسألة .

٥ ـ النسخة المطبوعة ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي قامت بطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد قام بتحقيقها والتعليق عليها فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ، ولم يذكر من النسخ التي اعتمد عليها سوى نسخة الشيخ عبدالعزيز بن مرشد ، والظاهر أنها قابل هذه النسخة على النسخ المطبوعة ، حيث إنه كثيرا مايشير إلى المطبوع ،وتم طبعها عام ١٣٩٨هـ ،وعدد مسائلها (١٢٨)

٦ ـ النسخة المطبوعة ضمن مجموع باسم « مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة » ،وقد طبعت لأول مرة عام ١٤٠٠هـ ، بدار الجيل ، بعناية عبدالله

السيد أحمد حجاج ، ولم يذكر النسخ المعتمدة في التحقيق ، وعدد المسائل فيها (١٢٧) مسألة .

٧ ـ النسخة المطبوعة ضمن مجموع باسم « بضع رسائل في التوحيد والإيمان» وهذه الطبعة خلت من ذكر الأصول المعتمدة في التحقيق ، ومن اسم المحقق ، وتاريخ النشر ، وهي مطبوعة في دار نشر الكتب الإسلامية بلاهور في الباكستان ، وعدد المسائل فيها (١٢٩) مسألة .

٨ ـ النسخة المطبوعة ضمن مجموع باسم « الجامع الفريد » وهي من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ولم يذكر اسم جامع هذا الكتاب ، ولاالنسخ المعتمدة في التحقيق ، وقد طبعت عام ١٤٠٨هـ طبعة ثالثة ، وعدد المسائل فيها (١٢٩) مسألة .

٩ ـ النسخة المطبوعة بمكتبة الوعي الإسلامي بدمشق ، وهذه النسخة منقولة عن طبعة المكتبة السلفية ، غير أن الناشر لم يشر إلى ذلك ، ولم يذكر عليها اسم محقق ، أو الأصول المعتمدة في التحقيق ، كما أنه ليس عليها أي تعليق ، وقد تم طبعها عام ١٤١٢هـ

وعدد المسائل فيها (١٢٩) مسألة .

١٠ـ النسخة المطبوعة في مكتبة طبرية ضمن سلسلة ﴿ فاعلم أنه لاإله إلا الله﴾ ، وهذه النسخة علق عليها ، وضبطها ، وأعدها أشرف بن عبدالمقصود ، فقد خرج أحاديثها ، وعزا آياتها ، لكنه لم يذكر النسخ التي اعتمد عليها في طبع

الكتاب ، وقد تم طبعها عام ١٤١٢هـ ، وعدد المسائل فيها (١٣١) مسألة.

١١ ـ النسخة المطبوعة مع كتاب « ستة أصول عظيمة » للمؤلف في مكتبة «آل ياسر » للطباعة والنشر بمصر ، ولم تذكر فيها الأصول المعتمدة للتحقيق ، والآيات فيها معزوة ، وليس عليها تعليق يدل على مقابلة بين نسخ خطية أومطبوعة، وإنما عليها تعليق واحد يتعلق بتخريج حديث ، وعدد المسائل فيها (١٢٨) مسألة .

فهذا ماوقفت عليه من الطبعات لهذا الكتاب ، بالإضافة إلى النسخة الموجودة مع شرحها للعلامة أبي المعالي الألوسي ، والتي بلغت مسائلها (٩٩) مسألة فقط ، وهذه النسخة أظن أن الشارح أتى ببعض المسائل بالمعنى ، والله أعلم .

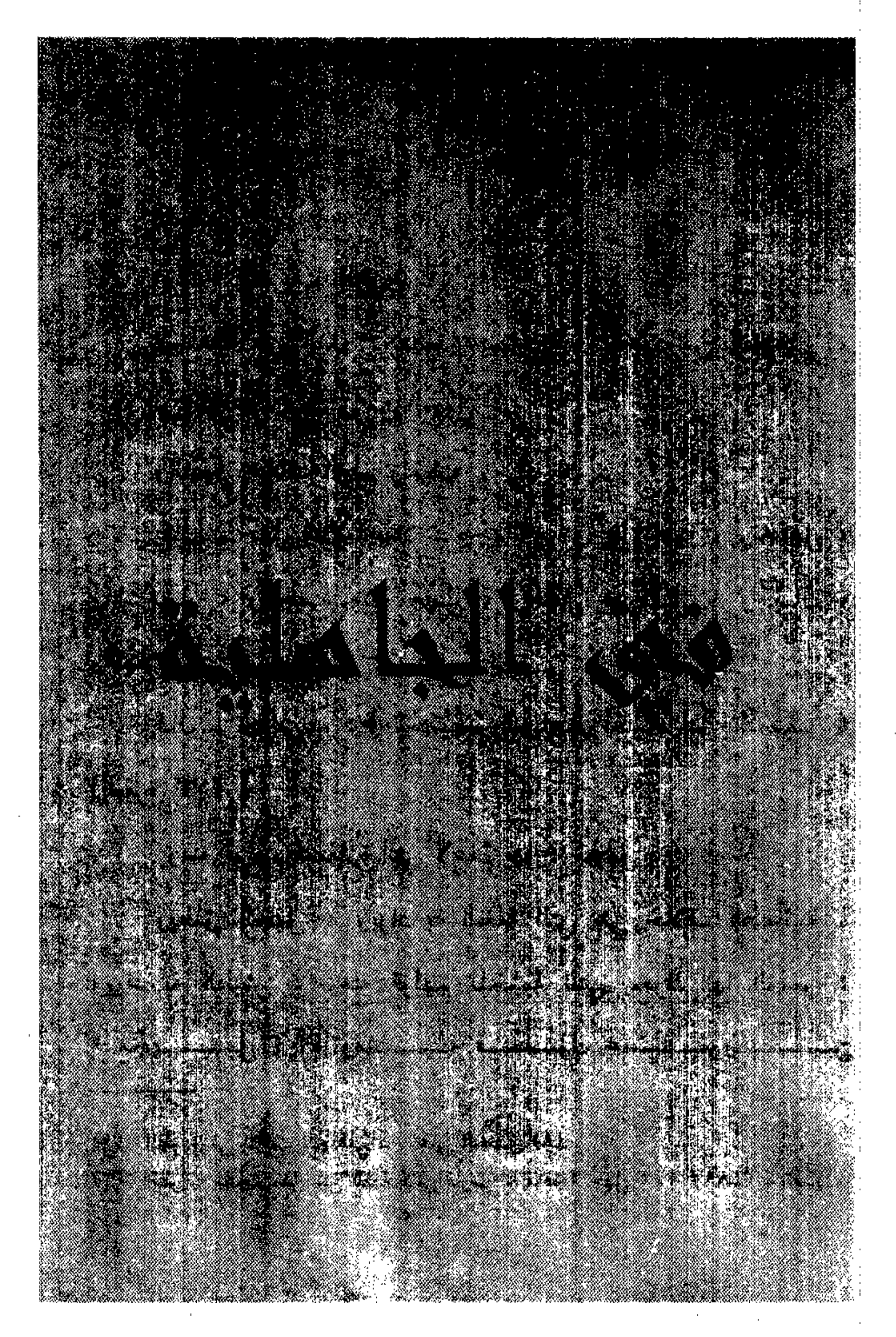
من خلال هذا العرض والوصف لطبعات الكتاب تبين لنا مايأتي :

أولاً : أن هذا الكتاب يحتاج إلى عناية فائقة ، وهذا ليس تقليلا من شأن أولئك الذين أشرفوا على طباعته ، غير أنه من خلال اطلاعي عليها ، تبين أن كثيرا منها ليس منقولا من نسخ خطية ، وقد خلت من التحقيق والتعليق ، وما كان مقابلا على نسخ خطية ، فهو على نسخة أونسختين .

ثانيًا : مارأينا من تفاوت النسخ في عدد المسائل ، مما يستدعي مراجعة الأصول للتحقق من ذلك .

وقد حرصت في عملي هذا أن يكون وافيا بالمقصود .

ثالثًا : أهمية الكتاب العظيمة ، الأمر الذي جعل دور النشر تهتم بإخراجه ، مما يعني سرعة نفاده من المكتبات ، وهذا لاريب أنه يعكس الاهتمام به .


في الجاهلية

الفصل الثاني

في الجاهلية

المبحث الأول : تعريف الجاهلية

أولاً : التعريف اللغوي :

الجاهليّة في اللغة : مصدر صناعي ، مأخوذ من الجاهلي ، نسبة إلى الجاهل المشتق من الجَهْل(١).

والجَهْل خلاف العلم ونقيضه .

يقال : جَهِل فلانٌ جَهْلاً ، وجَهالةً ، وجُهِلَ عليه ، وتَجاهَل ، واسْتَجْهَلَ ، والجمع منه جُهْل ، وجُهُل ،وجُهَّل ، وجُهَّال ، وجُهَلاء .

قال ـ تعالى ـ :﴿ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

ومنه قولهم للمفازة التي لاعَلَمَ بها : مَجْهَل .

ويطلق الجهل ، ويراد به الخفة التي هي خلاف الطمأنينة ، ويراد به الطيش ، ومنه قولهم للخشبة التي يحرك بها الجمر : « مِجْهَل »(٢)، ومنه قول عمرو بن

---

(١) انظر : في الأدب الجاهلي د . علي الجندي (٨) .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة « جهل » (١ / ٤٨٩) ، تهذيب =

كلثوم[1] :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[2]

والجهل ـ كما ذكر الراغب الأصفهاني[3] ـ ثلاثة أقسام :

أحدهما : جهل بسيط ، وهو خلو النفس من العلم .

ثانيهما : جهل مركب ، وهو اعتقاد الشيء بخلاف ماهو عليه .

= اللغة للأزهري ، مادة « جهل » (٦/٥٦ ـ ٥٧) ، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، مادة « جله » (٤/١١٩) ، الصحاح للجوهري ، مادة « جهل » (٤/١٦٦٣ ـ ١٦٦٤) ، لسان العرب لابن منظور ،مادة « جهل » (١١/١٢٩ ـ ١٣٠) ، تاج العروس للزبيدي ، مادة «جهل » (٧/٣٦٨) .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، من شعراء الجاهلية ، وهو صاحب المعلقة الشهيرة ، له ديوان شعر مطبوع ، توفي سنة ٤٠ق . هـ .
انظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١١/٥٢ ـ ٦٠) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٢٣٤ ـ ٢٣٦) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (٨٦ ـ ٨٨) ، الأعلام للزركلي (٥/٨٤).

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم (٧٨) ، وذكره أبو زيد في جمهرة أشعار العرب (٣٠٠) ، والتبريزي في شرح القصائد العشر (٢٨٨) ، وابن النحاس في شرح القصائد المشهورات (٢/١٢٥) ، وابن عبد البر في بهجة المجالس (٢/٦٢١) ، وأبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر (٩/١٩٧) ، وابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/٢١١) وابن منظور في لسان العرب (٣/١٣٧) .

(٣) هو أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، من أئمة اللغة ، له كتب منها : مفردات غريب القرآن ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، وتوفي سنة ٤٠٢هـ .
انظر : تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي (١١٢ ـ ١١٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/١٢٠ ـ ١٢١) ، بغية الوعاة للسيوطي (٢/٢٩٧) ، كشف الظنون لحاجي خليفة (١/٣٦) .

ثالثها : فعل الشيء بخلاف ماحقه أن يفعل[1].

ثانيا : التعريف الاصطلاحي :

اختلفت عبارات الناس في تعريف الجاهلية ، والمراد بها ، وسأذكر هنا أهم ماوقفت عليه من تلك العبارات ، ثم أختم ذلك بما أختاره .

التعريف الأول :

قال النووي[2] ـ رحمه الله ـ : « المراد بالجاهلية ، ماكان في الفترة قبل الإسلام »[3].

ويؤخذ على هذا التعريف أنه غير جامع ، وذلك أن الجاهلية جاء إطلاقها حتى بعد البعثة ، كما قال ابن عباس[4] : « سمعت أبي

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن (١٠٢) ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) ، وانظر في النوعين الأولين : التعريفات للجرجاني (٨٤) ، جامع العلوم لعبد النبي نكري (١/ ٤٨٢)

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي ، محيي الدين ، أبو زكريا ، من علماء الشافعية ، وفقهائهم ، كان من العباد الزهاد ، ولد سنة ٦٣١هـ ، له مؤلفات كثيرة منها : المجموع شرح المهذب ، المنهاج في شرح صحيح مسلم ، وتوفي سنة ٦٧٧هـ .
انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٩ ـ ١٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٦) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١١٠) .

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشي ، الهاشمي ، ابن عم رسول اللهﷺ، صحابي جليل ، حبر الأمة ، وترجمان القرآن ولد زمن حصار شعب أبي طالب ، وتوفي على الأشهر سنة ٦٨هـ بالطائف .
انظر : طبقات ابن سعد (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٧٢) ، طبقات خليفة بن خياط (٢٨٤) ، =

يقول في الجاهلية : اسقنا كأسا دهاقا »[1]، وابن عباس إنما ولد بعد البعثة[2].

التعريف الثاني :

قال ابن الأثير[3] ـ وتبعه ابن منظور[4] ـ : « هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام ، من الجهل بالله ـ سبحانه ـ ورسوله ، وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب ، والكبر ، والتجبر ، وغير ذلك »[5].

ويؤخذ على هذا التعريف مايأتي :

أولا : أنه خصص العرب بذلك ، مع أن غيرهم يشاركهم فيما

= تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١٥/ ١٥٤ ـ ١٦٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب أيام الجاهلية ـ

(٢) (٤/ ٢٣٦) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧/ ١٨٣) .

(٣) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ، مجد الدين أبو السعادات ،الإمام اللغوي المحدث ، ولد سنة ٥٤٤هـ ، له مؤلفات منها : جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، والنهاية في غريب الحديث ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ .

انظر : إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٦٠) ، تكملة الإكمال لابن نقطة (١/ ١٢٣) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٩/ ٣٠٢) ، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨ ـ ٤٩١).

(٤) هو محمد بن مكرم بن علي الأنصاري ، جمال الدين ، ولد سنة ٦٣٠هـ ،إمام كبير في اللغة ، والتواريخ ، له مؤلفات منها : لسان العرب ، مختصر تاريخ دمشق ، وتوفي سنة ٧١١هـ .

انظر : العبر في خبر من غبر للذهبي (٤/ ٢٩) ، الوافي بالوفيات للصفدي (٥/ ٥٤ ـ ٥٧) ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٣٨٨) .

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٢٣) ، لسان العرب (١١/ ١٣٠) .

ذكر ، أوبعضه .

ثانيا : أنه جعل نهايتها الإسلام ، وقد ذكرنا آنفا أن الجاهلية أطلقت حتى بعد الإسلام .

التعريف الثالث :

قال أهل هذا التعريف : « الجاهلية : هي الحالة التي تكون عليها الأمة قبل أن يجيئها الهدى والنبوة »[1].

والمأخذ على هذا التعريف هو المأخذ على التعريف الأول .

التعريف الرابع :

وهولمحمد قطب : « هي - يعني الجاهلية - حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله ، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله »[2].

ويؤخذ على هذا التعريف : كونه غير جامع ؛ لأنه أخرج الحال التي تكون عليها أمة من الأمم قبل مجيئها هدى الله ، ثم إنه خصه بمسألة الحاكمية ، ومعلوم أن الجاهلية ليست جاهلية الحاكمية فقط ، وذلك أن جاهلية الحاكمية فرد من أفراد الجاهلية ، فالجاهلية أشمل مما ذكره ، وقصر الجاهلية على جاهلية الحاكمية فقط ، خطأ ظاهر .

التعريف الخامس :

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١/ ٢٢٠) .
(٢) جاهلية القرن العشرين (١١) .

وهو المختار : الجاهلية هي الحالة التي تكون عليها أمة من الأمم قبل مجيئها هدى الله ، والحالة التي تمتنع فيها أمة من الأمم ، أوبعض أمة من الاستجابة لهدى الله .

فهذا التعريف أدخل أهل الفترات ، وأدخل من امتنع من اتباع الهدى بعد مجيئه .

ويؤيد هذا التعريف موافقته أقسام الجهل التي ذكرها العلماء كالراغب وشيخ الإسلام ابن تيمية[1]، وغيرهما .

وهو الذي أراه مناسبا لهذا المقام ، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث في قوم أميين ، ليس لهم علم بالكتاب ، فهؤلاء يناسبهم الجزء الأول من التعريف ، ويعث ـ أيضا ـ إلى قوم أولي علم بالكتاب ، لكنهم امتنعوا عن اتباعه ، وهؤلاء يناسبهم الجزء الثاني منه .

---

(١) هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ، شيخ الإسلام ، أبوالعباس، ولد سنة ٦٦١هـ ، من كبار أئمة أهل السنة والجماعة ، له قدم صدق في الإسلام ، له مؤلفات منها: منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية ، ونقض تأسيس الجهمية ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ .
انظر : البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١١٧ ـ ١٢٢) ، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار ، الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبدالهادي .

المبحث الثاني
أنواع الجاهلية

الجاهلية تتنوع أنواعا بحسب اعتبارات مختلفة ، وهذه بعض أنواعها :

أولا : أنواعها من حيث الإطلاقُ والتقييدُ :

تتنوع الجاهلية من حيث الإطلاقُ والتقييدُ نوعين :

النوع الأول : جاهلية مطلقة ، وهي الجاهلية العامة ، وهي التي كانت قبل مبعث النبي ﷺ[1].

أما بعد البعثة فلا ، وذلك لقوله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لايضرهم من خذلهم ، أوخالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس »[2].

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٧) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية ، فأراهم انشقاق القمر ـ (٤/ ١٨٧) ، وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى ـ : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ ـ (٨/ ١٨٩) ، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب قوله ﷺ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ـ (٣/ ١٥٢٤) من حديث معاوية .
وأخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، وهم أهل العلم ـ (٨/ ١٤٩) ، ومسلم في كتاب الإمارة ـ باب قوله ﷺ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ـ (٣/ ١٤٢٥) الحديث رقم (١٩٢٣) من حديث المغيرة بن شعبة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « . . . فأما في زمان مطلق ، فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ . . . »[1]، وذكر معنى الحديث السابق .

ومن هذا النوع قول حذيفة[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ : « إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟. . . الحديث »[3].

وعلى هذا ، فلايجوز إطلاق الجاهلية على قرن من القرون منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، ومايقع فيه بعض الكتاب من هذه الإطلاقات ينبغي أن يُتفادى بالتصحيح[4].

النوع الثاني : جاهلية مقيدة ، وهي الجاهلية التي تقوم في بعض البلدان ، أوببعض الأشخاص[5].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٧) .

(٢) هو المعروف بابن اليمان ، وهو حذيفة بن حسيل ، ويقال : ابن حسل بن جابر بن أسيد العبسي ، صحابي جليل ، شهد أحدا ومابعدها مع رسول الله ﷺ ، وكان صاحب سره ، وتوفي سنة ٣٦هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ١٥) ، طبقات خليفة بن خياط (٤٨ ـ ٤٩) ، تهذيب الكمال (٥/ ٤٩٥ ـ ٥١٠) .

(٣) هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام ـ (٤/ ١٧٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ـ (٣/ ١٤٧٤) الحديث (١٨٤٧) .

(٤) انظر : تعليق الدكتور ناصر العقل على اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٧) .

(٥) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٧) .

وهذا النوع يكون حتى بعد مبعث النبي ﷺ .

ومنه قوله ﷺ لأبي ذر(١): « إنك امرؤ فيك جاهلية »(٢).

ثانيا : أنواعها من حيث الفترةُ الزمنيةُ :

تتنوع الجاهلية من حيث الفترةُ الزمنيةُ نوعين :

النوع الأول : جاهلية قبل مبعث النبي ﷺ .

وهذا النوع يطلق عليه بعضهم الجاهلية الأولى .

قال قتادة(٣) ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب : ٣٣] : « هي ماقبل الإسلام »(٤).

وقد اختلف القائلون بأن الجاهلية الأولى ماقبل الإسلام على

---

(١) هو أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري ، وقد ذكر في اسمه واسم أبيه غير هذا ، بيد أن هذا هو الأشهر ، أسلم قديما جدا ، وكان رابع أربعة في الإسلام ، كما يقول ، وتوفي سنة ٣٢هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/٢١٩ ـ ٢٣٧) ، طبقات خليفة (٣١) ، تهذيب الكمال (٣٣/٢٩٤ ـ ٢٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب إطعام المملوك مما يأكل . . . (٣/١٢٨٢ ـ١٢٨٣)ح١٦٦١ .

(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي ، التابعي الجليل ، الإمام المفسر ، ولد سنة ٦٠هـ ، أدرك بعض الصحابة ، وروى عنهم ، وأخذ عنه خلق كثير ، وتوفي سنة ١١٧ هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٧/٢٢٩ ـ ٢٣١) ، تاريخ خليفة (٢٣٢ ، ٣٤٨) ، طبقات خليفة (٢١٣) ، تهذيب الكمال (٢٣/٤٩٨ ـ ٥١٧) .

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/٥٢٨) .

أقوال عديدة في تحديد زمنها[1] ، إلا أنه يجمعهم القول بأنها كانت قبل الإسلام .

النوع الثاني :جاهلية بعد مبعثه ﷺ .

ويطلق عليها بعضهم : الجاهلية الأخرى .

والمراد بها ماشابه فيه الناس بعد مبعث النبي ﷺ أهل الجاهلية.

قال ابن جرير[2] ـ رحمه الله تعالى ـ : « فإن قال قائل : أوَفي الإسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله : ﴿ الجاهلية الأولى ﴾ التي قبل الإسلام ؟ قيل : فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية »[3].

وقال الشوكاني[4] ـ رحمه الله تعالى ـ : « ويمكن أن يراد

---

(١) انظرفي الأقوال فيها : تفسير ابن جرير (٢٢/٤ ـ ٥) ،بحر العلوم (٣ / ٤٩) ، النكت والعيون للماوردي (٤ / ٤٠٠) ،معالم التنزيل (٤ /٥٢٨) ، زاد المسير (٦/ ٣٨٠) ، الدر المنثور للسيوطي (٥/١٩٧) ، فتح القدير للشوكاني (٤/٢٧٨) وغيرها من التفاسير عند تفسير آية الأحزاب .

(٢) هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر ، الحافظ الحجة الثبت ، ولدسنة ٢٢٤هـ ، وأخذ عن جماعة من أهل العلم ، وحدث عنهم ، وكان آية في التفسير ، وتفسيره أحد التفاسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة لخلوه من البدع ، له مؤلفات منها : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تهذيب الآثار ، تاريخ الملوك والأمم ، وقد توفي سنة ٣١٠هـ .
انظر : الفهرست لابن النديم (٣٢٦) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٩) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٢٦٧) .

(٣) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٤ ـ ٥) .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، ثم الصنعاني ، الفقيه الأصولي المفسر ، ولد سنة ١١٧٣هـ ، وتفقه على مذهب الزيدية ، ثم تحرر من ربقة التقليد ، وأخذ بالدليل ، وكان مناصرا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، له مؤلفات منها : الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، وفتح القدير في التفسير ، =

بالجاهلية الأخرى ، مايقع في الإسلام من التشبه بأهل الجاهلية بقول أوفعل »[1]

ثالثا : أنواعها من حيث متعلقها :

تتنوع الجاهلية من حيث متعلقها أنواعا كثيرة جدا ، يصعب حصرها ، فمنها جاهلية المعتقد ، ومنها جاهلية الأخلاق ، ومنها جاهلية الاقتصاد ، ومنها جاهلية الحاكمية ، ومنها جاهلية الفن . . . الخ[2].

وبالجملة ، فكل أمر من الأمور خولف فيه رسول الله ﷺ ، فهو أمر جاهلي[3].

رابعا : أنواعها من حيث الحكم .

تتنوع الجاهلية من حيث الحكم نوعين :

النوع الأول : جاهلية كفر .

ومن هذا النوع : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ [آل عمران :١٥٤] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾[المائدة:٥٠]

= ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ .
انظر : البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٧) .

(١) فتح القدير (٤/٢٧٨) .

(٢) انظر بتوسع في هذا : جاهلية القرن العشرين ، مصطلحات إسلامية لمحيي الدين القضماني(٤٦ـ ٥٢) .

(٣) انظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٢٦١) .

النوع الثاني : جاهلية معصية ، وهي ماتكون بترك واجب أوفعل محرم دون الكفر[1] وهذه لايكفر صاحبها على معتقد أهل السنة والجماعة[2] .

ومن هذا النوع قوله ﷺ لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » وكذلك الفخر بالأحساب ، والنياحة على الميت ، وغيرها .

فهذه أهم أنواع الجاهلية حسب علمي ، والله أعلم .

---

(١) انظر : فتح الباري (١/ ٨٥) .

(٢) انظر : صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولايكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ـ .

المبحث الثالث

في وجوب مخالفة أهل الجاهلية

لقد تظاهرت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب مخالفة أهل الجاهلية ، وتحريم مشابهتم سواء في عباداتهم أوعاداتهم ، وأجمع على ذلك أهل العلم[1].

ولكثرة النصوص الواردة في هذا ، اجتهدت في حصر دلالاتها ، مع الاستدلال لكل دلالة بنص أو أكثر ، فكانت على النحو الآتي :

أولا : الأمر الصريح بالمخالفة :

جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ صريحة في الأمر بمخالفة أهل الجاهلية ، مما يعني وجوب مخالفتهم ، وذلك أن الأمر يقتضي الوجوب مالم يصرفه صارف ، ولاصارف هنا[2] ،ومن هذه الأحاديث:

عن ابن عمر[3] ـ رضي الله عنهما ـ : قال قال رسول الله ﷺ : خالفوا المشركين ، أحفوا الشوارب ، وأوفوا

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٢ و ٣٢٠) .

(٢) انظر : العدة لأبي يعلى (١/ ٢٢٤) ، التمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (١/ ١٤٥) ، المحصول في علم الأصول للرازي (٢/ ٦٦) ، روضة الناظر لابن قدامة (١٩٣) ، المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (١٥) .

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، القرشي ، أبوعبد الرحمن ، صحابي جليل ، أسلم مع أبيه ، استصغره رسول الله ﷺ يوم أحد ، وشهد مابعدها ، وكان عالما فقيها ، مات سنة ٧٣هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/ ١٤٢ـ ١٨٨) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٣٣٢ ـ ٣٤١) .

اللحى»[1] .

وعن أبي أمامة[2] ـ رضي الله عنه ـ قال : خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال : يامعشر الأنصار حمروا ، وصفروا ، وخالفوا أهل الكتاب , قال : فقلنا يارسول الله : إن أهل الكتاب يتسرولون ، ولايأتزرون ، فقال رسول الله : تسرولوا ، واتزروا ، وخالفوا أهل الكتاب ، قال : فقلنا يارسول الله : إن أهل الكتاب يتخففون ، ولاينتعلون ، قال : فقال النبي ﷺ : فتخففوا ، وانتعلوا ، وخالفوا أهل الكتاب ، قال فقلنا : يارسول الله : إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[3]، ويوفرون سبالهم[4] ، فقال النبي : قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم ، وخالفوا أهل الكتاب »[5]

وقال ﷺ ـ :« خالفوا اليهود ، فانهم لايصلون في نعالهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب اللباس ـ باب تقليم الأظافر ـ (٧ / ٥٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ (١/ ١٢٢) الحديث رقم (٢٥٩) واللفظ له .

(٢) هو صدي بن عجلان بن وهب ، ويقال : ابن عمرو ، الباهلي ، صحب النبي ﷺ ، وسمع منه ، وروى عنه ، تحول إلى الشام ، ونزل بها ، ومات سنة ٨٦ هـ ، وقيل سنة :٨١هـ ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام .
انظر : طبقات ابن سعد (٧/ ٤١١ ـ ٤١٢) ، طبقات خليفة (٤٦، ٣٠٢) ، تهذيب الكمال (١٣/ ١٥٨ ـ ١٦٤) .

(٣) العثانين : جمع عثنون ، وهو اللحية .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير(٣/ ١٨٣) .

(٤) السبال : جمع سبلة ، بالتحريك ، وهي الشارب .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٣٩) .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٤) ، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٨٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٣١) : « ورجال أحمد رجال الصحيح ، خلا القاسم ، وهو ثقة ، وفيه كلام لايضر » ، وحسن إسناد أحمد ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٣٦٧)، والألباني في الصحيحة (٣/ ٢٤٩) .

ولاخفافهم»(1)

ثانيا :النهي عن مشابهة أهل الجاهلية في أهوائهم أوبعض أفعالهم بصيغته :

كما جاءت الأدلة صريحة في الأمر بمخالفة أهل الجاهلية ، فقد جاءت ـ أيضا ـ صريحة في النهي عن مشابهتهم في أهوائهم أوبعضها بصيغة النهي الحقيقية وهي « لاتفعل » ، ومن هذه الأدلة مايأتي :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾[المائدة٤٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك﴾[المائدة :٤٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم ﴾[الشورى١٥]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾[الجاثية :١٨] .

ففي هذه الآيات نهي من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ أن يتبع أهواء الذين لايعلمون ،وقد دخل في الذين لايعلمون كل من خالف شريعته ،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في النعل ـ (٤٢٧/١)ح٦٥٢ ، وابن حبان ، كما في الإحسان ـ كتاب الصلاة ـ باب فرض متابعة الإمام ـ (٣٠٦/٣) ح٢١٨٣ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب الصلاة ـ (٢٦٠/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الصلاة ـ باب سنة الصلاة في النعلين ـ (٤٣٢/٢)، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في النعال ـ (٤٤٣/٢)ح٥٣٤ .

قال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

وأهواؤهم هو مايهوونه ، وماعليه المشركون من هديهم الظاهر ، الذي هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك ، فهم يهوونه ، وموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه »[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين امنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا﴾ [البقرة : ١٠٤] .

قال الحافظ ابن كثير[2] : نهى الله ـ تعالى ـ عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم »[3]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلام له حول الآية ونقولات عن السلف : « فهذا كله يبين أن هذه الكلمة نُهي المسلمون عن قولها ؛ لأن اليهود كانوا يقولونها ـ وإن كانت من اليهود قبيحة ، ومن المسلمين لم تكن قبيحة ـ لما كان في مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار ، وطريقهم إلى بلوغ غرضهم »[4]

وقال ابن القيم[5]: « نهاهم ـ سبحانه ـ أن يقولوا هذه الكلمة مع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٥) .

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو القرشي ، أبو الفداء ، عماد الدين ، الإمام الحافظ المحدث المفسر ، ولد سنة ٧٠١هـ ، وأخذ عن جماعة من أهل العلم في عصره ، له مصنفات منها : البداية والنهاية ، تفسير القرآن العظيم ، وقد توفي سنة ٧٧٤هـ .

انظر :المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (٧٤ـ ٧٥) ، الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٣٧٣ـ ٣٧٤) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/ ٢٣٤ـ ٢٣٥) ، ذيل طبقات الحفاظ للحسيني (٥٧ ـ ٥٩) ، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٤٨) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٥١) .

(٥) هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، أبوعبدالله ، شمس الدين . =

قصدهم بها الخير ؛ لئلا يكون ذريعة إلى التشبه باليهود في أقوالهم وخطابهم ، فإنهم كانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ، ويقصدون بها السب ، يقصدون فاعلا من الرعونة ، فنهي المسلمون عن قولها ؛ سدا لذريعة المشابهة »[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ [الحشر :١٩] .

فقد نهى الله ـ تعالى ـ في هذه الآية عن اتباع الكفار في نسيانهم ذكر الله ، ثم وصفهم بالفسق ، وهذا فيه تحذير عن اتباعهم فيما فعلوه[2].

ثالثا : بيان سوء عاقبة من اتبع الجاهليين :

لقد جاءت الأدلة صريحة في بيان العاقبة المخزية التي أعدها الله ـ تعالى ـ لمن خالف أمره ، وتشبه بأعدائه ، ولولا شناعة ذلك وقبحه لما حصل ذلك ، ومن هذه الأدلة مايأتي :

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع

= المعروف بابن قيم الجوزية ، إمام في المنقول والمعقول ، له الكتب النافعة في نصرة أهل السنة والجماعة ، ومنها : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، وإغاثة اللهفان ، وقد ولد سنة ٦٩١هـ ، وتوفي سنة ٧٥١هـ .

انظر : الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٧٠) ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٥٠) .

(١) أعلام الموقعين (٣/ ١٣٧) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢٨/ ٥٢) ، زاد المسير (٨/ ٢٢٤) ، المحرر الوجيز (١٥/ ٤٧٨) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٢) .

ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾ [البقرة : ١٤٥] .

ففي هاتين الآيتين تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى، بعد ماعلموا من القرآن والسنة، والخطاب مع الرسول ﷺ ، والمراد أمته(١) ووصف ـ تعالى ـ التابعين بأنهم ظالمون ، وقد قال ـ تعالى ـ : ﴿ والظالمين أعد لهم عذابا أليما ﴾(٢) [الإنسان : ٣١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم ، اتباع لأهوائهم ، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك(٣).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ [التوبة : ٦٩] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم قوله : فاستمتعم و خضتم ، خبر عن وقوع ذلك في الماضي ، وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة ، كسائر ماأخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد ﷺ ، فإنه

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٦٣) .
(٢) انظر : الاستنفار لغزو التشبه بالكفار للصديقي (٢١) .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨٥ ـ ٨٦) .

ذم لمن حاله كحالهم إلى يوم القيامة »[1]

وقال ابن عباس في هذه الآية : « ماأشبه الليلة بالبارحة ، ﴿كالذين من قبلكم﴾ هؤلاء بنو إسرائيل ، شُبِّهنا بِهِم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذي نفسي بيده لتتبعنهم، حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه »[2].

وقال ﷺ : « من تشبه بقوم ، فهو منهم »[3] .

قال ابن كثير : ففيه دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٦٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١٧٦) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب اللباس ـ باب في لبس الشهرة ـ (٤/ ٣١٤) ، ح٤٠١٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجهاد ـ باب ماذكر في فضل الجهاد والحث عليه ـ (٥/ ٣١٣) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠ـ ٩٢) ، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (٢/ ٥٠)ح٨٤٦ ، والطحاوي في مشكل الآثار ـ باب مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ في الذل بالزرع ـ (١/ ٨٨) ، وابن الأعرابي في معجمه (٦/ ٣٣٦)ح١١٣٧ ، والطبراني في الأوسط ، كما في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧١) ، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٩) من حديث ابن عمر.
قال شيخ الإسلام ابن تيميةفي اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٦) وفي مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٣١) : « وهذا إسناد جيد » ، وقال الذهبي في السير (١٥/ ٥٠٩) : « إسناده صالح » ، وقال الهيثمي في المجمع : « فيه علي بن غراب ، وقد وثقه غير واحد ، وضعفه بعضهم ، وبقية رجال ثقات » ، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٣٤٢) : « سنده صحيح » ، وذكر ابن حجر في فتح الباري(١٠ /٢٨٦) أنه حديث ثابت .
وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ١٢٩) عن أنس .
وأخرجه ابن المبارك في الجهاد (١٠٥) وابن ابي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجهاد ـ باب ماذكر في فضل الجهاد والحث عليه ـ (٥/ ٣٢٢) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٤٤) الحديث (٣٩٠) عن طاووس مرسلا .
وأخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ كتاب الجهاد ـ باب من قال : الجهاد ماض ـ (٣/ ١٤٣) الحديث (٢٣٧٠) عن الحسن مرسلا .

التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ، ولم نقر عليها »[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم »[2].

وقال ﷺ : « إياكم ولباس الرهبان ، فإن من ترهب ، أوتشبه ، فليس مني»[3] .

وقال ﷺ : « ليس منا من تشبه بغيرنا،لاتشبهوا باليهود ، ولابالنصارى»[4]

رابعا: نعت المتشبهين بما يفيد شناعة فعلهم ، كما قال ﷺ « ليحملن شرار هذه الأمة علىمن مضى من قبلهم حذو القذة بالقذة»[5] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٨/١) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٣٧/١) .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه علي بن سعيد الرازي ، وهو ضعيف ، كما في المجمع ١٣١/٥) ، وقال الحافظ في الفتح (١٠/ ٢٨٤):عن سنده « لابأس به » .

(٤) أخرجه الترمذي ـ كتاب الاستئذان ـ باب ماجاء في كراهية إشارة اليد بالسلام (٤/ ٥٦ـ ٥٧) الحديث (٢٦٩٥) وقال : « هذا حديث إسناده ضعيف ، وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه » قال ابن تيمية في الاقتضاء (١/ ٢٤٥): « وهذا ، وإن كان فيه ضعف ، فقد تقدم الحديث من تشبه بقوم ، فهو منهم » ، وهو محفوظ عن حذيفة بن اليمان ـ أيضا ـ من قوله ، وحديث ابن لهيعة يصلح للاعتضاد، كذا كان يقول أحمد وغيره » .

فتبين أن هذه الاحاديث الثلاثة ، وإن كان كل واحد منها لايخلو من مقال ، إلا أنها بمجموعها تتقوى ، وترتفع إلى درجة الاحتجاج .

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي (١٥٣)ح١١٢١ ،وأحمد في مسنده (٤ / ١٢٥) ، والآجري في الشريعة (١٩) ، والطبراني في الكبير (٧/ ٢٨١) من حديث شداد بن أوس ،وفي سنده شهر بن حوشب ، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام ، كما في التقريب ، وللحديث شواهد كثيرة، ورواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري ، ويأتي =

وقال ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومُطَّلِب دمَ امرىء مسلم بغير حق ليهريقه »[1].

خامسا : الإخبار بما سيقع من هذه الأمة من اتباع سنن من قبلهم بما يتضمن تحذيرهم ، كما في قوله ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعا ذراعا ،حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن »[2].

قال ابن بطال[3] : « أعلم ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء ، كما وقع للأمم قبلهم ، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر ، والساعة لاتقوم إلا على شرار الناس ، وأن الدين إنما يبقى قائما عند خاصة من الناس »[4].

وقال ابن عبدالبر[5]: « وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر

= لفظه ، وتخريجه .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الديات ـ باب من طلب دم امرىء بغير حق ـ (٨/ ٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأنبياء ـ باب ماذكر عن بني إسرائيل ـ (٤/ ١٤٤)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب قول النبي : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ـ (٨/ ١٥١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب اتباع سنن اليهود والنصارى ـ (٤/ ٢٠٥٤)ح٢٦٦٩ .

(٣) هو علي بن خلف بن بطال البكري ، القرطبي ، أبو الحسن ، يعرف بابن اللجام ، كان من أهل العلم والمعرفة ، عني بالحديث عناية تامة ، له شرح على صحيح البخاري ، وتوفي سنة ٤٤٩هـ .
انظر : الصلة لابن بشكوال (٢/ ٤١٤) ، سيرأعلام النبلاء (١٨/ ٤٧ ـ ٤٨) .

(٤) فتح الباري (١٣/ ٣١٣) .

(٥) هو الإمام العلامة حافظ المغرب ، شيخ الإسلام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري ، أبو عمر ، ولد سنة ٣٦٨هـ ، وولي قضاء أشبونة ، له =

الكفار ، وكان يخاف على أمته اتباعهم ، ألاترى إلى قوله ﷺ على جهة التعيير والتوبيخ : لتتبعن سنن الذين كانوا قبلكم . . . »[1].

وقال المناوي[2]: « وهو كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي والكفر ، ثم إن هذا لفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم ، ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام »[3].

وقد بوب على الأحاديث الواردة بمثل هذا الحديث أويمعناه الإمام الآجري[4] في الشريعة حيث قال : « باب ذكر خوف النبي ﷺ على أمته، وتحذيره إياهم سنن من قبلهم من الأمم »[5].

سادسا : إضافة المنهي عنه إلى الجاهلية :

= مؤلفات منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، والاستذكار لمذاهب علماء الأمصار ، وتوفي سنة ٤٦٣هـ .
انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤/٨٠٨ ـ ٨١٠) ، الصلة لابن بشكوال (٢/٦٧٧ ـ ٦٧٩) سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣ ـ ١٦٣) .

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٥/٤٥) .

(٢) هو عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ، الحدادي ، المناوي ، القاهري ، أحد فقهاء الشافعية المتأخرين وهو من الصوفية الغلاة ، ولد سنة ٩٥٢هـ ، وصنف كتبا كثيرة ، منها : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، وتوفي سنة ١٠٣١هـ ، وقيل ١٠٢٩هـ .
انظر : خلاصة الأثر للمحبي (٢/٤١٢ ـ ٤١٦) ، البدر الطالع (١/٣٥٧) ، فهرس الفهارس والأثبات (٢/٢ـ ٤) .

(٣) فيض القدير بشرح الجامع الصغير (٥/٢٦١) .

(٤) هو محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري ، أبو بكر ، الإمام الكبير ، وأحد الثقات الأعلام ، من أئمة أهل السنة والجماعة ، له مؤلفات منها : الشريعة في السنن ، الرؤية ، وقد توفي سنة ٣٦٠هـ .
انظر : الفهرست (٣٠١ ـ ٣٠٢) ، تاريخ بغداد (٢/٢٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٦/١٣٣) .

(٥) الشريعة (١٨) .

ومنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [الأحزاب :٣٣] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ﴾ [الفتح :٢٦] ، وقول النبي ﷺ لأبي ذر : « إنك امرؤ فيك جاهلية » .

فقد أضيفت هذه الأفعال المنهي عنها إلى الجاهلية ، وهذا يقتضي أن ماكان من أمر الجاهلية وفعلهم ، فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم(١).

ففي الآية الأولى ، أمر الله ـ تعالى ـ نساء النبي ﷺ بملازمة بيوتهن ، ونهاهن عن التبرج ، وأعلم أنه فعل الجاهلية الأولى(٢)، فاشتملت الآية على ذم التبرج ، وذم الجاهلية الأولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الحمية(٣).

وإضافة الحمية إلى الجاهلية في الآية الثانية يقتضي ذمها ، فما كان من أخلاقهم ، وفعالهم ، فهو كذلك .

سابعا : النهي عن الفعل ، مع بيان علته ، وهي كونه من أفعال الكفار .

ومنه ماجاء عن عمرو بن عبسة(٤)ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ

---

(١) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٧١/١٣) .
(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٦/١) .
(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٧/١) .
(٤) هو عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي ، أبونجيح ، صحابي جليل ، قديم =

قال له : « صل صلاة الصبح ، ثم أقصرعن الصلاة حتى تطلع الشمس، حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار .... » وفيه « فإذا أقبل الفيء ، فصل ، فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى تصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقت طلوع الشمس ، ووقت الغروب ، معللا ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان ، وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ، ومعلوم أن المؤمن لايقصد السجود إلا لله - تعالى - وأكثر الناس قد لايعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ، ولاأن الكفار يسجدون لها ، ثم إنه ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسما لمادة المشابهة بكل طريق»[2].

وقال : « وكان فيه تنبيه على أن كل مايفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفرا ، أومعصية بالنية ، ينهى المؤمنون عن ظاهره ، وإن لم يقصدوا به قصد المشركين ، سدا للذريعة وحسما

= الإسلام ، قدم مكة ، فأسلم ، ثم عاد إلى قومه ، فكان رابع أربعة ، أوخامس خمسة في الإسلام ، وهو أخو أبي ذر لأمه ، نزل الشام ، ومات بحمص ، وكان في الجاهلية يعتزل الأصنام ، قال الذهبي : « لم يؤرخوا وفاته ، ولعله مات بعد الستين. انظر : طبقات ابن سعد (٤/٢١٤- ٢١٩) ، طبقات خليفة (٤٩) ، تهذيب الكمال (١١٨/٢٢ - ١٢٢) ، سير أعلام النبلاء (٤٥٦/٢ - ٤٦٠) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب إسلام عمرو بن عبسة - (٥٦٩/١ - ٥٧٠)ح٨٣٢ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩١/١ - ١٩٢) .

للمادة »[1] .

وقال ابن القيم : « نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وكان من حكمة ذلك ، أنهما وقت سجود المشركين للشمس، وكان النهي عن الصلاة لله في ذلك الوقت سدا للذريعة المشابهة الظاهرة التي هي ذريعة إلى المشابهة في القصد »[2] .

وبناء على هذه النصوص المتواترة في تحريم التشبه ، فقد حكم علماء الإسلام بحرمة التشبه بالكفار ، بل وبأهل البدع ، حتى جعل كثير من علماء الحنفية التشبه بالكفار ردة عن الإسلام ، وشددوا في ذلك ، حتى قالوا : إن من وضع قلنسوة[3] على رأسه لغير ضرورة ، فقد كفر ، ولو شدت امرأة على وسطها حبلا ، وقالت : هذا زنار[4] كفرت[5] .

وقال المَقَّرِي[6] من المالكيّة : « تجب مخالفةُ أهل البدع فيما

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٦) .
(٢) إعلام الموقعين (٣/ ١٤٠) ، وانظر : الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب (٤١ ـ ٤٢)

(٣) القلنسوة : لباس يوضع على الرأس ، وهو من الألفاظ غير العربية .
انظر : لسان العرب «قلس » (٦/ ١٨١) .
(٤) الزنار : لباس يشده النصارى والمجوس على أوساطهم .
انظر : لسان العرب « زنر » (٤/ ٣٣٠) .
(٥) انظر : تهذيب رسالة البدر الرشيد في الألفاظ المكفرات لمحمد بن إسماعيل الرشيد (٤٢) ، البحر الرائق شرح كنز الحقائق للزيلعي (٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤) ، الفتاوى الهندية (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ، الفتاوى البزازية (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦) ، فتاوى قاضي خان (٣/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨) .
(٦) هو عبدالله بن محمد بن محمد بن أحمد المقري ـ بتشديد القاف المفتوحة ـ من علماء المالكية ، وكان أديبا ، له مؤلفات منها : عمل من طب لمن حب ، المحاضرات ، وقد توفي سنة ٧٥٨هـ .
انظر : الإحاطة بأخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (٢/ ١٩١ ـ ٢٢٦) ، نفح =

عرف كونه من شعارهم الذي انفردوا به عن جمهور أهل السنة ، وإن صح فيه مستندهم خبرا ، كخمس تكبيرات في صلاة الجنازة ، أونظرا ، كصيام يوم الشك »[1]

وقال ابن عبدالبر رحمه الله : « فلما غلبت الروافض[2] على التختم في اليمين ، ولم يخلطوا به غيره ، كرهه العلماء ، منابذة لهم ، وكراهية للتشبه بهم ، لاأنه حرام ، ولا أنه مكروه »[3].

والمقصود أن الأمة مجمعة على حرمة التشبه بالكفار ، ووجوب مخالفتهم في الجملة ، وإن كانوا قد يختلفون في بعض الفروع ، إما لاعتقاد بعضهم أنه ليس من هدي الكفار ، أولاعتقاده أن فيه دليلاً راجحًا، أو غير ذلك[4] .

= الطيب للشهاب المقري (٧/ ٢٠٤ ـ ٢٢٢) .

(١) القواعد (٢/ ٥٤٨) ، ولايوافق على كل ماقاله .

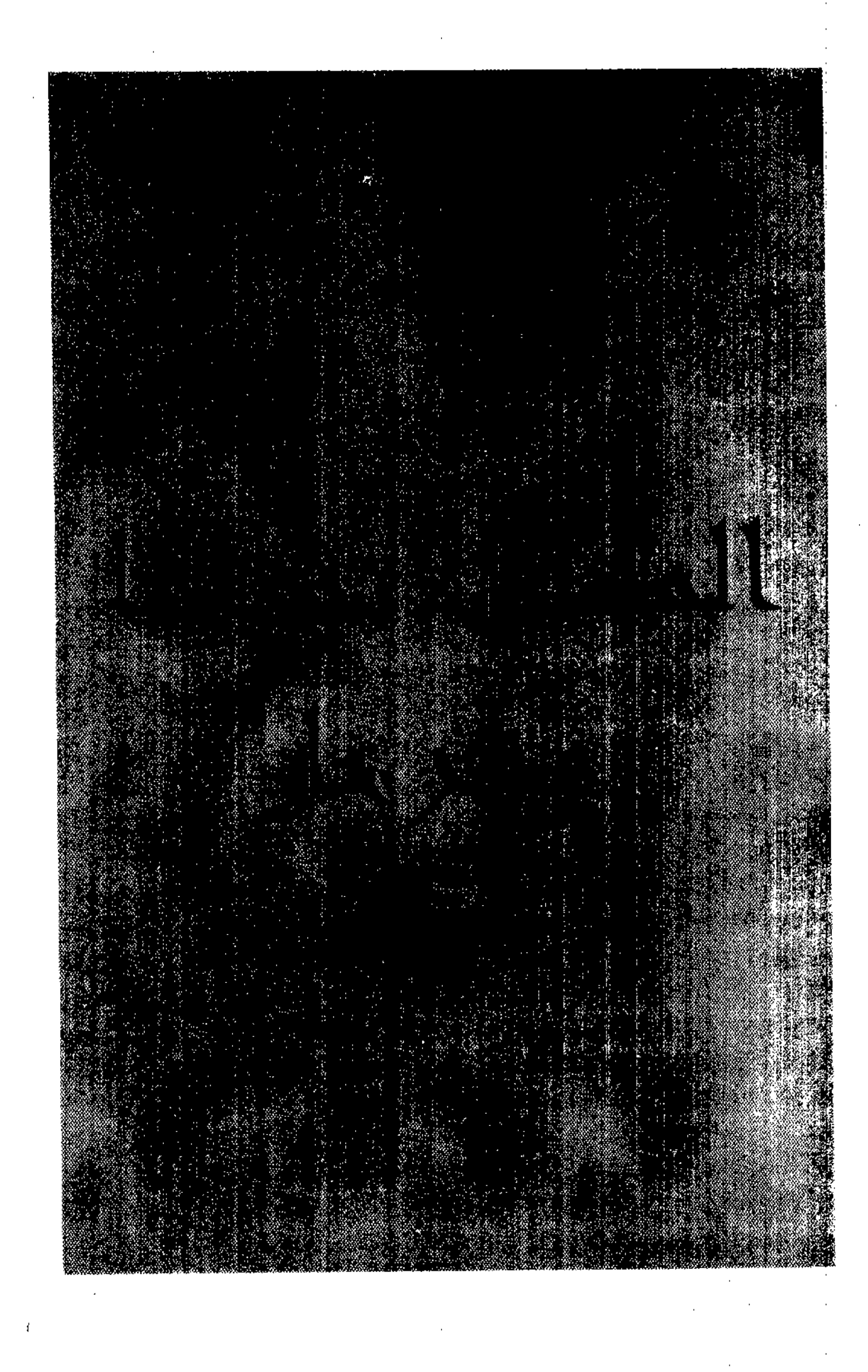
(٢) الروافض : طائفة من طوائف أهل البدع ، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي في نزاله للأمويين ،وهم المعروفون اليوم بالشيعة والإمامية ، وأصولهم أربعة : التوحيد ، ويقصدون به نفي الصفات ، والعدل ، ويقصدون به نفي القدر ، والنبوة ، والإمامة ، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم ، حتى عبدوهم من دون الله ، وهم فرق كثيرة جدا .
انظر : فرق الشيعة للنوبختي ، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٦٥ ـ ١٤٠) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٦ ـ ١٩٠) ،الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٩ ـ ٧٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ٣٥ـ ٥٠) ، ، التبصير في الدين للإسفراييني (٢٧ ـ ٤٣) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٥٢ ـ ٦٦) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي (٦٥ ـ ٨٥)، الرد على الرافضة للمقدسي ، تاريخ الفرق الإسلامية لمحمد خليل الزين (١٠٨ـ ١٢٩) ، أصل الشيعة وأصولها لمحمد آل كاشف الغطا ، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة د . عبد الله فياض

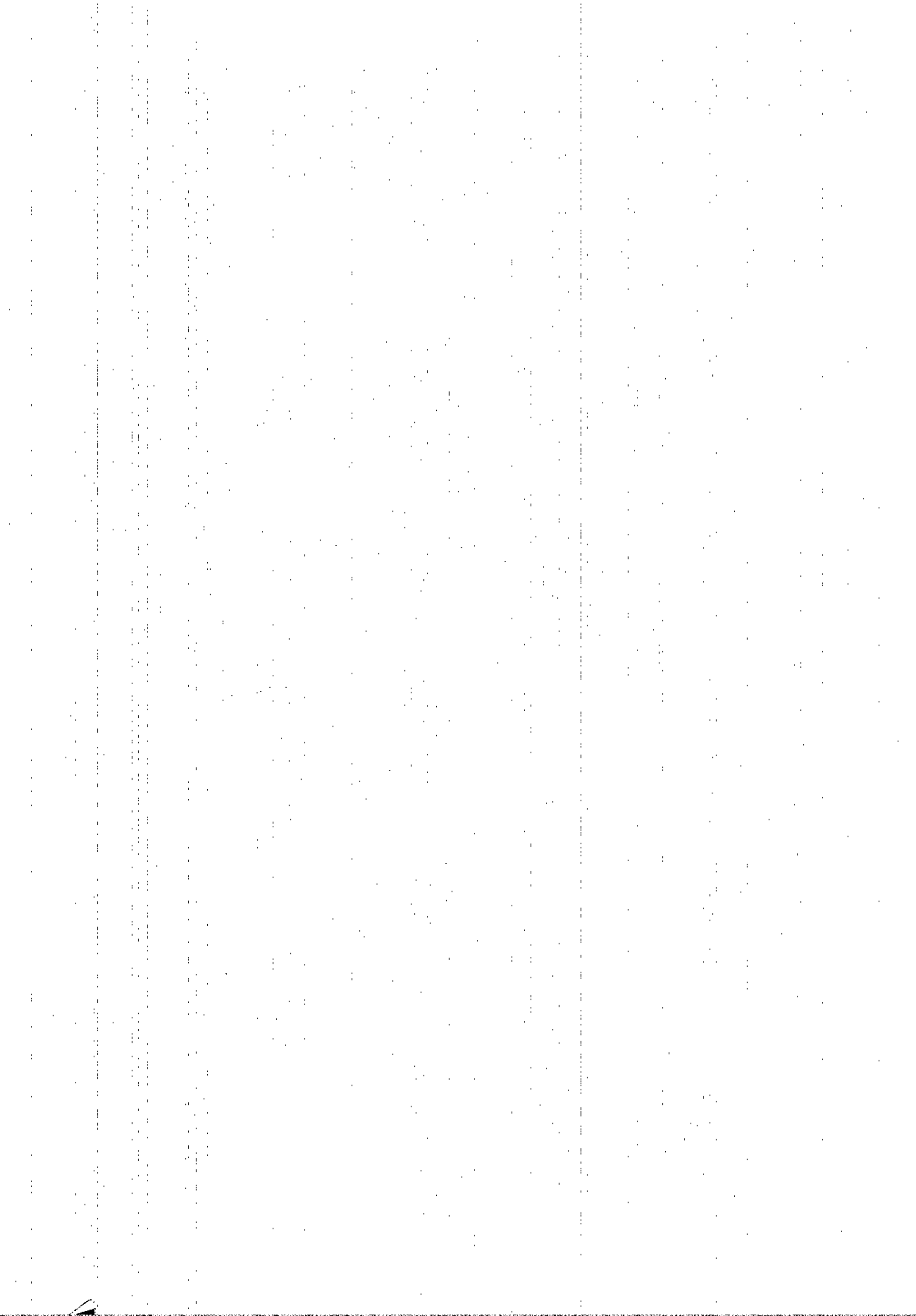
(٣) التمهيد (٦/ ٨١) .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٥٩) .
وانظر في التشبه وأحكامه : اقتضاء الصراط المستقيم ، تشبه الخسيس بأهل الخميس للذهبي ، الاستنفار لغزو التشبه بالكفار .

=







قال الشيخ محمدبن عبدالوهاب ـ أسكنه الله دارالمآب، آمين ـ .[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين[٢]

هذه أمور[٣] خالف فيها رسول الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية : الكتابيين[٤] والأميين[٥] ، مما لاغناء لمسلم عن معرفتها .

والضـــد يظهـــر حسنـــه الضـــد وبضـــدهـــا تتبيـــن الأشيـــاء[٦]

---

(١) في (أ) : « قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ » ، ولم يذكر في (ب) شيء من ذلك ، وفي (جـ) قدم البسملة ، ثم قال : « قال ـ رحمه الله ـ . . . » ، وفي (د) : «هذه مسائل الجاهلية للشيخ الإمام العالم الحبر الفاهم محمد بن عبدالوهاب ـ غفر الله لنا وله ، آمين ـ»
وفي (هـ) : « هذه مسائل الجاهلية ، تأليف الشيخ العالم العلامة ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ » .

(٢) « ويه نستعين » ساقطة من النسخ كلها .

(٣) في (أ) و (ب) و (د) : « مسائل » .

(٤) في (ب) و (د) : « من الكتابيين » .

(٥) « الأميين والكتابيين » هكذا في جميع النسخ ، وإعرابها على مافي النسخة (ب) و (د) ظاهر ، أما على بقية النسخ ، فإنها منصوبة بفعل محذوف .

(٦) هذا البيت مركب من شطرين ، ولكل شطر قائل ، فالشطر الأول منه عجز بيت في قصيدة طويلة ، تسمى بـ « الدعدية » وصدره :
ضدان لما استجمعا حسنا
وقد اختلف في قائلها ، حيث نسبت لأكثر من أربعين شاعرا ، فقيل : إنها لشاعر جاهلي ، ولم يذكر من هو ، وقيل : إنها لذي الرمة ، وقيل : لدوقلة المنبجي ، وقيل : لأبي نواس ، وقيل : لأبي الشيص الخزاعي ، وقيل : لعلي بن جبلة .
انظر: التبيان في شرح الديوان للعكبري (١/ ٢٢) شرح الديوان للواحدي (١/ ١٩٧) .
وأقرب هؤلاء للصحة اثنان هما : أبو الشيص الخزاعي ، وهو في ديوانه لعبد الله الجبوري (١١٧) وللجبوري بحث قيم في إثبات نسبة القصيدة إلى أبي الشيص .

وأعظم[1]، وأهم مافيها ، وأشده خطرا ، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ماعليه أهل الجاهلية ، تمت الخسارة[2]، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ [العنكبوت :٥٢].

الكتابيون : هم أهل الكتاب ، والمراد بهم اليهود والنصارى[3] .

والأميون هم من ليس لهم كتاب[4] ، وهم ماعدا اليهود[5]والنصارى[6] .

= والثاني هو علي بن جبلة ، وهو في ديوانه الذي جمعه زكي ذاكر (٩٦ ـ ١٠٢) ، وفي ديوانه الذي جمعه د . حسين عطوان (١١٥ـ ١١٩) ، وفي ديوانه الذي جمعه ضيف الجنابي (١٠٨ ـ ١١٤) .

ولعل القصيدة له ، وذلك لكونه كنديا ، وقد جاء في القصيدة الافتخار بكندة حيث قال :

الجد كِندَةُ والبنون همُ ... فزكا البنون وأنجب الجد

والشطر الثاني للمتنبي في قصيدة له ، وبيت المتنبي هو :

ونذيمهم وبه عرفنا فضلهم ... وبضدها تتبين الأشياء

ديوان المتنبي (١٢٧) .

(١) « وأعظم » ساقطة من جميع النسخ .

(٢) في (ب) و (هـ) « الخسارة ـ والعياذ بالله ـ » .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/٢٠٨) .

(٤) انظر : المرجع السابق ، نفس الصحيفة .

(٥) اليهودية : إحدى الديانات السماوية الكبرى ، وقد جاء ذكرها في القرآن كثيرا ، واليهود أمة موسى ﷺ ، وكتابهم التوراة ، وقد حرفوه ، وبدلوه ، ونسخه الله بشريعة الإسلام ، وهم إحدى وسبعون فرقة .

انظر : الفصل (١/١٧٧ ـ ٣٢٩) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/٢١٠ ـ ٢٢٠) ، التبصير في الدين (١٥٠ ـ ١٥٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٢ ـ ٨٣) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٨٨ ـ ٩٠) .

(٦) النصرانية : هي الديانة التي جاء به عيسى ﷺ ، وهي كسائر الديانات السماوية قائمة =

واخْتُلِف في المجوس[1] : هل هم أهل كتاب أم لا ؟ قولان لأهل العلم :

أحدهما : أنهم ليسوا أهل كتاب .

واستدل هؤلاء على ذلك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ [الأنعام :١٥٦] ، والمجوس ليسوا من الطائفتين .

كما استدلوا بقوله ﷺ : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »[2]، وذلك

= على التوحيد ، بيد أن أهلها بدلوا فيها ، وغيروا ، وكتابهم هو الإنجيل ، وقد نسخه الله ـ كما نسخ غيره ـ بالإسلام ، وهم ثنتان وسبعون فرقة .
انظر : الفصل (٢/ ٣ ـ ٢١٨) ، الملل والنحل (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٨) ، التبصير في الدين (٥٢) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٤ ـ ٨٥) ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ، الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب لعبد العزيز بن حمد بن معمر ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للقرافي ، الرد على النصارى للجاحظ ، وغيرها كثير جدا .

(١) المجوسية : إحدى النحل القديمة ، وتنسب إلى رجل صغير الأذنين يقال له : مجوس، وهي من الديانات الوثنية ، وكانوا يشركون في توحيد الربوبية ، ويقولون بأن للعالم خالقين : النور وهو خالق الخير ، والظلمة ، وهي خالق الشر ، وكانوا يعبدون النار .
انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٠) ، تلبيس إبليس لابن الجوزي (٥٤) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٦) ، التبصير في الدين (١٥٠) ، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٤) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٩٠) ، خبيئة الأكوان (١١) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ـ كتاب الزكاة ـ باب جزية أهل الكتاب والمجوس ـ (٢٧٨) ، الشافعي في مسنده (الترتيب ٢ / ١٣٠) ، وأبو عبيد في الأموال (٢١) ، وعبدالرزاق في مصنفه ـ كتاب الجهاد ـ أخذ الجزية من مجوس هجر ـ (٦/ ٦٨ ـ ٦٩) ح١٠٠٢٥ ، وفي كتاب أهل الكتابين ـ باب هل يقاتل أهل الشرك حتى يؤمنوا من غير أهل الكتاب =

أنه ﷺ أمر بمعاملتهم في مسألة الجزية معاملة أهل الكتاب ، فدل على أنهم ليسوا من أهل الكتاب .

قال المجد بن تيمية[1]: « وهو دليل على أنهم ليسوا من أهل الكتاب»[2].

ثانيهما : أنهم أهل كتاب ، لكن كتابهم رفع ، واستدل أصحاب هذا القول بقول علي ـ رضي الله عنه ـ : « أنا أعلم الناس بالمجوس ، كان لهم علم يعلمونه ، وكتاب يدرسونه ، وإن ملكهم سكر ، فوقع

= وتؤخذ منهم الجزية ـ (١٠/ ٣٢٥)ح ١٩٢٥٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الزكاة ـ باب في المجوس يؤخذ منهم شيء من الجزية ـ (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) وفي كتاب الجهاد ـ باب ماقالوا عن المجوس تؤخذ عليهم الجزية ـ (١٢/ ٢٤٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الجزية ـ باب المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم ـ (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠) عن عبدالرحمن بن عوف .

وقد ضعف هذه الطريق الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٨٨ ـ ٨٩) .

وأخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٤٣٧) الحديث رقم (١٠٥٩) عن مسلم بن العلاء بن الحضرمي .

قال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤١٦) : « ومدار الحديث على عمر بن إبراهيم ، وهو ساقط »

وأخرجه الطبراني ، كما في مجمع الزوائد (٦/ ١٣) عن السائب بن يزيد .

قال الهيثمي : « وفيه من لم أعرفه » .

وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١/ ١٣٦) الحديث (١٢٢) عن جعفر بن محمد عن جده .

(١) هو عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن تيمية ، مجد الدين ، أبو البركات ، من علماء الحنابلة وفقهائهم ، ولد ٥٩٠سنة هـ ، له مصنفات منها : المحرر في الفقه ، المنتقى من أحاديث الأحكام ، وتوفي سنة ٦٥٣هـ .

انظر : البداية والنهاية (١٣/ ١٧٧) ، معرفة القراء الكبار للذهبي (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) ، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٣) ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٢٤٩ ـ ٢٥٤) ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) .

(٢) المنتقى من أحاديث الأحكام (٢/ ٨٣٦) .

على ابنته أوأخته ، فاطلع عليه بعض أهل مملكته ، فلما صحا ، جاؤا يقيمون عليه الحد ، فامتنع منه ، ودعا آل مملكته ، فقال : تعلمون دينا خيرا من دين آدم ؟ فقد كان آدم ينكح بنيه بناته ، فأنا على دين آدم ، مايرغب بكم عن دينه ؟ فبايعوه ، وخالفوا الدين ، وقاتلوا الذين خالفوه ، حتى قتلوهم ، فأصبحوا وقد أسري على كتابهم ، فرفع من بين أظهرهم ، ورفع العلم الذي في صدورهم ، وهم أهل كتاب ، وقد أخذ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر منهم الجزية »[(١)] .

كما استدلوا بما يروى عنه ﷺ أنه قال : « المجوس طائفة من أهل الكتاب ، فاحملوهم على ماتحملون عليه أهل الكتاب »[(٢)].

ولعل الصواب - والله تعالى أعلم - أنهم ليسوا أهل كتاب ، وذلك لأمور :

الأول : دلالة قوله - تعالى - : ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ وهم - كما سبق - ليسوا من الطائفتين .

الثاني : أن ماجاء في كونهم من أهل الكتاب لايثبت .

الثالث : أنه لما وقعت الحرب بين فارس - وهم مجوس - والروم - وهم أهل كتاب - كان الصحابة يحبون انتصار الروم على فارس ؛

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (٢/ ١٣١) ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الجزية - باب المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم - (٩/ ١٨٩) .
قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/ ٢) : « ولكن جماعة من الحفاظ ضعفوا الحديث ، قال أبو عبيد : لاأحسب ماروره عن علي في هذا محفوظا » .

(٢) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٣٩٥) وفيه الحسن بن عبدالعزيز المجون ، ولم أجد من ترجم له .

وذلك لأن الروم أهل كتاب .

قال ابن مسعود : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم . . . »[1].

وقال ابن عباس : « كان المشركون يحبون أن يظهر فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب»[2].

وقال نيار بن مكرم الأسلمي[3] : « . . . وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم - يعني على فارس - لأنهم وإياهم أهل كتاب ، وكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ، ولاإيمان ببعث »[4].

فهذا يدل على أن المجوس ليسوا أهل كتاب ، والله أعلم .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/ ٢٠) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب التفسير - باب ومن سورة الروم - (٥/ ٣٤٣ - ٣٤٤) ح٣١٩٣ وقال : « هذا حديث حسن ، صحيح ، غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة » .

(٣) هو نِيار بن مُكرم الأسلمي ، له صحبه ، وأحد الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان ، لم أجد له تأريخ وفاة .
انظر : طبقات ابن سعد (٥/ ٨) ، طبقات خليفة (٢٣٨) ، تهذيب الكمال (٣٠/ ٧٢) .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب التفسير - باب ومن سورة الروم - (٥/ ٣٤٤ - ٣٤٥) ح ٣١٩٤ ، وقال : « هذا حديث صحيح ، حسن ، غريب ، لانعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي الزناد » .

كما اختُلِف في الصابئة[1] ، فمنهم من ذهب إلى أنهم أهل كتاب ، وأن كتابهم هو الزبور[2]، ومنهم من ذهب إلى أنهم طائفة بين المجوس واليهود والنصارى ، وأنه لاتحل ذبائحهم ولانكاح نسائهم[3]، يعني أنهم ليسوا أهل كتاب ، ومنهم من ذهب إلى أنهم قوم يعرفون الله وحده ، وليس لهم شريعة يعملون بها ، ولم يحدثوا كفراً[4] ، ومنهم من ذهب إلى أنهم قوم يعبدون الملائكة[5].

ولعل الصواب في ذلك ماقرره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أن الصابئة طائفتان :

طائفة الحنفاء ، وهؤلاء مؤمنون ، وهم الذين أثنى الله ـ تعالى ـ عليهم في كتابه .

---

(١) الصابئة : إحدى النحل القديمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وهي مأخوذة من قول العرب : صبأ يصبأ : إذا خرج الرجل من دينه ، وقيل : إنها منسوبة إلى صابيء بن متوشلخ ، وقيل : منسوبة إلى صابيء بن لامك أخي نوح ﷺ ، وهم طوائف ، منهم من يعبد الروحانيات من الملائكة وغيرهم ، ومنهم من يعبد الكواكب السبعة .
انظر : مادة « صبأ » الصحاح (١ /٥٩) ، لسان العرب (١/١٠٨) ، تاج العروس للزبيدي (١/٨٧) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٣٦) .
انظر في شأنها : الملل والنحل للشهرستاني (٢/٩ ـ ٥٨) ،الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٥٤ ـ ٤٥٦) الرد على الرافضة للمقدسي (١٣٧) ، التبصير في الدين (١٥٠) ، اعتقادات فرق السلمين والمشركين (٩٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٩٢ ـ ٩٤) ، كتب التفاسير عند تفسير آية (٦٢) من سورة البقرة .

(٢) انظر : تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٠٠) ، فقد نقله عن أبي العالية والربيع بن أنس والسدي وأبي الشعثاء والضحاك وجابر بن زيد .

(٣) وهذا القول لابن عباس ومجاهد كما أخرجه عنهما عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٢٥) ، وعطاء وابن جريج وأبي نجيح كما أخرجه عنهم ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٢٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٠١) عن وهب بن منبه .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١٢٤) عن قتادة .

وطائفة المشركين ، وهم أهل الأوثان ، وهم بمنزلة المشركين لما غيروا دين إبراهيم[1]

وقد كان الناس حين بعث فيهم النبي ﷺ مابين أميين ، وكتابيين ، فكانت النصرانية في بلاد الروم ، وفي بعض قبائل العرب ، ومن هذه القبائل : قبيلة ربيعة[2] ، وبكر بن وائل[3]، وتغلب[4]، وعبد القيس[5]، وطيء[6]، وكانت اليهودية في حمير[7] ، وكانت المجوسية في بني تميم[8]، وكانت

---

(١) انظر : الرد على المنطقيين (٤٥٤ ـ ٤٥٦) .

(٢) هم بنو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، من مشاهير العرب المستعربة ، وينضوي تحتها عدة قبائل انظر :النسب لأبي عبيد (٣٤٦ ـ ٣٦١) ، جمهرة أنساب العرب (٤٨٣ ـ ٤٨٤) ، الاشتقاق (٣١٢ ـ ٣٣٤) ، قلائد الجمان (١٢٨ـ ١٣٠) ، نهاية الأرب للقلقشندي (٢٤٢) .

(٣) هم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب ، من ربيعة بن نزار .
انظر :جمهرة النسب للكلبي (٤٨٦ـ ٤٨٨) ،النسب (٣٤٦ ـ ٣٥٦) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٦٩) ، الاشتقاق لابن دريد (٣٣٩ ـ ٣٤٤) ، نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب (١٦٥) .

(٤) هم بنو تغلب بن وائل بن قاسط ، أخي بكر سابق الذكر .
انظر : جمهرة النسب للكلبي (٥٦٤ ـ ٥٧٥) ، النسب (٣٤٦) ، جمهرة أنساب العرب (٤٦٩)

(٥) هم بنو عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .
انظر : النسب (٣٥٨ ـ ٣٦١) ، جمهرة أنساب العرب (٤٦٩) .

(٦) هم بنو جلهمة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٣٩٨ ـ ٤٠٤) ، النسب (٣١٤) ، نهاية الأرب (٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

(٧) هم بنو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، من مشاهير قبائل العرب .
انظر : النسب (٣٣٩ ـ ٣٤٤) ، جمهرة أنساب العرب (٤٣٢ ـ ٤٣٨) .

(٨) بنو تميم بطن من بطون طابخة العدنانية ، وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٢٠٦ ـ ٢٣٣) ، نهاية الأرب (١٧٧ ـ ١٧٨) .

خثعم[1] لاتدين بشيء أصلا ، وسائر العرب كانوا أهل أوثان[2] .

وقول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأعظم مافيها ، وأشده خطرا ، عدم إيمان القلب . . . » فيه إشارة إلى أن في المسائل التي سيذكرها ماهو كفر مخرج من الملة ، ومنها ماليس كذلك .

كما أن فيه إشارةً إلى أن الكفر يكون بالقلب تارة وباللسان تارة ، وبالجوارح تارة أخرى ، فإنه لما ذكر أن أعظم أمر عدمُ إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، أتبعه بذكر استحسان ماعليه أهل الجاهلية ، والاستحسان يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فالقلب يكون باعتقاد ذلك ، واللسان يكون بالتصريح به ، والجوارح يكون بالعمل به ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) هم بنو خثعم بن أنمار ، وهو أقيل ، وتحته بطون كثيرة ، وهي من قبائل العرب المشهورة .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٣٩٠ ـ ٣٩٢) .

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب (٤٩١) .

المسألة[1] الأولى

أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله ؛ لظنهم أن الله يحب ذلك[2] ، وأن الصالحين يحبونه[3]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾[4] [الزمر:٣] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[5] [يونس :١٨] ، وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ[6] فأتى[7] بالإخلاص ، وأخبر أنه[8] دين الله الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لايقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل مااستحسنوا[9] ، فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار .

وهـــــذه المســـــــألـــــــة

---

(١) «المسألة» فيما عدا هذه المسألة ساقطة من جميع النسخ إلا (هـ) ولن أشير لذلك بعد هذا التنبيه.

(٢) في (أ) «هذا» .

(٣) قوله : «لظنهم أن الله يحب هذا وأن الصالحين يحبونه» ليس في (جـ) و(د) .

(٤) قوله ـ تعالى ـ : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ ساقط من (أ) .

(٥) (ج) ، (د) تقدمت آية يونس على الزمر .

(٦) «وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ» ساقطة من (أ) .

(٧) (ب) «فأتاهم» .

(٨) (أ) ، (د) «أن» .

(٩) (أ) «ماستحسنوه» ، (ب) «مايستحسن» ، (جـ) (د) «مايستحسنونه» (هـ) «ماستحسن» .

هي[1] التي تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة[2] ولأجلها شُرِع الجهاد[3] ،كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[الأنفال :٣٩] .

يريد المؤلف رحمه الله بهذه المسألة بيان ماوقع فيه أهل الجاهلية من عبادة غير الله طلبا للشفاعة ممن لايملكها ، وبيان أن التعبد لله بإشراك الصالحين ـ سواء كانوا أنبياء أم ملائكة ـ هو بعينه شرك المشركين[4] ، الذي بعثت الأنبياء لإبطاله والتحذير منه ، وبيان عاقبة أهله في الدنيا والآخرة .

كما أراد بيان أن المشركين الأوائل ماأرادوا بدعاء معبوداتهم من دون الله إلاالقرب منه[5]، لكنه مع ذلك كفرهم ، وضللهم ، ولم يقبل منهم عملا ماداموا مقيمين على ذلك .

وأمر ـ سبحانه ـ نبيه ﷺ كالأنبياء قبله بمخالفتهم ، وأمره أن يأتي بإخلاص العبادة له وحده دون ماسواه .

---

(١) « هي » ساقطة من (أ) و (جـ) .
(٢) في (ب) « العداوة والبغضاء » .
(٣) (ب) ، (هـ) « شرع الله الجهاد » ، (جـ) « شرع أمر الجهاد » .
(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/١٣٥) ،تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني (٢١ـ ٢٢) ، الدر النضيد للشوكاني (١٧)
(٥) انظر : القواعد الأربع للمؤلف (٢٠٠) ،تطهير الاعتقاد (٢١) ، الدر النضيد (١٧) .

وقد بين المؤلف أن هذه المسألة أعظم مسائل الدين ؛ لأنها هي معنى كلمة الإخلاص ، ولأنها هي التي افترق الناس من أجلها طائفتين : طائفة الموحدين ، وطائفة المشركين .

ثم بين من أهميتها أن الولاء والبراء إنما يكونان من أجلها ، وأن الجهاد الذي فيه إراقة الدماء واستحلال الأموال والثمرات ، إنما يكون لحمل الناس عليها .

وقول المؤلف : « بإشراك الصالحين » لايعني أنه يقصر عبادتهم على الصالحين فقط ؛ لأن المتأمل حالهم يعلم يقينا أنها لم تقتصر على ذلك فقط ، بل تعدته إلى غيرهم ، كالأشجار والأحجار والشمس والقمر وغير ذلك[1] .

وإنما ذكر الصالحين ؛ لأن الإشراك بهم أسهل على النفوس من الإشراك بغيرهم[2]

وقد استدل المؤلف على هذه المسألة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلاليقربونا زلفى ﴾ .

ووجه الاستشهاد من هذه الآية أن المشركين مقرون بأنهم ماتخذوا أولياءهم من دون الله آلهة يعبدونهم ، ويتقربون إليهم ، إلاليقربوهم إلى الله زلفى ، وليشفعوا لهم عنده .

---

(١) انظر : القواعد الأربع (٢٠١) .
(٢) انظر : فتح المجيد (١٥١) .

قال قتادة : « مانعبدهم إلا ليشفعوا لنا عند الله ـ تعالى ـ »[1]

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى أهل المغرب : « فأخبر ـ سبحانه ـ أنه لايرضى من الدين إلا ماكان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى، ويشفعوا لهم عند الله، وأخبر أنه لايهدي من هو كاذب كفار»[2].

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية كوجه الاستدلال من الآية قبلها ، حيث إن المشركين مصرحون بأن عبادتهم لما اتخذوه من الآلهة لم يكن إلاطلبا لشفاعتها عند الله.

قال ابن جرير في الآية : « ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك ـ يامحمد ـ صفتهم من دون الله ، الذي لايضرهم شيئا ، ولاينفعهم في الدنيا ، ولافي الآخرة، وذلك هو الآلهة ، والأصنام التي كانوا يعبدونها ، ويقولون : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله »[3].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩١/٢٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) رسالة المؤلف إلى أهل المغرب ضمن الدرر السنية جمع عبدالرحمن القاسم (٥٧/١) .

(٣) تفسير ابن جرير (٩٨/٧) .

وهذه الآية ـ كما قال عكرمة[1] ـ نزلت في النضر بن الحارث[2] حيث قال : « إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى »[3] .

وقد استدل على أن هذه المسألة من موجبات الجهاد ، وأنه لم يشرع إلا لأجلها بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ .

ووجه الاستشهاد من هذه الآية أن الله ـ تعالى ـ أمر بقتال الكفار حتى لاتكون فتنة ، والفتنة الشرك ، كما فسرها بذلك ابن عباس[4] ، ومجاهد[5] والسدي[6] ، وغيرهم .

---

(١) هو عكرمة القرشي الهاشمي ، مولاهم ، أبو عبدالله ، أصله من البربر ، من أئمة المفسرين ، ولد سنة ٢٤هـ ، وأدرك بعض الصحابة ، وروى عنهم ، وتوفي سنة ١٠٤هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات خليفة (٢٨٠) ، تاريخ خليفة (٣٣٦) ، الحلية لأبي نعيم (٣/٣٢٦ ـ ٣٤٧) ، تهذيب الكمال (٢٠/٢٦٤ ـ ٢٩٠) .

(٢) هو عدو الله ورسوله ، النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة ، كان ـ كما يقال دعيا في قريش ـ ولم يكن منهم أصلا ، كان شديد الإيذاء للنبي ﷺ ، ولذا قتله بعد بدر صبرا .
انظر : نسب قريش للزبيري (٢٥٥) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٢٦) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣/٣٠٢) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/١٩٤) والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٨٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٠٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/١٩٤) .
ومجاهد هو ابن جبر المكي ، أبوالحجاج ، الإمام المفسر ، تلميذ ابن عباس ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم ،وقد توفي سنة ١٠٢هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٥/٤٦٦) ، التاريخ الكبير للبخاري (٧/٤١١) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢/١٩٤) .

ويكون التوحيد خالصا لله ، ليس فيه شرك ، ويخلع مادونه من الأنداد ، وهو معنى قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ كما قال ذلك ابن عباس(١) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم ، ويتوكل عليهم ، لم يكن قد أخلص دينه لله ، فوجب حينئذ قتاله .

وقد تظاهرت النصوص في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ الدالة على أن أهل الجاهلية : الأميين والكتابيين ، كانوا يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته .

ومن هذه الأدلة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلاشيطانا مريدا لعنه الله ﴾ [النساء : ١١٨] .

قال الضحاك(٢) في الآية : « قال المشركون : إن الملائكة بنات الله ، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى »(٣).

= والسدي هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي ، الكبير ، مفسر معروف ،رأى بعض الصحابة ، وروى عنه ، وتوفي سنة ١٢٧هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٣٢٣/٦) ، التاريخ الكبير (٣٦٠/١) ، الأنساب للسمعاني (٢٣٨/٢) .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩٤/٢) .
(٢) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبوالقاسم ، الإمام المفسر ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم ، وتوفي سنة ١٠٢هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات ابن سعد (٣٠٠/٦) ، سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤ ـ ٦٠٠) .
(٣) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢٢٣/٢) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

فقد جاء في سبب النزول أن النضر بن الحارث قال : « سوف تشفع لي اللات والعزى » فنزلت هذه الآية[١].

وقال السدي : « إن المشركين كانوا يزعمون أنهم يعبدون الآلهة ؛ لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأن هذه الآلهة شركاء لله »[٢].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا ○ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ [الإسراء :٥٦ ـ ٥٧] .

عن ابن مسعود[٣] قال : « كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/٢٧٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٣٢) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/٢٧٩) .

(٣) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، صحابي جليل ، أسلم قديما بمكة ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدرا ومابعدها ، وكان صاحب نعل رسول الله ﷺ ، وتوفي سنة ٣٢هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات ابن سعد (٢/٣٤٢ ـ ٣٤٤) و (٣/١٥٠ ـ ١٦١) ، طبقات خليفة (١٦) ، تهذيب الكمال (١٦/١٢١ ـ ١٢٣) .

فأسلم النفر من الجن ، وتمسك الإنسيون بعبادتهم ، فأنزل الله هذه الآية[1].

وقال ابن عباس في الآية : « هم عيسى وعزير والشمس والقمر »[2]، يعني أن المشركين كانوا يتقربون إلى الله بعيسى والعزير والشمس والقمر .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ [الفرقان : ١٧] .

قال مجاهد في المعبودين : « عيسى وعزير والملائكة »[3].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون ○ قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ [الزمر :٤٣ ـ ٤٤] .

أي : بل اتخذ هؤلاء شفعاء من دون الله .

قال ابن جرير : « يقول ـ تعالى ذكره ـ أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجتهم . . . قل لهم : إن تكونوا تعبدونها لذلك ،وتشفع لكم ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا ﴾ ـ (٥/٢٢٧) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٥/١٠٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١٩٠) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/١٨٩) .

فأخلصوا عبادتكم لله ، وأفردوه بالألوهية ، فإن الشفاعة جميعا له ، لايشفع عنده إلا من أذن له ، ورضي له قولا ، وأنتم متى أخلصتم له العبادة ، فدعوتموه ، وشفعكم ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ يقول : له سلطان السموات والأرض وملكها ، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له ، يقول: فاعبدوا الملك لاالمملوك الذي لايملك شيئا »[1]

وقال - تعالى - : ﴿ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ [الأحقاف :٢٨] .

قال القرطبي[2]: « أي : هلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم ، حيث قالوا : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم»[3].

وقال - تعالى - : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ○ ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم ١٩ - ٢٠] .

قال ابن عباس : « اللات : رجل كان يلت السويق للحاج »[4].

---

(١) تفسير ابن جرير (٩/٢٤) .

(٢) هو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، أبو عبدالله ، المفسر المعروف ، أخذ عن جماعة من أهل العلم ، وتفقه على مذهب مالك ، وصنف كتبا كثيرة ، منها الجامع لأحكام القرآن ، ومنها التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، وتوفي سنة ٦٧١هـ .
انظر : الديباج المذهب في أعيان المذهب لابن فرحون (٣١٧ - ٣١٨) ، شذرات الذهب لابن العماد (٥/٣٣٥) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٢٠٩) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ - (٦/٥١) .

وقال مجاهد : « اللات : رجل يلت للمشركين السويق ، فمات ، فعكفوا على قبره»[1].

ومعلوم من حال قريش أنهم كانوا يدعون اللات ، ودعاؤهم له لأجل صلاحه، وهم يزعمون أنهم يدعون الصالحين ، ويتقربون إليهم كي تقربهم إلى الله زلفى .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا ﴾ [نوح : ٢٣] .

فهذه الأسماء التي في الآية أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح ﷺ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولـئك ، وتنسخ العلم ، عبدت ، فصارت في العرب بعد ، ذكر ذلك ابن عباس[2]، فهم يعبدونهم ، ويدعونهم لأجل صلاحهم ، ويتقربون بذلك إلى الله .

فهذه الأدلة ـ وغيرها كثير ـ صريحة في تعبد أهل الجاهلية بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته ، يرجون شفاعتهم عند الله ، فلقد تبين من خلالها تعبدهم تارة بالملائكة ، وتارة بالصالحين كود وسواع ويغوث

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٧/٥٨) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ﴾ ـ (٦/٧٣) .

ويعوق ونسر واللات ، وهؤلاء هم الأميون .

وتارة يتعبدون بدعاء المسيح وأمه ، وهؤلاء هم النصارى ، وتارة بالعزير ، وهم اليهود .

كما تبين ـ أيضا ـ أنهم ماأرادوا بذلك إلاشفاعتهم عند الله والقرب منه .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد أمره الله ـ تعالى ـ أن يأتي بالإخلاص ، فقال : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[الأنعام : ١٦٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني ﴾[الزمر : ١٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلاأعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المسلمين ○ وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين ﴾ [يونس : ١٠٤ ـ ١٠٥] .

ونهاه ـ جل وعلا ـ أن يدعو معه غيره ، فقال : ﴿ ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وقال:﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ [الجن :١٨] .

وأخبر ـ تعالى ـ أن هذا الذي أمر به نبيه ﷺ هو الأمر الذي خلق الجن والإنس لأجله ، فقال : ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلاليعبدون ﴾

كما أخبر أنه دين المرسلين كلهم ، فقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[النحل :٣٦] .

وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلانوحي إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

كما أخبر ـ تعالى ـ بخطورة الشرك وسوءعاقبته ، فقال : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ [النساء :٤٨] .

وقال : ﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [النساء :١١٦] .

وقال : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ [الحج : ٣١] .

ولما سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك»(١)

ولما سأل رجل النبي ﷺ عن الموجبتين ، قال : « من مات لايشرك بالله شيئا، دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا ، دخل النار »(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قول الله تعالى : ﴿ فلاتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ ـ (١٥٣/٥) ، ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب كون الشرك أقبح الذنوب ، وبيان أعظمها ـ (٩٠/١)ح١٤١ كلاهما عن ابن مسعود .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات مشركا دخل النار ـ (٩٤/١)ح١٥٠ عن جابر .

ولما كان المشركون يعبدون غير الله رجاء شفاعتهم عنده ، فإن الله - تعالى - بين أن ذلك غير نافع لهم ، وأن عليهم أن يدعوه وحده .

قال - تعالى - : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السماوات ولافي الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ○ ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [سبأ : ٢٢ - ٢٣] .

قال ابن القيم : « فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين مجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك ، وسدت عليهم بها الباب أبلغ سد وأحكمه ، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه ، وإلا فلو كان لايرجو منفعة منه ، فلايتعلق قلبه به أبدا ، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود إما مالكا للأسباب التي ينتفع بها عابده ، أوشريكا لمالكها ، أو وزيرا أومعاونا له ، أووجيها ذا حرمة وقدر يشفع عنده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك،وانقطعت مواده ، فنفى - سبحانه - عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك : هي شريكة للمالك الحق ، فنفى شركها له ، فيقول المشرك : قد تكون ظهيرا أووزيرا أومعاونا ، فقال : ﴿ وماله منهم من ظهير ﴾ ، ولم يبق إلاالشفاعة ، فنفاها عن آلهتهم ، وأخبر أنه لايشفع أحد عنده إلابإذنه ، فإن لم يأذن للشافع لم يتقدم بالشفاعة بين يديه ، كما يكون في حق المخلوقين ، فإن المشفوع له يحتاج

إلى الشافع وإلى معاونته له ، فيقبل شفاعته ، وإن لم يأذن له فيها ، وأما مَنْ كل ماسواه فقير إليه بذاته ، فهو الغني بذاته عن كل ماسواه ، فكيف يشفع عنده أحد بغير إذنه »[1].

ومن مظاهر المخالفة : أن الله ـ تعالى ـ أمر رسوله ﷺ بجهاد من لم ينقد إليه ، فإذا انقاد ، وجب الكف عنه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة : ٥] .

فعلق ـ تعالى ـ الكف عنهم بالتوبة من الشرك .

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله »[2] وعن أسامة بن زيد[3] قال : بعثنا رسول الله ﷺ الحُرَقَة[4] من

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٩٧) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ـ (١ : ١١ـ ١٢) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله . . . ـ (١ : ٥٣) ح٣٦ عن ابن عمر .
(٣) هو أسامة بن زيد بن حارثة ، حب رسول الله ﷺ وابن حبه ، صحابي جليل ، توفي رسول الله ﷺ وعمره عشرون سنة ، وتوفي بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان .
(٤) الحرقة : ويقال لهم بنو حميس ، من قبائل جهينة ، سموا بذلك نسبة إلى رجل يقال له =

جُهَينة[1]، فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، فلما غشيناه ، قال ، لاإله إلا الله ، فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا ، بلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : « ياأسامة ، قتلته بعد ماقال لاإله إلا الله » ؟ قلت : كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك قبل ذلك اليوم[2]

فهذا بعض مايدل على كيفية مخالفته ﷺ لأهل الجاهلية في هذه الخصلة.

إذا تبين هذا ، فاعلم أن دعاء غير الله ـ تعالى ـ مهما كانت منزلة المدعو شرك أكبر ، مخرج من الملة ، وقد نص على ذلك الأئمة ، وهو قبل ذلك مقتضى كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ كما سبق قبل قليل قال أبو الوفاء ابن عقيل[3] : « لما صعبت التكاليف على الطغام والجهال ،

= الحرقة ؛ لأنه حرق قوما بالقتل ، فبالغ في ذلك ، واسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينة .
انظر ، الاشتقاق (٥٤٩) ، الأنساب للسمعاني (٢/ ٢٠٤ـ ٢٠٥) فتح الباري(٧/ ٥٩١)

(١) جهينة : حي من قبيلة قضاعة القحطانية ، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن زيد بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة .
انظر ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المغازي ـ باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ـ (٥/ ٨٨) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لاإله إلا الله ـ (١/ ٩٧) ، حديث رقم (١٥٩) .

(٣) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، أبو الوفاء ، الفقيه الحنبلي ، أحد =

عدلوا عن أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . . . وهم عندي كفار بهذه الأوضاع إلى عدلوا عن أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ؛ إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . . . وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وإكرامها ، والتزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران ، وتقبيلها ، وتخليقها ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع عليها يامولاي افعل كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا ، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحل إليها ، وإلقاء الخرق على الشجر ، اقتداء بمن عبد اللات والعزى»[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فيما يكون ردة عن الإسلام : « . . . أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم ، كفر »[2]

قال ابن مفلح[3] بعد أن ذكر النص السابق معلقا عليه : «

= أذكياء العالم ، ولد سنة ٤٣١هـ له مصنفات ، منها : الفنون ، والواضح في أصول الفقه ، وقد توفي سنة ٥١٣هـ .

انظر : المستفاد من ذيل تأريخ بغداد لابن النجار (١٩/ ١٩٢ـ ١٩٤) ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ١٤٢ ـ ١٦٣) .

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ٢١٦) .

(٢) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لعلاء الدين البعلي (٣٠٧) .

(٣) هو شمس الدين ، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي ، أحد علماء الحنابلة ، ولد نحو سنة ٧١٠ ، وأخذ عن جماعة من أهل العلم ،له مصنفات منها : الفروع ، والآداب الشرعية ، وقد توفي سنة ٧٦٣ هـ .

إجماعا»[1] أي : كفر إجماعا .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله تعالى - مؤيدا ماذكره ابن مفلح من حكاية الإجماع : « قلت : وهو إجماع صحيح ، معلوم بالضرورة من الدين »[2]

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « وأما الشرك فنوعان : أكبر ، وأصغر ، فالأكبر لايغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله . . . ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده ، وهكذا عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم . . . والذي قام بقلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ، أن آلهتهم تشفع لهم عندالله ، وهذا عين الشرك »[3]، والنصوص في ذلك كثيرة جدا[4]

= انظر : المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (٢٦٥- ٢٦٦) ، البداية والنهاية لابن كثير (١٤ : ٢٥٢) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤: ٢٦١ - ٢٦٢) .

(١) الفروع لابن مفلح (٦/ ١٦٥) ، وانظر : الإنصاف للمرداوي (١٠/٣٣٧) ، الإقناع للحجاوي (٤ /٢٩٧) ، كشاف القناع للبهوتي (٦/١٦٨ - ١٦٩) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٢٩)

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤٣) .

(٤) انظر : تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (٢٩) ، الدر النضيد (٣٧ - ٤٣) ، تيسير العزيز الحميد (٢٢٧ - ٢٣٣) .

ومع ماجاء من النصوص من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ونصوص العلماء المحذرة من الوقوع في هذا المزلق الخطر ، فإنه قد خالف في ذلك القبوريون ، حيث اعتقدوا ماأنكره الرب ـ جل جلاله ـ على المشركين دينا ، ولم يميزوا في ذلك بين الحق والباطل ، وتعلقوا بشبه ظنوها أدلة ، وما هي بأدلة ، فبنوا عليها دينهم ، وإليك أبرز شبههم ، مع الجواب عنها :

الشبهة الأولى لهم ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾[المائدة : ٣٥]

ووجه استدلالهم من هذه الآية ، أنهم قالوا : إن لفظ الوسيلة عام في الأفعال والذوات ، ومن ادعى التخصيص بأحدهما ، فقد تحكم ، بل ظاهر سياق الآية يخصصه بالذوات ؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ ، والتقوى عبارة عن فعل المأمور ، وترك المحظور ، فإذا فسر ابتغاء الوسيلة بالأعمال يكون توكيدا للأمر بالتقوى ، فيكون مكررا ، وإذا أريد به التوسل بالذوات ، فإنه يكون تأسيسا ، وهو خير من التوكيد[١].

---

(١) انظر : صلح الإخوان لداود بن جرجيس (٤٥)

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : إجماع المفسرين على أن المراد بالوسيلة مايتقرب به إلى الله ـ تعالى ـ من الطاعات ، والأعمال الصالحات[1] يدل على أن المراد به الأعمال لاالذوات .

ثانيها : أن قولهم : إن التقوى عبارة عن فعل المأمور ، وترك المحظور قول باطل ؛ لأنها تفسر بذلك لو كانت غير مقترنة بالوسيلة ، أما وقد اقترنت بها ، فإن معناها هو ترك المنهي ، والوسيلة فعل القرب من الأوامر[2]

ثالثها : إن قولهم : إن ابتغاء الوسيلة إذا فسر بالأعمال يكون توكيدا للأمر بالتقوى ، فيكون مكررا ، وإذا أريد به التوسل بالذوات يكون تأسيسا، والتأسيس خير من التوكيد ، باطل من وجوه :

الوجه الأول : ماسبق ذكره من أن التقوى إذا اقترنت بالطاعة لم يكن معناها إلا ترك المنهي ، وإذا انفردت كان معناها فعل الأوامر ، وترك المناهي.

الوجه الثاني : أن التوكيد يكون خيرا من التأسيس إذا اقتضاه الحال، وقصد رفع المجاز ، وإبطال توهمه ، أو قصد بيان خصوصية الفرد

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير(٢/ ٥٣)
(٢) انظر : المرجع السابق ، نفس الصحيفة .

المعطوف والاهتمام به[1]

الوجه الثالث : أن التأسيس لايجري هنا ، ولايصح قصده ؛ لأن شرطه منتف[2].

وبهذه الأوجه يبطل استدلالهم بهذه الآية الكريمة .

الشبهة الثانية لهم ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ .

ووجه الاستدلال منها عندهم أن الله ـ تعالى ـ بين للكفار الذين اتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله أن هؤلاء ـ أي الملائكة والنبيين ـ يبحثون عمن هو أقرب منهم إلى الله ليتوسلوا به ، فهم محتاجون إلى من يشفع لهم عند الله ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تتخذونهم أربابا من دون الله ؟[3]

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا التفسير مخالف لتفاسير السلف قاطبة ، فإنهم فسروا الوسيلة بالقربة ، كما سبق بيانه آنفا ، ولم يفسروها بان الملائكة تبحث عمن هو أقرب منهم إلى الله ؛ ليتوسلوا به ، ومن زعم ذلك ، فقد

---

(١) انظر : منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن (٣٥٣)

(٢) نظر : منهاج التأسيس والتقديس (٣٥٣) .

(٣) انظر : صلح الإخوان (٤٦ـ ٤٧) .

اجترأ الكذب على الله[1] .

ثانيا : أن هذه الآية ـ كما قال ابن مسعود ـ نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لايشعرون بذلك ، وهؤلاء المعبودون يبتغون القربة إلى الله ، وليس فيها مايدل على أن الملائكة يبحثون عمن هو أقرب منهم إلى الله ـ تعالى ـ ليتوسلوا به ، ومن ادعى ذلك فعليه بالبرهان ، وأنى له ذلك .

الشبهة الثالثة لهم ، قوله ـ تعالى ـ في قصة موسى ﷺ :﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ [القصص :١٥]

ووجه الاستدلال من هذه الآية عندهم ، أن الله ـ تعالى ـ نسب الاستغاثة إلى غيره ، ولو كان ذلك ممنوعا لما جازت النسبة .

وأجابوا عن قول من قال : إنه استغاث بحي قادر بقولهم : إن نسب القدرة إليه استقلالا فهو كفر ، وإن كان بقدرة الله ، وهو سبب ووسيلة ، فلا فرق بين الحي والميت ، فإن الميت له تسبب بدعاء أوكرامة ، أو أن الله يقدره ، والجميع راجع إلى قدرة الله ، وإذا لم تنسب الاستغاثة إلى الله على الحقيقة ، ولغيره على التسبب والمجاز ، فإنها تكون ممنوعة[2].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

---

(١) انظر : منهاج التأسيس والتقديس (٣٦٥ ـ ٣٦٦) .
(٢) انظر : صلح الإخوان (٤٦)

أحدها : أن النسبة لاتدل على جواز الشيء ، بدليل أن الله ـ تعالى ـ نسب إلى أعدائه مانسبوه إليه من اتخاذ الصاحبة والولد ، وجعل الشركاء معه ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ [مريم ٨٨]، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] وغير ذلك من الآيات[١]

ثانيها : أن هذه الآية الكريمة فيها خبر عن الإسرائيلي الذي استغاث بموسى على القبطي الذي من عدوه ، والأفعال العادية القائمة بفاعلها تنسب إليه ، وتضاف حقيقة ، لامجازا ، وهي من إضافة الفعل إلى فاعله ، وأهل التوحيد لم يقولوا بمنع ذلك كي يستدل عليهم به ، لأنهم يقولون بنسبتها إليه حقيقة[٢]

ثالثها : أن دعواهم أن دعاء الحي الميت ، واستغاثته به إنما هو من باب التسبب والوسيلة دعوى باطلة ؛ لأن الله ـ تعالى ـ كَفَّر المشركين بذلك ، والمشركون لم يزعموا لآلهتهم غير ذلك[٣] ، فدعاء الحي الميت ليس هو من باب التسبب ، وإنما الذي جعله ذلك هم عباد الأصنام[٤]

---

(١) انظر :منهاج التأسيس والتقديس (٣٧٢)
(٢) انظر : منهاج التأسيس والتقديس (٣٧٢)
(٣) انظر :الدر النضيد (١٧) ، الصواعق المرسلة الشهابية لسليمان بن سحمان (١٤٤)
(٤) انظر :المرجع السابق (٣٧٢ ـ ٣٧٣)

الشبهة الرابعة من شبههم ، قوله ـ تعالى ـ :﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ [النساء : ٦٤] .

ووجه الاستدلال منها ـ حسب زعمهم ـ أن الآية دلت على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ ، والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم ، وقالوا : وإن كان هذا ورد حال الحياة ، فإنها رتبة لاتنقطع بموته ؛ تعظيما له ، وليس ذلك خاصا به ﷺ ؛ لعدم دليل الخصوص ، فيدل على مشروعية الاستشفاع بالصالحين ، وجعلهم وسيلة إلى الله .

وقالوا : إن هذه الآية ، وإ ن وردت في أقوام معينين في حال الحياة إلا أنها تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت[1].

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

أحدها : أن المجيء إليه خاص بالمجيء إليه حال حياته ، وقبل وفاته ، أما بعد وفاته فلا ، يدل على ذلك مايأتي :

أولا : نزول هذه الآية في قوم معينين من أهل النفاق ، بدليل

(١) انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام للتقي السبكي(٨٠ ـ ٨٢) ، الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان (١٢) ، حكم التوسل بالأنبياء والأولياء لمخلوف (٥) ، الأقوال المرضية في الرد على الوهابية (١٠) .

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ [النساء : ٦١] ، وليس هناك لفظ عام حتى يقال : العبرة بعموم اللفظ ، لابخصوص المورد[١] .

ثانيا : أنه لو شرع لكل مذنب أن يفعل ذلك ، لكان قبره ﷺ من أعظم الأعياد ، وهو مصادم للنهي عن ذلك[٢] .

ثالثا : أن أعلم الأمة بالقرآن ، وفهم معانيه ، وهم صحابة رسول الله ﷺ لم يفهموا ذلك من هذه الآية ، بدليل أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه فعل ذلك بعد وفاة النبي ﷺ » ومن نقل هذا عن أحد منهم ، فقد جاهر بالكذب والبهت ، أفترى عطل الصحابة والتابعون ـ وهم خير القرون على الإطلاق ـ هذا الواجب الذي ذم الله ـ سبحانه ـ من تخلف عنه ، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق ، ووفق له من لاتوبة له من الناس ، ولايعد في أهل العلم ؟اوكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام، وهداة الأنام من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الأمة ، فلم يدعوا إليه ، ولم يحضوا عليه ، ولم يرشدوا إليه ، ولم يفعله أحد منهم ألبتة ؟! «[٣]

---

(١) انظر : الصارم المنكي في الرد على السبكي (٤٢٥) ، الصواعق المرسلة الشهابية (٤٨ ـ ٤٩) ، صيانة الإنسان عن وسوة الشيخ دحلان (٢٩) .

(٢) انظر : الصارم المنكي (٤٢٨) ، الصواعق المرسلة الشهابية (٤٩ ـ ٥٠) .

(٣) الصارم المنكي (٤٢٦) ، وانظر : الصواعق المرسلة الشهابية (٤٩ ـ ٥٠) .

رابعا : أنه لو كان المجيء إلى قبره طلبا للاستغفار منه مشروعا ، لبينه لأمته ، وحثهم عليه ، ورغبهم فيه ، ولم يفعل ذلك ﷺ ، بل نهى عنه ، وحذر منه[1]

خامسا : أن الله - تعالى - قال : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك ﴾ ، و « إذ » كما هو مقرر في قواعد اللغة ظرف لما مضى من الزمان[2] وليس لما يستقبل،فدل علىأن المراد بالمجيء إليه هو المجيء إليه حال حياته،فالآية تتحدث عن أمر واقع في حياة الرسول ﷺ[3]

فهذه الوجوه الخمسة تدل على بطلان زعمهم بأن المجيء يعم المجيء إليه حال حياته ، وبعد مماته .

ثانيها : أن جعلهم المجيء في الآية شاملا للمجيء إليه ﷺ في حياته ، وللمجيء إلى قبره بعد موته ﷺ باطل ، وذلك « أن اللفظ العام لايتناول إلا ماكان من أفراده ، والمجيء إلى قبر الرجل ، ليس من أفراد المجيء إلى الرجل ، لالغة ، ولاشرعا ، ولاعرفا ، فإن المجيء إلى الرجل ، ليس معناه إلا المجيء إلى عين الرجل ، ولايفهم منه -

---

(١) انظر : الصواعق المرسلة الشهابية (٤٩) .
(٢) انظر : شرح المفصل لابن يعيش (٤ / ٩٥) ، حروف المعاني للزجاجي (٦٣) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (١/ ٨٠) ، رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (١٤٨) .
(٣) انظر : المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١ / ٨١) .

أصلا ـ أمر زائد على هذا »[1]

ثالثها : أما قولهم بأن هذه رتبة ثبتت له في حياته ﷺ ، فلاتنقطع بموته ، فهو قول لادليل عليه « فإن انقطاع هذا الحكم لاستبعاد فيه ، كما أن سائر الأحكام من الإمامة الصغرى والكبرى ، والجهاد ، والصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريض المؤمنين على القتال ، والمشاورة ، وتجهيز الجيوش ، وحفظ الثغور قد انقطعت بموته»[2]

رابعها : إن قولهم : إن هذه الآية تعم بعموم العلة ، صحيح لانزاع فيه ، فإنها تعم ماوردت فيه ، وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه ، وجاء كذلك في حال حياته ، وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره ، فقد علم بطلانه[3] .

هذه أبرز أدلتهم من كتاب الله ـ تعالى ـ ، وقد علمنا بطلان استدلالهم بها .

وقد استدلوا بالسنة الثابتة التي ليس لهم فيها متعلق ـ أيضا ـ ، وإليك أقوى أدلتهم التي استدلوا بها .

---

(١) انظر : صيانة الإنسان (٢٩) .
(٢) صيانة الإنسان (٣١) .
(٣) انظر : الصواعق المرسلة الشهابية (٤٨ ـ ٤٩) .

عن عثمان حنيف[1] أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني قال : « إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذاك ، فهو خير » ، فقال : ادعه ، فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، فيصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يامحمد ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه ، فتقضى لي ، اللهم فشفعه في»[2]

---

(١) هو عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم الأنصاري الأوسي ، أبو عمرو ، صحابي جليل ، توفي في أواخر خلافة معاوية .
انظر : طبقات خليفة (١٣) ، التاريخ الكبير (٦/٢٠٩ ـ ٢١٠) ، تهذيب الكمال (١٩/٣٥٨) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الدعوات ـ باب منه ـ (٥/٥٦٩) ح ٣٥٧٨ ، والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب عمل اليوم والليلة ـ ذكر حديث عثمان بن حنيف ـ (٦/١٦٨ ـ ١٦٩) ح ١٠٤٩٤ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ماجاء في صلاة الحاجة ـ (١/٤٤١ ـ ٤٤٢)ح١٣٨٥ ، وأحمد في المسند (٤/١٣٨) ، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/٢٠٩ ـ ٢١٠) ، وابن خزيمة في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب صلاة الترغيب والترهيب ـ (٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦) ح ١٢١٩ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/١٧ ـ ١٨) ، وفي المعجم الصغير (٢/١٢٨٧ ـ ١٢٨٨) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ـ باب ما يقوله من ذهب بصره ـ (ص٢٩٦) ح٦٢٨ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب صلاة التطوع ـ (١/٣١٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة ـ باب مافي تعليمه الضرير ماكان فيه شفاؤه حين لم يصبر (٦/١٦٦ ـ ١٦٨) ، وفي الدعوات الكبير ـ باب مايستحب للداعي من رفع اليدين في الدعاء ـ (ص١٥١ ـ ١٥٢) ح ٢٠٤ ، والمقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه ـ (ص٦٢ ـ ٦٣) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٩/٣٥٩) .
قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر هو الخطمي » .

ووجه الاستدلال ـ عندهم ـ من وجهين :

أحدهما : أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل بالنبي ﷺ والاستغاثة به بعد وفاته ؛ لأنه كما جاز التوسل به حال حياته ، فكذلك يجوز بعد وفاته ، إذ لافرق بينهما[1] .

والجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن المراد بالتوسل به ﷺ هو التوسل بدعائه ، بدليل قول الأعمى : ادع الله أن يعافيني ، ووعده ﷺ بالدعاء مع بيان الأفضل له ، ثم أصرار الأعمى على الدعاء ، وقوله : اللهم فشفعني فيه ، وشفعه في ، يدل على أن المراد به التوسل بدعائه ؛ لأن هذه الصيغة لاتحتمل غير ذلك[2] .

ثانيهما : أنه لو كان التوسل به حيا وميتا سواء ، لم يعدل الصحابة عن ذلك ، ولكان عميانهم يفعلون ذلك[3] .

= وقال الحاكم : « هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(١) انظر : شفاء السقام (١٦١ ، ١٦٥) ، صلح الإخوان (٤٩) ، حكم التوسل بالأنبياء والأولياء (٢١) .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٣ ـ ٧٨٤) ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية (١٧٢ ـ ١٧٣) ، تلخيص كتاب الاستغاثة له (١٢٩ـ ١٣٠) ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٢١٠) ، الصواعق المرسلة الشهابية (٧٤)، الضياء الشارق في الرد على المانق المارق لسليمان بن سحمان (٢٤٣) ، التوسل للألباني (٦٨ـ ٧١) .

(٣) انظر : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٧٣) ، تلخيص الاستغاثة (١٢٩) .

ثاني وجوه الاستدلال عندهم من هذا الحديث ، أنهم قالوا : إن الصحابة فهموا جواز التوسل به ﷺ حتى بعد موته ، بدليل أن عثمان بن حنيف علم هذا الدعاء رجلا كان يدخل على عثمان بن عفان ، فلايأبه به ، وكان هذا بعد وفاته[1] .

والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه :

أحدها : أن هذه القصة غير ثابتة[2] .

ثانيها : معارضة دعواهم فهم الصحابة ، حيث إن الصحابة لم يفهموا مازعمه هؤلاء المبتدعة ، بدليل ان عمر استسقى بالعباس عم المصطفى ﷺ [3]، ولم يستسق بالنبي ﷺ ، ولايمكن أ ن يعدل أحرص الناس على الخير ، وهم صحابة رسول الله ﷺ إلى المفضول ويدعوا

---

(١) انظر : صلح الإخوان (٤٩) ، النقول الشرعية في الرد على الوهابية للشطي (٨٨ ـ ٨٩) ، حكم التوسل بالأنبياء والأولياء (٢٠) ، الأقوال المرضية في الرد على الوهابية (١٤) .

(٢) وذلك لأمور ثلاثة : ضعف المتفرد بها ، وهو شبيب بن سعيد ، والاختلاف عليه فيها ، ومخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث .
انظر : التوسل (٨٥) .

(٣) أخرج هذه القصة البخاري في صحيحه ـ كتاب الاستسقاء ـ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ـ (٢/١٦) .
والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي ، أبو الفضل ، صحابي جليل ، أسلم بعد بدر ، وقيل : بل قبلها ، لكنه كان يسر إسلامه ، وكان أسن من رسول الله ، حيث ولد قبله بثلاث سنوات ، وتوفي سنة ٣٢هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/٥ ـ ٣٣) ، تاريخ خليفة (٨٦ ، ١٣٨ ، ١٦٨) ، تهذيب الكمال (١٤/٢٢٥ ـ ٢٣٠) .

الفاضل ، وهذا يعني أنهم فهموا من التوسل بالنبي ﷺ التوسل بدعائه[١] .

وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بهذا الحديث .

كما أن لهم شبها لاتنتهض أن تكون أدلة ، من أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وقصص ، وحكايات ، ومنامات ، وأقيسة باطلة[٢] .

وهذه البدعة الخطيرة منتشرة في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي اليوم ، بل لم يسلم منها اليوم إلا القليل ، ولاينكر ذلك إلا مكابر للحقائق .

ومن أعظم الأدلة على وجودها : وجود من ينافح عنها بكل مايستطيع ، وقد ذكرت جملة من المؤلفات الداعية إلى هذه الخصلة ، ومؤلفوها مابين أموات وأحياء .

كما أن من أعظم الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ المشاهدة ، وقد شاهد

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٥٩ـ ٧٦٠) ، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٧٣) .

(٢) انظر على سبيل المثال : الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم لابن حجر الهيتمي (١٤٨ ـ ١٥٤) ، صلح الإخوان (٤٣ ـ ١٥١) ، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني (٢٩٨ ـ ٤١٠) ، الدرر السنية في الرد على الوهابية (٢٣ ـ ٧١) ، الأقوال المرضية في الرد على الوهابية (٩ ـ ٢٤) ، حكم التوسل بالأنبياء والأولياء (١٧ ـ ٢٤) ، النقول الشرعية في الرد على الوهابية (٨٥ ـ ٩٩)، محق التقول في مسألة التوسل للكوثري ، فتح وفيض وفضل من الله لصالح الجعفري (١٧٠ ـ ١٨٣) ، مفاهيم يجب أن تصحح (٥٤ ـ ١٠٢) .

كثير من الناس مايجري اليوم عند قبور المعظمين من دعائهم ، وطلب المغفرة ، والشفاعة ، بل إنه يهتف بالصالحين في الشدائد من أماكن بعيدة ، بل إنه بلغ ببعضهم إرسال الشكاوى إلى قبور معبوديهم من دون الله عن طريق البريد(١) ، كما أنه ينذر لهم ، ويذبح لهم ، ويسجد على عتبات ضرائحهم ، وتحلق الرؤوس من أجلهم ، ويهلون لقبورهم ولقد صور الأديب الكبير مصطفى المنفلوطي(٢) مارأى من عبادة غير الله ممن هم حوله تصويرا حسنا ، حيث يقول : « كتب إلي أحد علماء الهند كتابا يقول فيه : إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثا . . . موضوعه : تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلاني(٣) ، وذكر مناقبه وكراماته . . . ويقول الكاتب : إنه رأى في ذلك الكتاب فصلا يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر

---

(١) انظر : التوسل بالأولياء لعبد اللطيف السيد سالم (٨٧ ـ ٨٩) .

(٢) هو مصطفى لطفي بن محمد لطفي المنفلوطي ، أحد أدباء القرن الماضي ، ولد سنة ١٢٨٩ ، وتعلم في الأزهر ، وكتب في صحف كثيرة ، وشغل وظائف حكومية ، له مؤلفات منها : النظرات ، والعبرات ، توفي سنة ١٣٤٣هـ .
انظر : رجال عرفتهم للعقاد ضمن مجموعته (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٥٣) ، الأعلام (٧/ ٢٣٩ـ ٢٤٠) معجم المؤلفين (١٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٣) هو عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست ، أبو محمد ، شيخ الحنابلة في وقته ، ولد سنة ٤٩١هـ ، له مصنفات منها : الغنية لطالبي طريق الحق ، فتوح الغيب ، توفي سنة ٥٦١هـ .
انظر : المنتظم لابن الجوزي (١٠/٢١٩) ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠ ـ ٣٠١) ، فوات الوفيات لابن شاكر (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

الجيلاني يقول فيه: أول مايجب على الزائر : يتوضأ وضوءا سابغا ، ثم يصلي وكعتين بخشوع واستحضار ، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة، وبعد السلام على صاحب الضريع المعظم يقول : ياصاحب الثقلين أغثني وأمدني بقضاء حاجتي ، وتفريج كربتي ، أغثني يامحيي الدين عبد القادر ، أغثني ياوليي عبد القادر ، أغثني ياسلطان عبد القادر ، أغثني ياباد شاه عبد القادر ، أغثني ياخوجه عبد القادر ، ياحضرة الغوث الصمداني ، ياسيدي عبد القادر الجيلاني ، عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة . . . هذا ماكتب إلي ذلك الكاتب .

ويعلم الله أني ماأتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء ، وأظلمت الدنيا في عيني ، فما أبصر مما حولي شيئا ؛ حزنا وأسفا على ماآلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعدما عرفوه ، ووضعوه بعدما رفعوه ، وذهبوا به مذاهب لايعرفها ، ولاشأن له بها .

أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلاتريقها أمام هذا المنظر المحزن: منظر أولئك المسلمين ، وهم ركع سجد على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته ، فأحرى أن يكون كذلك بعد مماته ، أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة فلايطير جزعا حينما يرى المسلمين أصحاب

دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكا بالله ، وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات ؟

لم ينقم المسلمون التثليث من المسيحيين ؟ لم يحملون في صدورهم تلك الموجدة وذلك الضغن ؟ وعلام يحاربونهم ؟ وفيما يقاتلونهم وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم ، ولم يغرقوا فيه إغراقهم ؟

يدين المسيحيون بآلهة ثلاثة ، ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبعده عن العقل ، فيتأولون فيه ، ويقولون : إن الثلاثة في حكم الواحد، أما المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة ، أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات ، وقطع أحجار من حيث لايشعرون .

كثيرا مايضمر الإنسان في نفسه أمرا وهو لايشعر به ، وكثيرا ماتشتمل نفسه على عقيدة خفية لايحس باشتمال نفسه عليها ، ولاأرى مثلا لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجئون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور ، ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود ، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب، قالوا: إنا لانعبدهم ، وإنما نتوسل بهم إلى الله ، كأنهم لايشعرون أن العبادة ماهم فيه، وإن أكبرمظهر لألوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين ، يلتمسون إمداده ومعونته ، فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث

لايشعرون »[١]

ثم يبين ـ رحمه الله تعالى ـ أن الإسلام جاء بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين ، فارتفعت لدى أصحاب القرون الأولى من الإسلام ، لكنهم بتركها انخفضت رؤوسهم ، وعادوا أذلاء ، ثم يقول :« إن الله أغير على نفسه من أن يسعد أقواما يزدرونه ويحتقرونه ، ويتخذونه وراءهم ظهريا ، فإذا نزلت بهم حاجة ، أو ألمت بهم ملمة ، ذكروا الحجر قبل أن يذكروه ، ونادوا الجذع قبل أن ينادوه »[٢]

وماقاله المنفلوطي ، هو واقع أكثر من ينتمي إلى الإسلام اليوم

بل إن شرك المشركين في هذا العصر ، فاق شرك أهل الجاهلية ، وذلك أن أولئك كانوا يشركون في الرخاء ، ويخلصون في الشدة ، أما أولاء ، فإنهم يشركون في الرخاء والشدة .

وأولئك لم يكونوا يشركون في توحيد الربوبية ، أما أولاء ، فأشركوا في توحيد الربوبية والألوهية ، والله المستعان .

---

(١) النظرات لمصطفى لطفي المنفلوطي (٢/ ٦٥ ـ ٦٧) .
(٢) النظرات (٢/٦٩) .

الثانية

أنهم يتفرقون[1] في دينهم ، ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون﴾[2] [الروم :٣٢] ، وكذلك في دنياهم ، ويرون أن ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذين أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾[3] [الشورى :١٣] ، وقال :﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾[4][الأنعام : ١٥٩] ، ونهانا عن مشابهتهم بقوله[5] :﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ﴾[6] [آ ل عمران : ١٠٥] ، ونهانا عن التفرق[7] في الدنيا[8] بقوله : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾ [آل عمران :١٠٣] .

---

(١) (أ) « مفترقون » وفي بقية النسخ « متفرقون » .
(٢) في (ب) « كما قال الله تعالى في دينهم » .
(٣) في (أ) ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك ﴾ الآية .
(٤) في (ب) « من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا » وهو خطأ .
(٥) « بقوله » ليست في (ب) ، وفي (د) : « كقوله » .
(٦) في (ب) (جـ) : « جاءتهم » وهو خطأ .
(٧) في (أ) : « فأمرهم بالاجتماع ، ونهاهم عن التفرق » .
(٨) في بقية النسخ « في الدين » .

يبين الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ ماوقع فيه أهل الجاهلية الأميون والكتابيون من الاختلاف والتفرق في دينهم ودنياهم ، وذلك أنهم في دينهم أحد رجلين : إما كتابي معتصم بكتاب ، إما مبدل ، وإما مبدل منسوخ ، ودين دارس ، بعضه مجهول ، وبعضه متروك ، وهؤلاء إما يهود مغضوب عليهم ، يعصون ربهم عن علم ، وإما نصارى ضلال ، لايعرفون حقا ، ولاباطلا .

وإما أمي من عربي وعجمي ، مقبل على عبادة ماستحسنه ، وظن أنه ينفعه ، من نجم ، ووثن ، وقبر ، وتمثال ، وغير ذلك .(١)

وكل طائفة تعتقد أنها على الحق ، وغيرها على الباطل ، فرحة بما هي عليه ، معتقدة أن ذلك هو الصواب الذي لامحيد عنه .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٣) ، وانظر عظم اختلافهم في الأديان : الأصنام للكلبي ، المعارف لابن قتيبة (٦٢١) ، البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (٥/ ٤٤) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٩١) ، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٣٢ـ ٢٣٧) ، الأعلاق النفيسة لابن رستة (٢١٧) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٤٠٠ـ ٤٠١) ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي (٤٣٥) ، بلوغ الأرب (٢/ ١٩٤ـ ٢٨١) ، دعوة التوحيد د . محمد خليل هراس (٢٤٧) ، أديان العرب قبل الإسلام د. جرجس داود ، حضارة العرب في عصر الجاهلية د . حسين الحاج (١٦٢ ـ ١٦٨) ، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام .

وأما في دنياهم ، فإن الحروب كانت قائمة بينهم على قدم وساق، تقوم لأتفه الأسباب ، وتراق فيها الدماء ، وتنتهك حرمة الأموال والأعراض ، فليس لهم إمام ينقادون لأمره ، ولاشريعة يحكمون بما تقضي به ، دنياهم فوضى ، القوي يأكل الضعيف ، كأسد الغاب ، يفتخرون بالظلم ، ويرونه سبيل الوصول إلى الحق ، كما سيأتي عند عرض الأدلة .

ثم بين ـ رحمه الله تعالى ـ فضل هذا الدين ، إذ جاء بالاجتماع ، وأمر بالألفة ، ووحدة الصف والكلمة ، ونهى عن التفرق والاختلاف .

وقد استدل على تفرقهم بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن الله ـ تعالى ـ بين في فيها أنهم أحزاب ، وليسوا حزبا واحدا ، وهذ ايعني أنه متفرقون ، وبين ان كل حزب من هذه الأحزاب فرح بما عنده ، وفرحهم بذلك يدل على استحسانهم إياه .

قال ابن زيد(1) في الآية : « هذا مااختلفوا فيه من الأديان ، كل

---

(1) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري ، المدني ، مفسر معروف ، له مصنفات منها: تفسير القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وقد توفي سنة ١٨٢هـ .
انظر : التأريخ الكبير للبخاري (٥/ ٢٨٤) ، المعرفة والتأريخ للبسوي (٢/ ٨٠٩) ، تهذيب الكمال (١٧/ ١١٤ـ ١١٩) .

قوم معجبون برأيهم »[1]

وقال الزمخشري[2]: « أي : كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين ، المتقطعين دينهم ، فرح بباطله ، مطمئن النفس ، معتقد أنه على الحق»

واستدل على مجيء هذا الدين بالاجتماع ، ونهيه عن الفرقة والاختلاف بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ .

ووجه الاستدلال من الآية : أن الله ـ تعالى ـ بين أنه شرع لنا ـ أهل الاسلام ـ ماشرعه للأنبياء قبلنا من الاجتماع ، وترك الفرقة والاختلاف ، حيث قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ الآية ، ثم فسر تلك الوصية بقوله : ﴿ أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ فـ﴿أن﴾ في الآية تفسيرية[3]

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨/٣١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/١١) ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) هو محمود بن عمر الزمخشري ، المعتزلي ، ولد سنة ٤٦٧ ، له مصنفات ، منها : الكشاف في تفسير القرآن ، الفائق في غريب الحديث ،توفي سنة ٥٣٨ هـ .
انظر : الأنساب (٣/١٦٣ـ ١٦٤) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/١٦٨ـ ١٧٤) ، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٥١ـ ١٥٦) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/١٢) و « أن » التفسيرية هي المسبوقة بفعل =

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « أمر الله ـ عز وجل ـ المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبر أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله »[1]

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ « وصى الله ـ تعالى ـ جميع الأنبياء بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف »[2]

كما استدل رَحِمَهُ اللَّهُ على أنهم كانوا متفرقين في دينهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ظاهر ، فإن الله ـ تعالى ـ أخبر عنهم أنهم فرقوا دينهم ، وصاروا شيعا مختلفة ، وقد ذمهم الله ـ تبارك وتعالى ـ على ذلك ، وأمر نبيه ﷺ بالبراءة منهم ، مما يدل على قبح فعلتهم .

= يتضمن معنى القول ، لاحروفه .
انظر : الكتاب لسيبويه (٣/ ١٦٢) ، حروف المعاني للزجاجي (٩١) ، معاني الحروف للرماني (٧٣) ، مغني اللبيب (١/ ٣٠) .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤/ ٣٩) والآجري في الشريعة (٦)

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٠٩) .

وفي هذا يقول العلامة عبدالرحمن بن سعدي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ودلت الآية الكريمة على أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف ، وينهى عن التفرق والاختلاف في أصل الدين ، وفي سائر مسائله الأصولية والفرعية»[2]

واستدل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على النهي عن مشابهة أهل الجاهلية فيما وقعوا فيه من الفرقة والاختلاف بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية هو أنه ـ جل وعلا ـ قال : ﴿ ولاتكونوا ﴾ وهذا نهي ، وقال ﴿ كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ والكاف حرف تشبيه ، والمشبه بهم هم المتفرقون المختلفون ، فهو نهي عن مشابهتهم .

والمعنى : ولاتشبهوا ـ أيها المؤمنون ـ بهؤلاء المتفرقين في

---

(١) هو عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي ، أحد علماء القصيم الأفذاذ ، ولد سنة ١٣٠٧ هـ ، وأفاد من علماء عصره ، وكان له اليد الطولى في الفقه وأصوله والتفسير وأصوله ، وغير ذلك من الفنون ، له مؤلفات ، منها : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، توضيح الشافية الكافية لابن القيم ، وقد توفي سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة .
انظر : الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠) ، صفحات من حياة علامة القصيم عبدالرحمن بن سعدي د . عبدالله الطيار .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ٥١٠) .

تفرقهم واختلافهم .

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ : « يعني بذلك ـ جل ثناؤه ـ ولاتكونوا يامعشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب ، واختلفوا في دين الله ، وأمره ونهيه ، من بعد ماجاءهم البينات من حجج الله فيما اختلفوا فيه ، وعلموا الحق فيه ، فتعمدوا خلافه ، وخالفوا أمر الله »[1]

واستدل على النهي عن التفرق في الدنيا بقوله ـ تعالى ـ : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن الله ـ تعالى ـ أمر فيها بالاعتصام بحبله ، ونهى عن التفرق .

وقد دل على أن المراد به التفرق في الدنيا مجيء الآية في معرض الامتنان على الأوس[2] والخزرج[3] بالتأليف بين قلوبهم ، بعد أن كانت الحروب بينهم لاتهدأ ، والعداء دائم مستحكم[4] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٤/٣٩) .

(٢) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء ، إحدى قبائل الأنصار ، وكان لهم ـ مع الخزرج ـ ملك يثرب ، فلما جاء الإسلام كانوا لرسول الله ﷺ أنصارا .
انظر : النسب (٢٧٠ ـ ٢٧٧) ، جمهرة أنساب العرب (٣٣٢ـ ٣٤٦) ، نهايةالأرب في معرفة أنساب العرب(٩٥)

(٣) هم بنو الخزرج أخي الأوس بن حارثة ، وكانوا في يثرب كالأوس قبل الإسلام وبعده.
انظر : النسب (٢٧٧ ـ ٢٨٧) ، جمهرة أنساب العرب (٣٤٦ ـ ٣٦٦) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٦٠) .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير (١/٣٨٩) .

وقد دل كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ على أن الأمم قبلنا كانوا مختلفين ، متنازعين في أمر دينهم ودنياهم ، ومن هذه الأدلة قوله ـ جل وعلا ـ في شأن اليهود : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ○ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٤ ـ ٨٥] .

فهذه الآية دالة على الحال التي كان اليهود عليها من التفرق والاختلاف ، وأمارة ذلك : مايجري بينهم من قتل بعضهم بعضا ، وإخراج بعضهم بعضا من الديار .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عنهم ـ أيضا ـ : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة : ١٧٦] .

فقد بين ـ تعالى ـ في هذه الآية الكريمة أن أهل الكتاب ليسوا على كلمة واحدة ، ولاعلى رأي متفق عليه بين الجميع ، بل إن بينهم شقاقا بعيدا ، يصعب أن يتفقوا بعده على شيء .[1]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر

---

(١) انظر : معالم التنزيل للبغوي (١/ ١٤٢) .

الذي هم فيه يختلفون ﴾ [النمل : ٧٦] .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم ـ أيضا ـ : ﴿ إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [السجدة :٢٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر : ١٤] .

أي : تراهم مجتمعين ، فتحسبهم مؤتلفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف[1]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ [المائدة :١٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾[المائدة : ٦٤] .

وبين ـ تعالى ـ أن سبب الخلاف في الأمم قبلنا ، لم يكن عن

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣٤١/٤) .

جهل منهم ، بل لم يكن إلا بعد مجيء هداية الله لهم ، ولكن الحامل على ذلك هو البغي ، ولذلك لما لم يتصف به المؤمنون من هذه الأمة نجوا مما وقع فيه غيرهم ، وهداهم إلى الحق الذي ضل عنه غيرهم ، كما قال ـ تعالى ـ ، ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [البقرة :٢١٣] .

وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ [آل عمران: ١٩]

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ﴾ [الشورى :١٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [الجاثية : ١٧] .

والآيات في ذلك كثيرة جدا .

ومن الأحاديث قوله ﷺ : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »(١)

وقوله ﷺ : « إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة »(٢)

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها ، فأخذت بيده ، فانطلقت به إلى النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له ، فعرفت في وجهه الكراهية ، وقال : « كلاكما محسن ، ولاتختلفوا ؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا ،

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب شرح السنة ـ (٥/٤) ح٤٥٩٦ ، والترمذي في جامعه ـ كتاب الإيمان ـ باب ماجاء في افتراق هذه الأمة ـ (٥/ ٢٥)ح٢٦٤٠ ، وابن ماجه في سننه مختصرا ـ كتاب الفتن ـ باب افتراق الأمم ـ (٢/ ١٣٢١)ح٣٩٩١ ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦٦) ، وابن حبان في صحيحه ـ كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان ـ ذكر افتراق اليهود والنصارى فرقا مختلفة ـ (٨ /٤٨)ح٦٢١٤ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب الإيمان ـ (١/ ١٢٨) وصححه، وأقره الذهبي من حديث أبي هريرة .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ باب شرح السنة ـ (٥/ ٥) ح ٤٥٩٧ ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٠٢) ، والدارمي في سننه ـ كتاب السير ـ باب في افتراق هذه الأمة ـ (٢/ ٢٤١) ، وابن أبي عاصم في السنة (١) و(٦٥) ، وابن نصر المروزي في السنة (٢٠)ح٥١ ، والآجري في الشريعة (١٨٨) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٠٢) ح ١٥١ ، من حديث معاوية بن أبي سفيان ، وحسن ابن حجر إسناده كما في تخريج الكشاف (ص٦٣) .

فهلكوا »[1]

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : هجرت إلى رسول الله ﷺ يوما فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب »[2]

وقد ذم الله ـ تعالى ـ التفرق في كتابه ، وحذر منه ، وتوعد المتنازعين ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم ﴾ [النساء : ١١٥] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

كما ذمه ﷺ ، وحذر منه ، وبين فضل الاجتماع ، فعن أبي هريرة[3] ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « إن الله يرضى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الخصومات ـ باب مايذكر في الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهودي ـ (٢/٨٨) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ـ (٤/٢٠٥٣)ح٢٦٦٦.

(٣) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي ـ على الصحيح من الأقوال ـ ، صحابي جليل ، مكثر من رواية الحديث عن رسول الله ﷺ ، وكان لاينسى شيئا حفظه ، وذلك ببركة دعائه ﷺ له ، وقد أسلم عام خيبر ، وتوفي سنة ٥٩هـ ، وله ثمان وسبعون سنة .
انظر : طبقات ابن سعد (٢/٣٦٢ ـ ٣٦٤) و (٤/٣٢٥ ـ ٣٤١) ، تاريخ خليفة (٢٢٥ ، ٢٢٧) ، تهذيب الكمال (٣٤/٣٦٦ ـ ٣٧٩) .

لكم ثلاثا : أن تعبدوه ، ولاتشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولاتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم »[1]

وعنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، مات ميتة جاهلية . . . »[2]

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة »[3]

فالفرقة إذاً شر مستطير ، وبلاء خطير ، ما وقع في أمة إلا مزق شملها ، وأوهن قواها ، وأفقر غناها .

وهذا هو السر في كثرة النصوص المحذرة منها ، ومن عواقبها .

وقد علمنا أن هذه الخصلة من خصال أهل الجاهليتين ، وقد قضى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . . . ـ (٣/ ١٣٤٠)ح١٧١٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ـ (٣/ ١٤٧٦)ح١٨٤٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الفتن ـ باب ماجاء في لزوم الجماعة ـ (٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦)ح٢١٦٥ ، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٢) ، والآجري في الشريعة (٧) ، والخطيب البغدادي في تأريخ بغداد (٤/ ٣١٩) .
قال الترمذي ، « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » .

الله ـ تعالى ـ قضاء كونيا ، أن تتبع هذه الأمة سنن من كان قبلها من الأمم ، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ بقوله : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه »

ومن سنن من كان قبلنا الفرقة والاختلاف ، ولقد حق هذا القول على هذه الأمة ، فاختلفت اختلافا كبيرا فاق اختلاف من قبلها من الأمم ولايزال هذا الاختلاف إلى يومنا هذا .

ولو ألقينا نظرة عابرة على العالم الإسلامي اليوم ، لوجدنا أنه في حال لايحسد عليها من الفرقة والاختلاف .

فأهله اليوم في دينهم متفرقون إلى أحزاب وشيع ، فهم مابين معتـــــــزلـــــــة[1] ،

---

(١) المعتزلة إحدى الطوائف الضالة عن الحق ، سميت بذلك ـ على الصحيح ـ لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري نتيجة الاختلاف في حكم مرتكب الكبيرة ، ويدخل تحت هذه الفرقة طوائف كثيرة ؛ وكل طائفة تكفر الأخرى ، ويجمعهم القول بأصول خمسة هي : التوحيد ، ويقصدون به نفي الصفات ، والعدل ، ويقصدون به نفي القدر ، والمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة ، وإنفاذ الوعيد ويقصدون به تخليد مرتكب الكبيرة في النار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقصدون به الخروج على أئمة الجور من المسلمين .
انظر في شانها : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ، والمغني في أبواب العدل والتوحيد له ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين الملطي (٣٥ ـ ٤٣) ، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥ ـ ٢٤٩) ، الفرق بين الفرق (١١٤ ـ ٢٠١) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٧٥ ـ ٧٢) ، التبصير في الدين (٦٣ ـ ٩٥) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٣ ـ ٨٥) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين =

وماتريدية[1] ، وأشعرية[2] ، وإباضية[3] ، ورافضة ، وصوفية . .

= للرازي (٣٨ ـ ٤٥) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١ / ٣٢٥ ـ ٣٥٢) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٤٩ ـ ٦٤) ، خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان لصديق حسن خان (١٥ ـ ٢٣) .

(١) الماتريدية طائفة من طوائف أهل البدع ، وسميت بذلك نسبة لمبتدعها أبي منصور الماتريدي ، وهي مقاربة إلى حد كبير مذهب الأشاعرة ، فهم يقولون بالسبع صفات التي يقول الأشاعرة بإثباتها ، ويزيدون عليهم بإثبات مايسمونه بـ « صفة التكوين » .
انظر في شأنها :التوحيد لأبي منصور الماتريدي ، المسايرة مع شرحها لابن الهمام،الدرة البهية في الفرق بين الأشاعرة والماتريدية لابي عذبة ، الماتريدية دراسة وتقويما لأحمد الحربي ، الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات للشمس الأفغاني، إمام أهل السنة والجماعة أبومنصور الماتريدي وآراؤه الكلامية د . علي المغربي .

(٢) الأشعرية طائفة من طوائف المبتدعة الضالة ، سميت بذلك نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ، وهي نسبة كاذبة ، إلا إذا كان المراد ماكان عليه في طوره الثاني قبل تحوله لمذهب أهل السنة واستقراره عليه ، فنعم ، لهذه الطائفة بدع كثيرة ، منها : الإلحاد في صفات الله ، حيث إنهم لايثبتون سوى سبع صفات هي الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام ، ويزعمون أن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس ، ويقولون بالإرجاء في مسألة الإيمان ، وبما يسمونه الكسب ، وهو الجبر في مسألة القدر .
انظر : الملل والنحل (١/ ٩٤ ـ ١٠٣) ، الخطط (٢ / ٣٥٨) ، خبيئة الأكوان (٥٠ ـ ٥٣) ، وانظر : كتب الأشاعرة ، فهي كثيرة ومطبوعة .

(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج عن الحق ، سميت بذلك نسبة لمؤسسها عبدالله بن إباض ، لها بدع كثيرة ، منها القول بنفي الصفات ، والقول بخلق القرآن ، ونفي الرؤية ، والقول بتخليد مرتكب الكبيرة في النار ، وغير ذلك .
انظر في شأنها : التنبيه والرد (٥٢) ، مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٣ ـ ١٩٢) ، الفرق بين الفرق (١٠٣ ـ ١٠٤) ، التبصير في الدين (٥٨) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥١) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٢٢) ، الخطط (٢/ ٣٥٥) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٢٤ ـ ٢٥) ، خبيئة الأكوان (٤٠) ، الإباضية في موكب التاريخ لعلي يحيى معمر .

وزيدية[1]، ومرجئة[2] . . . الخ[3] ، وأهل الحق فيهم قليل .

أهواؤهم متفرقة ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا وكل طائفة تزعم أن الحق معها ، وأنها تدور معه كيفما دار .

فالاختلاف بينهم في أصول الدين ، فما من مسألة فيه إلا وتجدهم مختلفين فيها ، وكل ذلك نتيجة لابتعادهم عن وحي الله ـ تعالى ـ ، واعتياضهم به غيره .

---

(١) الزيدية : طائفة من طوائف الشيعة الضالة ، سميت بذلك نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين ، وهو من أئمة أهل السنة ، بيد أن أتباعه غلوا فيه ، وهم اقرب طوائف الشيعة إلى أهل السنة ، وهم كالمعتزلة في المعتقد .
انظر في شأنها :مقالات الإسلاميين (١ /١٣٦ـ ١٦٦) ، التنبيه والرد (٣٣ ـ ٣٥) ، الفرق بين الفرق (٢٩ ـ ٣٧) ، الملل والنحل (١/ ١٥٤ ـ ١٦٢) ، التبصير في الدين (٢٧ ـ ٣٠) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٢) ، مذاهب الفرق الثنتين والسبعين فرقة لليافعي (٧٣) ، الخطط (٢/ ٣٥٢) ، خبيئة الأكوان (٣٢) ، الزيدية د . أحمد صبحي ، الزيدية لإسماعيل بن الأكوع ، الزيدية نظرية وتطبيق لعلي بن عبدالكريم شرف الدين .

(٢) المرجئة : طائفة من طوائف أهل البدع ، وسميت بذلك على الصحيح ؛ لأنها تؤخر العمل عن مسمى الإيمان ،ويقولون : لايضر مع الإيمان ذنب ، وأول من قال بالإرجاء الجهم بن صفوان ، والمرجئة أصناف أربعة : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة .
انظر في شأنها :التنبيه والرد (٤٣ـ ٤٦) ، مقالات الإسلاميين (١ /٢١١ـ ٢٣٤) ، الفرق بين الفرق (٢٠٢ ـ ٢٠٧) ، الملل والنحل (١/ ١٣٩ ـ ١٤٦) ، الفصل (٥/ ٧٣ ـ ٩٦) ، التبصير في الدين (٩٧ ـ ٩٩) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠) ، مذاهب الفرق الثنتين والسبعين فرقة (١٣٢ ـ ١٣٥) ، الخطط (٢/ ٣٤٩) ، خبيئة الأكوان (٢٥) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٢٧١ ـ ٢٩٥) .

(٣) انظر : كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد د.عمر الأشقر (٣٨ ـ ٤٦)

كما أنهم في دنياهم متفرقون ، فهم قوميات مختلفة ، كل قوم يدعون إلى قوميتهم ، فالأتراك يدعون إلى التركية ، والأكراد إلى الكردية، والعرب إلى العربية ، والفرس إلى الفارسية ، وهكذا[1]

كما أنهم دويلات ، لايكادون يتفقون على رأي واحد أبدا ، بل الحروب بين كثير منهم قائمة ، حروب تسفك فيها الدماء ، وتهدر فيها الأموال والطاقات ، نتيجة للرغبات والأهواء ،بل إنك تجد أهل البلد الواحد يقتل بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا .

وما أحداث الخليج والصومال وأفغانستان عنا ببعيد .

ومن مظاهر التفرق : وجود مايسمى بـ « الأحزاب السياسية » ، فأنت تجد في كثير من البلاد هذه الأحزاب ، التي يحصل بينها من القتال والتشنيع على بعضها مالايكاد يوصف .

ومن مظاهر التفرق : وجود مايسمى بـ « الجماعات الإسلامية » في بلد حكامه مسلمون ، مع أن الذي أمر الله ـ تعالى ـ به ، وأمر به رسوله ﷺ هو الالتفاف على الحاكم ، والنصح له ، وطاعته في غير معصية الله، وتعظيمه .

كما أن من مظاهر التفرق ـ أيضا ـ : مابين هذه الجماعات نفسها

---

(١) انظر : كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد (٥٣ ـ ٥٤) .

من التفرق والاختلاف والشقاق ، فهذا يدعو إلى طريقته ويوالي فيها ويعادي، وذاك يشنع عليها ، ويبدي عوارها[1] . . . والله المستعان .

وبهذا يتبين أن الفرقة الدينية والدنيوية موجودة اليوم ، كما هي عند أهل الجاهلية ، بل هي أشد[2] .

ومما ينبغي بيانه في هذا المقام أنه ليس كل تفرق مذموما أهله ، بل من التفرق ماهو واجب ، وعليه مدار كلمة التوحيد .

وذلك أنه يُسمع من كثير من الناس ذم بعض من ينادي بوجوب مقاطعة أهل الكفر والبدع ، بحجة أن هذا المنادي يريد تفريق صفوف أبناء الوطن الواحد ، وتمزيق وحدته الوطنية ، ويحتجون بأمر الله ـ تعالى ـ بالاعتصام ، ونهيه عن التفرق .

كما أنه يُسمع من كثير من المبتدعة الدعوة إلى توحيد صفوف من ينتمي إلى الإسلام ، مهما اختلفت عقائدهم ، وبلغت بدعهم ، ورمي من ينادي بهجرهم بإرادة تفريق صفوف المسلمين ، وتمزيق وحدتهم[3] .

---

(١) انظر في مضار الأحزاب على جماعة المسلمين : حكم الانتماء ، لبكر أبو زيد (١٣٥ـ ١٥٢)

(٢) انظر في مسألة الفرقة والاختلاف : إتمام النعمة في ذم اختلاف الأمة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بن أحمد بن بشير بادي .

(٣) انظر ماكتبه مجلس قسم الحديث بجامعة الأزهر مدافعين به عن مؤلف كتاب « مفاهيم يجب أن تصحح » ومهاجمين فيه فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئة كبار =

كما أن هذا يوجد ـ أيضا ـ في بعض الجماعات التي ليس همها سوى تكثير السواد ، دون النظر إلى معتقد الرجل ، بل ربما قدم فيها بعض غير المسلمين الذين يظهرون تعاطفا لهذه الجماعة على مسلم سلفي صحيح المعتقد ؛ لكونه لاينتمي لهذه الجماعة .

وهذه ـ والله ـ إحدى الكبر ، والضلال المبين ، فأي فائدة ترجى من جماعة لاتميز بين أهل كلمة التوحيد وغيرهم ، وبين أهل السنة والجماعة وغيرهم .

ولاريب أن هذا تنزيل للأدلة في غير محلها ، وجهل بدين الله ـ تعالى ـ وكتابه ، وافتراء للكذب عليه .

وعليه ، فيقال إن التفرق نوعان :

أحدهما : مذموم ، وهو الذي ذم الله ـ تعالى ـ فيه الطائفتين جميعا، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة :١٧٦] .

وهذا الاختلاف ماكان سببه ـ غالبا ـ فساد النية ، أوجهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يُتنازع فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد إليه ، أوالجهل بما مع الطائفة الأخرى من الحق .

= العلماء في هذا البلد الكريم ، وذلك في آخر الكتاب المذكور ، وانظر ماكتبه عبد الله كنون للغرض نفسه في آخر الكتاب نفسه .

النوع الثاني : اختلاف محمود ، وهو ماحمد فيه طائفة ، وذم فيه أخرى ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ماقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

ففي هذه الآية ذم لطائفة ، وهم الكفار ، وحمد لطائفة أخرى ، وهم المؤمنون[١].

وبهذا يتبين أن من يدعو إلى هجر أهل البدع والكفر، ومقاطعتهم ليس مذموما ، بل هو محمود على كل حال ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/١٢٦ ـ ١٣٣) .

أن[1] مخالفة ولي الأمر ، وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة له[2] ذل[3] ومهانة ، فأمر بالسمع والطاعة لهم[4] والنصيحة ، وأمر بالصبر على جور الولاة[5]، وغلظ في ذلك ، وأبدى[6]، وأعاد .

وهذه الثلاث[7] هي[8] التي جمع بينها فيما صح[9] عنه[10] في الصحيحين أنه قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه[11]، ولاتشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، ولاتفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » .

---

(١) « أن » ساقطة من (أ) .
(٢) « له » ساقطة من (أ) و (ب) و (جـ) و (هـ) .
(٣) في (أ) : « مذلة » .
(٤) « لهم » ساقطة من (أ)
(٥) في بقية النسخ : « فخالفهم رسول الله ﷺ ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة » .
(٦) في (جـ) : « وأبدى فيه » .
(٧) في (ب) : « الثلاثة » .
(٨) « هي » ساقطة من (أ) و (ب) و (جـ) و (هـ) .
(٩) في بقية النسخ « ذكر » .
(١٠) « عنه » ساقطة من (أ) و (هـ) .
(١١) في (جـ) : « أن تعبدوا الله » .

ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أوبعضها.

في هذه المسألة بيان لماوقع فيه أهل الجاهلية الأميون والكتابيون من الفوضى، وشتات الأمر حين أنفوا أن يكون لهم إمام ينقادون لأمره ، ويسوس دنياهم ، ويقوم على مصالحهم ، ويرعى شؤونهم ؛ لأنهم كانوا يعتبرون ذلك ذلا ومهانة .

ثم بين مخالفة رسول الله ﷺ لهم في هذه المسألة ، فبين أنه أمر بالصبر على جور الولاة ، بحيث يصبر على مايناله منهم من أذى في نفسه وماله ، فلاينتقم لنفسه بالخروج عليهم ، ونزع يد الطاعة ، بل يسمع ، ويطيع لهم ، مالم يكن ذلك في معصية الله .

كما بين أن من مخالفة رسول الله ﷺ لهم أمره بالنصح للأئمة .

والمراد بالنصح لهم ، هو حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراقها عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله - عز وجل - والبغض لمن رأى الخروج عليهم ، وحب إعزازهم في طاعة الله - تعالى - ، ومعاونتهم على الحق ، وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب

عليهم .[1]

فهذا هو النصح لأئمة المسلمين ، الذي غلظ النبي ﷺ في أمره ، وشدد .

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله ﷺ :« إن الله يرضى لكم ثلاثا . . . الحديث » على المسائل الثلاث سابقة الذكر ، وبين أن رسول الله ﷺ جمع بينها في حديث واحد ؛ ليبين أن جماع مايقع من الناس من الخلل في الدين أو الدنيا ، إنما سببه التفريط ، والتهاون بهذه المسائل مجتمعة ، أو بواحدة منها ، فربما يقع من الناس إخلال بها كلها ، كما كان عليه أهل الجاهلية ، فإنهم جمعوا بين الشرك، وبين الفرقة والاختلاف ، وبين عدم مراعاة حقوق الأئمة ، وربما يقع من الناس تهاون ببعضها ، كالتهاون بالشرك ، أو الفرقة ، أو حقوق الأئمة ، فمن وقع في واحدة منها ، فقد وقع في دينه ودنياه خلل بقدر ماتهاون به .

وقوله ﷺ : « أن تعبدوه ، ولاتشركوا به شيئا » دليل على المسألة الأولى .

---

(١) انظر : تعظيم قدر الصلاة لابن نصر المروزي (٢ / ٦٩٣ ـ ٦٩٤) ، جامع العلوم والحكم لابن رجب (٦٩ ـ ٧٠) .

ووجه الاستدلال منها ، أن الله ـ تعالى ـ أمر بعبادته وحده ، ونهى عن الشرك ، ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ، فقد أشرك بالله ، ولم يخلص العبادة له وحده ،فلم يتحقق له دينه ، بل أوقع فيه الخلل ، بسبب إخلاله بهذا .

وقوله ﷺ :« وأن تعتصموا بحبل الله جميعا،ولاتفرقوا » دليل المسألة الثانية

ووجه الاستدلال منه ، أن الله ـ تعالى ـ أمر بالاجتماع ، ونهى عن الفرقة .

وقوله ﷺ : « وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » دليل المسألة الثالثة .

ووجه الاستدلال منه أن الله ـ تعالى ـ أمر بالنصح لولي الأمر ، والنصح ـ كما سبق قبل قليل ـ يقتضي السمع والطاعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وذكر جملة أحاديث في هذا الشأن ـ : « فقد جمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أولي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، وهذه الأصول تجمع أصول الدين وقواعده ، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده ، وتنتظم مصالح الدنيا

والآخرة »[1]

وقد جاء عن رسول الله ﷺ مايبين أن أهل الجاهلية ليس لهم إمام ينقادون له،ويأتمرون بأمره ، فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبرا ، فمات ، إلا مات ميتة جاهلية »[2]

قال النووي : « ميتة جاهلية : بكسر الميم ، على صفة موتهم من حيث هم فوضى ، لاإمام لهم »[3]

وقال ابن حجر[4] : « والمراد بالميتة الجاهلية ، حالة الموت ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ـ (٨/ ١٠٥) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . . . ـ (٣/ ١٤٧٧) ح١٨٤٩ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٢٣٨) .

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، الشهير بالحافظ ابن حجر ، له معرفة بالأحاديث وعللها ، والرجال ، ولد سنة ٧٧٣هـ ، له مؤلفات منها : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تهذيب التهذيب ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ .
انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٢/ ٣٦) ، لحظ الألحاظ لابن فهد (٣٢٦ ـ ٣٤٣) ، ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣٨٠) ، درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاص (١/ ٦٤) .

كموت أهل الجاهلية على ضلال ، وليس لهم إمام يطاع ؛ لأنهم كانوا لايعرفون ذلك»[1]

وقال العيني[2]: « أي : كموت أهل الجاهلية ، حيث لم يعرفوا إماما مطاعا »[3]

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ، ولاحجة له ، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليه »[4]

وكان العرب يفتخرون بكونهم لقاحا ، واللقاح الذين لم يدينوا للملـــــــــــــــوك ، ولـــــــــــــــم

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/١١٢) .

(٢) هو محمود بن أحمد بن موسى العيني ، فقيه حنفي ، ولد سنة ٧٦٢هـ ، له مؤلفات منها ، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان ،وقد توفي سنة ٨٥٥هـ .
انظر : الضوء اللامع (١٠/١٣١ـ ١٣٥) ، شذرات الذهب لابن العماد (٧/٢٨٦ـ ٢٨٨) ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٤٧٣ـ ٤٧٤) .

(٣) عمدة القاري للعيني (٢٠/ ٦٠) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الأمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين . . . (٣/١٤٧٨) ح١٨٥١ .

يملكوا[1]

وفي هذا يقول عمرو بن كلثوم :

وأيـام لنـا غـر طـوال   عصينا الملـك فيهـا أن نـدينـا[2]

ومما يدل على أن أهل الكتاب كانوا يستعصون على الملوك ، ماحكاه الله ـ تعالى ـ عن بني إسرائيل بقوله ﴿ أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ [البقرة :٢٤٧] ولما نهاهم عن الشرب من النهر ، عصوه ، وشربوا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾ [البقرة :٢٤٩]

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فأوجب تنصيب إمام للمسلمين ، يقوم على مصالحهم ، ويرعى شؤونهم

(١) انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي (٢/ ١٧١) وانظر : تهذيب اللغة للأزهري ، مادة « لقح » ، (٤/ ٥١) ، الصحاح للجوهري ، نفس المادة (١/ ٤٠١)، لسان العرب لابن منظور ، نفس المادة ، (٣/ ٥٨٣) .

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم (١٢٣) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (٢٨١) ، شرح المعلقات للتبريزي (٢٦٢) ، شرح المعلقات لابن النحاس (٢/ ٩٨)

يسمعون له ويطيعون ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء :٥٩] .

وأولو الأمر هم الأمراء كما فسرها بذلك أبوهريرة[(١)] وغيره .

وقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[(٢)]

وقال ﷺ : « على المرء السمع والطاعة ، فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فلا سمع ولاطاعة »[(٣)]

وعـــــن عـــــوف بـــــن

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة النساء ـ (١٢٨٧) ، ح٦٥٢ ،وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجهاد ـ باب ماجاء في طاعة الأمير والخلاف عنه ـ (١٢ / ٢١٢ ـ ٢١٣) ح١٢٥٧٧ و (١٢ / ٢١٤ـ ٢١٥) ح١٢٥٨٥ ، وابن جرير في تفسيره (٥ / ١٤٨) ،وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٧٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٠٢) من رواية ابن جرير .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ـ (٨/ ١٠٥) عن أنس بن مالك ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ـ (٣/ ١٤٦٨) ح١٨٣٨ من حديث أم الحصين .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأحكام ـ باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ـ (٨/ ١٠٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ـ (٣/ ١٤٩٦) ح١٨٣٩ عن عبدالله بن عمر .

مالك[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ، ويبغضونكم ، وتلعنونهم ، ويلعنونكم» فقلنا : يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك ؟ قال : «لا، ماأقاموا فيكم الصلاة ، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله ، فليكره مايأتي من معصية الله ، ولاينزع يدا من طاعة »[2]

فتأمل كيف منع رسول الله ﷺ من الخروج على الأئمة مع وجود هذه الحال التي استشرى فيها فسادهم ، مما يعني قبح الخروج على الأئمة ، وشناعته .

وقد حث رسول الله ﷺ على مناصحة ولاة الأمر ، فعن تميم الداري[3] ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « الدين

---

(١) هو عوف بن مالك الأشجعي ، صحابي جليل ، كانت معه راية أشجع يوم فتح مكة ، روى عنه ، أبو هريرة ، وجبير بن نفير ، وغيرهما ، وتوفي سنة ثلاث وسبعين .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٠) ، تاريخ خليفة بن خياط (٢٦٩) ، تهذيب الكمال (٢٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب خيار الأئمة وشرارهم ـ (٣/ ١٤٨١)ح١٨٥٥ .

(٣) هو تميم بن أوس بن خارجة الداري ، صحابي جليل ، أسلم سنة تسع للهجرة ، وروى عنه ﷺ قصة الجساسة ، وهي منقبة شريفة لتميم ،وجد على بلاطة قبره أنه مات =

النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟قال : « لله، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »[1]

والأدلة في ذلك كثيرة جدا .

وقد بقي مما يجب ذكره هنا بيان المخالفين في هذه المسألة في هذا العصر ، فنقول : لقد خالف في مسألة الحاجة إلى تعيين من يقوم بمصالح الناس طائفتان هما :

أولا : الفوضويون ، وهم أصحاب المذهب الفوضوي ، وهو مذهب سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي ، فلسفي ، يوجد بأمريكا وأوربا[2] وضع أسسه باكونين ميخائيل[3] ينادي بإلغاء كل سلطة تشريعية

= سنة أربعين .
انظر : طبقات ابن سعد (٧/٤٠٨) ، طبقات خليفة (٧٠ ، ٣٠٥) ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٥/٣٠٧ - ٣٢٢) ، سير أعلام النبلاء (٢/٤٤٢- ٤٤٨) .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان أن الدين النصيحة - (١/ ٧٤)

(٢) انظر : دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (٧/ ٥٥٢) ، الموسوعة العربية الميسرة بإشراف محمد شفيق غربال (١٣٣٤) .

(٣) هو باكونين ميخائيل ، فيلسوف روسي الأصل ، مادي ، معطل ، ينكر وجود الله ، ووجود النفس ، ولد سنة ١٨١٤ وسافرإلى فرنسا ، وقابل برودون زعيم الاشتراكيين ، له مؤلفات منها : الله والحكومة ، في التعاون ، وقد توفي سنة ١٨٦٠ .
انظر : الفوضوية لهنري أرفون ، ترجمة هنري زغيب (٥٢- ٦٠) مجلة المقتطف المصرية الصادرة في ٢٩/ ١/ ١٣١٢هـ (ص٧٢٧ - ٧٢٩) ، مجلة عالم الفكر ، الصادرة =

كانت ، أوتنفيذية ، وإحلال منظمات تلقائية للجماهير محلها[1]لأن وجود السلطات في نظرهم يكبت أسمى مطالب الحياة ، وأحبها إلى النفس ، وهي الحرية الاجتماعية والاقتصادية[2]، كما أنهم يعتقدون أن وجود السلطة لن يعود بالنفع إلا على أقلية مسيطرة ، ومستغلة ، وهي الحكومة[3]، وفي هذا يقول باكونين : « إننا نرفض كل تشريع ، وكل سلطان ، وكل تأثير امتيازي ، رسميا كان أوقانونيا ، حتى ولو كان صادرا عن انتخاب عام ؛ لأننا واثقون بأن هذا التأثير لن يعود إلا بالمصلحة على أقلية مسيطرة ومستغلة »[4]

فهم يرفضون أي حكومة ، ولو كان الشعب هو الذي رضيها ، وقبلها .

= بتاريخ ٢/يوليو/١٩٧٠هـ (ص٢١٩ـ ٢٤٠) ، مقال علي أدهم ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، الصادرة عام ١٩٨٣(ص٦٢ـ ٦٩) مقال بقلم أدونيس العكرة ، الموسوعة العربية الميسرة (٣١٥) .

(١) انظر : السلطة السياسية لعبد الله ناصف (٤٨)

(٢) انظر : مجلة عالم الفكر الصادرة بتأريخ ٢/يوليو/١٩٧٠(ص٢١٩)

(٣) انظر : مجلة الفكر العربي المعاصر ، الصادرة عام ١٩٨٣(ص٦٣) مقال أدونيس العكرة .

(٤) مجلة الفكر العربي المعاصر ، الصادرو عام ١٩٨٣(ص٦٣) مقال أدونيس العكرة ، وانظر : الفوضوية (٧٢ ـ ٨٠) .

ثانيا : الماركسيون ، وهم أصحاب المذهب الماركسي ، الذي وضع أصوله كارل ماركس[1]، وهؤلاء يعرفون الدولة بأنها « آلة ، أو أداة في يد طبقة لقهر طبقة أخرى ، وهي كذلك في كل العصور التي مرت بها ، وهي - أيضا - كذلك أيا كان النظام الذي تقوم فيه : جمهوريًا كان ، أو ديمقراطيًا ، أو ملكيًا »[2]

فهم ينظرون إلى الدولة على أنها تجسيد لاستغلال الإنسان للإنسان ، ولكي يتحرر الإنسان من ذلك ، لابد من زوال الدولة ، وزوال الدولة لن يكون إلا بظهور مايسمونه « دكتاتورية البروليتاريا » وهي مرحلة الشيوعية ، التي تعقب الثورة العمالية ، فإذا ظهرت هذه الثورة ، ونجحت ، لم يبق للدولة وجود ، لعدم الحاجة إليها .[3]

---

(١) هو كارل هنريك ماركس ، فيلسوف ألماني الأصل ، ملحد معطل ، ولد سنة ١٨١٨، وكون فلسفة إلحادية عمادها مادية فيورباخ ، وجدلية هيجل ، مع ماضم إليها من القوانين الأربعة ، ونادى بالشيوعية في كل شيء ، له مؤلفات ، منها : رأس المال ، البيان الشيوعي ، وقد توفي سنة ١٨٨٣م .
انظر : الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام للعقاد (٢٨- ٦٨) ، النظرية الماركسية في ميزان الإسلام د. أمير عبدالعزيز (٧- ٩) ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د. عبدالرحمن عميرة (١٨٥ - ١٨٧) ، كواشف زيوف لعبد الرحمن الميداني (٤٣٩ - ٤٤٠) .

(٢) انظر : السلطة السياسية (٤٩)

(٣) انظر : المصدر السابق (٥٦- ٦٠) .

هكذا تنظر هاتان الطائفتان إلى الحكومة ، فهي - عندهم - استبداد ، واستغلال ، وفرض سيطرة ، وطبقية .

وإن مما يؤسف عليه أن تجد هذه الفكرة قبولا عند بعض الإسلاميين ، فنجد أحد علماء الأزهر سابقا وهو علي عبدالرازق[١] ينفي أن يكون في الإسلام مايدل على نظام الحكم أصلا .

وقد رد عليه العلماء ، وفندوا مقالته تلك ، وطرد بسببها من زمرة العلماء ، وفصل من القضاء[٢]

وممن يرى الخروج على أئمة الجور في هذا العصر الإباضية من الخوارج ، وجماعة التكفير والهجرة[٣]

---

(١) هو علي بن حسن بن أحمد بن عبدالرازق ، عالم مصري ، ولد سنة ١٣٠٥، وتعلم بمصر ، ثم بأكسفورد ، كان عضو جماعة كبار العلماء بمصر ، ثم طرد منها بعد أن اظهر رأيه في الحكم ، له مؤلفات ، منها ، الإسلام وأصول الحكم ، الإجماع في الشريعة الإسلامية ، وقد توفي سنة ١٣٨٦هـ .
انظر : الأعلام (٤/٢٧٦) .

(٢) انظر : حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم ، حكم مجلس تأديب القضاة الشرعيين في وزارة الحقانية .

(٣) انظر : دراسةعن الفرق في تأريخ المسلمين د. أحمد جلي (١٠٨) .
وجماعة التكفير والهجرة : جماعة تسمي نفسها « جماعة المسلمين » نشأت في أواخر السبعينيات على يد مصطفى شكري الذي كان أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ، ثم انشق عنهم ، قتل هو وزملاؤه عام ١٩٧٨بتهمة قتلهم الدكتور الذهبي وزير أوقاف =

وإن من مظاهر الخروج على الأئمة : وجود مايسمى بـ « الجماعات الإسلامية » في بلد يحكمها حاكم مسلم ، والافتيات عليه ، والنيل من عرضه ، والتهوين من شأنه ، وإذا كان النيل من العرض لايجوز في أفراد المسلمين ، فكيف بمن أوجب الله ـ تعالى ـ طاعته في غير معصية لله ؟ .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة : وجود الرافضة الذين هم أعظم الناس مشاقة للأئمة ؛ لاعتقادهم عدم صحة إمامة غير المعصومين ، حتى وإن كان هذا الإمام غير جائر ، ويدعو إلى الحق(١) .

= مصر سابقا ، ومن أهم مقالات هذه الجماعة : التكفير بالكبيرة ، والقول بوجوب الخروج على أئمة الجور .
انظر : الحكم بغير ماأنزل الله وأهل الغلو لمحمد سرور (٣٠٤) ، دراسة عن الفرق في تأريخ المسلمين (١١٠ـ ١١١)

(١) انظر : منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١١٤ـ ١١٥) التقريب بين أهل السنة والشيعة د. ناصر القفاري (١/ ٣١٠) .

الرابعة

أن دينهم مبني على أصول : أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار : أولهم وآخرهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك[1] من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون[2] ﴾ [الزخرف : ٢٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير[3] ﴾ [لقمان : ٢١] ، فأتى[4] بقوله : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة[5] ﴾[سبأ : ٤٦] وقوله : ﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون[6] ﴾ [الأعراف : ٣] .

---

(١) ﴿ من قبلك ﴾ ساقط من الأصل .
(٢) من قوله : ﴿ إنا وجدنا ﴾ إلى آخر الآية ساقط من (أ) .
(٣) ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ ساقط من (أ) .
(٤) في بقية النسخ « فأتاهم » .
(٥) ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ ساقطة من (أ) و (ب) و (د) و (هـ) .
(٦) ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ ساقط من (أ) وفي (هـ) « تتذكرون » وهو خطأ .

يبين المؤلف رحمه الله في هذه المسألة أصلا كبيرا من أصول أهل الجاهلية التي يعظمونها ، ولايمترون في صحتها ، وهذا الأصل هو : التقليد .

والتقليد - كما عرفه أهل العلم - : اتباع من لم يقم باتباعه حجة ، ولم يستند إلى علم[1] ، وقبول القول بغير دليل[2] .

وأهل الجاهلية : الأميون والكتابيون قد اتبعوا من لم يقم باتباعه حجة ولادليل،كاتباعهم الآباء والأجداد والأحبار والرهبان ، وتعصبوا لهم ، بل هم حجتهم الكبرى ، ودليلهم الأعظم .

ولذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات والهدى ، ودعوهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده ، وتركماينافي ذلك ، وكان دين الآباء مخالفا لما جاءت به الرسل ، تعصبوا لدين آبائهم مع معرفتهم بطلانه ، ولم يقبلوا ماجاءت به الرسل من الهدى ودين الحق ، وقالوا ماأخبر الله - تعالى - به عنهم : ﴿ تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾[إبراهيم: ١٠] .

ولأهمية هذه المسألة وعظم شأنها ، ذكرها الإمام هنا ، وبين

---

(١) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي (٣/ ٢٧١) .
(٢) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى (٤/ ١٢١٦) ، المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (٤٦٢) .

منزلتها عند أهل الجاهلية ، فأوضح أنها الأصل العظيم عند جميع الكفار المتقدمين والمتأخرين ، ثم بين موقف الإسلام من هذا الأصل ، وكيف عالجه بأنجع علاج وأحسنه .

وقد استدل رَحِمَهُ اللَّهُ على وجود هذه الخصلة عندهم كلهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاقال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : دلالة العموم فيها ، وذلك أن ﴿قرية﴾ و ﴿ نذير ﴾ نكرتان وقعتا في سياق النفي ، والنكرة في سياق النفي من صيغ العموم[1] ، فدل هذا على أن هذه الحجة قالها كل من أرسل إليهم ، فهي قاعدة عندهم كلهم .

كما استدل على وجودها فيهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ .

ووجه الاستدلال منها : هو إخبار الله ـ تعالى ـ عن امتناع المشركين من اتباع الوحي المنزل ، واستعاضتهم به ماوجدوا عليه

---

(١) انظر : المستصفى في الأصول للغزالي (٢/ ٩٠) ، المغني في أصول الفقه للخبازي (١١٦) ، المسودة (١٠١) ، تيسير التحرير لأمير باد شاه (٢١٩/١)، شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣/ ١٣٦) .

آباءهم ، وهذا هو التقليد .

وقد استدل على وجوب الاتباع ، ولزوم ترك التقليد بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ أمر بالتفكر فيما جاء به الرسول ﷺ ، والتقليد ليس فيه تفكر ، وإنما هو أخذ القول عاريا من ذلك كله .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ أمر باتباع المنزل على أنبيائه ورسله ، ونهى عن اتباع غيرهم ؛ لأن الأنبياء معهم الحجج والبراهين ، بخلاف غيرهم .

قال القرطبي رحمه الله : « دلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص »[1]

وقد جاءت النصوص من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ مبينة تخبط أهل الجاهلية في ظلمات التقليد ، وتعاميهم عن النظر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٦١) .

الصحيح .

قال ـ تعالى ـ مبينا احتجاج قوم نوح ﷺ بالتقليد : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [المؤمنون : ٢٤]

ولما بعث الله ـ تعالى ـ نبيه هودا إلى قومه ، كانت الإجابة هي نفسها إجابة قوم نوح ﴿ أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ [الأعراف: ٧٠] .

وهذا نبي صالح ﷺ يواجهه قومه بهذه الحجة الداحضة ، ويتهمونه في عقله ، ويردون عليه دعوته[1] ويقولون له : ﴿ ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذه أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾[هود: ٦٢] .

وفي غمرة دعوة الخليل أباه وقومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده يجابه بهذه الحجة ، فيقول له قومه مبينين سبب إصرارهم على عبادة الأصنام : ﴿ وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾[الأنبياء : ٥٣] ﴿ وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ [الشعراء : ٧٤] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٢) .

فلم يكن ثمة سبب لعبادتها غير وجدان الآباء على ذلك .

وهذا الكليم موسى بن عمران ﷺ يقول له الفراعنة : ﴿ أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ﴾ [يونس : ٧٧] ، ويقولون: ﴿ ماهذه إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [القصص:٣٦] .

ولما امتن الله ـ تعالى ـ على بني إسرائيل بإنجائهم من الطغاة: فرعون وقومه ، لم يشكر أكثرهم لربه هذه النعمة ، بل قابلوها بالكفر ، وبدأ داء الأمم قبلهم يسري فيهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ [الأعراف :١٣٨].

وترجموا هذا الطلب بتقليدهم السامري في عبادة العجل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون أن لايرجع إليهم قولا ولايملك لهم ضرا ولانفعا ○ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ [طه : ٨٨ ـ ٨٩] .

وأخبر - تعالى - أنهم قلدوا الكفار قبلهم في نسبة الولد لله - عز وجل - فقال : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وتأصل فيهم هذا الداء حتى بعد مبعث نبينا محمد ﷺ ، فإنه ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام ، ورغبهم فيه ، وحذرهم عذاب الله ونقمته ، قالوا له : « بل نتبع - يامحمد - ماوجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وأخير منا » فأنزل الله - تعالى - : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠] كما ذكر ذلك ابن عباس[١] .

ومما يدل على كونه قاعدة كبرى عندهم : قوله ﷺ : « لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود »[٢] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٨/٢) ، وابن إسحاق في السيرة ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٦٧/١) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب مناقب الأنصار - باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة - (٢٩٦/٤) ، ومسلم بنحوه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب نزل أهل الجنة - (٥٨/٨) .

قال ابن حجر في شأن العشرة : « والذي يظهر أنهم كانوا ـ حينئذ ـ الرؤساء ، ومن عداهم تبعا لهم »[1] .

ولم يكن العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ بأحسن حال ممن سبقهم ، بل فاقوا غيرهم في إعمال هذه الحجة ، والاعتماد عليها ، فقد امتنعوا من اتباع ماأنزل الله ـ تعالى ـ بحجة أن ماوجدوا عليه آباءهم كاف لهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ﴾[المائدة :١٠٤] .

وامتنعوا من قول « لاإله إلا الله » لأنهم لايعرفون ذلك من آبائهم الغابرين .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ۝ ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلااختلاق ﴾ [صٓ : ٦ ـ ٧] .

واستسهلوا الفواحش ؛ لأنهم عهدوا عليها الآباء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ [الأعراف :٢٨] .

---

(١) فتح الباري (٥٨/٨) .

وكانوا يعيرون من فارق ماعليه الآباء والأجداد ، وإن كان هو صاحب الحق ؛ ولذلك امتنع أبو طالب[1] من اتباع النبي ﷺ خشية من ذلك ، وآثر الباطل والنار على الحق والجنة ،مع علمه بصدق النبي ﷺ .

قال المسيب بن حزن[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ : « لما حضرت أباطالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل[3] وعبد الله بن أبي أمية[4]

---

(١) هو عبدمناف بن عبد المطلب بن هاشم ، عم المصطفى ﷺ ، وكافله بعد جده عبد المطلب ، مات على الكفر بعد البعثة بعشر سنين ، وعمه بضع وثمانون سنة .
انظر : طبقات ابن سعد (١/١١٩ ـ ١٢٤) ، البداية والنهاية(٣/ ١٣٤ ـ ١٣٩)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري (١/١٩٩) .

(٢) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، صحابي جليل ، روى عنه ابنه سعيد ، وتوفي في خلافة عمر .
انظر : طبقات خليفة (٢٠) ، التاريخ الكبير (٧/٤٠٦ ـ ٤٠٨) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

(٣) هو عدو الله ورسوله ، فرعون هذه الأمة ، عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، يكنى أباالحكم ، فكناه رسول الله ﷺ : أبا جهل ، فلزمته هذه الكنية ، كان شديد الإيذاء لرسول اللهﷺ ، وقتل يوم بدر كافراً .
انظر : سيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير (١٩٢ ـ ١٩٣) ، المنمق في أخبار قريش (٣٨٩) ، البداية والنهاية (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٨) .

(٤) هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، كان شديد الإيذاء للمسلمين ، حتى ألقى الله في قلبه الإيمان ، فهاجر إلى النبي ﷺ قبيل الفتح ، واستشهد في =

فقال : « أي عم اَقل : لاإله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله » ، فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية : « أترغب عن ملة عبد المطلب[1] ؟ » فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويصدانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ماكلمهم : « هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لاإله إلا الله »[2] .

ولما كانت هذه الخحجة بهذه المثابة من الخطر ، فإن الله ـ تعالى ـ لم يدعها هكذا دون علاج ، فحكمته ـ وهو العليم الحكيم ـ تأبى ذلك ، فأرشد ـ جل وعلا ـ إلى خير علاج لها ، وهو التأمل والتفكر وإعمال الرأي ، واتباع ماجاءت به رسله .

قال ـ تعالى ـ مرشدا إلى تأمل آياته الكونية : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وماأنزل الله من السماء

= غزوة الطائف .

انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) ، أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨) ، الإصابة لابن حجر (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) .

(١) عبد المطلب ، اسمه شيبة بن هاشم بن عبدمناف ، جد النبي ﷺ ، وكافله إلى أن مات ، وكان صاحب الرفادة بمكة ، وذا عقل رجيح ، توفي سنة ٤٥ ق.هـ تقريبا .

انظر : طبقات ابن سعد (١/ ٨١ ـ ٩٤) ، تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٥١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ـ (٦/ ١٧) .

من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾[البقرة : ١٦٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ○ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران : ١٩٠ـ ١٩١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ○ وإلى السماء كيف رفعت ○ وإلى الجبال كيف نصبت ○ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [الغاشية : ١٧ ـ ٢٠] .

والنصوص في ذلك كثيرة جدا .

وقال ـ تعالى ـ مرشدا إلى تأمل آياته الشرعية : ﴿ أفلا يتبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] [محمد : ٢٤] .

وتوعد ـ تعالى ـ من أعرض عن ذلك ، فقال : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ [الكهف : ٥٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة

ضنكا ○ ونحشره يوم القيامة أعمى ○ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ○ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٠٠ ـ ١٠٣] .

وعاب ـ تعالى ـ على الكفار الجهل وعدم العلم ، ووصفهم بالصمم والعمى والبكم ، وبكونهم لايعقلون ، وطالبهم بالبرهان على مايدعون ، وكل هذا إبطال للتقليد(١) .

وبين ـ جل وعلا ـ أن الاعتماد على شبهة التقليد الزائفة ، واعتقاد كونها منجية عنده : أمر خطير ، مؤذن بالهلكة ، وبين بطلان ذلك الاعتقاد بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ○ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار ﴾ [البقرة:١٦٦ـ١٦٧] .

فقد بين ـ تعالى ـ أن هؤلاء المتبوعين بلاحجة ولابرهان ، لما رأوا مارأوا من العذاب ، تبرأوا ممن تبعهم في وقت حاجتهم إليهم أشد منها في أي وقت آخر .

---

(١) انظر : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٨/ ٢٨٨) .

وبين ـ جل وعلا ـ شدة عداء المقلَّد للمقلِّد في النار في آيات كثيرة من كتابه الكريم ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ○ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ ـ ٦٨] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ○ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ○ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما راوا العذاب ﴾[سبأ : ٣١ ـ ٣٣] .

والأدلة الواردة في ذم التقليد كثيرة جدا[١] .

وإنه مع وضوح الأدلة على خسران المقلد وضلاله ، لايزال

---

(١) انظرها بتوسع في : الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/٦٦ـ ٦٧) ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٤٣٧ ـ ٤٥٨) ، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للشوكاني (٤٨ ـ ٥٥) ، البرهان الساطع في تبروء المتبوع من التابع لمحمد بن سلطان الخجندي (١٦ ـ ١٨) و (٣٠ ـ ٤٦) ، القول الأسمى في ذم الابتداع والتقليد الأعمى لسليم السالم (٥٩ ـ ٦٥) .

كثير من المنتمين إلى الإسلام مستمسكين به أعظم من استمساكهم بالكتاب والسنة .

وإن أعظم من يتمسك بالتقليد : المتصوفة والرافضة ـ أخزاهم الله ـ ، مع أنه « لاتكاد تجد طائفة من طوائف الابتداع تخلو من ذلك »(١) .

فالمتصوفة يرون أنه لايجوز الإنكار على المشايخ أمرا فعلوه ، ولو كان مخالفا للشريعة ، ويرون من ينكر عليهم خارجا عن طريقتهم ، بل ربما قالوا : عن الإسلام ؛ وذلك لأن المشايخ في نظرهم لايمكن أن يفعلوا مايخالف الإسلام(٢) ، وأوجبوا على المريدين التسليم الكامل لهم ، حتى ولو كان فيه مخالفة يراها المريد(٣) .

---

(١) حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (١/٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

(٢) انظر : الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعراني (٣/١١٣) ، الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية للشعراني (١٦٤ ـ ١٦٦) ، الدرة الخريدة في شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا السنوسي (٣/١٠٧) ، قانون طريقة السادة الأحمدية الشاذلية بالديار المصرية لسلامة الراضي (٨) ، سيدي أحمد الدردير (١١٩) ، الإلهام النافع لكل قاصد لصالح الجعفري (٥٢ ـ ٥٣) ، التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شفقة (١٤٠ ـ ١٤٥) .

(٣) انظر : إيقاظ الهمم في شرح الحكم لأحمد بن عجيبة الحسني (١٧٥ ـ ١٧٧) .

وعندهم : لايجوز أن يقول المريد لشيخه : لم ؟ وعلى هذا أجمع مشايخ الصوفية كلهم[(١)] ، كما لايجوز أن يقول له : لا[(٢)] .

ولابد ـ عندهم ـ أن من الاعتقاد بأن كل مايقوله الشيخ هو عين الصواب[(٣)] ، كما أنهم يرون أنه يجب على المريد أن يترك مخالفة الشيخ في الظاهر والاعتراض عليه في الباطن[(٤)] .

وبالجملة قالوا : لابد أن يكون المريد بين يدي شيخه ، كالميت بين يدي غاسله[(٥)] .

فهذا خلاصة لرأي المتصوفة في هذه المسألة ، ولاريب انه اعتقاد خطير خبيث ، حقيقته : تنحية كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، والدعوة إلى اتباع من لم يأمر الله ـ تعالى ـ ولارسوله ﷺ باتباعه ، بل الدعوة في كثير من الأحايين إلى اتباع الملاحدة والزنادقة من شياطين المتصوفة .

---

(١) انظر : الأنوار القدسية (١٤٢) .
(٢) انظر : عوارف المعارف للسهروردي (٤١٠) .
(٣) انظر : الغنية للجيلاني (٢/١٦٧) ، الإبريز من كلام عبد العزيز الدباغ (٣٦٩) .
(٤) انظر : الغنية (٢/١٦٤) ، الرسالة القشيرية (١٨٢) .
(٥) انظر : تحفة السالكين لمحمود القادري (٢٣) ، شبهات التصوف لعمر قريشي (١٦٩) .الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (٣١٩) .

وأما الرافضة ، فقد أوجبوا تقليد أئمتهم ، واعتبروهم حجة الله على العباد ، وزعموا أنهم معصومون كالأنبياء .

وفي هذا يقول عبد الله نعمة - وهو من دعاة الرافضة المعاصرين - : « ينظر الشيعة إلى الأنبياء والأئمة من أهل البيت جميعا نظرة مثالية ، ويحوطونهم بهالة مقدسة ، لاتقتحمها الظنون والشكوك ، فهم لديهم شخوص كريمة ، يتجسد فيها المثل الأعلى للإنسان في الخير والحق والعدل والعلم ، لايلتوون ، ولاينحرفون، ولايجورون ، ولايظلمون ، قد تساموا بأنفسهم عن الأهواء والشهوات والمطامع ، والخطايا والذنوب »[1] .

وبالتالي ، فهم يرون أن فتاوى من يزعمونهم معصومين ةأحكامهم قطعية الدلالة ، لاتجوز مخالفتها « فأمرهم أمر الله ، ونهيهم نهيه ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ولايجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على الرسول ﷺ ، والراد على الرسول ﷺ ، كالراد على الله - تعالى - فيجب التسليم لهم ، والانقياد لأمرهم ، والأخذ بقولهم »[2] .

---

(١) روح التشيع لعبد الله نعمة (٤٠٩) .
(٢) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر (٥٤ - ٥٥) .

ولاشك أن هذا غاية الغلو في التقليد .

وقد نعى عليهم الدكتور موسى الموسوي ـ وهو أحد الرافضة المتأخرين ـ فعلهم ذلك ، وشنع عليهم بقوله : « الشيعة الإمامية خضعت بلا دليل ولابرهان ، لما ادعاه فقهاؤها بوجوب الانقياد والطاعة العمياء لهم باسم « التقليد » حيث قالوا : إن الفروض الشرعية التي تؤديها الشيعة عاطلة باطلة ، إذا لم تلزم نفسها بالاتباع لفقيه من الفقهاء ، وأضاف بعضهم : يجب إطاعة الفقهاء ، ليس في المسائل الشرعية فحسب ، بل حتى في الموضوعات ، أي في شؤون الدين والدنيا معا »[1] .

فهل هذا هو ماتعبد الله به الناس ؟ .

إن هذا المنهج ، منهج ترفضه الشرائع السماوية بأسرها ، وترفضه العقول الصحيحة ، والفطر السليمة ، إذا التسليم المطلق إنما هو لله ورسله عليهم السلام .

ومن مظاهر التقليد في هذا العصر : التقليد في عبادة غير الله ـ تعالى ـ كالدعاء والنذر والتوكل والذبح . . . إلخ .

---

(١) ياشيعة العالم استيقظوا د . موسى الموسوي ، وانظر : المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية لمحمد حسين فضل الله (١٣٨ ـ ١٤٠) .

وهذا تقليد لأهل الجاهلية المتقدمين منهم والمتأخرين .

وأنت ترى كثيرا من الناس اليوم يعكفون على أصنام لهم ، ويحجون إليهم ، ويستغيثون بهم ، ويتوكلون عليهم ، ويذبحون لهم ، وينذرون ، وحجتهم في ذلك حجة أسلافهم : عبدة اللات والعزى ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .

ومن مظاهر التقليد ـ أيضا ـ : تقليد أهلِ البدع أسلافَهم في نفي الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وتعطيلها ، ووصفه ـ تعالى ـ بما لايليق به .

ومن مظاهر ذلك : القول بوجوب تقليد الفقهاء ، والزعم بأنه لايسع الناس غيره[(١)] ، بل بلغ الأمر في التعصب للفقهاء أن بعض المستشرقين ظن أن الفقهاء يعتقدون في الأئمة منزلة التشريع ، لامنزلة الضبط والتحرير[(٢)] .

ومن مظاهره : مابتلي به كثير من المسلمين اليوم من تقليد

---

(١) انظر : لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسما للفوضى الدينية لمحمد الحامد ، اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية د. محمد سعيد رمضان البوطي ، أدب الاختلاف في الإسلام (١٤٤ ـ ١٤٥) ، مجلة المجتمع الكويتية ذات العدد ٤٦٥ مقال محمد الصابوني .

(٢) انظر : الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين لجمال الدين القاسمي (٨١) .

للكفار ، ومحاكاتهم لهم في كل شيء : المأكل ، والمشرب ، والملبس ، والكلام . . . [1] .

وقد اختلف في حكم التقليد في الاعتقاد اختلافا كثيرا ، وأطال المتكلمون الكلام فيه بما لاطائل من ورائه ، فمنهم من منعه، ومنهم من قال بجوازه ، ومنهم من قال بصحة إيمانه مع كونه عاصيا ، إلى غير ذلك من الأقوال[2] .

---

(١) انظر : الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ، ترجمة عمر فروخ (٧٩ ـ ٨٦)، الإسلام والحضارة الغربية د . محمد محمد حسين (٢٤٩ ـ ٢٥٣) ، التقليد والتبعية د . ناصر العقل (١٥ ـ ١٦) ، القول الأسمى (٤٥) .

(٢) انظر الخلاف بينهم في : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٠ ـ ٦٣)، المسامرة مع شرحها المسايرة (٢٩٩ ـ ٣٠٤) ، الشامل في أصول الدين للجويني (٢٧ ـ ٣١) شرح السنوسية الكبرى للسنوسي (٢٦ ـ ٣٧) ، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (٣٣ ـ ٣٨) ، حاشية إسماعيل الكلنبوي على الدواني (١/١٧٧ ـ ١٩٥) ، لوامع الأنوار البهية (١/٢٦٧ ـ ٢٧٦) ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/٦٦) ، رسالة في أصول الفقه للعكبري (١٢٩)، التمهيد في اصول الفقه للكلوذاني (٤/٣٩٧ ـ ٣٩٩) ، شرح اللمع للشيرازي (٢/١٠٠٧ ـ ١٠٠٩) ، الإحكام للآمدي (٤/٢٢٣ ـ ٢٢٨) ، شرح تنقيح الفصول للقرافي (٤٣٠ ـ ٤٣١) ، المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري (٢/٣٦٥) ، البحر المحيط للزركشي (٦/٢٧٧ ـ ٢٨٣) ، شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/٦٥٦ ـ ٦٥٩) ، المستصفى (٢/٣٨٧ ـ ٣٨٩) ، روضة الناظر لابن قدامة (٢/٣٨٢ ـ ٣٨٣) ، تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي (١٥٨)، المسودة (٤٥٧ ـ ٤٥٨) ، الإبهاج في شرح المنهاج (٢/٢٧٣ـ٢٧٤) ، شرح الإسنوي على أصول البيضاوي (٢/٣٤٤) ، فواتح =

وبنوا ذلك على أساس أخطأوا في فهمه ، وهو « أول واجب على المكلف »[1] .

والذي عليه أهل السنة والجماعة ، ولاتحتمل الأدلة غيره هو أن أول واجب على المكلف : « شهادة أن لاإله إلا الله »[2] .

والصحيح في مسألة التقليد في الاعتقاد : أن التقليد فيه لاينفع صاحبه[3] ، بل لابد أن يعلم المرء التوحيد بدليله ، غير أنه يعفى عن العامي الذي لايعرف الأدلة ، إذا كان يعتقد وحدانية الله ـ تعالى ـ ورسالة نبيه ﷺ ، ويؤمن بالبعث والنشور والجنة والنار اعتقادا جازما لايداخله شك[4] ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

= الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/٤٠١) ، شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب (٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨) ، بيان مختصر ابن الحاجب للأصفهاني (٢/٣٥٢ ـ ٣٥٧)، شرح الكوكب المنير (٤/٥٣٣ ـ ٥٣٧) ، حاشية العطار على جمع الجوامع (٢/٤٤٢ ـ ٤٤٦) ، التقرير والتحبير لابن أمير الحاج (٢/٣٤٤) ، تيسير التحرير (٤/٢٤٣ ـ ٢٤٦) ، إرشاد الفحول للشوكاني (٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

(١) انظر : درء التعارض لشيخ الإسلام (٧/٤٤١ ، ٤٤٤) ، النبوات له (٦١) .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٣) ، أول واجب على المكلف : عبادة الله ـ تعالى ـ للشيخ عبد الله الغنيمان .

(٣) انظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٢٨) ، التوضيح عن توحيد الخلاق المنسوب لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(٥٣) .

(٤) انظر : شرح مسلم للنووي (١/٢١٠ ـ ٢١١) ، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/٦٥١) .

الخامسة

أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون[1] به[2] على صحة الشيء، ويستدلون[3] على بطلان الشيء بغربته[4] ، وقلة أهله ، فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه[5] في غير موضع من القرآن .

هذه المسألة التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ تبين أن من قلة فهم أهل الجاهلية ، اعتمادهم في معرفة الحق من الباطل على كثرة الأتباع وقلتهم ، فإن كان التابع كثيرا ، فالحق ـ بلا امتراء ـ معهم ، وإن كان التابع قليلا ، فذاك دليل البطلان، دون تحكيم للعقل، ودون عرض على المقاييس الصحيحة ، التي ينبغي أن توزن بها الأمور، ويرجح بينها به .

وقد استدل أهل الجاهلية : الأميون والكتابيون على بطلان دعوة

---

(١) في (أ) : « ويستدلون » .
(٢) « به » ساقطة من (أ) .
(٣) « ويستدلون » ساقطة من (أ) .
(٤) قوله : « بطلان الشيء بغربته » ليس في (ب) ، وموضعه بياض بمقدار كلمة .
(٥) في (أ) : « ووضح » .

الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بهذا المقياس الباطل ، والميزان الجائر ، فرد الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك ، وأبان بطلانه .

وقد ذكر الإمام موقع هذه الخصلة عندهم ، فبين أنها من أكبر قواعدهم التي يسيرون على هديها ، ويميزون بها بين الحق والباطل .

وقد أخبر ـ تعالى ـ أن هذه الحجة الواهية ، قد احتج بها كل قوم بعث الله فيهم نذيرا .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ○ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾[سبأ: ٣٤ـ ٣٥] .

ووجه الاستدلال من هذه الآية أنهم اعتقدوا أن الكثرة دليل الرضا عنهم ، والرضا عنهم لم يكن إلا لكونهم على الحق .

ومفهومه أن القلة تدل على عدم الرضا ، وعدم الرضا دليل على البطلان .

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن ذي الجنتين أنه قال لصاحبه المؤمن ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾[الكهف : ٣٤] .

ولما دعا نبي الله صالح قومه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده قالوا متهكمين : ﴿ أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال

وسعر﴾[القمر : ٣٤]

فمنعهم من الإيمان به بشريته ، وكونه واحدا .

وقال فرعون مشنعا على الكليم ﷺ وقومه : ﴿ إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾[الشعراء : ٥٤] .

وقد أنزل الله ـ تعالى ـ مايبطل ذلك الاعتقاد الفاسد ، فقال مخبرا أن أكثر الناس على الباطل ، وأن القلة منهم هم الذين على الحق : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام :١١٦] .

وقال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾[يوسف :١٠٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ [الشعراء : ٨، ٦٧ ،١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴾ [الصافات :٧١].

وقال ـ تعالى ـ مبينا قلة الشاكر ين له نعمه من عباده : ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ:١٣] .

وقال ﷺ كما في حديث ابن عباس : « عرضت علي الأمم

فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد . . . »[1] .

وقال ﷺ : « بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود ـ كما بدأ ـ غريبا ، فطوبى للغرباء »[2]

فهل يبقى بعد هذا مايدل على أن كثرة الأتباع تدل على الحق ، وأن قلتهم تدل على خلافه ؟

وهكذا خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ومن صور وجودها : أن أهل البدع لايزالون يستدلون على صحة بدعهم باتباع الكثرة الكاثرة من الناس، والسواد الأعظم منهم ، وجمهورهم ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الطب ـ باب من اكتوى أوكوى غيره ـ (١٦/٧)، وفي باب من لم يرق ـ (٧ / ١٢٦) ، وفي كتاب الرقاق ـ باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ـ (٧ /١٩٨ـ ١٩٩) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ـ (١ /١٩٩ـ ٢٠٠) ح٢٢٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين ـ (١/ ١٣٠) ح١٤٥ عن أبي هريرة .

ودعوى أن خصومهم ذوو أقوال شاذة ، لم يشاركهم في القول بها أحد ، ونحو ذلك من العبارات ، وإخراج الإحصاءات التي تدل على أنهم هم الذين يمثلون العالم الإسلامي اليوم ، وغير ذلك .[١]

ومن صور وجود هذه الخصلة : الانتخابات في البلاد التي تدين بالديمقراطية[٢] ، فإنها تقوم على هذا الأساس ، وذلك عن طريق

---

(١) انظر : حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة (٥٧ـ ٥٨) ، الدرر السنية في الرد على الوهابية (٣١ـ ٣٢) ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٣١١، ٤٣٣) ، صلح الإخوان (٩) ، تبيين الحق والصواب بالرد على أتباع ابن عبدالوهاب لمحمد توفيق سوقية (١٥) ، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق (٧٠)، غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/٢٣ـ ٢٤) ، مولد الحافظ ابن الديبع (ص١٠) من مقدمة محمد علوي مالكي ، حول الاحتفال بالمولد النبوي لمحمد علوي مالكي (٢٩) ، القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري (٤٠) ،صيحة الحق لمحمد درويش (٣٥٧ ـ ٣٥٩) ،صحيفة السياسة الكويتية ذات العدد ٤٨٧٠ الصادرة بتاريخ ١٤٠٢/٢/٢٣هـ ، مقال بقلم يوسف الرفاعي ، صحيفة المدينة ، ذات العدد ٥٤٠٩ ، الصادرة بتأريخ ١٤٠٢/٣/١٢هـ ، مقال بقلم أنور أبو الجدايل ، حسن المحاجة في بيان أن الله لاداخل العالم ولاخارجه لسعيد فوده (٣) .

(٢) الديمقراطية : كلمة يونانية مركبة من كلمتين هما « ديموس » وتعني الشعب و « كراتس » وهي الحكم أوالسلطة ، ومعناها الحرفي : حكم الشعب ، ويعرفها بعضهم بأنها حكم الشعب للشعب ومن الشعب ، وهي مذهب قديم تعود جذورها التاريخية إلى ماقبل الميلاد بحوالي ثمانية قرون ، ثم تطورت شيئا فشيئا إلى ماوصلت إليه الآن، وهي مذهب سياسي يقوم التمثيل فيه على نظام نيابي ، حيث يختار الشعب من يمثلهم في الحكومة ، ويحقق مطالبهم ورغباتهم ، دون نظر إلى =

مايسمى بـ« نظام الأغلبية » ويقصد به ذلك النظام الذي بمقتضاه ينجح المرشح الذي يحصل على أكثرية الأصوات الصحيحة المشتركة في الانتخابات[1].

كما أن مايسمى اليوم بالرأي العام يقوم على هذا الأساس ، حيث إنه « يمثل مجموعة من آراء جمع كبير من الناس »[2]

وسواء كان هذا الحكم الذي تخرج به هذه الجماعة حقا أوباطلا، فإنه بمجرد اتفاق الأكثرية عليه يعتبر حقا ، وإن كان هو في نفس الأمر باطلا .

= الاعتبارات الاخرى كالدين والخُلُق وغير ذلك .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٨٣٧) ، دائرة المعارف لبطرس البستاني (٨/ ٢٣٢)، قاموس إلياس العصري (١٩٢) ، الديمقراطية في الإسلام للعقاد (٢) ، بحوث في السياسة د . أحمد سويلم العمري (٤) ، الإنسانية د . فهر الدين يونس (٣٩٩) .

(١) انظر : النظم السياسية د. عبدالغني بسيوني عبدالله (٢٣٨) ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، عدد١٣٩، الصادر في أغسطس ١٩٩١(ص٥١ـ ٦١) مقال بعنوان : حكم الأغلبية نظريا وعمليا ، صلابة أنموذج معيب ، بقلم أرنيد ليجفارت ، مجلة الباحث اللبنانية ، العدد الأول ، الصادر في يناير ١٩٨٦، مقال بعنوان : الديمقراطية ، بقلم د.أحمد ظاهر ، مجلة العربي الكويتية ، عدد٣٨٦ ، الصادر في ذي القعدة ١٤٠٢، الأغلبية مبدأ إسلامي أصيل ، مقال بقلم د. عبدالحميد الأنصاري .

(٢) الرأي العام د . أحمد بدر (٤٣) .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة : دعوة بعض مايسمى بـ « الجماعات الإسلامية » إلى الاجتماع تحت رايتها ، لتكثير سوادها ، مهما اختلفت عقائد المنضوين تحتها وتباينت .

ولاشك أن هذا كله من سفه الرأي « فإن الكثرة على خلاف الحق، لاتستوجب العدول عن اتباعه ، والحق أحق بالاتباع ، وإن قل أنصاره ، فمن له بصيرة ، فلينظر إلى الدليل ، ويأخذ مايستنتجه البرهان، وإن قل العارفون به ، المنقادون إليه »[1].

---

(١) انظر : شرح مسائل الجاهلية للألوسي (١٧) .

السادسة

الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ﴿ فما[1] بال القرون الأولى ﴾ [طه :٥١] ، ﴿ ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [المؤمنون:٢٤] .

يبن المؤلف رحمه الله في هذه المسألة ، أن من شأن أهل الجاهلية الأميين والكتابيين ، جعل مدار الاحتجاج على عدم قبول ماجاءت به الرسل ـ عليهم السلام ـ أنه لم يكن على عهد أسلافهم ، ولاعرفوه منهم[2].

كما جعلوا مدار احتجاجهم في البقاء على ماهم فيه من الكفر، تقادم عهده ، وكونه مما درج عليه الناس من قديم الزمن ، وتناقله الخلف عن السلف ، وورثته الأمم عن بعضها ، ولم ينكره أحد .

وهذا يعني صحته ، وبطلان الحادث المبتدع في نظرهم .

وقد استدل المؤلف رحمه الله على هذه المسألة بقوله ـ تعالى ـ

---

(١) في (جـ) و (د) : « مابال » وهو خطأ .
(٢) انظر : غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٢٢) .

حكايةً عن فرعونَ أنه قال : ﴿ فما بالُ القرونِ الأولى ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك : أن فرعون احتج على صحة ماهو عليه من عبادة غير الله ، وعلى بطلان مادعا إليه موسى ﷺ من وجوب عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، بفعل المتقدمين من أهل القرون الأولى ، الذين لم يعبدوا الله ، بل عبدوا معه غيره .

قال ابنُ كثير رحمه الله : « وأصح الأقوال في معنى ذلك ، أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله ، هو الذي خلق، ورزق ، وقدر ، فهدى ، شرع يحتج بالقرون الأولى ، أي : الذين لم يعبدوا الله ، أي : فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربَّكَ ، بل عبدوا معه غيرَه ؟»[1]

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن المشركين من قوم نوح ﷺ : ﴿ ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ .

ووجه الاستدلال منه ، أن قوم نوحٍ ﷺ ، أنكروا ماجاء به من التوحيد ، والنُّبُوَّةِ ، والإخبار عن المعاد ، وغير ذلك ، محتجين بكونه غيرَ معروفٍ عند أسلافهم الذين مضوا ، كما ذكر ذلك ابن

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٥٥) .

جرير[1] وابن كثير[2].

ومما يدل على ذلك ـ أيضًا ـ : احتجاج فرعون وآله لما دعاهم الكليم ﷺ إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، بأن هذا لم يكن معروفًا عند آبائهم الذين مضوا في غابر الأزمان ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فلما جاءهم موسى بالبينات قالوا ماهذا إلا سحرٌ مفترًى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾[القصص : ٣٦] .

ولما دعا نبي الله هودٌ قومَه إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، وأنذرهم بطشتَه ، قالوا : ﴿ إنْ هذا إلا خُلُقُ الأوَّلين ﴾ [الشعراء: ١٣٧]

قال ابن عباس في الآية : « دين الأولين »[3]

ودين الأولين ، وعادتهم ، عدم الإيمان بنحو ماجئت به ، إنما دينهم هو مانحن عليه.[4]

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/١٦) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣/٢٤٥) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/٩٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٩١) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير (١٩/٩٨) .

وقد أخبر ـ تعالى ـ أن هذه الحجة حجة قرشية بقوله : ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا لشيء يراد ○ ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاقٌ ﴾[صَ :٦ ـ ٧]

الملة الآخرة : النصرانية ، قاله ابن عباس[1] والسدي[2].

فقريش أَبَوا أن يتبعوا الحق ، بحجة أنهم لم يعرفوا ذلك من الملة التي كانت قبلهم ، وهي الملة الآخرة .

وقال ـ تعالى ـ موبخًا إياهم : ﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين ﴾[المؤمنون : ٦٨] .

أي : أفتركوا تدبر ماجاء من الله ، وأعرضوا عنه ؛ لأنه لم يكن فيمن سلف من آبائهم ؟[3]

ومما يدل على ذلك ـ أيضًا ـ : استدلال قريش واليهود على صحة دين قريش ؛ لكونه ـ بزعمهم ـ أقدم من دين الإسلام ، كما جاء ذلك في سبب نزول قوله ـ

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٢٦) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٣/١٢٦) .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/٤٠) .

تعالى[1] ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾[النساء : ٥١] .

وقد علمنا في مسألة التقليد كيف خالف رسول الله ﷺ أهل الجاهلية في ذلك ، وماقيل هناك يقال هنا ، حيث إن المسألتين يجمعهما عدم التفكر فيما جاء عن الله ، والنظر فيه ، وكلاهما تقليد

---

(١) أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٢/٥٩) ، وابن جرير في تفسيره (٥/١٢٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/١٩٣) ، والطبراني في المعجم الكبير (١١/٢٥١) ، عن ابن عباس ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٦) : « وفيه يونس بن سليمان الحمال، ولم أعرفه » .
وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/١٩٤) عن جابر .
وأخرجه عبد بن حميد ، كما في الدر المنثور (٣/١٧١ـ ١٧٢) وابن جرير في تفسيره (٥/١٣٤) عن السدي .
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/١٣٤) عن مجاهد .
وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/١٦٤ـ ١٦٥) ، وابن شبة في أخبار المدينة (٢/٥٨)، وابن جرير في تفسيره (٥/١٣٥) ، عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/١٧٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .
وأخرجه ابن شبة في أخبار المدينة (٢/٥٨) عن الضحاك .
وأخرجه ـ أيضا ـ (٢/٦٠) عن ابن شهاب .
وأخرجه الواقدي في المغازي (٢/٤٤٠ ـ ٤٤٤) وابن إسحاق في السيرة ، كما في المختصر (٢/٢١٤ ـ ٢١٥) عن جماعة .

بيد أن هذه المسألة فيها بيان أن أهل الجاهلية أصلوا تقليدهم ، أما تلك فهي مجرد احتجاج خال من التأصيل .

وهذه الخصلة الجاهلية موجودة إلى يومنا هذا ، فكثير من أهل البدع يستدل على بدعته بكون المتقدمين كانوا عليها ، ولايرون بها بأسًا، كبدعة المولد ، وبدع القبور ، وبدع الأسماء والصفات ، وبدع التصوف ، وبدع العبادات ، وغير ذلك .

وهي منتشرةٌ انتشارًا واضحًا ، فكثيرٌ من هؤلاء يرون الدَّاعين إلى اتباع السنة مستدركين على من سبقهم ، متنقصين لهم[1]

كما أن كثيرًا من أهل الأهواء ينكر كثيرًا من السنن والواجبات، ويستحل بعض المحرمات ، بحجة أن المتقدين لايعرفون ذلك .

ومن أولاء : الدكتور مصطفى محمود الذي يقول : « إن المسلمين لن يحاربوا أحدًا ؛ لأنهم مشغولون بإعلان الحرب على أنفسهم ، وبقتل بعضهم البعض ، وبالجدل في أصولية النقاب والجلباب ، وفي ضم الأيدي أثناء الصلاة ، أو إسادلها ، وفي

---

(١) انظر مثلاً: دفع شبه من شبه وتمرد لأبي بكر الحصني (١٢١) ، صلح الإخوان (٩) ، تبيين الحق والصواب (٢٥) ، شواهد الحق (٧٠) ، مقالات الكوثري (١٥٧ـ ١٥٩) ، المقالات الوفية في الرد على الوهابية لحسن خزبك (١٤٦ـ ١٤٨) ، غاية الأماني (١/ ٢٢) .

صوت المرأة هل هو عورة أم لا ؟ ، وهل تعمل المرأة ؟ أو لاتعمل ؟ . . . ولكن هناك عصابات مجندة ، تنشر بين الشباب إسلامًا لانعرفه ، ولم يأت به نبينا »[1]

فقد أنكر أمورًا جاء بها الشرعُ ؛ لكون هذا ليس معروفًا عنده ، ولاعند من هو مثله ، ولم يعرفه ـ حسب زعمه ـ الأوائل .

كما أن هذا الأمر ، مايزال موجودًا حتى بين بعض العوام ، فتجد أحدهم ينكر أمرًا من الأمور ، بحجة أنه وجد الناس خَلَفًا عن سلف لايعرفون ذلك ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) صحيفة الأهرام المصرية ، ذات العدد ٣٨٦٥٣ ، والتأريخ ٦/٤/١٤١٣هـ .

السابعة

الاستدلال بقوم أعطوا قوى[1] في الأفهام والأعمال[2] وفي الملك والمال والجاه[3]، فرد[4] الله ذلك[5] بقوله : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ﴾[6] الآية[7] [الزخرف : ٢٦]، وقوله : ﴿ وكانوا من قبل[8] يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ﴾[9] [البقرة : ٨٩] ، وقوله : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾[البقرة : ١٤٦] .

---

(١) في (د) : « قوة » .
(٢) في (أ) قدم الأعمال على الأفهام .
(٣) في (د) قدم الجاه على المال .
(٤) في (أ) : « فسره » .
(٥) في (ب) « عليهم » بدل « ذلك » .
(٦) في (جـ) : « ولقد مكناهم فيه » وهو خطأ .
(٧) « الآية » ساقطة من (أ) .
(٨) قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكانوا من قبل ﴾ ليست في « أ » ، وسقطت ﴿ قبل ﴾ من (هـ)
(٩) كتبت الآية في الأصل هكذا : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وقوله فلما جاءهم » وهو خطأ ، وهي في (ب) إلى قوله : ﴿ كفروا ﴾ .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية : الاستدلالَ على كون الشيء حقًا ، أو باطلاً ، بفعل أقوام لهم عندهم منزلة ، إما لكونهم ذوي فهم ، وعقل ، ورجاحة رأي ، وعلم بالكتاب ، كاليهود والنصارى ، وإما لكونهم أعلم منهم ، كما هو فعل عوام اليهود مع أحبارهم ورهبانهم ، وإما لكونهم أصحاب شرف ومنزلة دنيوية ، كأهل الأموال ، والملك ، والسؤدد ، والجاه ، فهم يستدلون على بطلان الأمر باتباع هؤلاء ، وعدم اتباعهم ؛ وذلك لأنهم يرونهم أعرف بالأمور من غيرهم .

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على كون مااستدلوا به باطلا ، بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولاأفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤون ﴾ .

ووجه الاستدلال من الآية : أن الله ـ تعالى ـ أخبر أنه أعطى قوم عاد ماأعطاهم من قوة في الأبدان ، وكثرة في الأموال ، وآلات الفهم ، وهي السمع والأبصار والأفئدة ، لكن كل هذا لم

ينفعهم ، حيث بقوا على شركهم بالله ، فأصابهم ماأصابهم من العذاب ، مما يعني أنه ليس كل من أعطي قوة في فهم أوإدراك ، أومالا أوصحة في البدن أنه ينفعه ذلك ، ويكون حينئذ مقتدى به ، فهاهم قوم عاد أعطوا ذلك ، فما نفعهم شيئا .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : « وقوله : ﴿ وجعلنا لهم سمعا ﴾ يسمعون بها مواعظ ربهم ، وأبصارا يبصرون بها حجج الله ، وأفئدة يعقلون بها مايسرهم وينفعهم ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولاأفئدتهم من شيء ﴾ يقول : فلم ينفعهم ماأعطاهم من السمع والبصر والفؤاد ، إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له ، ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله ، ولكنهم استعملوها فيما يقربهم من سخطه »[1]

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن اليهود: ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ في شأن اليهود: ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ .

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٦/٢٨) ، وانظر : تفسير الرازي (٢٨/٢٩) .

ووجه الاستدلال من هاتين الآيتين ، أن الله ـ تعالى ـ أخبر عن اليهود أنهم يعرفون النبي ﷺ ، بدليل استفتاحهم به على العرب قبل أن يبعث ، بل إن معرفتهم به كمعرفتهم أبناءهم ، وهذا يعني أنهم أهل علم وفهم ، ولكن ذلك لم ينفعهم شيئا ، بدليل كفرهم بالنبي ﷺ بعد أن بعث ، وإذا كان الأمر كذلك ، فليس كل من أوتي علما أوفهما أنه ينتفع به ، فلايصلح حينئذ أن يكون قدوة يستدل بأفعاله ، ويحتج بها .

ومما يدل على هذه الخصلة ، استدلال قريش بعمرو بن لحي[1] ، لأجل ماأعطي من الأعمال والكمال ، حيث تبعوه في عبادة الأصنام ، ومابتدع لهم من البدع .

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فوائد قصة الجاهلية المذكورة في السيرة: « الثالثة عشرة : التفطن لما أعطي عمرو من

---

(١) هو عمرو بن عامر الخزاعي ، ولحي نعت لعامر ، وهو أول من غير دين إسماعيل ﷺ ، وأول من سيب السوائب ، وقد رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار .
انظر : صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ﴾ ـ (٥/ ١٩١) ، الأصنام للكلبي (٨) ، الاشتقاق لابن دريد (٤٦٨) .

الأعمال ، الرابعة عشرة : ماأعطي من الكمال ، الخامسة عشرة : ماأعطي من الملك »[1].

ومما يدل على ذلك ـ أيضًا ـ : استدلالُ قريش بمن أعطوا قوةً في الفهم والإدراك ، وهم أهل الكتاب ، وذلك أنهم استدلوا بعدم إيمانهم به على كذبه ، وتَقَوُّله ـ كما يزعمون ـ .

ويستدلون على صحة دينهم ، وماهم فيه من الشرك والضلال بما يقوله لهم أولئك ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ [النساء : ١٥٢] .

فقد جاء في سبب النزول ، أن قريشا سألت أحبار اليهود ، أنحن أهدى أم محمد؟ فقالوا : بل أنتم أهدى سبيلاً منه .

ومما يدل على ذلك ـ أيضًا ـ : ماسيأتي من أن من خصالهم الاستدلال على بطلان الشيء بكونه لم يتبعه إلا الضعفاء[2]، وذلك أن مفهومه أن أهل القوة لم يؤمنوا ، وإنما آمن الضعفاء ، فلما لم

---

(١) فوائد قصة الجاهلية المذكورة في السيرة (١١٦) .
(٢) انظر : شرح المسألة الثامنة .

يؤمن أولئك وآمن هؤلاء ، فقد دل على البطلان .

كما أن اليهود لما لم يؤمن أكثر أحبارهم ورهبانهم بما جاء به الرسول ﷺ لم يؤمن كثير من عوامهم ؛ لأنهم يرون أولئك أعلم منهم بالكتاب ، وأنهم أوتوا فهما لم يؤته هؤلاء ، كما قال ﷺ : « لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن اليهود كلهم » كما أنهم أعرضوا عن الإيمان بمحمد ﷺ لكون آبائهم لم يؤمنوا ، وهم - كما قالوا - أعلم ، وأخير منهم .

كما أن الله - تعالى - أخبر في كتابه أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، يحلون لهم ماحرم الله ، فيحلونه ، ويحرمون عليهم ماأحل الله فيحرمونه ، كما قال - تعالى - : ﴿ اتَّخَذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أربابًا من دونِ اللهِ ﴾ [التوبة :٣١] ، ولاريب أن هذا من أعظم الاحتجاج بهم ، فهم تبعوهم في العمل بما أمروهم به .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين كما رأيت في الأدلة .

وقد حذر الله ـ تبارك وتعالى ـ من هذه الخصلة ، فقال ـ عز من قائلٍ عليمًا ـ: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

قال ابن كثير في هذه الآية: « أي : عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله، ومنهاجه ، وطريقته ، وسنته ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل ، وماخالفه، فهو مردودٌ على قائله وفاعله»[1]

وقال ابن عباس فيمن ناظره في متعة الحج ، واحتج بأبي بكر وعمرَ : «أراهم سيهلكون ؛ أقول : قال رسول الله ﷺ ، ويقولون: نهى أبو بكرٍ وعمرُ »[2].

فإذا كان هذا فيمن احتج بالشيخين ، فما الظن بمن احتج بأقوال الفسقة والجهال ؟ .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٣٧) ، وإسحاق بن راهوية ، كما في المطالب العالية (١/٣٦٠) ، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/١٤٥) ، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٩ـ ٢٤٠) ، وابن حزم في حجة الوداع (٢٦٨ـ٢٦٩) .

ومما يدل على المخالفة : تحذير الله ـ تعالى ـ من الاغترار بمن أعطي فهما أوعلما أوجاها أومالا ، فيقتدى به ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[الأعراف : ١٧٩] .

كما بين ـ جل وعلا ـ أن هذا الاستدلال لم ينفع أصحابه ، فقال : ﴿ وقالوا ربنا إنَّا أطعنا سادتَنا وكبرآءنا فأضلُّونا السبيلاْ ﴾ [الأحزاب :٦٧] ، فهم لاريب أنهم لم يتبعوهم إلا لميزة امتازوا بها عليهم ، وهي أن أولئك لهم السيادة ، وأنهم كبار القوم وعليته .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ○ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ○ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل

والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداد ﴾ [سبأ : ٣١-٣٣] .

فالله - تعالى - قطع على أهل الجاهلية هذه الحجة الداحضة، وأبان بطلانها، حيث إن الحق لايعرف بالرجال .

وهذه الخصلة موجودة في زمننا هذا ، ومن مظاهر ذلك : أن كثيرا من المفتونين في هذا العصر قد دعوا إلى التحرر من الدين ، ونبذه كله ، أوبعضه؛ لأنهم يرونه هو الذي صير - حالنا من الانتكاسة الصناعية ، والثقافية ، والسياسية . . . وهذا كله استدلال بما فعلته أوربا إبان الثورة الصناعية ، حين نبذت الدين ، فنظروا إلى ماهي عليه الآن من التقدم الصناعي ، فدعوا إلى الاقتداء بها ، والاستنان بسنتها ، علهم أن يبلغوا مابلغت ، فقلدوهم في السياسات ، وفي الاقتصاد ، وفي الأمور الاجتماعية، وفي العادات والتقاليد ، وفي كل شيء ، واعتبروا ماهم عليه قمة الحضارة والرقي ، والتقدم .

وإذا قيل لأحد هؤلاء المفتونين : إن في الشريعة الإسلامية ، مايكفل سعادة الدارين ، ويكفل للأمة الرقي والتقدم ، أجاب بأن

شاهد الحال خير شاهد ، وانظر إلى واقعنا وواقعهم ، تجد مصداق مانتادي به .

ومن الأمثلة على ذلك : عبدالله بن علي القصيمي الذي يقول مقرِّرًا : « فلما أن مرقت - يعني أوربا - من إيمانها ، وتنازلت عن ذلك الأصل الأخروي ، وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هي آلهتها وحدها ، وأبت الإشراك إلا بها ، صعدت بالحياة الصعود الذي أعجز أبصارنا بنوره ، والنظر إليه »[1].

ومثال آخر وهو رفاعة الطهطاوي[2] - الذي يشيد بالقانون الفرنسي ، ويجعله ندًّا للتشريعات الربانية المبنية على العلم

---

(١) هذه هي الأغلال لعبدالله بن علي القصيمي ، نقلا عن كتاب الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على مافيه من زيغ وكفر وضلال لمحمد بن عبدالرزاق حمزة (٤١- ٤٢)

(٢) هو رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي ، ولد سنة ١٢١٦هـ ، وتعلم في بلده ، ثم التحق بالأزهر ، وتخرج فيه ، وابتعث إلى فرنسا ، ليكون مرشدا للبعثات التي تسافر إلى هناك للتعلم ، فافتتن هناك ، له مؤلفات منها : تعريب القانون المدني الفرنساوي ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ .

انظر : أصول الفكر عند الطهطاوي د . محمود فهمي حجازي (٥/ ٣٣) ، رفاعة الطهطاوي لجمال الشيال ، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن : رفاعة الطهطاوي لسيد صالح مجدي ، رفاعة الطهطاوي لأحمد بدوي .

والحكمة ، ويشيد بالحرية الفرنسية بجميع ماتحمله هذه الكلمة من معان ، وبالمرأة الفرنسية التي استطاعت أن تدخل معترك الحياة كالرجال ، كما يشيد بالفن الفرنسي بجميع أنواعه : المختلط ، وغير المختلط ، ويرى أنه لاسبيل إلى الوصول إلى ماوصل إليه الفرنسيون من تقدم ورقي ، إلا بعد الأخذ بما أخذوا به ، وهو العدل والحرية ، ويعني بالعدل القوانينَ ،وهذا يعني نبذ الشريعة ، وبالحرية الحريةَ التي برزت إلى السطح في ذلك الوقت ، وهي التحرر من قيود الدين ، والانعتاق التام منه ، وإطلاق جماح النفس كما تشاء[(١)].

وهذا مفتون آخر ، وهو قاسم أمين[(٢)]، يشنع على من ينادي بأخذ علوم الغرب وتقنياتهم ، دون قيمهم وأخلاقهم وثقافتهم[(٣)].

---

(١) انظر : نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع المسلم (١١٥ ـ ١١٧) ، جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث لجمال سلطان (٨ ـ ٢٥) .

(٢) هو قاسم بن محمد بن أمين المصري ، من دعاة التحرر من القيم والأخلاق الإسلامية ، وزرع شرا عظيما على الساحة المصرية ، وقد ولد سنة ١٢٧٩هـ ، وله مؤلفات منها : المرأة الجديدة ، تحرير المرأة ، وتوفي سنة ١٣٢٦هـ . انظر : آداب اللغة العربية لجورجي زيدان (٤/ ٣١٥) ، الأعلام (٥/ ١٨٤) .

(٣) انظر : المرأة الجديدة لقاسم أمين (٥٠٠) ومابعدها .

وهذا آخر وهو طه حسين[1] ينادي بأخذ كل غث وسمين من أوربا ، ويدعو إلى الاصطباغ بثقافتها ، والسير في ركابها ، ومشاركتهم في حضارتهم : خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، مايحب منها ومايكره ، ومايحمد منها ومايعاب[2].

وإن ماذكره هؤلاء لهو فيض من غيض على الإسلام وأهله ، وجهل بحقيقة دين الإسلام ، ذلك أن الإسلام لم يدع يومًا إلى التكاسل أوالتخلف ، بل الحكمة فيه ضالة المؤمن ، فلايترك ماينفعه ـ مع عدم معارضته لدين ربه ـ لأجل أن الكفار سبقوا إليه، فقواعد الشريعة تأبى ذلك كله .

ثم ماوجه الربط بين الانتفاع بعلومهم الدنيوية ووجوب الأخذ بما لديهم من انحراف ؟ .

---

(١) هو طه حسين بن علي بن سلامة ، أديب مصري متذبذب ، له آراء خبيثة جدا ، تدل على خبث طويته ، ولد سنة ١٣٠٧هـ ، ورام الحصول على الدكتوراه من الأزهر ، غير أنه لم يستطع ذلك ، فنقم على الأزهر ، وعلى علمائه ، له مؤلفات منها : في الشعر الجاهلي ، في الأدب الجاهلي .

انظر : الأعلام (٣/٢٢١) ، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء لمحمود مهدي الاستانبولي .

(٢) انظر : مستقبل الثقافة في مصر (٥٤) .

وأيضًا ، فإن شاهد الحال خير شاهد ، فهانحن ـ ولله الحمد والمنة أوّلاً وآخرًا ـ نعيش في بلد مسلم محافظ ، ومع ذلك فإننا نعيش في رقي وتقدم يفوق كثيرًا من البلدان التي يزعم الزاعمون أنها متقدمة ومتطورة ، فهل أبصر أولئك هذا الفضل من الله ؟ أم أعمى الحقد أبصارهم ؟ .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة : استدلال أهل البدع على بدعهم ، بأنه قال بها العالم الفلاني ، وهو هو ، أو أنه لم ينكرها ونحو ذلك[1] .

ومن مظاهر ذلك : غلو بعض مقلدة المذاهب في مقلَّديهم ، حيث يرون أن ماهم عليه هو الصواب ، وإن خالف الدليل ، ظنا منهم أن هذا المقلد لايمكن أن يغفل عن هذا الدليل ونحو ذلك ، ولاشك أن العالم يستدل له ، ولايستدل به ، فليس هو حجة في الدين .

ومن مظاهر ذلك : أن كثيرًا من أهل المعاصي يستدلون على

---

(١) انظر على سبيل المثال : صلح الإخوان (٨٩ ـ ٩٩) ، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق (٧٠) ، محق التقول في مسألة التوسل ، الأقوال المرضية (١٧) ، المقالات الوفية (١٤٣ ـ ١٤٦) .

معاصيهم بفعل بعض الفسقة من العلماء ، فإذا نهي أحدهم عن معصية ، أو أمر بطاعة ، احتج بأن العالم الفلاني يفعل كذا وكذا، ولو كان حرامًا لما فعله ، ولو كان واجبًا لما تركه .

وهذا شيء ملحوظ جدًّا ، وطالما واجه الدعاة منه المعاناة ، وخاصَّة إذا كان هذا المستدل به ذا مكانة في المجتمع الذي يعيش فيه .

فهذه بعض الأمثلة التي تدل على وجود هذه الخصلة في عصرنا هذا ، والله المستعان .

الثامنة

الاستدلال على بطلان [الشيء][1] بأنه لم يتبعه إلاالضعفاء، كقولهم[2]: ﴿ أنؤمن[3]لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١]، وقوله[4]: ﴿ أهؤلاء[5]من الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] ، فرده بقوله[6]: ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾[7] [الأنعام : ٥٣] .

يذكر المؤلف في هذه المسألة نوعا آخر من الأدلة التي يميز بها أهل الجاهلية الحق من الباطل ، والدين الصحيح من الدين الفاسد.

---

(١) مابين المعكوفتين ليس في الأصل ، وهي في جميع النسخ ، ولايتم الكلام إلا بها ؛ ولذلك أضفتها .
(٢) في (جـ) و (د) و (هـ) : « كقوله » .
(٣) في (د) : « نؤمن لك » وهو خطأ .
(٤) في (ب) و (د) : « وقولهم »
(٥) في (أ) و (هـ) : « هؤلاء » وهو خطأ .
(٦) في (جـ) و (د) : « فرده الله » ، وقد سقطت من (هـ) .
(٧) هذه الآية ساقطة من (أ) .

وهذا الدليل هو النظر إلى حال التابع ، فإذا كان من الأقوياء: السادة ، وذوي الشرف والمكانة ، فهو حق صحيح ، وإن كان في نفسه باطلا ، وإن كان التابع من الضعفاء : العبيد ، والموالي ، والفقراء ، ونحوهم ، فهو باطل ، وإن كان في نفس الأمر حقا ؛ وذلك لأنهم يرون أن أهل الشرف والرئاسة أعلم بالأمور ، وأحسن إدراكا لها ، وأن الشرف الديني تابع للشرف الدنيوي .[1]

ولما رأى الجاهليون أتباعَ الرسل ـ عليهم السلام ـ ليسوا من الأقوياء ، بل من الضعفاء ، استدلوا بذلك على بطلان دعواتهم .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن قوم نوح ﷺ : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾.

ووجه الاستدلال منها ، أن الهمزة للاستفهام الإنكاري[2]، والأرذلون : سفلة الناس ، وأراذلهم من الحاكة ونحوهم ، كما فسرها بذلك

---

(١) انظر : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي (١٤/٢٦) .

(٢) انظر : فتح القدير للشوكاني (٤/١٠٨) .

قتادة[1] ومجاهد.[2]

فهم أنكروا أن يكون الحق معه ، وأتباع هؤلاء الذين ليس لهم مزية على غيرهم ، بل هم دون غيرهم ، ولم يتبعه أشراف الناس ، وساداتهم .

ومما يدل على أنهم نفوا الخيرية عن هؤلاء الضعفاء قول نوح ﷺ في نهاية المجادلة معهم : ﴿ ولاأقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا﴾ [هود :٣١] .

وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ حكاية عنهم: ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ [هود : ٢٧] .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن مشركي قريش : ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، إخبار الله ـ تعالى ـ أن مشركي قريش أنكروا كون ماجاء به الرسول ﷺ حقا ؛ لأن أتباعه

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٩١) .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥/ ٩١) .

ليسوا إلا من الضعفاء ، الذين ليس لهم ـ كما يزعمون ـ رأي يميزون به .

ومعنى الآية كما ذكر ابن كثير « ماكان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير ـ لو كان ماصاروا إليه خيرا ـ ويدعنا »[(١)]

وقال الألوسي[(٢)] : « وغرضهم بذلك إنكار المن رأسا »[(٣)]

وقد بين المؤلف رد الله ـ تعالى ـ على الكفار بقوله : ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ حيث إنهم لما أنكروا أن يمن الله ـ تعالى ـ على الضعفاء ، بين أن هذا بسابق علمه بخلقه ، فهو يعلم الشاكر الذي يقبل هدى ربه ، فيوفقه إليه ، ويعلم الكافر المعرض، الذي لايرفع به رأسا ، فيخذله ، وليس للقوة ولاللضعف اعتبار

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٣٦) .

(٢) هو محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء ، ولد سنة ١٢١٧هـ ، وأخذ عن والده ، والشيخ علي السويدي ، وغيرهما ، وعنه ، ابنه النعمان، له مصنفات منها : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، والأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية ، وغيرها .
انظر : المسك الأذفر لمحمود شكري الألوسي (٦٧) ، حلية البشر في أعيان القرن الرابع عشر (٣/ ١٤٥٠ـ ١٤٥٥) .

(٣) روح المعاني (٧/ ١٦٢) .

وإنما الاعتبار بقبول ماجاء من عند الله ـ تعالى ـ .

ومما يدل ـ أيضا ـ على وجود هذه الخصلة في أهل الجاهلية، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾ [مريم : ٧٣] .

قال ابن عباس : « المقام :المنازل ، والندي : المجالس »[(١)]

وقال مجاهد : « قريش تقوله لأصحاب محمد ﷺ »[(٢)]

فكأنهم يقولون : أنتم ـ أيها الضعفاء ـ تبعتم هذا الدين ، ونحن ـ معاشر الأقوياء ـ لم نتبعه ، فانظروا الخير مع من ؟ وقد استبان أنه معنا، فهل يسوغ عقلا أن تكونوا على الحق ونحن على الباطل ؟ هذا لايمكن أن يكون .

وقال ـ تعالى ـ مخبرًا عنهم أنهم قالوا : ﴿ نحن أكثر أموالاً

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/١١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٨٣) ، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مجاهد (٤٥٨) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/١١٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٨٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾[سبأ: ٣٥] .

أي : وأنتم لستم مثلنا في ذلك .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾[الكهف : ٣٤] .

ولما أرسل الله ـ تعالى ـ موسى ﷺ إلى فرعون وقومه ، وكان أتباع موسى من الإسرائيليين المستضعفين ، استدل فرعون بذلك على بطلان رسالته ، وأبى أن يتبعه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ۝ إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قومًا عالين ۝ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾[المؤمنون : ٤٥ـ ٤٧] .

ولما بُعث رسول الله ﷺ ـ وهو ليس من العظماء في نظرهم ـ استنكر الملأ من قومه ذلك ، وقالوا : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾[الزخرف : ٣١] .

قال ابن عباس : « يعنون أشرف من محمدﷺ»[١]

وعن قتادة أن الوليد بن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/١٦) .

المغيرة[1] كان يقول : لو كان مايقول محمد حقا أنزل علي هذا القرآن ، أوعلى عروة بن مسعود الثقفي[2])[3]. وذلك لأن منصب الرسالة ـ عندهم ـ منصب شريف ، لايليق إلابرجل شريف ، والرجل الشريف ـ عندهم ـ هو الذي يكون كثير المال ، عظيم الجاه ، ومحمدﷺ ليس ذا مال ، فلايليق به ، وإنما يليق بمن تحققت فيه هذه الصفة ، وهو الوليد وعروة .[4]

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم ـ أيضا ـ أنهم قالوا: ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾[صٓ :٨] .

قال ابن جرير : « يقول الله ـ تعالى ذكره ـ مخبرا عن قيل

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخزومي ، أحد المستهزئين بالنبي ﷺ ، وكان شديد الإيذاء له ، والمعارضة ، وقد نعته ـ تعالى ـ في القرآن بالوحيد .
انظر : سيرة ابن إسحاق ، كما في مختصر ابن هشام (١/٤٠٩ ـ ٤١٠) ، نسب قريش للزبيري (٣٠٠) .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي ، صحابي جليل ، دعا قومه إلى الإسلام ،فقتلوه ، فشبهه رسول الله ﷺ بمؤمن آل يس .
انظر : طبقات ابن سعد (٥/٥٠٣ـ ٥٠٤) ، أسد الغابة (٤/ ٣١ ـ ٣٢) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/١٩٦) ، وابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٦٥) .

(٤) انظر : تفسير الرازي (٢٧/٢١١) .

هؤلاء المشركين من قريش : أأنزل على محمد الذكر من بيننا ، وليس بأشرف منا حسبا »[1]

ومما يدل على وجود هذه الخصلة عند أهل الكتاب ، قوله ﷺ لعدي بن حاتم[2] : « أما إني أعلم ماالذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما تبعه ضعفة الناس ، ومن لاقوة له »[3].

وهذه الخصلة ، كما تبين من الأدلة من خصال الأميين والكتابيين.

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فبين ﷺ أن مدار معرفة الخير من الشر ، ليس بكثرة الأموال، ولابصحة الأجسام ، ولكن بالنظر إلى علاماته ، فلربما

---

(١) تفسير ابن جرير(٢٣/١٢٨) .

(٢) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، صحابي جليل ، كان نصرانيا ، فجاء فبايع وأسلم ، وتوفي سنة ٦٦، وقيل ٦٨ ، وعمره مائة وعشرون عاما ، وقيل بل مائة وثمانون .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢) ، طبقات خليفة (٦٨، ١٣٣) ، التأريخ الكبير للبخاري (٧/٤٣) ، تأريخ دمشق لابن عساكر (٤/ ٤٦٥ ـ ٤٧٧) .

(٣) اخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٧٨) ، وابن عساكر في تأريخ دمشق (٤/ ٤٧١ـ ٤٧٢) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٤/٨) ، وبنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٤/ ٣٢٤ـ ٣٢٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٤٢) .

كان المحتقر في الدنيا ، عند الله عظيما ، كما قال ﷺ : «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة ، كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة ، كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع»[1]

كما بين ﷺ أن الميزان عند الله ـ تعالى ـ ليس هو ذاك ، فقال: « إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[2] .

فجَعْلُ الغنى والشرف والرئاسة مقياسا للتمييز بين الحق والباطل ، ليس صحيحا .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة في عصرنا هذا ، فنرى كثيرا من المفتونين يكذب بما جاء من عند الله ـ تعالى ـ بكون الذين آمنوا به من الضعفاء ، ونحوهم .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد ـ باب الحراسة في الغزو وفي سبيل الله ـ (٣/ ٢٢٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه وعرضه وماله ـ (٤/ ١٩٨٧) ح ٢٥٦٤ .

فهذا حسين أمين يرى أن الإيمان بالقدر عقيدة صحراوية بدوية[1]، فهو يرفضها لكونها جاءت ـ حسب زعمه ـ من البدو الرحل ، الذين يعللون مايصيبهم من قحط ، وهلاك مواش بالقدر ، وإلا فإنه ليس له عنده حقيقة .

وكثير من الآراء تزدرى ، وتسفه أحلام أصحابها ؛ لكونهم ليسوا من علية القوم ، ولامن ذوي المال والسؤدد .

وقد سبق في المسألة التي قبل هذه المسألة ذكر أمثلة لها .

فالمقصود أن هذه الخصلة ماتزال موجودة ، والله المستعان .

---

(١) انظر : إسلام آخر زمن (٣/ ٨٠) ، أساطير المعاصرين د. أحمد عبدالرحمن (١٤٤) .

التاسعة

الاقتداء بفسقة العلماء والعباد[1] ، فأتى بقوله : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾[2] .[التوبة : ٣٤] ، وبقوله : ﴿ لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[3] [المائدة :٧٧] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين : الاقتداءَ برؤسائهم من السادة ، والأحبار والرهبان ، مع علمهم بفسقهم ، وخروجهم عن المنهج

---

(١) « العباد » ليست في (جـ) .

(٢) في (أ) ﴿ إن كثيرا من الأحبار والرهبان ﴾ ثم قال : الآية .

(٣) في (أ) : ﴿ لاتغلوا في دينكم ﴾ ثم قال : الآية ، وبعد الآية ذكر البيت التالي :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وهذا البيت لعبد الله بن المبارك ، كما ذكر ذلك ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢٥٨) ، وجعل بدل « أفسد » « بدل » ، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٣٥) .

الذي ينبغي أن يكون عليه المقتدى به ، وطاعتهم في ذلك طاعة عمياء ، وتقليدهم في كل شيء ، وقد بين أن الله ـ تعالى ـ نهى عن ذلك .

و استدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ أخبر بفسق كثير من الأحبار والرهبان ، وبين ذلك بأمارتين :

إحداهما : وصفهم بأكل أموال الناس بالباطل .

ثانيهما : وصفهم بالصد عن سبيل الله .

وبيان ذلك متضمن النهي عن الاقتداء بهم ، وبمن هو مثلهم، وهذا أسلوب معروف ، فإنه إذا قيل للرجل : هذا ليس بطبيب ، ولامفت ، ولاشاهد ، فهم منه النهي عن طلب الدواء منه ، واستفتائه ، واستشهاده.[(١)]

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ياأهل الكتاب لاتغلوا في

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٤٧) .

دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء االسبيل ﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أن الله ـ تعالى ـ نهى أهل الكتاب عن اتباع أسلافهم الذين وصف حالهم بقوله : ﴿ قد ضلوا من قبل ﴾ فأفاد الإخبار بفسقهم ، ﴿ وأضلوا كثيرا ﴾ حيث إنهم لم يكتفوا بضلالهم ، بل أضلوا مع ذلك غيرهم .

وهذا يعني النهي عن الاقتداء بالفسقة ، وذلك أن من كانت هذه حاله، فإنه لايجوز الاقتداء به .

ومما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يقتدون بالفساق ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ .

وهؤلاء الأحبار والرهبان فساق ، طواغيت ، بدليل تحليلهم ماحرم الله ، وتحريمهم ماأحل ، كما جاء في حديث عدي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية : « أليسوا يحلون ماحرم الله ، فتحلونه ؟ ويحرمون ماأحل الله فتحرمونه ؟ »[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة التوبة ـ (٢٧٨/٥) ح٣٠٩٥ ، والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٦/٧) ، وابن جرير في تفسيره (١١٤/١٠) ، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال (١١٩/٢٣) ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب آداب =

وكذلك اقتداء اليهود بالسامري حين صنع لهم العجل ، وأمرهم بعبادته ، فعبدوه ، وتركوا اتباع هارون ﷺ .

ومما يدل على ذلك - أيضا - قول اليهود للنبي ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام : « بل نتبع - يامحمد - ماوجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم أخير منا »

وقد علم من حال قريش اقتداؤها بالفساق ، كاقتدائها باليهود في عدم الإيمان بما جاء به النبي ﷺ ، وسؤالهم إياهم الحكم بين دينهم ودين محمد ﷺ ، وقبول حكمهم في ذلك ، كما سبق في بيان سبب نزول قوله - تعالى - : ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت﴾الآية [النساء :١٥٢] .

كما أنهم اقتدوا بعمرو بن لحي في تغيير دين إبراهيم ﷺ ، وتحريمه بعض المباحات ، كالبحيرة والسائبة والوصيلة

= القاضي - باب مايقضي به القاضي . . . - (١١٦/١٠) ، وفي المدخل إلى السنن الكبرى - باب ترك الحكم بتقليد أمثاله من أهل العلم حتى يعلم مثل علمهم - (٢٠٩ - ٢١٠) ح٢٦١ .
قال الترمذي : « حديث غريب ، لانعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث » ، وحسن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان (٥٨) .

والحامي .[1]

ومن ذلك : اقتداؤهم بمعظميهم في الكفر والشرك ، كما سبق في مسألة التقليد .

وقد علمنا من خلال ماساقه الإمام من الأدلة كيف خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة .

كما أن الله ـ تعالى ـ بين خطورة ذلك ، فقال : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ○ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار ﴾ [البقرة: ١٦٦ـ١٦٧]

وقال ـ تعالى ـ مخبرًا عن حال المقتدين بالفسقة من أهل النار : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمَّةٌ لَعَنَتْ أخْتَها حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربَّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفًا من النَّار ﴾[الأعراف :٣٨]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٧/ ٨٦ ـ ٩٣) .

فاضَلُّونا السبيلاْ﴾[الأحزاب : ٦٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقفون عند ربهم يَرْجِعُ بعضُهم إلى بعضٍ القولَ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ○ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ○ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾[سبأ : ٣١ - ٣٣] .

فهذه من مخاطر الاقتداء بالفسقة من العلماء والعباد .

وقد بين ـ تعالى ـ صفات الذي ينبغي الاقتداء بهم ، فإنه لما ذكر الأنبياء ، قال : ﴿ أولئك الذين هدى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

فالمقتدى بهم هم المهتدون من الأنبياء والتابعين لهم بإحسان ، فلم يغيروا بعدهم ، ولم يبدلوا .

والاقتداء بفسقة الأحبار والرهبان ظاهرة في هذا العصر ، فأنت تجد المتصوفة يقتدون بمشايخ الطرق الذين ضارعوا أحبار اليهود والنصارى ورهبانهم في الفسق ، بل فاقوهم في ذلك ، وذلك أن كثيرا منهم لايعرفون لله حقا ، ولالدينه وزنا ، فلا هم يؤدون الصلاة مع المسلمين ، ولايصومون معهم ، ولايؤدون زكاة أموالهم ، ولاتسول لهم أنفسهم الحج إلى البيت الحرام ، بل يلزمون معتكفاتهم عند القبور ، ويجمعون مايحصل لها من النذور، غاية مناهم الظهور والرفعة ، والمنزلة في قلوب الخلق ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وقد رأيت بعضهم ، ورأيت صور بعضهم ، وآثار الفسق عليهم ظاهرة ، ليس بها خفاء .

ومع هذا كله يدعون الولاية ، ويرون وجوب الاقتداء بهم في كل سكون وحركة ، ولايجوز الإنكار عليهم في أي أمر فعلوه ،

وإن كان ظاهره مخالفا لدين الله.

ومن مظاهر الاقتداء بفسقة العلماء في هذا العصر ، اقتداء الرافضة بفقهائهم ، وذلك أن فقهاء الرافضة شابهوا اليهود كثيرا في معرفة الحق والإعراض عنه ، وعدم العمل به .

ومن ذلك الاقتداء بفسقة المفتين ، المتتبعين لرخص الفقهاء، والأخذ بفتاواهم ، وتعظيمهم ، والله المستعان.

العاشرة

الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم حذقهم[1] ، كقولهم[2] : ﴿ بادي الرأي ﴾ [هود :٩] .

يبين المؤلف في هذه المسألة استدلالا آخر من استدلالات أهل الجاهلية على بطلان الحق ، فيذكر أنهم يستدلون على ذلك بكون أهله قليلي الفهم ، ضعيفي العقول ، ذوي طيش وعجلة في الأمور ليس لهم تمييز ولا إدراك ، ولانظر في عواقبها .

ولاشك أن هذا استدلال صحيح ، لو كان ماقالوه حقا ، وذلك أن الجنون ، والعَتَه من عوارض الأهلية[3] ، لكنهم كاذبون في ذلك ، وهم إنما أرادوا بهذا إبطال الحق الظاهر ،

---

(١) في (جـ) و (د) : « حفظهم » .
(٢) في (أ) : « لقولهم » وفي (ب) و (جـ) و (د): « كقوله » .
(٣) انظر : كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي (٤/ ٢٦٣) ، المغني في أصول الفقه (٣٦٩ ، ٣٧٢ـ ٣٧٣) .

والتشنيع على من جاء به ، ومن تبعه ، وإلا فإنهم يعلمون في قرارة أنفسهم رجاحة عقول الأتباع .

وهذه الدعوى ، وهذا الاستدلال قديمان ، فقد ادعاها قوم نوح ﷺ ، كما في قوله ـ تعالى ـ إخبارا عنهم : ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ .

وهذه الآية قد استدل بها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ .

ووجه الاستدلال منها ، إخبار الله ـ تعالى ـ أن قوم نوح استدلوا على بطلان ماجاء به باتباع بادي الرأي له ، وهم الذين يتبعون بلا ترو ولاتحفظ ، بل من أول مرة[١] .

والدليل على أنهم استدلوا بذلك على البطلان : قولهم في آخر معارضتهم : ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾[هود :٩] .

وقوله ـ تعالى ـ ﴿بادي الرأي﴾ في معناها ثلاثة أقوال[٢] ، إلا أن الراجح منها عندي ، هو ماذكرته قبل قليل ، وهو أن

---

(١) انظر :تفسير ابن جرير (١٢ /٢٧) ،معاني القراءات للفراء (٢ / ١١) ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (١/١٨٧) ،

(٢) انظر : النكت والعيون (٢ / ٤٦٥) ، زاد المسير لابن الجوزي (٤/٩٦) .

المراد به المتبعون بلا ترو ولاتحفظ ، يؤيد هذا قراءة أبي عمرو[1]﴿ باديء الراي﴾.[2]

وهذه القراءة ليس فيها سوى قول واحد ، وهو ماذكرته .

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أن عادا قالوا لنبيهم هود ﷺ لما أمرهم بعبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، ونبذ مايعبد الآباء والأجداد : ﴿ إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ [الأعراف :٦٦] .

والسفه : خفة العقل[3] ، وقالوا : ﴿ إن نقول إلا اعتراك

---

(١) هو أحد القراء السبعة ، وقد اختلف في اسمه على عدة أقوال ، وجزم البخاري أن اسمه كنيته ، وذكر الذهبي أن أشهر أسمائه زبان بن العلاء التميمي ، وقد ولد سنة ٦٨هـ على الأشهر ، وتوفي على الأشهر سنة ١٥٤هـ .

انظر : الكنى للبخاري (٥٥) ، معرفة القراء الكبار للذهبي (١/ ٨٣) ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٢٨٨) .

(٢) انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد (٢٣٢) ، الغاية في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوري (١٧٤) .

(٣) انظر : مادة « سفه » معجم مقاييس اللغة ، لسان العرب ، (١٣/ ٤٩٧) .

بعض آلهتنا بسوء ﴾[هود : ٥٤] .

أي : أصابتك في عقلك بخبل وجنون[1].

ولما دعا الكليمُ ﷺ فرعونَ اللعين إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وبهره بالبراهين الساطعة ، وقطعه بالحجج الدامغة ، ورأى ذلك من حضر من قومه ، أراد أن يلبس على الناس ، فقال : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾[الشعراء : ٢٧] .

وهكذا فعلت قريش مع النبي ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم: ﴿ أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾[الصافات : ٢٧] .

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن المنافقين أنهم كانوا إذا أمروا بالإيمان ، استخدموا هذه الحجة الواهية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾[البقرة :١٣] .

وهذا يعني ـ بزعمهم ـ أن أتباعه أتباع كل ناعق ، وهم

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٥٩/١٢) ، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (١٣٠/٢) ، معالم التنزيل (٣٨٨/٢) ، زاد المسير (١١٨/٤) ، تفسير ابن كثير (٤٥٠/٢) .

ضعفاء العقول .

وقد علم في مسألة سابقة أن أهل الكتاب والأميين ، استدلوا بأقوام لهم عندهم منزله ؛ لكونهم أعطوا قوى في الأفهام ، وقلدوهم ، وتركوا اتباع الحق ، وهذا يعني أن غير المتبعين ـ وهم الأنبياء وأتباعهم ـ سفهاء الأحلام ، فهم استدلوا على بطلان دعوتهم بذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد علمنا من خلال الآيات السابقة إبطال هذه الحجة ، وذلك حينما ذكرها الله ـ تعالى ـ في مقام الاستهجان والسخرية بهم ، ثم ماأحل بهم من العذاب في الدنيا ، وماأخبر أنه سيحل بهم في الآخرة، مما يعني بطلان هذه الحجة .

كما أن الله ـ تعالى ـ بين أن من لم يتدبر ماجاء عن الله ، ولم ينظر فيه ، فهو في الحقيقة الذي لايعقل ، وليس من تدبر ماجاء عن الله ، وعقله ، وآمن به ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك

كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف :١٧٩]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أونعقل ماكنا في أصحاب السعير ﴾ .

فهذا هو الجنون والسفه حقيقة .

وهذه الحجة الجاهلية من حجج أعداء الله ـ تعالى ـ اليوم، فكثير منهم يصفون المتدينين بقلة العقل ، وضعفه ، ويزعمون أن غيرهم أقوى منهم عقولا وأنضج .

وفي هذا يقول غوستاف لوبون : « وبراهين المؤمنين في الغالب صبيانية بالنسبة للعقل ، ومع ذلك فليس من خصائص العقل أن يقضي فيها ؛ لاشتقاقها من عناصر دينية، أوعاطفية لاصلة بينه وبينها ، ولما كان العقل غير مشترك في تكوين المعتقدات ، فإنه لاحد لسرعة التصديق في المؤمن ، ولايتخيل أن المؤمن يعتقد الأشياء من غير برهان ، بدليل أنه يستشهد بالبراهين على الدوام، غير أن هذه البراهين تدل على مافيه من سذاجة متناهية ، وسرعة تصديق

متأصلة »[1]

وبغض النظر عما يريده من الأديان ، فإنه يقررنتيجة يراها، وهي سذاجة المتدينين ، وكون عقولهم صغيرة صبيانية .

ويتناول القصيمي هذه الفكرة ، ويقررها في كتابه بعبارة أخرى ، حيث يقول : « وإنه قد علم بالتجربة أن المتدينين يفقدون الميزان الفكري الذي توزن به الأمور في الغالب ، ويصبحون من الناحية النفسية أناسا طيبين ، فاقدين لكل مناعة عقلية ، مستعدين استعدادا غريبا للوقوع في حبائل المشعوذين ، والدعاة المضللين ، عمين عن كل الحقائق التي يراها ويستفيد منها الآخرون ، ويرتفع لديهم سعر التهريج والدجل ارتفاعا عجيبا ، وتنبت أرضهم الدعة الكثيرين ، ويصيخون لكل ناعق ، ويهبون بسخاء نادر جيوبهم وقلوبهم وعقائدهم لكل سائل ؛ لأنهم بعد أن عزلوا العقل ، وتنازلوا عن تحكيمه ، عجزوا أن يعرفوا الحق من الباطل ، والصادق من الكاذب ، والقائد من

---

(١) الشواهد والنصوص (٤٦) نقلا عن الآراء والمعتقدات لغوستاف لوبون .

الصائد ، فصدقوا المستحيلات والمتناقضات ، وآمنوا بأشنع الترهات ؛ لأن العاصم من كل ذلك ـ وهو العقل ـ قد أبعد ، وعزل »[1]

فانظر وتأمل كيف استدل على بطلان الأديان بكون المتدينين ـ في رأيه الفاسد ـ من ذوي السذاجة الفكرية ، الذين لايميزون بين الحق والباطل .

وهذا القول شبيه بقول بعض الملاحدة من علماء الاجتماع : إن تدين الشباب نوع من جنون العظمة الدوري[2] .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة وصف علماء الإسلام بضيق الأفق والهمجية[3] .

ومن مظاهرها : رمي العلماء بعدم فقههم واقعهم الذي يعيشون فيه، ومن ثم الابتعاد عن الاستنارة بآرائهم ، وأخذ المشورة منهم .

---

(١) الشواهد والنصوص (٤٦ ـ ٤٧) نقلا عن هذه هي الأغلال .

(٢) انظر : مجلة البيان ، العدد (٤٢) .

(٣) انظر : ثلاثة كتب في ميزان الإسلام د . عبد المجيد المحتسب (٣٢) ، وانظر : العقلانية هداية أم غواية لعبد السلام بسيوني (٩٥) .

كما أن من مظاهر ذلك أنك تجد أهل البدع ممن ينتسبون إلى الإسلام ، يصفون أهلَ السنة والجماعة بجمود الرأي ، وتحجره ، ويكونهم جُهَّالاً أغرارًا ، غافلين ، بدوًا سُذَّجًا ، ذوي عقول ضئيلة ، ذوي طيش وعَجَلَة[1] .

وهكذا تبقى هذه الخصلة إلى يومنا هذا ، والله المستعان.

---

(١) انظر : الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والخوارق لجميل صدقي الزهاوي (٢٥) ، تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم للكوثري (١٥ ، ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٧١) دستور الوحدة الثقافية للغزالي (١٩٦) ، مجلة البيان ذات العدد (٣٤) .

الحادية عشرة[1]

الاستدلال بالقياس الفاسد[2] ، كقولهم[3] : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

الثانية عشرة

إنكار القياس الصحيح[4] .

والجامع لهذا وماقبله : عدم فهم الجامع والفارق .

يبين المؤلف بهذه المسألة مايدل على عدم فهم أهل الجاهلية، وعدم حفظهم ، وذلك عندما يفرقون بين المتماثلات ، ويساوون بين المتفرقات .

ويظهر هذا في استدلالهم بالقياس الفاسد الذي اختل ركن

---

(١) في جميع النسخ حتى الأصل « الحادية عشر » وهو خطأ ، وسيستمر هذا إلى المسألة العشرين ، وقد أصلحتها كلها ، وسأكتفي بهذا التنبيه عن بيان ذلك في كل مسألة .

(٢) في (أ) بدأ بالمسألة الثانية عشرة ، ثم ذكر الحادية عشرة .

(٣) في (د) : « كقوله » .

(٤) في (أ) ذكر الآية في المسألتين .

من أركانه ، أوفقد شرطا من شروطه ، وتركهم الاستدلال بالقياس الذي استجمع ذلك كله ، وهو القياس الصحيح .

وقد ذكر المؤلف أن سبب خلطهم هذا هو عدم فهمهم العلة فهما صحيحا ، حيث إن القياس لابد له من علة تجمع بين الأصل والفرع في الحكم[1] ، فإذا لم يكن ثمة علة جامعة ، ولاوصف جامع بينهما ، أو كانت علة الأصل غير علة الفرع ، بطل القياس .

والعلة هي التي عبرعنها المؤلف بـ « الجامع والفارق » .

وقد استدل على استدلال أهل الجاهلية بالقياس الفاسد ، بقوله ـ تعالى ـ مخبرًا عنهم أنهم قالوا : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أنهم قاسوا الأنبياء على أنفسهم بجامع البشرية في كل ، ونسيانهم الفارق ، وهو ماذكره

---

(١) انظر : العدة في أصول الفقه (٤/١٣٢٦) ، المعتمد في أصول الفقه (٢/٢٤٨) ، بذل النظر في الأصول للأسمندي (٦١١) ، البحر المحيط للزركشي (٥/ ١٢٢ـ ١٢٨) .

الأنبياء بقوله : ﴿ إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ [إبراهيم :١١] .

فامتنان الله ـ تعالى ـ على من يشاء من عباده بالإيحاء إليهم هو الفارق[١] ، فعدم فهمهم ذلك أداهم إلى القول بهذا القياس .

وهذا كقول قوم نوح ﷺ عنه : ﴿ ماهذا إلا بشر مثلكم ﴾ [المؤمنون : ٢٤] ، وقول عاد عن هود ﷺ ﴿ ماهذا إلا بشر مثلكم ﴾ [المؤمنون : ٣٣] .

وقد ذكر أهل العلم أن أول من قاس قياسًا فاسدًا إمام الجاهليين إبليس[٢] ، حيث قال ماأخبر الله ـ تعالى ـ عنه : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] .

فقد قاس أصل خلقته النارية بأصل خلقة آدم الطينية ، وفضل نفسه على آدم ، بسبب نتيجة هذا القياس .

---

(١) انظر : المعتمد في أصول الفقه (٢/٢٢٦) .

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٥) ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٣٨٧) .

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « أول من قاس إبليس فأخطأ القياس »[1]

وتبع إبليسَ على ذلك أهلُ الجاهلية ، فقاسوا أقيسة فاسدة كثيرة ، ومن ذلك : قياسهم الشفاعة عند الله ـ تعالى ـ على الشفاعة عند المخلوقين من ملوك وغيرهم .[2]

وقياسهم صفات الله ـ تعالى ـ على صفات خلقه ، كما جاء عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر ، كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه ، وإذا لم نرفعه لم يسمعه ، فقال الآخر : إن سمع منا شيئًا سمعه كله ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فأنزل الله ـ عزوجل ـ ﴿ وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ١٧١) ، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣٨٧) عن ابن سيرين والحسن البصري .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٢٢١) .

ولاأبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾[1] [فصلت ٢٢ـ ٢٣] .

فقد ظن هؤلاء الجاهليون أن الله ـ تعالى ـ لايسمع كلامهم إن هم أسروا به ؛ قياسا على سمع المخلوقين .

ومنه قياسهم الفاسد في الأحكام ، كقياسهم الميتة حتف أنفها على المذكاة بجامع مايشتركان فيه من إزهاق الروح ، هذا بسبب الآدميين ، وهذا بفعل الله .[2]

ومنه قياسهم البيع على الربا بجامع مايشتركان فيه من المعاوضة المالية[3] ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

ومن إنكار القياس الصحيح إنكارهم قياس إعادتهم مرة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ ـ (٦/٣٧) .

(٢) انظر : أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١٣٣) .

(٣) انظر : أعلام الموقعين (١/ ١٣٣) .

أخرى على خلقهم الأول ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ۝ ألم يك نطفة من مني يمنى ۝ ثم كان علقة فخلق فسوى ۝ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ۝ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [القيامة ٣٦ـ ٤٠] ، ونحوها من الآيات .

ومنه إنكار قياس قدرة الله ـ تعالى ـ إعادة الإنسان بعد موته على قدرته على خلق السماوات والأرض ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾[الأحقاف : ٣٣] .

وإنكار قياس إعادة الأموات على إحياء الأرض الميتة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ۝ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾ [الحج : ٥ ـ ٦] وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا

أنزلنا عليه الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾[فصلت : ٣٩] .

وقد بين الله ـ تعالى ـ استدلال أهل الجاهلية بالقياس الفاسد ، وإنكارهم القياس الصحيح في آية واحدة ـ : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾[يس:٧٨]

فالقياس الفاسد هو ضربه المثل بالعظم الذي قد أرم ، وإنكاره القياس الصحيح ، هو إنكاره خلقه أول مرة ، فليست الإعادة مرة أخرى بأعظم من ابتداء الخلق على غير مثال سابق .

وتقدير كلام هذا المعترض :العظام رميم ، ولاأحد يحيي العظام وهي رميم ، فلا أحد يحييها .[1]

ومن إنكار القياس الصحيح ، ترك النصارى عبادة آدم ﷺ، وعبادتهم عيسى بن مريم ﷺ ؛ لكونه خلق بلا أب ، مع أن القياس يقتض عبادة آدم من باب أولى ، لكونه خلق بلا أب ولاأم .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٣) .

وقد احتج الله ـ تعالى ـ عليهم بذلك ، كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[آل عمران : ٥٩] .

يعني فلم فرقتم بينهما في الحكم ؟

فالقياس يقتضي عبادتهما جميعا ، أوترك عبادتهما جميعا ، أما الاقتصار على أحدهما فلا وجه له .

وهذه الخصلة كما تبين لنا من الأدلة من خصال الجاهليتين .

وقد خالف هدي الإسلام هديهم في هذه الخصلة ، فجاء بالأقيسة الصحيحة ، وأبطل الأقيسة الفاسدة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فاعتبروا ياأولي الأبصار ﴾ .

والاعتبار : أن يعقل الإنسان الشيء ، ويعقل مثله ، وهذا هو القياس.[1]

---

(١) انظر : العدة في أصول الفقه (١٢٩١/٤) ، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ، المحصول في علم الأصول للرازي (٥/ ٢٦ ـ ٢٧) ، البحر المحيط =

كما أنه جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ أقيسة كثيرة كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ .

كما أنه جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ـ أيضا ـ أمثلة كثيرة ، وهي كلها أقيسة صحيحة .[1]

وقد أبطل الله ـ تعالى ـ أقيسة أهل الجاهلية الفاسدة التي سبق ذكرها ، وردها عليهم ، وشنع عليهم بها ، وألزمهم القول بمثلها فيما لم يقولوا به ، أو ترك ماضربوه من الأمثلة والأقيسة .

كما أن رسول الله ﷺ حذر من ذلك ، وبين عظم خطرها ، كما في حديث عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها على أمتي فتنة قوم يقيسون الدين برأيهم ، يحرمون ماأحل الله ، ويحلون ماحرم الله»[2].

= للزركشي (٥/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(١) انظر : الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن عثيمين (٦٢) ، وانظر في أقيسة النبيﷺ كتاب : أقيسة النبي ﷺ لابن ناصح الحنبلي .

(٢) أخرجه البزار في مسنده ، كما في كشف الأستار (١ /٩٨) ، والطبراني في =

والنبي ﷺ لم يقصد بهذا القياس الصحيح ؛ لأن القياس الصحيح حجة شرعية ، وإنما أراد بذلك القياس الفاسد .

وقد سرت هذه الخصلة الجاهلية بين بعض المسلمين في مسائل كثيرة، ومنها مسائل القبور وبدعها ، والتشفع بأصحابها ، فمثلا قاسوا التوسل بالنبي ﷺ ، وطلب الاستغفار منه بعد موته على طلب ذلك منه حال حياته .[1]

وقاسوا التمسح بالقبور على استلام الحجر الأسود[2] ، كما

= المعجم الكبير (١٨/ ٥٠ ـ ٥١) ح٩٠ ، وفي مسند الشاميين ، ح١١٧٢ ،والحاكم في المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ (٣ /٥٤٧) ، وفي كتاب الفتن والملاحم ـ (٤/ ٤٣٠) ، والبيهقي في المدخل (١٤ـ ١٥) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦ ـ ٣١١) ، وفي الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٠) ، وابن حزم في الإحكام (٢/ ١٠٦٨) ، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٣٨٧) .

وقد ضعف هذا الحديث البيهقي في المدخل ، وابن معين كما نقله البغدادي عنه ، وصححه الحاكم وقال : « على شرط الشخين ولم يخرجاه » وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٩) : « ورجاله رجال الصحيح » .

(١) انظر : الدرر السنية في الرد على الوهابية (٢) ، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٣١) ، النقول الشرعية في الرد على الوهابية (٨٥) ، حكم التوسل بالأنبياء والأولياء (٤) .

(٢) انظر : شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور (٣٦) .

قاسوا التمسح بها على التبرك به ﷺ حال حياته[1]، كما قاسوا شد الرحل إلى قبره ﷺ على شده إليه إذ كان حيا[2]، كما قاسوا تعظيم آثار الأنبياء على اتخاذ مقام إبراهيم مصلى[3]، كما قاسوا إسراج القبور على إسراج المساجد[4]، كما قاسوا بدعة المولد النبوي على أعمال الحج ، بجامع أن في كل منهما ذكريات مشهودة يحييها المسلمون كل عام[5].

ومن المسائل التي وقع فيها القياس الفاسد ، مسائل الأسماء والصفات ، فإن المعطلة على اختلاف مذاهبهم ، لم يعطلوا أسماء الله وصفاته إلا بعد قياسه على خلقه فيما يجب ويجوز ويمتنع .[6]

---

(١) انظر : المرجع السابق (٤٥ـ ٤٦) .

(٢) انظر : الدرر السنية في الرد على الوهابية (٣) .

(٣) انظر : الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي للشيخ حمود التويجري (٨٣) .

(٤) انظر : المرجع السابق (١٢٥) .

(٥) انظر : المرجع السابق (١٠١) .

(٦) انظر : الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠٧ـ ١٠٨) وانظر فيها =

ومن ذلك - أيضا - مسائل الإيجاب على الله - تعالى - ، وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله - تعالى - أمورا كثيرة ، وهذه الإيجابات إنما جاءت من قبل قياس الله - تعالى - على خلقه .

ومن إنكار القياس الصحيح إنكار أهل البدع في الأسماء والصفات قياس الأولى ، وهو أن كل كمال لايستلزم نقصا ثبت للمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه .[1]

كما أن كل قياس فاسد هو في الحقيقة إنكار لقياس صحيح ، وقد علمنا استدلال أهل البدع بالأقيسة الفاسدة[2] ، والله أعلم .

= بعض الأمثلة على ذلك ، وانظر في القياس الفاسد في باب الأسماء والصفات: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د . إبراهيم البريكان (٢٩٠) .

(١) انظر : درء التعارض (١/ ٢٧ - ٢٨) ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٢٩٧) الفتاوى الكبرى له (١/ ٣٧٤) .

(٢) لم أعد أهل الظاهر ضمن منكرة القياس الصحيح - وإن كانوا منكرين له - لأن الكلام مع من يحتج بالقياس ، ويراه دليلا ، فهو يحتج بما تهواه نفسه من الأقيسة الباطلة ، بينما ينكر مالاتهواه نفسه من الأقيسة الصحيحة .

الثالثة عشرة

الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله[1] : ﴿ ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق[2] ﴾ [النساء : ١٧١] .

الغلو لغة : تجاوز الحد .

يقال : غلا الرجل في الأمر غلوا :إذا تجاوز حده .[3]

وهو اصطلاحا : مجاوزة الحد المشروع .

والمراد بهذه المسألة بيان أن أهل الجاهلية الأميين والكتابيين ، قد تجاوزوا الحد الذي كان ينبغي لهم أن يقفوا عنده في تعظيم العلماء والصالحين أيما تجاوز ، فأنزلوهم منازل فوق التي أنزلهم الله ـ تعالى ـ إياها ، حتى آل بهم الأمر أن

---

(١) في (د) : « فأتى بقوله » .

(٢) ﴿ ولاتقولوا على الله إلا الحق ﴾ ساقط من (أ) .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة «غلا» (٤/٣٨٧ ـ ٣٨٨) ، مفردات القرآن (٣٦٤ ـ ٣٦٥) ، لسان العرب ، مادة «غلا» (١٥/٣٢) .

عبدوهم من دون الله ، وغيروا بذلك دين الأنبياء .[1]

وقد نبه المؤلف بقوله :« العلماء والصالحين » إلى من دونهم ؛ لأن الافتتان بهم أعظم من الافتتان بغيرهم .

وقد استدل على النهي عن الغلو في العلماء والصالحين بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أن الله ـ تعالى ـ نهى عن الغلو في الدين .

والغلو لفظ عام يشمل جميع أنواع الغلو ، سواء كانت في الاعتقادات أو الأعمال[2]، ومنها الغلو في العلماء والصالحين .

وقد دل كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ على أن الأمم قبلنا غلوا في علمائهم وصالحيهم ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ﴾ [المائدة :٧٧]

وقال ـ تعالى ـ مبينا حكمه على من غلا في المسيح ﷺ :

---

(١) انظر : كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب (٥٧) .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٨٨) .

﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة: ١٧] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا غلو اليهود والنصارى في أنبيائهم : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ○ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾ [التوبة : ٣٠ ـ ٣١] .

وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »(١).

والإطراء : مجاوزة الحد في المدح ، والكذب فيه(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأنبياء ـ باب قول الله تعالى ـ : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ﴾ ـ (١٣٨/٤) .

(٢) انظر : غريب الحديث لابن الجوزي (٣٣/٢) ، النهاية في غريب الحديث (١٣٣/٣)، لسان العرب ، مادة « طرا » (١٥/٦) .

ولاشك أن النصارى قد تجاوزوا الحد في المدح ، وكذبوا فيه حتى قالوا : ﴿ إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ ، وقالوا : ﴿ المسيح ابن الله ﴾.

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »[1] ، ففي هذا الحديث إخبار منه ﷺ أن

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب الحج ـ أبواب الرمي ـ التقاط الحصى ـ (٤٣٥/٢) ح٤٠٦٣ ، وفي المجتبى ـ كتاب مناسك الحج ـ باب التقاط الحصى ـ (٢٦٨/٥ ـ ٢٦٩) ح٣٠٥٧ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب المناسك ـ باب قدر حصى الرمي ـ (١٠٠٨/٢)ح٣٠٢٩ ، وأحمد في مسنده (٢١٥/١ ، ٣٤٧) ، وابن أبي عاصم في السنة ـ باب ذكر قول النبي ﷺ : « عليكم هديا قاصدا » ، وأبو يعلى في مسنده (٣١٦/٤ ، ٣٥٧) ، وابن الجارود في المنتقى ـ كتاب المناسك ـ باب المناسك ـ (٩٨/٢) ح٤٧٣ ، وابن خزيمة في صحيحه ـ كتاب المناسك ـ باب التقاط الحصى ـ (٢٧٤/٤)ح٢٨٦٧ ، وابن حبان في صحيحه ، كما في موارد الظمآن ـ كتاب الحج ـ باب ماجاء في الرمي والحلق ـ (٢٤٩)ح١٠١١ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٦/١٢) ح١٢٧٤٧ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب المناسك ـ رمي الجمار ومقدار الحصى ـ (٤٦٦/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الحج ـ باب أخذ الحصى لرمي الجمار ـ (١٢٧/٥) .
قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك .
وذكر النووي في المجموع شرح المهذب (١٣٧/٨) ، وشيخ الإسلام ابن =

سبب هلاك من كان قبلنا هو الغلو في الدين ، وهذا يعني كثرته فيهم حتى أدى بهم إلى الوقوع في الهلكة .

وكما أن أهل الكتاب قد غلوا في صالحيهم ومعظميهم ، فإن الأميين كذلك مثلهم ، فقد أخبرنا الله - تعالى - في كتابه عن ذلك ، فقال - عز من قائل عليما - : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وَدا ولاسُواعا ولايَغوث ويَعوق ونَسْرا ﴾[نوح : ٢٣] .

وقد علمنا قبلُ أن هذه أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح غلوا فيهم ، حتى عبدوهم من دون الله - تعالى - .

كما أنهم غلوا في اللات ، حتى عبدوه من دون الله ؛ لاعتقادهم صلاحه[1] .

ومن الغلو في العلماء والصالحين ماسيذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - من اتخاذ أهل الجاهلية قبور أنبيائهم

= تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٨/١) ، والألباني في السلسلة الصحيحة ، حديث رقم (١٢٣٨) أن إسناد هذا الحديث صحيح على شرط مسلم .

(١) انظر : (ص ٦٦) من هذا البحث .

وصالحيهم مساجد ، وأعيادا ، ومن الذبح عندها ، ومن التبرك بآثارهم .

وقد خالف هديُ رسول الله ﷺ هديَ أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، كما تبين ذلك من الآيات التي سيقت في الاستدلال ، وكذلك الأحاديث .

وهذه الخصلة من الخصال الجاهلية التي ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، وذلك أن النصارى لايزالون على ماهم عليه من الغلو في عيسى ﷺ وأمه[1]، وكذلك اليهود في شأن عزير .

وتبعهم في الغلو بعض من ينتسب إلى الإسلام ، وخاصة الرافضة والمتصوفة .

فالرافضة لايزالون يحيطون أئمتهم بقداسة إلهية ، ويجعلون لهم منزلة ليس يبلغها أحد، لاملك مقرب ، ولانبي مرسل ، كما زعم ذلك

(١) انظر : شرح رسالة أفسس للقس إبراهيم سعيد (٢٦ ـ ٢٧) ، شرح رسالة لوقا له (٤٦ ـ ٤٧) ، شرح الرسالة إلى العبرانيين للقس غبريال رزق الله (٤٣ ـ ٧٥) .

الخميني[1] .

وهذا الذي زعمه الخميني ليس هو في الحقيقة من مستحدثاته ، إنماهو مجرد متكلم بلسان الرافضة ؛ لأن هذا هو حقيقة معتقد الرافضة، فهم زعموا قبل أن يولد الخميني بمئات السنين أن أئمتهم يعلمون الغيب[2]، وأنهم يحيون الموتى ، وأنهم قادرون على إبراء الأكمه والأبرص[3]، وأن كل ماجاء من صفات لله ـ تعالى ـ فإن المراد بها أئمتهم ، كوجه الله ، ويده ، ولسانه[4]وبابه ، وأنهم الأسماءالحسنى[5]، كما زعموا أن أئمتهم أفضل من الأنبياء[6]، كما عبدوهم من دون الله ـ تعالى ـ

---

(١) انظر : لماذا أفتى علماء المسلمين بكفر الخميني لوجيه الحديثي(٤) .

(٢) انظر : الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (١/٢٥٨) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١/٤٨٤) .

(٤) لم يأت في كتاب الله ـ تعالى ـ ولاسنة رسوله ﷺ ـ فيما أعلم ـ إثبات اللسان له ، وإنما يوصف بأنه متكلم ، وقد ذكرت ذلك بناء على ماذكروه .

(٥) انظر : الكافي (١/٤٤٨) .

(٦) انظر : الفصول المهمة العاملي (١٥٢) ، الشيعة وأهل البيت لظهير (٢٧) .

وجعلوا أضرحتهم مزارات وأعيادا ، وصيروها أوثانا ، وقد نعى عليهم ذلك أحد عقلائهم وهو الدكتور موسى الموسوي ، وذلك حينما وصف حالهم ، ومايجري منهم ، ودعاهم إلى ترك ذلك ، وإلى الاعتقاد الصحيح .[1]

فالمقصود أن عقيدة الرافضة هي عقيدة الغلو .

وانظرإلى الطرق الصوفية كيف تغلوا في معظميها، وتعتقد فيهم اعتقادات مخرجة من الملة،كاعتقادهم أن الرسول ﷺ ومشايخ الطرق يعلمون الغيب الذي لايعلمه إلاالله - تعالى - ، واعتقادهم أنهم يحيون الموتى ، وأنهم يتصرفون في الكون .

وإليك بعضا مما افتروه في هذا المقام :

يقول إمام البريلوية[2]: « هو - يعني النبي ﷺ - روح

---

(١) انظر : الشيعة والتصحيح (٨٠ - ٩٦) .

(٢) هو أحمد رضا خان ، ولد سنة ١٢٧٢ هـ ، وتوفي سنة ١٣٤٠هـ .
والبريلوية : طريقة صوفية ، ظهرت في الهند إبان الاحتلال البريطاني لها ،وأهم ماتقوم عليه هذه الطريقة تقديس الأولياء، وعبادتهم من دون الله ، وبغضهم لأهل التوحيد .
انظر : البريلوية لإحسان إلهي ظهير ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٦٩ - ٧٥) .

الأكوان وحياتها ،وسر وجودها، ولولاه لذهبت ، وتلاشت »[1].

ويقول الصيادي[2]ـ وهو أحد مشايخ الرفاعية المتأخرين[3]ـ :

«وأما بشأن النبي ﷺ ، فإنه حي في قبره ، منعم ، متصرف وهو فيه بالعالم العلوي والسفلي »[4]

---

(١) البريلوية (١٠٤) .

(٢) هو محمد بن حسن وادي بن علي الصيادي ، أحد مقدمي الرفاعية ، ولد سنة ١٢٦٦هـ ، وأخذ الطريقة عن أبيه ، ونال حظوة عند السلطان عبدالحميد العثماني ، له مؤلفات منها : تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار ، وضوء الشمس في قوله ﷺ : « بني الإسلام على خمس » ، وتوفي سنة ١٣٢٨هـ .
انظر : عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية لنجيب توفيق (٨٧ ـ ٩٦) ، الأعلام (٦/ ٩٤) ، معجم المؤلفين (٩/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) .

(٣) هي إحدى الطرق الصوفية الغالية ، وتنسب إلى أحمد بن علي الرفاعي المولود سنة ٥٠٠ هـ ، والمتوفى سنة ٥٧٨هـ ، وكان رجلا صالحا ، ولم يكن على ماعليه أتباعه.
وهذه الطريقة تشترك مع غيرها من الطرق في عبادة الصالحين ، وهي تبالغ إلى حد كبير في مسألة الكرامات ، واتخاذ السحر والتمويهات لأجل ذلك .
انظر : سير أعلام النبلاء (٢١/٧٧) ، الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار (٦٣ـ ٧٢) ، دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢١٥ ـ ٢٣٤) ، الرفاعية لعبدالرحمن دمشقية .

(٤) نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف للصيادي (١٤ـ ١٥) .

ويقول آخر واصفا رسول الله ﷺ : « فإنه حي الدارين ، دائم العناية بأمته ، متصرف بإذن الله في شؤونها ، خبير بأحوالها »[1]

ويقول أحد التجانيين[2]: « اعلم أن طريقتنا هذه مبنية على تعظيم ثلاث حضرات . . . الحضرة الثالثة : حضرة الشيخ ، فكل مايفعله الإنسان في حضرة ربه وحضرة رسوله من الإجلال والتعظيم والأدب ، فإنه يفعل في حضرة شيخه ؛ إذ لافرق بين هذه الحضرات الثلاث،فإنها في الحقيقة حضرة واحدة. . . »[3].

فتأمل قوله : « إذ لافرق بين هذه الحضرات الثلاث ، فإنها

---

(١) مفاهيم يجب أن تصحح (٩١) ، وانظر : رسالة في إثبات وجود النبي ﷺ في كل مكان لحسين بن محمد الشافعي .

(٢) هي من الطرق الصوفية المتأخرة ، وتنسب إلى رجل ضال اسمه أحمد التجاني المولود سنة ١١٥٠هـ ، والمتوفى سنة ١٢٣٠هـ .
لهم بدع كثيرة ، منها زعمهم أن مشايخهم يعلمون الغيب ، والقول بوحدة الوجود .
انظر : مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني ، التجانية لعلي الدخيل الله ، الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية لعبدالرحمن الإفريقي .

(٣) الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة (١/ ١١٦) .

في الحقيقة حضرة واحدة ؟ يتبين لك عظم مابلغوه من الغلو ، حتى قالوا بالاتحاد .

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا[1] .

ومن مظاهر ذلك ـ أيضا ـ الحلف بهم ، وطاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال ، وتقديم ذلك على كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ .

وقد علمنا في المسألة الأولى عبادة المتصوفة للصالحين بالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك .

فالمقصود أن الغلو لايزال موجودا إلى يومنا هذا ، والله المستعان.

---

(١) انظر على سبيل المثال : لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق للشعراني (٤٧٠ـ ٤٧١) ، قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر للصيادي (٣٣٧) ، جامع كرامات الأولياء (٢/١٤٣) ، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/ ٣٤٥ـ ٣٤٦) ، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني لمحمد بن حسنين (٣٨) .

الرابعة عشرة

إن كل ماتقدم مبني على قاعدة ، وهي النفي والإثبات ، فيتبعون الظن والهوى[1] ، ويعرضون عما جاءت به الرسل[2] .

بعد أن ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ جملة من استدلالات أهل الجاهلية التي عارضوا بها الحق ، أعقبها بهذه القاعدة العظيمة التي يبين بها أنه ليس لهم أي مستند في تلك الاستدلالات كلها ، سوى اتباع الهوى والظن ، وهذا هو إثباتهم ، ولاريب أنه إثبات باطل ؛ لأن الهوى والظن لايغنيان من الحق شيئا .

والمستند الثاني هو الإعراض عن الحق وما جاء من عند الله ـ تعالى ـ وهذا هو نفيهم ، وهو نفي للحق .

والهوى : ماتشتهيه النفس ، وتميل إليه من غير داعية

---

(١) في (جـ) : « الهوى والظن » .
(٢) في بقية النسخ : « عما أتاهم من الله » .

الشرع[1].

والظن معروف .

وهذه القاعدة التي ذكرها المؤلف قاعدة كلية لجميع أنواع البدع والمخالفات والضلالات ، لايخرج عنها شيء من ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : « وأصل الضلال ، اتباع الظن والهوى »[2].

وذلك لأن مُنْشِيء الضلالة ، لايخلو إما أن يكون عالما ، أوجاهلا، فإن كان عالما ، فهو متبع هواه ، وإن كان جاهلا ، فهو متبع الظن.

وقد دلت الأدلة على أن أهل الجاهلية: الكتابيين والأميين ، كانوا متبعين للظن والهوى ، معرضين عما جاءت به الرسل .

فمما يدل على اتباعهم الهوى ، قوله ـ تعالى ـ موبخا اليهود : ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم

---

(١) انظر : مفردات الراغب (٥٤٨) ، قاموس القرآن للدامغاني (٤٧٩) ، التعريفات للجرجاني (٢٧٨) ، الكليات لأبي البقاء الكفوي (٩٦٢) .
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/ ٣٨٤) .

ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عنهم : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بمالاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ﴾ [المائدة :٧٠] .

وقوله ـ تعالى ـ محذرا نبيه ﷺ من اتباع أهوائهم : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وقد جمع الله ـ تعالى ـ ﴿ أهواءهم ﴾ ليبين أنه ليس هوى واحدا، إنما أهواء متعددة ، فكل واحد منهم له هوى[١] .

وقوله ـ تعالى ـ محذرا أهل الكتاب من اتباع أهواء من قبلهم : ﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة :٧٧] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن حال عابد بني إسرائيل حين اتبع

---

(١) انظر : مفردات الراغب (٥٤٨) ، البحر المحيط (٣٦٩/١) .

هواه: ﴿ واتل عليهم بنأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾[الأعراف: ١٧٥ـ ١٧٦] .

وقوله ـ تعالى ـ محذرا نبيه من اتباع أهواء الأميين : ﴿ ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ [الجاثية : ١٨] .

وقوله ـ تعالى ـ آمراً نبيه ﷺ أن يتبرأ من أهوائهم : ﴿ قل لاأتبع أهواءكم ﴾ [الأنعام :٥٦] .

وقوله ـ تعالى ـ مبينا أن مايعبده المشركون ليس إلا هوى متبعا : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ [الفرقان : ٤٣].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾[الجاثية : ٢٣] .

والآيات الدالة على اتباع أهل الجاهلية الهوى كثيرة جدا

ومما يدل على اتباعهم الظن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغني من الحق شيئا ﴾ [يونس : ٣٦]

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله

شركاء إن يتبعون إلا الظن ﴾[يونس : ٦٦] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ [النجم :٢٣] .

وقوله ـ تعالى ـ رادا على المشركين الذين عارضوا شرعه بقدره : ﴿ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلاتخرصون ﴾ [الأنعام: ١٤٨] .

وقوله ـ تعالى ـ رادا عليهم حينما زعموا أن الملائكة إناث، وأنهم بنات الله : ﴿ ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئا ﴾ [النجم : ٢٨] .

والآيات ـ أيضا ـ في اتباع أهل الجاهلية الظن كثيرة جدا .

ومما يدل على إعراضهم عن المنزل من عنده ، قوله ـ تعالى ـ :﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾[الأحقاف : ٣] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ [الشعراء : ٥] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد حذر الله ـ تعالى ـ من اتباع الهوى ، فقال : ﴿ ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ [صٓ : ٢٦] .

وبين خطورته ، فقال : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير

هدى من الله ﴾ .

وكان ﷺ يستعيذ بربه من منكرات الأهواء ، كما في دعائه : « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء »[1] .

وبين ﷺ خشيته على أمته من ذلك ، فقال ﷺ : « إن مما أخشى عليكم بعدي ، بطونَكم ، وفروجَكم ، ومضلاتِ الأهواء »[2].

كما أن الله ـ تعالى ـ حذر من اتباع الظن ، وشنع على

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الدعوات ـ باب دعاء أم سلمة ـ (٥/٥٧٥)ح٣٥٩١ ، وابن أبي عاصم في السنة ـ الاستعاذة من الأهواء ـ (١/١٢)ح١٣ ، وابن حبان في صحيحه ـ كما في موارد الظمآن ـ كتاب الأدعية ـ باب أدعية رسول الله ﷺ ـ (٦٠١)ح٢٤٢٢ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/١٩) ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الدعاء ـ (١/٥٣٢) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٨٢) و (٢/٨٠) .
قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، وعم زياد بن علاقة ، هو قطبة بن مالك ، صاحب النبي ﷺ » .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ـ الاستعاذة من الأهواء ـ (١/١٢) ح١٤، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة .

الذين اتبعوه ، وبين أنه ليس علما ، وأنه لاينفع صاحبه ، كما تبين من خلال الأدلة التي سبقت في الاستدلال .

وأما الإعراض عما جاء عن الله ، فقد أفرد لها المصنف مسألة ، وسيأتي الكلام عليها بتوسع ـ إن شاء الله ـ .

وقد شابه جاهليو هذا العصر جاهليي القرون الأولى ، فاتبعوا الهوى والظن ، وأعرضوا عما جاء عن الله ـ تبارك وتعالى ـ .

ومن صور ذلك : اعتماد أكثر أهلِ الكلام ـ وورثتُهم مايزالون ـ في العقائد على ماتمليه عليهم عقولهم من القواعد والنظريات وغير ذلكوجعلها حجة في دين الله ، وقولا فصلا محكما ، وإعراضهم عما أتاهم من الله من نصوص الوحيين[1]، وردهم مالايوافق أهواءهم وبدعهم التي

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (٨٨) ، التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٣ ـ ٥) ، أصول الدين للبغدادي (١٢) ، المسامرة مع المسايرة (٣١ ـ ٣٢) ، الشامل في أصول الدين (١٦٨ـ ١٧٣)، المواقف (٣٩ ـ ٤٠) ، أساس التقديس (٢٢٠ ـ ٢٢١) وتعليق أحمد حجازي السقا عليه ، شرح السنوسية الكبرى (٥٠٢) .

ابتدعوها[١].

ومن صور ذلك : اعتماد كثير من الناس على تقليد الآباء والشيوخ، وجعل أعمالهم عمدة في الدين ، كما مضى .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ : الاعتماد على الأقيسة الباطلة ، وترك الأقيسة الصحيحة ، كما سبق .

ومن ذلك اتباع المتشابه من الأدلة ، وذلك بحمل النصوص المحكمة على المتشابهة ، أوجعل المحكم من المتشابه[٢].

ومن صور ذلك ، معارضة النصوص الشرعية بالأهواء[٣].

ومن ذلك التفريق بين المنزل ، فيأخذ ببعض النصوص التي توافق هواه ، ويترك النظر فيما عداها[٤] .

---

(١) انظر : الاعتصام (١/ ٢٣١ ـ ٢٣٦) ، إعلام الموقعين (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٨٧) .
(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٥٩ ـ ٦٣) ، إعلام الموقعين (٢/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) ، الاعتصام (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) ، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) ، وانظر : التقديم الذي وضعه حسن السقاف لكتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٥) .
(٤) انظر : الاعتصام (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥) .

ومن ذلك ـ وهو أظهرها ـ وجود هذه الفرق المفترقة ، وكثرتها ، واعتقاد كل طائفة منها أنها على الحق ، وأن غيرها على الباطل ، فقد « كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وماجاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية ، وأهل مسائل الأحكام العملية ، يسمونهم أهل الشبهات والأهواء ؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل ، لاعلم ، وهوى، لادين ، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، وغايته الضلال في الدنيا ، والشقاء في الآخرة »[1] .

ومن صور ذلك التعبد بالبدع والخرافات .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ ، إعراض الكثير عن تحكيم الكتاب والسنة إلى تحكيم زبالة أذهان البشر .

فهذه بعض الصور ، وغيرها كثير .

وبالجملة ، فما من بدعة أوضلالة موجودة إلا ويتنازعها أمران :

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/١٣٩) .

اتباع الهوى والظن ، والإعراض عما جاء عن الله ،وذلك أن ماجاء من عند الله ـ تعالى ـ هو العلم الحقيقي ، بخلاف ماجاء من عند غيره ، فإنها ليست إلا مجرد ظنون وتخرصات ، والله أعلم .

الخامسة عشرة

اعتذارهم عن[1] اتباع ما أتاهم من[2] الله بعدم الفهم ، كقولهم[3] : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ [البقرة : ٨٨] ، ﴿ياشعيب[4] مانفقه كثيرا مما تقول﴾[5] [هود : ٩١] ، فأكذبهم الله ، وبين أن ذلك بسبب[6] الطبع على قلوبهم ، وأن[7] الطبع بسبب كفرهم .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة بعضا مما يدعي أهل الجاهلية الكتابيون والأميون أنه يمنعهم من اتباع الرسل ـ عليهم السلام ـ .

وهذه الدعوى هي عدم فهم ماجاؤا به ؛ وذلك لصعوبته ، أولكونه غريبا عليهم[8]، أو لانعدام معرفتهم السابقة به ، أو غير ذلك من التعللات ، كما قالوا ـ فيما أخبر الله تعالى به ـ ﴿ ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾ [المؤمنون : ٢٣] ، ﴿ أجعل الآلهةَ إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ

(١) في (أ) « من » .
(٢) « من » ساقطة من (جـ) .
(٣) في (جـ) « كقوله » .
(٤) في (هـ) « وياشعيب » وهو خطأ .
(٥) في (أ) زيادة « الآية » .
(٦) في (هـ) « سبب » .
(٧) « وأن » ساقطة من (جـ) .
(٨) انظر : فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٢٠) .

عجابٌ ﴾ [صٓ : ٥] .

فهم استبعدوا صحة ذلك ، لكونه غريباً عليهم ، فلم يكن من دين الآباء ، وليس معروفا عندهم من قبل .

وهذه الدعوى ليس الغرض منها سوى تيئيس الرسل من الاستجابة لهم، والإيمان بهم .

وقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ أن هذه الحجة داحضة ؛ لأن ماجاءت به الرسل ـ عليهم السلام ـ موافق لما فطر الله عليه القلوب .

وبين أن السبب في عدم فهمهم لم يكن لصعوبة ماجاءت به الرسل، إنما هو بسبب إعراضهم عن ذلك ، وعدم استماعهم إليه استماع منتفع ، ومن كان كذلك ، فلا جرم أن يطمس الله على قلبه ، حتى لايستطيع أن يفهم شيئًا حقيقةً لاادعاءً .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ـ عز وجل ـ حكاية عن الكفار: ﴿ قلوبنا غلف ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أنهم احتجوا بأن الله ـ تعالى ـ لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ماجاء به الرسل ومعرفته ، بل جعل قلوبهم داخلة في غلف ، فلاتفهم ولاتفقه ، فكيف تقوم الحجة عليهم ؟ !

وكأنهم ادَّعوا أن قلوبهم داخلة في غلف ، فهم معذورون في عدم الإيمان[١].

---

(١) انظر : شفاء العليل لابن القيم (٩٣) .

وقد رد الله ـ تعالى ـ عليهم اعتذارهم هذا بأنهم هم السبب في عدم فهمهم المنزل عليهم ، وذلك بكفرهم وإعراضهم ، كما بين ذلك في تتمة الآية : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ .

فأخبر ـ سبحانه ـ أن الطبع والإبعاد عن توفيقه وفضله ، إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم ، وآثروه على الإيمان ، فعاقبهم عليه بالطبع ، فقلوبهم لم تخلق غلفا لاتعي ولاتفقه ، ثم يؤمرون بالإيمان وهم لايفقهونه ، فالطبع إنما هو بسبب كفرهم[1]، فالباء سببية[2] .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قالوا ياشعيبُ مانَفْقَهُ كثيرًا ممّا تقولُ ﴾ .

ووجه الاستدلال من الآية ، أنه لما أمر نبي الله شعيبٌ ﷺ بعبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، وخوفهم اليوم الآخر ، وأمرهم بالقسط في المكاييل ، وخوفهم من أن يحل بهم ماحل بمن قبلهم ، أجابوه بأن المانع لهم من اتباعه عدم فهمهم لكثير مما قاله لهم ، فهم لايفهمون ماجاءهم به كما يفهمون الأمور الحاضرة المشاهدة عندهم .[3]

ومما يدل على احتجاج أهل الجاهلية بعدم الفهم ، قوله ـ تعالى ـ

---

(١) انظر : شفاء العليل (١٩٨) .

(٢) انظر : الفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين لسليمان الجمل (١/ ٤٤٢) ، فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٤٥) .

(٣) انظر : فتح القدير (٢/ ٥٢٠) .

إخبارا عن اليهود أنهم قالوا : ﴿ قلوبنا غلف ﴾ [النساء : ١٥٥] .

وهذه الآية كالتي استدل بها المؤلف .

وقوله ـ تعالى ـ إخبارا عن المشركين من أهل مكة : ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ﴾ [فصلت : ٥] .

الأكنة : الأغطية[١]، فكأنهم يقولون : يامحمد إن قلوبنا مغطاة ، فلايصل إليها شيء مما تقول من توحيد الله، وتصديق مافي هذا القرآن من أمر الله ونهيه ، وما أنزل فيه .[٢]

ولما كان القلب محل المعرفة ، والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ، ذكروا أن هذه الثلاثة محجوبة عن أن يصل إليها مما يلقيه الرسول ﷺ شيء[٣].

ومما يدل على أن الطبع على قلوبهم إنما هم السبب فيه ، قوله ـ تعالى ـ ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ﴾ [المنافقون : ٣] .

فالفاء في قوله : ﴿ فطبع ﴾ وقوله : ﴿ فهم لايفقهون ﴾ سببية ، فهم بسبب كفرهم تم الطبع على قلوبهم ، وبسبب الطبع لم يعودوا يفهمون

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٩١/٢٤) .

(٢) انظر : المرجع السابق .

(٣) انظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤٨٤/٧) .

من براهين الله وحججه شيئا .[1]

وقوله - تعالى - : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾[الصف : ٥] .

فقد بين - تعالى - أن زيغهم الأول ، كان سببا لإزاغة الله قلوبهم، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب .[2]

وقال - تعالى - : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ [البقرة: ١٠]

وقال - تعالى - : ﴿ وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ○ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ﴾ [التوبة : ٨٦ - ٨٧] .

فبسبب نكول هؤلاء عن الجهاد والخروج مع رسول الله ﷺ ، طبع الله على قلوبهم ، فلم يكن لهم من المعرفة والفهم مايميزون به بين مافيه مصلحة لهم ، فيفعلونه ، وبين مافيه مضرة فيجتنبونه[3]

وقال - تعالى - : ﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على

---

(١) انظر : أضواء البيان للشنقيطي (١/ ١١٠) .

(٢) انظر : المرجع السابق (٧/ ١١١) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨١) .

قلوب الكافرين ﴾ [الأعراف : ١٠١] .

قال ابن عطية[1] : « أي : فما كانوا ليوفقهم الله إلى الإيمان بسبب أنهم كذبوا من قبل ، فكان تكذيبهم لأن يمنعوا الإيمان بعد »[2]، وقد استحسن هذا المعنى ابن كثير[3] ، واختاره الشنقيطي[4] ووجهه بقوله: « لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب، والإبعاد عن الهدى »[5].

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة: « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع منها

---

(١) هو عبدالحق بن غالب بن عطية ، أبو محمد ، ولد سنة ٤٨١هـ ، مالكي المذهب ، أشعري المعتقد ، له مؤلفات منها : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وقد توفي سنة ٥٤٦ هـ .
انظر :الصلة لابن بشكوال (٢/٣٨٦ ـ ٣٨٧) ، بغية الملتمس (٣٧٦) ، سيرأعلام النبلاء (١٩/٥٨٧ ـ ٥٨٨) .

(٢) المحرر الوجيز (٧/١٢٣) .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٢/٢٣٦) .

(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي ، ولد سنة ١٣٢٥هـ،وتعلم في بلاده شنقيط ، ثم قدم المملكة حاجا ، ومكث فيها يتعلم ، ويعلم ، حتى توفاه الله ، له مؤلفات منها : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، وآداب البحث والمناظرة ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ .
انظر : مقدمة أضواء البيان بقلم تلميذه عطية سالم (١/٣ ـ ٦٤) ، ترجمة الشنقيطي لعبد الرحمن السديس .

(٥) أضواء البيان (٢/٣٢٩) .

واستغفر وتاب ، صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذي ذكر الله ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون﴾[1] وقوله ﷺ في حديث حذيفة : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها ، نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلاتضره فتنة مادامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادا[2] ، كالكوز مجخيا[3] ، لايعرف معروفا ، ولاينكر منكرا ، إلا ماأشرب من هواه »[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة ويل للمطففين ـ (٥/ ٤٣٤) ح ٣٣٣٤ ، والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ قوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ﴾ ـ (٦/ ٥٠٩)ح (١١٦٥٨ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر الذنوب ـ (٢/ ١٤١٨) ، وابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٩٨) ، وابن حبان كما في الإحسان ـ ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تعقيب الاستغفار . . . ـ (٢/ ١٤١) ح٩٢٦ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة المطففين ـ (٢/ ٥١٧) ، والبيهقي في شعب الإيمان ـ باب في معالجة كل ذنب بالتوبة منه ـ فصل في الطبع على القلب أو الرين ـ (٢/ ٤٩١) ، ح٦٨٠٨ ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الدعوات ـ باب التوبة ـ (٥/ ٨٨ ـ ٨٩)ح١٣٠٤ .
قال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(٢) الربدة : لون بين السواد والغبرة .
انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٢١) ، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٣٧٣) ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٨٣) .

(٣) مجخيا : أي مائلا منحرفا ، لايثبت فيه شيء .
انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ١٢١) ، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٤٠) ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٢) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود =

فهذه الآيات ، وهذه الأحاديث ومافي معناها ، دلت على أن الختم والطبع على القلوب ، إنما سببه العباد أنفسهم بما أحدثوه من المعاصي والكفر بالله ، كما دلت على وجه المخالفة لما كان عليه أهل الجاهلية ، حيث إنها متضمنة التحذير من الإعراض عما جاء عن الله ؛ لأنه سبب للطمس على القلوب حتى لاتعود تفهم شيئا ، كما أنها دلت على أن الاحتجاج بهذه الحجة احتجاج باطل ؛ لأن الله ـ تعالى ـ لم يقبله ، بل رده عليهم ، وأنكر صنيعهم.

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى عصرنا هذا ، ومن مظاهر ذلك ، ماهو موجود اليوم ـ امتدادا للعصور السابقة ـ من القول بإيجاب التقليد، وتحريم الاجتهاد ، بدعوى أن نصوص الكتاب والسنة لايمكن عقلها وفهمها إلا للمجتهدين الذين انقرضوا ـ كما يزعمون ـ من قرون عدة.

ومن مظاهرها مايدعيه المتكلمون من كون آيات الصفات من المتشابه الذي لايعلمه إلا الله ، فيقولون : ينبغي أن تتلى ، وتفوض معرفة معانيها إلى الله ـ تعالى ـ .[1]

ومن مظاهرها مايزعمه محكمة الطواغيت من

= غريبا ، وأنه يأرز بين المسجدين ـ (١/١٢٨ ـ ١٢٩) ح٢٣١ .

(١) وهوقول المفوضة ، وأحد موقفين يقفهما الأشاعرة من نصوص الصفات .
انظر : أساس التقديس (٢٢١) ، تحفة المريد (٩١) ، وانظر في التفويض : علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين لرضا نعسان معطي .

العلمانيين[1] وفلاسفتهم من دعوى أن تحكيم كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ لايمكن ؛ لأن المذاهب الإسلامية قد تشعبت وكثرت ، ولايعرف مراد الله منها[2] ولاشك أن هذا بسبب الإعراض عن كتاب الله ـ تعالى ـ ، وإلا فإن الحق في نصوص الوحيين ظاهر لاخفاء فيه ، بدليل أن قضاة هذا البلد[3] لم يتعللوا بهذه التعللات السامجة السخيفة ، فهم يحكمون بما يظهر لهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن أصابوا فلهم أجران ، وإن كان غير ذلك ، فلهم أجر واحد ، بمقتضى وعد رسول الله ﷺ ، والحمد لله على توفيقه .

وبهذه الأمثلة يتبين لنا أن هذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودةً .

---

(١) العَلْمانِيّة : بفتح العين ، نسبة إلى العالم على غير قياس ، وهو مصطلح يُعنى بإقامة الحياة على غير دين ، فهو مذهب يدعو إلى الإلحاد ، وإلى التحلل من الأحكام الشرعية ، وأول ماطبق في القرن السابع عشر الميلادي في أوربا ، نتيجة لظروف مرتبطة بذلك الوقت ، ومن أهمها الجبروت الكنسي ، الذي كان مسيطرا آنذاك ، ثم انتقلت هذه العدوى الخبية بعد إلى كثير من دول العالم ومنها بعض دول العالم الإسلامي .

انظر : نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي د. محمد زين العرمابي ، جذور العلمانية د . السيد أحمد فرج ، العلمانية لسفر الحوالي ، العلمانية النشأة والأثر لزكريا الفايد ، وجها لوجه الإسلام والعلمانية د . يوسف القرضاوي ، لماذا نرفض العلمانية لمحمد محمد بدري .

(٢) انظر : القبسات الوضية في الرد على أهل القوانين الوضعية للقاضي سعيد الأسمري (٣٩) ، حول تطبيق الشريعة الإسلامية لحسين أمين (٣٧) .

(٣) مثلت بقضاة هذا البلد ولم أمثل بالعصور الإسلامية السابقة حتى لايقال : إن ذلك كان فيما مضى ، فالتمثيل بقضاة هذا البلد شاهد حي على مانقول .

السادسة عشرة

اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب[1] السحر[2]، كما ذكر الله ذلك[3] في قوله : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون[4] ○ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان[5]﴾[6] [البقرة: ١٠١ـ ١٠٢] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، أنهم لما أتاهم الوحي من عند الله ـ تعالى ـ وهو الحق من ربهم، استبدلوا به كتب السحر، وصيروا ماوجدوه فيها وماتمليه الشياطين عليهم دينا لهم، ولم يلتفتوا إلى كتاب الله، وجعلوه وراءهم ظهريا .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ○

---

(١) في (ب) : « من كتب » .
(٢) « السحر » ساقطة من (ب) وموضعها بياض بمقدار كلمة .
(٣) « ذلك » ساقطة من (أ) .
(٤) في الأصل و (أ) و (ب) و (جـ) و (د) « نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون » وهو خطأ .
(٥) من قوله : ﴿ واتبعوا ﴾ إلى ﴿ سليمان ﴾ ساقط من (هـ) .
(٦) في (هـ) « الآيتين » .

واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ .

ووجه الاستدلال من الآيتين الكريمتين ، إخبار الله ـ تعالى ـ بأن أهل الكتاب نبذوا ماأنزل إليهم ـ والنبذ : الطرح والإلقاء[1] ـ ولم يعبؤا به ، واعتاضوا به مااختلقته الشياطين زمن سليمان ﷺ ، وهي كتب السحر[2] .

قال ابن كثير في الآية : « أي : طرح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد ﷺ وراء ظهورهم ، أي : تركوها ، كأنهم لايعلمون مافيها ، وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه »[3].

وجاء عن ابن عباس أنه قال : « إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فإذا سمع أحدهم كلمة حق ، كذب معها ألف كذبة، فأشربتها قلوب الناس ، واتخذوا دواوين ، فأطلع الله على ذلك سليمان بن داود ، فأخذها ، فدفنها تحت الكرسي ، فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال : الأ أدلكم على كتز سليمان ، الذي لاكتز لأحد قبله : كتزه الممنع ؟ قالوا : نعم ، فأخرجوه ، فإذا هو سحر ، فتناسختها الأمم ، وأنزل الله عذر سليمان فيما قالوا من السحر »[4].

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة «نبذ» (٥/ ٣٨٠) ، لسان العرب ، مادة «نبذ» (٣/ ٥١١) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٣٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤) .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة البقرة ـ =

وقال السدي : « جاءهم محمد ﷺ ، فعارضوه بالتوراة ، فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة ، وأخذوا بكتب آصف ، وسحر هاروت وماروت ، كأنهم لايعلمون بما في التوراة من الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه »[1].

ومما يدل على اتباع بني إسرائيل كتب السحر : ماثبت من سحر لبيد ابن الأعصم[2] نبي الله ﷺ[3]، فقد اعتاض هذا الخبيث اتباع نبي الله ﷺ بسحره .

ومما يدل على اعتياض الأميين عما أتاهم من الله بكتب السحر : أن فرعون وقومه ، لما جاءهم موسى بالبينات من ربهم ، كذبوه ، وعارضوه ، واستعاضوا عنها بمخاريق السحرة الذين جمعهم فرعون ، كما قال ـ تعالى ـ

= (٢/ ٥٩٤ـ ٥٩٥) ح٢٠٧ ، وابن جرير في تفسيره (١/ ٤٥٠) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٠٠)ح٩٩٦ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب التفسير ـ ومن سورة البقرة ـ (٢/ ٢٦٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١ / ٩٥) وزاد نسبته إلى سفيان بن عيينة وابن المنذر ، وصححه الذهبي في تلخيصه المستدرك (٢/ ٢٦٥) .

(١) خرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩٦، ٢٩٧) ح٩٨٣، ٩٨٥ .

(٢) هو لبيد بن الأعصم من بني زريق ، وقيل : كان حليفا لبني زريق وليس منهم ، وكان من منافقي اليهود ، ولم أجد من أرخ وفاته .
انظر : فتح الباري (١٠/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

(٣) أخرج قصة سحر النبي ﷺ البخاري في صحيحه ـ كتاب الطب ـ باب السحر ـ (٧/ ٢٨ـ ٢٩) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب السلام ـ باب السحر ـ (٤/ ١٧١٩)ح٢١٨٩

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ○ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ○ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ [الشعراء : ٣٨ ـ ٤٠] .

فقد تركوا مابين أيديهم من الهدى ، واعتاضوا عنه بذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فقد بين ـ جل وعلا ـ فيما أنزله عليه خطر هذا الأمر ، وكُفْرَ من فعله ، وأنه لافلاح ولاسعادة له ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وماأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلاتكفر ﴾ [البقرة:١٠٢] ، فقد سماه كفرا ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ [طه :٦٩] .

وقال ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا :يارسول الله وماهن؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر . . . الحديث »[1]

وهذه الخصلة من الخصال الموجودة في زماننا هذا عند من يدعون الولاية ، فإن منهم من يتعاطى الأعمال السحرية من إمساك الحيات ، وضرب السلاح ، والدخول في النيران ونحوها ، ويزعم أنها من الكرامات التي تجري على يدي الصالحين ، نتيجة للجهد والسهر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوصايا ـ باب قول الله تعالى :﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ ـ (٣/ ١٩٥)، وفي كتاب الطب ـ باب الشرك والسحر من الموبقات ـ (٧/ ٢٩) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ـ (١/ ٩٢)ح٨٩ .

والرياضات[1]، وهذا أكثر مايوجد في المتصوفة ، بل لك أن تقول : إن التصوف والسحر قرينان ، يدل على ذلك أمران :

أحدهما : أن أئمة السحر هم أئمة المتصوفة ، فإن جابر بن حيان كبير السحرة[2]، والحلاج[3] الذي يعتقد فيه كثير من المتصوفة وابن عربي[4]

---

(١) انظر : شرح مسائل الجاهلية للألوسي (٤٣) ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١ / ٤٦٥ ـ ٤٦٧) ، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (٨٥٩ ـ ٨٧٠) ، الصوفية في نظر الإسلام لسميح الزين (١٥١ـ ١٦٨) ، الرفاعية لعبدالرحمن دمشقية (١٠١ ـ ١٠٧) .
وانظر أمثلة على ذلك فيما يزعم ابن الملقن في طبقات الأولياء، والشعراني في طبقات الصوفية ، والنبهاني في جامع كرامات الأولياء أنها كرامات ، فهذه الكتب مشحونة بما يدل على ذلك .

(٢) هو جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي ، صوفي يتشيع ، له أسرار الكيمياء ، علم الهيئة ، وغيرهما ، وتوفي سنة ٢٠٠هـ .
انظر : الفهرست لابن النديم (٤٢٠ ـ ٤٢٣) ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (١١١) ، الأعلام (٢/ ١٠١ـ ١٠٢) .

(٣) هو الحسين بن منصور بن محمي الفارسي ، كان هو وأبوه مجوسيين ، فأظهر الإسلام نفاقا ، وادعى الزهد والعبادة ، وكان يلبس على الناس ، ويدعو إلى القول بالحلول، له مؤلفات منها : طاسين الأول ، طاسين الثاني ، طاسين الثالث ، وقتل على الزندقة، بعد إجماع الأئمة في عصره على كفره عام ٣٠٩هـ .
انظر : فهرست ابن النديم (٢٦٩ـ ٢٧٢) ، تجارب الأمم لابن مسكويه (١/ ٧٦) ، طبقات الصوفية للسلمي (٣٠٧ ـ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥٤) .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الطائي الحاتمي ، إمام في الكفر والضلالة ، ذو آراء خطيرة ، منها دعوى ختم الولاية ، والقول بوحدة الوجود ،له مصنفات منها : الفتوحات المكية، فصوص الحكم ، وقد توفي سنة ٦٣٨ هـ .
انظر : التكملة لوفيات النقلة للمنذري (٣/ ٥٥٥) ، سيرأعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨ ـ ٤٩)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي ، رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي جمع د . موسى الدويش ، جامع كرامات الأولياء (٢/ ١٩٨ـ ٢١٠) .

الملحد ، والبوني[1] وغيرهم من السحرة ، ممن يفتخر الصوفية بهم ، وبانتسابهم إليهم ، ويعدونهم من الأولياء وأهل الكرامات .

ثانيهما : أن من علوم المتصوفة علم الطلسمات[2]، وعلم الحرف وهو علم السيمياء[3]، وهي من علوم السحر .

كما أن الرافضة لايبعدون كثيرا عن المتصوفة في هذا الأمر ، وذلك أن لهم عناية بالطلاسم واعتقادا فيها[4] .

كما أن من الناس من يتخذ مهنة السحر وسيلة من وسائل العيش

---

(١) هو أحمد بن علي بن يوسف البوني ، من أشهر السحرة ، له مصنفات منها : شمس المعارف الكبرى ، شمس المعارف الوسطى ،شمس المعارف الصغرى ، وقد توفي سنة ٦٢٢هـ .
انظر : كشف الظنون (٢/١٠٦٢) ، جامع كرامات الأولياء (١/٥٠٨) ، الأعلام (١/١٧٤) ، معجم المؤلفين (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) .

(٢) الطلسم : مقلوب مُسلَّط ، وهو عقد لاينحل ، وهو علم باحث عن كيفية تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة في أزمنة مناسبة لما أريد منها من فعل وتأثير ، مع بخورات مناسبة قوية جالبة لروحانية ذلك الطلسم ليحدث عن هذه الأمور أفعال غريبة في عالم الكون والفساد .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة(١/٣١٦) .

(٣) علم الحرف أو علم السيمياء هو إحداث مقالات خيالية في الجو لاوجود لها في الحس ، وقد يطلق على المثالات التي تصور في الحس ، وتكون صورا في جوهر الهواء .
انظر : مفتاح السعادة (١/٣١٦) ، أبجد العلوم (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) .

(٤) انظر : ضياء الصالحين في الأدعية والزيارات لمحمد الجوهرجي (٣٥٨ ، ٣٧١، ٣٨٥،٣٩٦، ٤٠٧،٤٢٠، ٤٤٧، ٥٦١) .

بها[1] ، مدعيا أن ذلك من الطب ونحوه .

ومنهم من يتخذ مهنة السحر للإضرار بعباد الله ، فتارة يُمْرضون به وتارة يقتلون ، وتارة يفرقون به بين المرء وزوجه .

وهذا موجود بكثرة .

ومن صور وجود هذه الخصلة : حفلات الزار التي تقام في بعض البلاد ، ويذبح من أجلها للشياطين ، وينذر لهم[2] .

ومن ذلك مايسمى بـ « ألعاب السيرك » التي تعتمد في غالبها على السحر .

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

---

(١) انظر : أستاذ المرأة ، لمحمد بن سالم البيحاني (٤٨) .

(٢) انظر : أستاذ المرأة (٤٨ ـ ٥٢) ، إصلاح المجتمع لمحمد البيحاني (٤١) .

السابعة عشرة

نسبة باطلهم[1] إلى الأنبياء ، كقوله :﴿ وما كفر سليمان ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ﴾[آل عمران :٦٧] .

يبين الإمام أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين الادعاء ـ كذبًا وزورًا ـ بأن ماهم عليه من الكفر والبدع والضلال ، إنما هو من العلم الموروث عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وأنهم في ذلك متبعون لامبتدعون ، فينسبون إليهم الأباطيل ، ويزعمون أنهم جاءوا بها.

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه الخصلة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ .

ووجه الاستشهاد من هذه الآية أن الله ـ تعالى ـ برأ نبيه ﷺ سليمان من السحر ، ورد على اليهود زعمهم ذلك ، فعلمنا أنهم نسبوا ماهم عليه من السحر إليه ﷺ .

يبين هذا ماجاء عن ابن عباس أنه قال : « فأنزل الله عذر سليمان فيما قالوا من السحر ».

وقد كان اليهود يزعمون أنه إنما كان يملك الناس بالسحر .[2]

---

(١) في (أ) : « أباطيلهم » .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا﴾ .

ووجه الاستشهاد من هذه الآية يبينه سبب النزول ، فقد جاء عن ابن عباس أنه قال : « اجتمعت أحبار اليهود والنصارى عند رسول الله ﷺ فقالت أحبار اليهود : والله ماكان إبراهيم إلا يهوديًا ، وقالت أحبار النصارى : والله ماكان إبراهيم إلا نصرانيًا ، فأنزل الله هذه الآية »[1] .

ومما يدل على نسبة هؤلاء الجاهليين باطلهم إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هُودًا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة: ١٤٠] .

ففي هذه الآية إبطال منه ـ جل وعلا ـ لما ادعوه من كون هؤلاء الأنبياء على دينهم .

قال ابن جرير : « أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أونصارى على دينكم ، فهاتوا على دعواكم ماادعيتم من ذلك برهانا ، فنصدقكم »[2].

ومما يدل على ذلك دعوى النصارى أن اتخاذهم عيسى ﷺ وأمه إلهين من دون الله ، إنما هو بأمر عيسى ، فأكذبهم ـ جل وعلا ـ بقوله: ﴿ وإذ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٢/ ٥٥٣) ، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٠٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة ـ باب وفد نجران ـ (٥/ ٣٨٤) .

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٥٧٣) .

قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولاأعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب ○ ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١١٧] .

قال السدي : « لما رفع الله عيسى بن مريم إليه ، قالت النصارى ماقالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله ، فقال : ﴿ سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ﴾ »[١]

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ ماجاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما قدم البيت أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة،فأمر بإخراجها ، فأخرجت ، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام ، فقال رسول الله ﷺ : « قاتلهم الله ، أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط »[٢].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه المسألة ، فحذر من نسبة الباطل إليه ، والكذب عليه ، وبين أن ذلك مؤذن بعذاب من عند الله

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧ / ١٣٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٤٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب من كبر في نواحي الكعبة ـ (٢/ ١٦٠) ، وفي كتاب الأنبياء ـ باب قول الله تعالى :﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ـ (٤/ ١١١) ، وفي كتاب المغازي ـ باب أين ركز ﷺ الراية يوم الفتح ـ (٥/ ٩٣) .

محقق ، فقال ﷺ : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[1].

وقال ﷺ : « لاتكذبوا علي ، فإنه من كذب علي ، فإنه يلج النار»[2]

وهذه الخصلة ماتزال موجودة ، فنحن اليوم نشاهد كثيرا من أهل البدع ينسبون بدعهم إلى دين رسول الله ﷺ ، ويدعون أنه هو الذي جاء بها .

فأكثر البدع ـ وإن شئت فقل : كل البدع ـ العملية والاعتقادية ، ينسبها أصحابها إلى رسول الله ﷺ ، ويزعمون أنها من سنته .

كما أن أهل الأهواء يزعمون أن مصدر أهوائهم رسول الله ﷺ، فالرافضة يدعون أن رسول الله ﷺ هو الذي وضع بذرة التشيع ، وتعاهدها بيده الكريمة حتى نمت وترعرعت[3]، ويزعمون أن بدعهم في الإمامة ليسوا يصدرون فيها عن غير رسول الله ﷺ[4] .

والمتصوفة يدعون أن طريقتهم هي طريقة رسول الله ﷺ ، ويزعمون

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ـ (١/ ٣٥ ـ ٣٦) ، وفي كتاب الجنائز ـ باب مايكره من النياحة ـ (٢ / ٨١) ، وفي كتاب الأنبياء ـ باب ماذكر عن بني إسرائيل ـ (٤/ ١٤٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الزهد ـ باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ـ (٤/ ٢٢٩٨) ح٣٠٠٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ـ (١/ ٣٥) .

(٣) انظر : أصل الشيعة وأصولها (١٠٩) ، التشيع والإسلام لمحمد باقر الصدر (١٤ـ ١٥)

(٤) انظر : الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار لمحمد الكراجكي ، مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر لمحمد بن عياش .
فهذان الكتابان محشوان من أول صحيفة إلى آخر صحيفة بالكذب على رسول الله ﷺ في تعيين الأئمة الاثني عشر والنص على أسمائهم ومناقبهم .

أنهم في ذلك متبعون له[1] .

ومايحدثونه من بدع كالرقص والتواجد والمكاء والتصدية ، ينسبونه لرسول الله ﷺ ، ويضعون الأحاديث من أجل ذلك ، أويستدلون بالأحاديث التي يعرف أهل العلم أنها موضوعة[2] .

والإباضية يزعمون أن ماهم عليه ، هو ماجاء به الرسول ﷺ[3].

والقبوريون ينسبون قبورياتهم إلى رسول الله ﷺ ، ويزعمون أن هذا هو دينه ، ويروون في ذلك الأحاديث الموضوعات.

فهذه بعض الأمثلة التي تدل على أن أهل الباطل ينسبون باطلهم إلى النبي ﷺ ، وإلا فإن الأمر ـ كما قلت آنفا ـ من أنه لاتوجد بدعة ، إلاوتنسب إلى رسول الله ﷺ .

ومن ذلك نسبة الموضوع من الأحاديث إلى رسول الله ﷺ ، ثم العمل بها ، وهذا موجود ، لكن ـ بفضل الله تعالى ورحمته ـ يسر له من نقاد الحديث من يميزون بين ماقاله المصطفى ﷺ وبين مالم يقله ، فأهل الحق على دينهم في مأمن ، فلله الحمد والمنة .

---

(١) انظر : الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة (١/١١٧) ، أبجدية التصوف الإسلامي لمحمد زكي إبراهيم (١٠٠) ، أصول الوصول لمحمد زكي إبراهيم (١/٣٢٢ ـ ٣٢٣)، هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل (٢٠) ، دراسات في التصوف الإسلامي د . محمد جلال شرف (٥٦ ، ٧٠ ـ ٧١) .

(٢) انظر : مسألة السماع لابن القيم (٣٢١ ـ ٣٢٤) .

(٣) انظر : الحق المبين في الرد على صاحب الفرقان (٥٨) .

الثامنة عشرة

تناقضهم في الانتساب ، فينتسبون[1] إلى إبراهيم ، مع إظهارهم ترك اتباعه .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة أن من دعاوى أهل الجاهلية الكاذبة ، دعوى اتباعهم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، فلقد كانوا يزعمون أنهم على دينهم ، وأنهم مقتدون بهم ، بيد أن هذا كله مجرد ادعاء لاحقيقة له ؛ لأن مايظهر من حالهم خلاف ذلك كله ، وهذا عين التناقض ، فلو كانوا صادقين في دعواهم تلك لاستجابوا لهم فيما أمروا به ، ونهوا عنه .

وقد مثل ـ رحمه الله تعالى ـ لذلك بقوله : « ينتسبون إلى إبراهيم ﷺ، مع إظهارهم ترك اتباعه » .

وذلك أن أهل الجاهلية : الأميين والكتابيين يزعمون على حد سواء أنهم يتبعون إبراهيم ﷺ ، وهم مظهرون ترك اتباعه .

فإبراهيم ﷺ كان على التوحيد الخالص من شوائب الشرك ، وهؤلاء على الشرك الخالص من التوحيد ، فأي تناقض أعظم من هذا التناقض ؟ إنه تناقض في أصل الأصول كلها ، ولذلك رد ـ تعالى ـ على طوائف ثلاث

---

(١) في (أ) و (ب) و (هـ) « ينتسبون » .

ادعوا أنهم على دينه ﷺ بقوله : ﴿ ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ .

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أونصارى﴾[البقرة:١٤٠] .

ومن الأدلة ـ أيضا ـ على الانتساب الكاذب ، زعم اليهود أنهم على دين موسى ﷺ ، وهم يخالفونه في أعظم شيء على الإطلاق ، وهو أمر التوحيد ، فقد خالفوه في ذلك ، وعبدوا العجل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ﴾[الأعراف : ١٤٨] .

وخالفوه في دعوى البنوة لله ـ تعالى ـ كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .

كما خالفوه بوصف الله ـ تعالى ـ بالنقائص ، كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ولما أمرهم أن يدخلوا باب القرية سجدا ، وأن يقولوا : حطة ، خالفوه في ذلك ، وحرفوا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا وادخلوا الباب سُجَّدًا وقولوا حِطَّةٌ نغفر

لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ○ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٨ ـ ٥٩] .

ولما أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة أبوا ، وقالوا : ﴿ إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[المائدة: ٢٤] .

ولما اتخذوا العجل معبودا لهم ، وأمرهم موسى ﷺ بقتل أنفسهم، تمنعوا عليه ، وخالفوه في ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم ﴾ [البقرة :٥٧] .

ولما أخذ عليهم الميثاق بعدم عبادة غير الله ، وأن يأتمروا بما أمروا به ، وأن ينتهوا عما نهوا عنه ، خالفوا في ذلك ، ونقضوا المواثيق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ [البقرة :٨٣] .

والآيات الدالة على مخالفات اليهود كثيرة جدا ، وإنما هذا ضرب مثال .

واليهود إلى يومنا هذا من أشد الناس حرصا على الظهور امام العالم

أجمع بمظهر المؤمنين المتدينين المستمسكين بشريعة موسى ﷺ وأنبياء بني إسرائيل[1]

كما أن النصارى يزعمون أنهم أتباع المسيح ، ويطلقون على أنفسهم : المسيحيين ، وهم مع ذلك مظهرون مخالفته في أصل الدين، فعبدوه من دون الله ـ تعالى ـ وهو الذي يقول لهم : ﴿ اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢] .

كما خالفوه في دعوى البنوة لله ـ تعالى ـ كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ [المائدة : ١٤] .

والأميون كانوا يزعمون أنهم على دين الخليل ، وأنهم ينتسبون إليه، وهم مع ذلك ـ كما سبق قبل قليل ـ مخالفون له في الأمر الأعظم، وهو أمر التوحيد ، كما أنهم مخالفون له ـ أيضا ـ في أمر المناسك ، فكانوا لايقفون بعرفات ، مع إقرارهم بأنها من دينه ، كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وقد خالف هدي رسول الله هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فبين أن مجرد الانتساب غير كاف ، بل لابد من الموافقة في كل ماجاء به النبي ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

(١) انظر : الشخصية اليهودية من خلال القرآن د . صلاح الخالدي (٤٣) .

الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ○ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين﴾[آ ل عمران: ٣١ ـ ٣٢] .

كما أن الإيمان برسالته يقتضي طاعته فيما أمر ، واجتناب مانهى عنه وزجر ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[الحشر : ٧] .

فادعاء ذلك ، مع عدم القيام به دليل على كذب المدعي .

وشنع ـ تعالى ـ على الذين يزعمون هذا الزعم وهم كاذبون ، فقال : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ [النور :٤٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب مايبيتون فأعرض عنهم ﴾ [النساء : ٨١] .

وقال ﷺ : « ترد علي أمتي الحوض ، وأنا أذود الناس عنه ، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله ، قالوا : يانبي الله : أتعرفنا ؟ قال : نعم ، لكم سيما ليست لغيركم ، تَرِدُونَ عليّ غُرًّا محجلين من آثار الوضوء ، وليصدن عني طائفة منكم ، فلا يَصِلُونَ ، فأقول : يارب هؤلاء أصحابي ، فيجيبني ملك : وهل تدري ماأحدثوا بعدك »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الطهارة ـ باب الوضوء ـ (١/٢١٧)ح(٤٤٧

فهؤلاء الذين يذادون عن حوض النبي ﷺ ينتسبون إليه ، لكنهم بمخالفتهم له ، استحقوا هذه العقوبة .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، فهاهم اليهود يدعون أنهم على شريعة موسى ﷺ ، وهم عنها بمعزل .

وهاهم النصارى يسمون أنفسهم بـ « المسيحيين » نسبة إلى المسيح عيسى ﷺ ، وهم عن اتباعه بمعزل .

واليوم نجد أن المنتسبين إلى الإسلام كثير ، وكلهم يزعم أنه على دينه ، ومع ذلك أكثرهم مخالفون له في كل ماجاء به ﷺ ، أو أكثره .

فهاهم عباد غير الله من الأولياء والصالحين يزعمون أنهم منتسبون إليه ﷺ ، وهم خالفوه في أصل دعوته التي بعث من أجلها .

وهاهم أصحاب المذاهب البدعية ينتسبون إلى محمد ﷺ ، مع تركهم شرعه .

وهاهم المُحْدِثُون في دين الله مالم يأذن به ، يدعون أنهم منتسبون إلى النبي ﷺ ، وهم تاركون دينه ، مجانبون له ، يتعبدون الله بالبدع والخرافات ، ويتركون التعبد بالسنن النبوية .

وهاهم المستخفون بشريعته ، المتلاعبون بها ، ينتسبون إليه ﷺ .

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة ، والله المستعان .

التاسعة عشرة

قدحهم في بعض الصالحين بفعل[1] بعض المتسبين إليهم[2] ، كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ[3].

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية ، أنهم يجعلون ماتلبس به الأتباع من الأفعال أو الذنوب والمعاصي قادحا في المتبوعين ، فهم يقدحون في الصالحين بما يكون من أتباعهم ، فهم يجعلون الأتباع حجة على المتبوعين ، مع أن العقل السليم يأبى ذلك ، إذ لو كان الأمر كذلك ، لبطلت الدعوات كلها ، ولما استقامت الأحوال، بيد أن هذا طريق اتخذه الجاهليون لصد الناس عن الحق .

وقد مثل الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ لذلك بقدح اليهود في عيسى ابن مريم ﷺ ، وذلك لِما رأوا ممّا يكون من أتباعه من المخالفات .

ومما كان يقدح به اليهود في عيسى لأجل أتباعه : مارأوه من عبادة النصارى للمسيح ـ عليه السلام ـ فزعموا أنه وه الذي أمرهم بذلك .

ومن ذلك قدحهم فيه ﷺ ؛ لكون أتباعه لايغسلون أيديهم قبل أكل

---

(١) في (أ) « وفعل » .
(٢) « إليهم » ساقطة من (ب) و (جـ) و (د) .
(٣) في (أ) زيادة « أجمعين » بعد ذكر الصلاة والسلام بلفظ الجمع .

الطعام ، فقد جاء في الإنجيل المحرف مانصه : « واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم ، ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزا بأيد دنسة لاموه ؛ لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء ، لايأكلون ، متمسكين بتقليد الشيوخ ، ومن السوق إن لم يغتسلوا ، لايأكلون »[١] .

ولعل من أعظم ماقدحوا به في عيسى ﷺ ، هو رمي أمه - برأها الله مما قالوا - بالزنا ، وهي من أتباعه ، فجعلوا ماكذبوا به على أمه قادحا فيه .

والمثال الآخر الذي ذكره المؤلف - رحمه الله - هو قدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ ، وهذا القدح لما رأوا من مخالفات بعض من ينتسب إليه ، فجعلوا مخالفاتهم قادحة فيه وفي دينه ﷺ[٢] .

وأهل الجاهلية الأميون والكتابيون ، قد تلبسوا بهذه الخصلة ، بل إنهم ذهبوا أبعد من ذلك ، فجعلوا حال الأتباع قادحة في حال الرسل - عليهم السلام - كما قال - تعالى - مخبرا عن قوم نوح ﷺ أنهم قالوا : ﴿ مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ [هود:٢٧] ، وقالوا : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] .

وقريش قدحت في النبي ﷺ لما رأت من رثاثة أصحابه[٣] .

---

(١) الكتاب المقدس - أسفار العهد الجديد - إنجيل مرقس - الإصحاح السابع - الفقرة (١ - ٣) .
(٢) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (٢٤٥ - ٢٤٦) .
(٣) انظر (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) من هذا البحث .

ولما جرى من الصحابة قتال في الشهر الحرام ـ دون علمهم بدخوله ـ شنعت قريش على النبي ﷺ بذلك[1] ، كما قال ـ تعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فكان مما أنزل الله ـ تعالى ـ عليه بيان أن كل نفس لاتتحمل وزر غيرها ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾[الأنعام : [١٦٤] .

كما بين ـ جل وعلا ـ أن الهداية للإنسان ، والضلال عليه ، فلا يلحق غيره ماجرى منه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ [يونس :١٠٨] .

وذلك لأن الرسول ﷺ ليس عليه إلا البلاغ ، وليست قلوب العباد بين أصابعه يقلبها كيفما شاء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى :٤٧] .

---

(١) أخرج سبب نزول هذه الآية ابن جرير في تفسيره (٢/٢٠٢) ، وابن إسحاق في السيرة ، كما في مختصرها لابن هشام (٢/١٧٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/١٧ ـ ١٨) والواحدي في أسباب النزول (٦٨) عن عروة بن الزبير مرسلا .
وأخرجه ابن جرير (٢/٢٠٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢/١٧٤)ح١٦٧٠ عن جندب بن عبد الله .
وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٦٩) عن الزهري .

والأنبياء ـ عليهم السلام ـ ومن اهتدى بهديهم من الدعاة والمصلحين، براء مما يكون من أتباعهم ، لايلحقهم شيء من ذلك ألبتة .

ولما اعترض أعداء الله على نوح ﷺ بما رأوا من أصحابه ، أجابهم بقوله : ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون ○ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ [الشعراء : ١١٢ ـ ١١٣] .

ولو كان مايجري من الأتباع قادحا في المتبوعين ، لبطلت دعوات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كلهم ، إذ ليس أحد معصوما غير الأنبياء .

وهؤلاء المعترضون على الأنبياء بذلك ، هم أعظم الناس ذنوبا ، ولو كان الأمر كما يزعمون ، لبطلت دعوة من يدعون الإيمان به من الأنبياء ، فاليهود والنصارى أعظم الناس مخالفة لأنبيائهم ـ عليهم السلام ـ[1] .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فأهل البدع حينما يرون من بعض المتسبين إلى أهل السنة مخالفات ، ومقارفة لبعض كبائر الذنوب ، ونحو ذلك يقدحون في منهج السلف الصالح ، ويشنعون عليهم بذلك .

فهذا أحد هؤلاء المبتدعة الضلال يرمي الأثرية برمتهم بالكذب على رسول الله ﷺ ؛ لكون رجل أورجلين ممن ينتمون إليهم فعلوا شيئا من ذلك[2] .

---

(١) انظر : هداية الحيارى (٢٤٧ ـ ٢٥٠) .
(٢) انظر : تعليق حسن سقاف على دفع شبه التشبيه (١٨١ ـ ١٨٢) .

كما أن أعداء الله من اليهود والنصارى يستعملون هذه الطريقة لصد الناس عن سبيل الله ودينه ، فهم يصورون بعض الأمور السيئة التي يقوم بعض المنتمين إلى الإسلام على أنها من دين الإسلام ، ثم يقدحون بها في النبي ﷺ ، فمثلا قام التلفزيون السويسري بعرض مايجري عن القبور وفي حفلات الزار في إحدى الدول العربية على أنها من دين الإسلام ، ثم أخذ يشنع على الإسلام به[(١)] .

ومن صور هذه الخصلة : التعميم في الحكم ، فحينما يقع خطأ في بعض الأحايين من بعض الناس يعمم الحكم على جميع المنتسبين إلى هذا المنهج الذي هذا الذي وقع الخطأ منه أحد أفراده .

فمن ذلك أنه حينما يلاحظ على أحد المتديني كذب أوغش في معامله ونحوها ، فإنك تجد بعض الناس يعمم هذا الحكم على جميع المتدينين ، ويحذر منهم ، ويشنع عليهم .

ومن ذلك : امتناع بعض غير المسلمين من الدخول في الإسلام لما قد يجدونه من المسلمين من الابتعاد عن دينهم ، والتهاون به ، مع أن العقل السليم يتبع المنهج ، لامن انتسبوا إليه ، فلو ألقى من يريد الدخول في الإسلام نظرة على الإسلام ومنهجه وشريعته، لما صده هؤلاء المتسبون عنه .

فهذه بعض صور وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) انظر : مجلة البحوث الإسلامية ، العدد السادس ، (٢٩١ ـ ٢٩٣) .

العشرون

اعتقادهم في مخاريق[1] السحرة وأمثالهم أنها[2] من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء ، كما[3] نسبوه إلى سليمان[4] .

يريد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة بيان أن أهل الجاهلية : الكتابيين والأميين ، كانوا يعتقدون أن مايحدثه السحرة وأمثالهم من الشياطين والكهان ، من خرق عادات ، وتخييلات شيطانية، أن ذلك إنما يدل على صلاح صاحبها وصدقه ، واعتقاد أن ذلك كرامة له.

كما بين أنهم ينسبون أصل هذه المخاريق الشيطانية ـ كذبا وزورا ـ إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

والكرامة ـ كما عرفها أهل العلم ـ أمر خارق للعادة ، غير مقرون بدعوى النبوة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ، ملتزم المتابعة لنبي كلف بشريعته ، مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح[5] .

وقد مثل ـ رحمه الله تعالى ـ لذلك بفعل اليهود حين رأوا مارأوا من

---

(١) في (ب) : « بعض » .
(٢) في (هـ) : « بأنها » .
(٣) « كما » ساقطة من (ب) .
(٤) في (جـ) و (د) و (هـ) : « لسليمان » .
(٥) انظر : الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان (٧١٧) .

مخاريق السحرة ، فظنوها من الكرامات التي أعطيها هؤلاء ، وأنها من علم سليمان ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ومآأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [البقرة :١٠٢] .

فقد تبعوا الشياطين ومخاريقهم التي تكون على أيدي السحرة ظنا منهم أنها كرامة ، ونسبوا ذلك لسليمان ﷺ ، فبرأه الله مما قالوا .

وكانت سدنة الأصنام تتراآى لهم الشياطين ، وتكلمهم[(١)].

ومما يدل على اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم ، تصديقهم بالكهانة ، وإيمانهم بمايقوله الكهان ، وهم لايعتبرون الكهان عناصر سيئة ، وإنما يعتقدون خيريتهم ، بدليل تصديقهم لهم ، ولأنه ليس كل من ادعى الكهانة يصدقونه ، وستأتي مسالة الكهانة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، كما جاء ذلك في قصة ابن صياد[(٢)] ، فإنه أظهرمخاريق ، وادعى الغيب،ومع ذلك كذبه رسول الله ﷺ ، وحذرمنه ، وقال له: « اخسأ فلن تعدو قدرك»[(٣)]

---

(١) انظر : النبوات (٢٦٤) .

(٢) هو عبدالله ويقال : صافي بن صياد ، من يهود المدينة ، من حلفاء بني النجار ، ولد مسرورا ومختونا ، وكان يظن أنه هو الدجال ، وقد حلف على ذلك بعض الصحابة ، إلا أنه أسلم ، وحج ، وغزا ، وأقام بالمدينة .
انظر : تهذيب الكمال (٢١/ ٢٥٠) ، عمدة القاري (٧/ ٨٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبي الإسلام ـ (٢/ ٩٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب =

يعني إنما أنت من إخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشيطان يخبره بكثير من المغيبات ، بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب[1] ، فلم يغتر ﷺ بما جرى على يديه من ذلك .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ○ تنزل على كل أفاك أثيم ○ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣]

فالشياطين لاريب أنهم يتنزلون على أوليائهم من الإنس ، ويستمتع كل واحد منهم بالآخر ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ [الأنعام : ١٢٨] .

فليس كل خارق يجري على يدي صاحبه يدل على أن ذلك كرامة له ، أو أنه أكرم الخلق على الله ، فلربما كان ذلك الخارق حالا شيطانية ، وذلك أن المخاريق ثلاثة أنواع :

أحدهما : مايكون آية لنبي ، وهذه حق لاريب فيها .

ثانيها : مايكون كرامة لولي ، وهذه حق عند أهل السنة والجماعة ،

= الفتن ـ باب ذكر ابن صياد ـ (٤/ ٢٢٤٠ ـ ٢٢٤٥) ح٢٩٢٤، ٢٩٢٥، ٢٩٢٦، ٢٩٢٧، ٢٩٢٨، ٢٩٢٩، ٢٩٣٠) .

(١) انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (٦٩) .

وهذه تكون على يدي الصالحين .

ثالثها : مايكون حالا شيطانية ، وهذه تكون على يدي السحرة والكهان وأمثالهم من الفجرة[1] .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، وخاصة عند المتصوفة ، فإن لهم اهتماما كبيرا بها، وغالب مايزعمونه كرامات لأوليائهم ، إنما هي من هذا الباب ، فإنها تقترن كثيرا - عندهم - بالمعرضين عن شرع الله - تعالى - وهم كل مارأوا أمرا خارقا للعادة ، عدوه كرامة ، وإن لم يكن معروفا قبل ذلك بالصلاح ، فميزان الولاية عندهم ، هو الأمر الخارق للعادة ، ولذلك فإنهم يتطلبونها كثيرا ، ويسعون لأجلها ، ويكثرون من الجوع والسهر للحصول عليها[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع وارتقى عن أن يكون دينه خوفا من النار ، أوطلبا للجنة يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا ، ولعله يجتهد اجتهادا عظيما في مثله ، وهذا خطأ »[3]

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - الفرق بين

---

(١) انظر : النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤) .
(٢) انظر بعض الأمثلة في : طبقات الأولياء لابن الملقن ، طبقات الشعراني الكبرى ، جامع كرامات الأولياء للنبهاني .
وانظر في مناقشة الصوفية في مسألة الكرامات وتخبطهم فيها : صراع بين الحق والباطل لسعد صادق محمد (٤٦ - ٦٧) .
(٣) قاعدة في المعجزات والكرامات ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٤) .

كرامات الأولياء ومايشبهوا من الأحوال الشيطانية ، فقال : « وبين كرامات الأولياء ومايشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة : منها أن كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية سببها مانهى الله عنه ورسوله ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٣] فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ، فلاتكون سببا لكرامة الله ـ تعالى ـ بالكرامات عليها ، فإذا كانت لاتحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأمور التي فيها ، كاستغاثة بالمخلوقات ، أوكانت ممايستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لامن الكرامات الرحمانية »[1]

وما يجري من المتصوفة إنما هو من هذا الجنس ؛ لأنهم يتطلبونها بالبدع والأمور المحدثات ، وبمعارضة الشريعة المحمدية ، فأي كرامة ترتجى من وراء هؤلاء ؟ .

(١) الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان (٧١) .

تعبدهم بالمكاء والتصدية .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن أهل الجاهلية كان من ضمن مابتدعوه مما لم يأذن به الله : التعبد بالمكاء والتصدية ، وهو الصفير والصفيق ، وهي صلاتهم التي كانوا يفعلونها في المسجد الحرام ، حيث كانوا يطوفون بالبيت ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾[الأنفال : ٣٥] .

أي : إلا صفيرا وصفيقا ، كما جاء تفسيرهما عن ابن عمر[١] وابن عباس[٢] ومجاهد[٣] .

وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « كانت قريش تطوف بالبيت ، وهم عراة يصفقون ، ويصفرون ، فأنزل الله ﴿ قل من حرم زينة

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٢٤١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٨٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبدبن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٢٤٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٨٣) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد حميد وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد (٣٥٤) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/٢٤١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٨٣ ـ ١٨٤) ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[1][الأعراف:٣٢] .

وقال حسان بن ثابت[2] يعيب المشركين بصفيرهم وصفيقهم :

إذا قام الملائكة انبعثتم صلاتكم التصدي والمكاء[3]

وكما أن جاهليي الأميين يتعبدون بالمكاء والتصدية ، فكذلك اليهود ـ أيضا ـ ، فقد كانوا يتعبدون بما هو قريب منه ، وهو المزمار والدف والأوتار ، فقد جاء في التوراة المحرفة مانصه « ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود ، ليرنموا له »[4]، ومانصه « سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج التصويت ، سبحوه بصنوف الهتاف »[5] .

كما أن عندهم مايسمى بصلاة الحزانة ، وهي صلاة تقام على أنغام الموسيقى[6].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والضياء في المختارة ، كما في الدر المنثور (٣/ ١٨٣) .

(٢) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري ، شاعر رسول الله ﷺ ، ولد قبل الهجرة بخمس وأربعين سنة ، وتوفي سنة ٥٤ هـ .
انظر : طبقات خليفة (٨٨) ، طبقات فحول الشعراء للجمحي (٨٧ ـ ٨٨) ، تهذيب الكمال (٦/ ١٦ـ ٢٥) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٥١٢ ـ ٥٢٣) .

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢٤٤) ، وذكر ابن منظور عجز البيت في اللسان « مكا » ١٥(/ ٢٨٩) ونسبه إلى حسان .

(٤) أسفار العهد القديم ـ سفر المزامير ـ المزمور ١٤٩ـ الفقرة (٢) ـ (ص٩٣٦) .

(٥) أسفار العهد القديم ـ سفر المزامير ـ المزمور ١٥٠ـ الفقرة (٢) ـ (ص٩٣٦) .

(٦) انظر : إغاثة اللهفان (٢/ ٣٦٧) .

فالمقصود أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالمكاء والتصدية ، أوبما هو قريب منهما .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فكان مما أنزل الله عليه في ذلك ، قوله - تعالى - : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾[لقمان : ٦] .

واللهو هو الغناء ، كما فسره بذلك ابن مسعود وحلف عليه[١] وابن عباس[٢] ومجاهد[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضية - في هذه الآية ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ - (٣٠٩/٦) ، وابن جرير في تفسيره (٦١/٢١) ، والحاكم في مستدركه - كتاب التفسير - تفسير سورة لقمان - (٤١١/٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات - باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صنعة . . .(٢٢٣/١٠)، وفي شعب الإيمان - باب في حفظ اللسان عما لايحتاج إليه - فصل ومما ينبغي أن يحفظ منه لسانه الغناء - (٣٢٧/٩)ح٤٧٤٣ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٦٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥٩/٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد - باب الغناء واللهو - (١٧٠)ح٨٠٧ ، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضية - في هذه الآية - (٣٠٩/٦ - ٣١٠)، وابن جرير في تفسيره (٦١/١٢ - ٦٢) ، وابن حزم في المحلى (٧٣/٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات - باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صنعة . . . - (٢٢٣/١٠) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥٩/٥) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضية - في هذه الآية - وابن جرير في تفسيره (٦٢/٢١) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٦٠) ، وذكره السيوطي في =

وعكرمة[1].

وأنكر - تعالى - على المغنين بقوله : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون ○ وتضحكون ولاتبكون ○ وأنتم سامدون ﴾ [النجم : ٥٩ - ٦١] .

والسمود . هو الغناء ، كما فسره بذلك ابن عباس[2] وعكرمة[3].

وقال ﷺ : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر[4] والحرير والخمر والمعازف »[5].

ففي هذه الآيات وهذا الحديث مايدل على حرمة الغناء والمعازف، ومافي معناهما .

ولايزال التعبد بالمكاء والتصدية موجودا ، وأعظم من يعنى بهما:

= الدر المنثور (٥/١٥٩) وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع والأقضية - في هذه الآية - (٦/٣١٠) وابن جرير في تفسيره (٢١/٦٢ - ٦٣) ، وابن حزم في المحلى (٩/٧٣) ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢٦٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/١٥٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (٣٩) رقم (١٣) ، والبزار كما في كشف الأستار (٣/٧٢)ح٢٢٦٤ ، وابن جرير في تفسيره ٢٧٨٢ - ٨٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب الشهادات - باب الرجل يغني فيتخذ الغناء صنعة . . . -

(٣) أخرجه عنهما ابن جرير في تفسيره (٢٧/٨٢) .

(٤) الحر : بكسر الحاء المهملة ، وتخفيف الراء : الفرج .
انظر : النهاية في غريب الحديث (١/٣٦٦) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا مجزوما - كتاب الأشربة - باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه - (٦/٢٤٣) .

المتصوفة ، فإن مجالس مايسمونه بالرقص والسماع لاتزال تقام في محافلهم ونواديهم ، بل وحتى في مساجدهم ، ويستجلب لها الخبيثون والخبيثات من المغنين والمغنيات ، وتهيأ لهم جميع أنواع المزامير ، وتقام مايسمونه حلق الذكر مصحوبة بالصفيق والصفير، ويزعمون أن ذلك قربة وطاعة ، وطريق تقربهم إلى الله ، وتوصلهم إليه ، وتجمع قلوبهم عليه[١].

بل إنه قد صار للمتصوفة أثر كبير في تطوير الفن الغنائي ، وفي هذا يقول الأستاذ محمد فهمي عبداللطيف : « وكان لأولئك المتصوفة والدراويش أثر في الموسيقى والغناء ، حتى لقد كانوا عماد هذه الناحية الفنية حقبة طويلة من التاريخ ، وكانت الجماهير الشعبية لاتنعم بالسماع والطرب إلا في مجالاتهم وحضراتهم ومواكبهم »[٢].

فالصوت والمزمار والصفيق لابد منه في دين أهل التصوف .

وقد استدل هؤلاء المبتدعة فيما ذهبوا إليه بشبه يحسبونها أدلة ، وسأذكر هنا أهمها ، ثم أذكر بطلانها من خلال كلام أهل العلم .

وقبل أن أذكر أدلتهم أود أن أبين أن أهل العلم قد أجمعوا على تحريم

---

(١) انظر : الكلام على مسألة السماع لابن القيم (٩٦) ، الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ (٣٢٢ ـ ٣٢٨) ، السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر (١٦٣ ـ ١٦٨) ، مجلة التوحيد المصرية ، العدد الثالث من عام ١٣٩٩هـ (ص ٧) ،و العدد الثاني من عام ١٤٠١هـ (ص ٣٦ ـ ٣٧) ، الشعر الصوفي لعدنان العوادي(٩٦) ، ملاعب الوثنية لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (١٩ ـ ٢٠) .

(٢) السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر (١٦٣) .

الغناء والمعازف .[1]

شبه المتصوفة :

الشبهة الأولى : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فبشر عباد ۝ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ [الزمر : ١٧ـ ١٨] .

ووجه الاستدلال منه عندهم ، أن اللام في قوله ﴿ القول ﴾ تقتضي التعميم والاستغراق ، والله مدحهم باتباع الأحسن ، فدل على جوازه ، بل استحبابه .[2]

والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه :

أحدها : أن الله ـ تعالى ـ لايأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين؛ لأن من القول مايحرم استماعه ، ومنه مايكره ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ۝ وإما ينسينك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨ ـ ٦٩] ، فقد أمر الله ـ تعالى ـ بالأعراض عن كلام الخائضين في آياته ، ونهى عن القعود معهم ، فكيف يكون استماع كل قول محمودا ؟[3].

---

(١) انظر : تلبيس إبليس (٢٥٩) ، تفسير القرطبي (٥٦/١٤) ، فتاوى ابن الصلاح (٥٠٠/٢) ، ولاعبرة بخلاف ابن حزم في هذه المسألة .

(٢) انظر : الرسالة القشيرية للقشيري (١٥١) ، عوارف المعارف للسهروردي (١٦٠) .

(٣) انظر : الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢١٦/١ ـ ٢١٧) ، الكلام على مسألة =

ثانيهما : أن كلام الله ـ تعالى ـ يفسر بعضه بعضا ، وقد جاء القول المذكور مفسرا بآية أخرى ، وهي قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ [المؤمنون :٦٨] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ [القصص : ٥١] ، والمراد به القرآن .

والدليل على أن المراد بالقول المذكور في الآية التي استدل بها المخالف القرآن ، أن اللام في لغة العرب للتعريف ، فتنصرف إلى المعروف عند المتكلم والمخاطب ، والمعروف عندهما في هذه الآية القرآن ، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قال في أول السورة : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾[الزمر : ١] فذكر كلامه ودينه ، إلى أن قال : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ ، ثم قال بعد ذلك: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ○ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾[الزمر : ٢٢ ـ ٢٣] ، فأثنى على أهل السماع للحديث الذي أنزله ، ولم يثن على مطلق الحديث ومستمعه .(١)

ثالثها : أن الله ـ تعالى ـ حمد المستمعين القرآن ، وذم المعرضين عنه ، وجعلهم أهل الجهل والكفر ، في حين أنه لم يمدح استماع كل

= السماع (٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

(١) انظر : الاستقامة (٢٢٢/١) ، الكلام على مسألة السماع (٢٣٧) .

قول[1].

رابعها : أنه ـ سبحانه ـ مدح باستماع القول ، واتباع أحسنه ، وكثير من الأقوال ليس فيها حسن ، فضلا عن أن يكون فيها أحسن ، بل فيها ماهو بلاء على صاحبه ، فكون « أل » تقتضي العموم في كل قول من أبطل الباطل[2].

الشبهة الثانية لهم : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فهم في روضة يحبرون ﴾ [الروم : ١٥] .

ووجه الاستدلال منها عندهم ، أنه جاء في التفسير أن المراد به السماع[3].

والجواب عن هذا أن يقال : ليس كل ماينعم الله به عباده المؤمنين في الجنة يكون جائزا في الدنيا ، بدليل أن الله ـ تعالى ـ ينعمهم بالحرير والذهب والفضة والخمر ، وهي محرمة في الدنيا ، ومايقال في تلك يقال في السماع[4].

الشبهة الثالثة لهم : قالوا : إن سماع الأشعار بالألحان الطيبة والنغم المستلذة ، إذا لم يعتقد المستمع محظورا ، ولم يستمع على مذموم في

---

(١) انظر : الاستقامة (١/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠) ، الكلام على مسألة السماع (٢٤١ـ ٢٤٢) .

(٢) انظر : الاستقامة(١/ ٢٣٠ـ ٢٣٢) ، الكلام على مسألة السماع (٢٤٤ـ ٢٤٥) .

(٣) انظر : الرسالة القشيرية (١٥١) ، روح البيان للبرسوي (٧/ ١٣ ـ ١٤) .

(٤) انظر : الاستقامة (١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) ، الكلام على مسألة السماع (٢٤٦ـ ٢٥٧) .

الشرع ، ولم ينجر في زمام هواه ، ولم ينخرط في سلكه ، لهو مباح ، بدليل أن الأشعار أنشدت بين يدي النبي ﷺ وسمعها ، ولم ينكر إنشادها ، والحكم في استماع الأشعار بالألحان وبدونها واحد ، وتكون قربة إذا تضمنت ماأعد الله للمتقين ، ومايرغب في الطاعات[1].

والجواب عن هذا من وجوه :

أحدها : أن سماع الأشعار ، ليس كسماع الألحان ، فإن سماع الألحان مفردة ، يَحتاج القولُ بجوازها إلى دليل[2].

ثانيها : أنه لو كان كل واحد من الشعر والتلحين مباحا بمفرده ، لم يلزم من ذلك إباحتهما عند اجتماعهما ، وذلك لأن التركيب له خاصة يتغير بها الحكم[3]

ثالثها : أنه يلزم على هذا القول ، أنه يجوز استماع القرآن بالألحان ؛ لأنه كذلك إذا كان استماع الشعر بدون الألحان ، واستماعه بالألحان له حكم واحد ، فكذلك القرآن[4].

رابعها : أن القول بكون السماع قربة إذا كان يرغب في الطاعة ، يحتاج إلى دليل ؛ لأن القرب لابد لها من ذلك ، والسماع اختلف في حله

---

(١) انظر : الرسالة القشيرية (١٥١ ـ ١٥٢) .

(٢) انظر : الاستقامة (١/٢٤٣) الكلام على مسألة السماع (٢٧٠) .

(٣) انظر : المرجعين السابقين .

(٤) انظر : الاستقامة (١/٢٤٦) ، الكلام على مسألة السماع (٢٧٠) .

وحرمته ، فكيف يقال : إنه يحصل طاعة الله ومحبته ؟[1].

فهذه أهم أدلتهم ، وقد رأينا بطلانهم ، ولهم غير ذلك ، غير أنها لاتنتهض أن تكون أدلة[2].

والذي جعلني أتكلم عن مسألة السماع ، وأطيل فيها ، أن السماع جزء من مسألة المكاء والتصدية ، حيث إنها كلها تقوم على الأصوات المطربة ، سواء كانت صفيرا ، أوصفيقا ، أوكلمات ملحونة ، وكلها يتعبد بها ، والله أعلم.

---

(١) انظر : الاستقامة (١/٢٤٧ ـ ٢٧١) ، الكلام على مسألة السماع (٢٧٣ ـ ٢٩٥) .

(٢) للاستزادة في مسألة السماع انظر: اللمع للسراج الطوسي (٣٤٩ ـ) ، الرسالة القشيرية (١٥١ ـ ١٥٨) ، تلبيس إبليس (٢٥٠ ـ ٢٨٠) ، إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٢٩٢ ـ ٣١٦) ، فتاوى ابن الصلاح (٢/٤٩٩ ـ ٥٠١) ، عوارف المعارف (١٦٠ ـ ١٨٩) ، فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع للموفق بن قدامة ، الاستقامة (١/٢٦٦ ـ ٤٦٩)، المدخل لابن الحاج (٣/٩٣ ـ ١١٤) ، الكلام على مسألة السماع وما ألحق به من رسائل العلماء في ذلك ، إغاثة اللهفان (١/٢٢٤ ـ ٢٦٨) ، نزهة الأسماع لابن رجب، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (٩٩ ـ ١٠٤)، كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيتمي ، الرهص والوقص لمستحل الغناء والرقص لإبراهيم بن محمد الحلبي ، الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة لمحمد بن صفي الدين الحنفي (٣٣ ـ ٦٠) ، الانتصار لطريق الصوفية الأخيار للزمزمي ابن محمد بن الصديق (٢٥ ـ ٣٦) ، في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون (٨٥) وما بعدها .

الثانية والعشرون

أنهم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن أهل الجاهلية ، اتخذوا الدين الواجب عليهم إقامته ـ وهو الإسلام ـ من جنس اللهو واللعب[1] ، فلم يعبؤا به ، ولم يقيموا له وزنا ، واستعاضوا عنه بما لاقيمة له .

وقد اختلف المفسرون في معنى اتخاذ الكفار دينهم لهوا ولعبا على أقوال منها :

أولا : أنهم اتخذوا دينهم الذي كلفوه ، ودعوا إليه ـ وهو الإسلام ـ لعبا ولهوا ، حيث سخروا به ، واستهزؤا ، فإذا دعاهم الداعي إلى الإسلام سخروا منه ، وهزئوا به .[2]

وهذا كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُوًا ولَعِبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياءَ واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ○ وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هُزُوًا ولَعِبًا ذلك بأنه قومٌ

(١) انظر : روح المعاني (٧/١٨٦) .

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٨/٤٢٠) ، الكشاف (٢/ ٢٤) ، النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٣١) ، زاد المسير (٣/ ٦٤) ، المحرر الوجيز (٧/ ٢٢) ، تفسير الرازي (١٣/ ٢٩) ، غرائب القرآن لنظام الدين القمي (٧/ ١٣٢) ، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جوزي (٢/ ٢٣) .

لايعقلون ﴾ [المائدة : ٥٧ ـ ٥٨] .

ثانيا : أنهم اتخذوا ماهو لهو ولعب من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم[١]، وتركوا دين الحق ، وهو الإسلام .

ثالثا : أن الكفار كانوا يحكمون في دين الله بمجرد التشهي والتمني ، وماتزينه لهم شياطينهم ، ونفوسهم من تحليل حرام ، أوتحريم حلال ، أو تعبد بما لم يشرعه الله .[٢]وهذا كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إنَّما النَّسيء زيادةٌ في الكفر يُضَل به الذين كفروا يُحِلُّونَهُ عامًا ويُحَرِّمُونَهُ عامًا ليواطِئوا عِدَّةَ ماحَرَّمَ اللهُ فيُحِلُّوا ماحَرَّمَ اللهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا هذه أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ لايَطعمُها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حُرِّمَت ظُهُورُها وأنعامٌ لايذكرون اسم الله عليها ﴾[الأنعام : ١٣٨] ، وغيرها من الآيات الدالة على تحريم أهل الجاهلية الحلال ، وتحليلهم الحرام .

رابعا : وهو أن المراد به الإشارة إلى من يتوصل بدينه إلى دنياه[٣].

وعندي أنه لاتضاد بين هذه الأقوال ، وإنما هو من باب التفسير بالمثال ؛ لأن مرد هذه الأقوال كلها أمر واحد ، وهو عدم الاهتمام بأمر

---

(١) انظر : زاد المسير (٣/٢٠٩) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٢) ، البحر المحيط (٤/١٥٥) .

(٢) انظر : الكشاف (٢/٢١) ، زاد المسير (٣/٢٠٩) ، تفسير الرازي (١٣/٢٩) ، البحر المحيط (٤/١٥٥) ، غرائب القرآن (٧/١٣٢) .

(٣) انظر : تفسير الرازي (١٣/٢٩) ، البحر المحيط (٤/١٥٥) ، غرائب القرآن (٧/١٣٢) .

الدين ، والله أعلم .

ومما يدل على اتخاذ أهل الجاهلية ـ سواء كانوا اميين أوكتابيين ـ دينهم لهوا ولعبا ، وعدم الاهتمام بشأنه ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿وماقدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولاآباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ [الأنعام : ٩١] .

فقد ذكر الله ـ تعالى ـ عنهم في هذه الآية أنهم ينكرون المنزل ، وأنهم تلاعبوا بما أنزل على موسى ﷺ ، فأظهروا ماأرادوا إظهاره ، وكتموا كثيرا منه .

وموقف اليهود من دينهم معروف ، فإنهم تلاعبوا به تلاعبا عظيما، ومن ذلك أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] ، وحرفوا كتاب الله ـ تعالى ـ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾[النساء: ٤٦] ، وكتموا بعض الكتاب ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾[آل عمران: ٧١]،واعتاضوا عنه بما تمليه عليهم السحرة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ○ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾[البقرة : ١٠١ـ ١٠٢] ،

وافتروا الكذب على الله ـ تعالى ـ ، كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين يُزَكُّون أنفسهم بل اللهُ يُزكّي من يشاءُ ولايُظْلَمونَ فتيلاً ○ انظرْ كيف يفترون على الله الكذبَ وكفى به إثمًا مُبينًا ﴾[النسا:٤٩ـ٥٠] ، وآمنوا بالجبت والطاغوت ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ﴾[النساء :٥١] ، وجعلوا الدين مايقرره أحبارهم ورهبانهم ، وأطاعوهم فيما أحلوا من الحرام ، وحرموا من الحلال ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ اتَّخَذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أربابًا من دون الله ﴾[التوبة :٣١] ، وغير ذلك كثير .

ومن اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا ، مااقتراه النصارى على الله ـ جل وعلا ـ واختلفوا فيه ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم أنهم قالوا: ﴿إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾[المائدة :٧٢] ، وأنهم قالوا ﴿ إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة:٧٣] ، وأنهم قالوا : ﴿ المسيح ابن الله﴾[التوبة :٣٠] .

ومنه زيادتهم في الدين ، ونقصانهم منه ، وعدُّهم ذلك دينا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم ﴾[الحديد :٢٧] .

ومن اتخاذ الدين لهوا ولعبا : موقف الأميين من المنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ○ لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء :٢ ـ ٣] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عنهم أيضا : ﴿ بل هم في شك يلعبون﴾[الدخان :٩] .

وقوله ـ تعالى ـ متهددا إياهم : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينَهم لَعِبًا ولهوًا وغَرّتْهُمُ الحياةُ الدنيا ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

فهذا بعض مايدل على اتخاذ أهل الجاهلية دينهم لهوا ولعبا .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذا الأمر، فقد توعد الله ـ تعالى ـ من فعل ذلك ، كما في الآية السابقة ، وأخبر ـ تعالى ـ أن ذلك سبب للحرمان من دخول الجنة ، وأنه سبب لنسيان الله ـ تعالى ـ له ، كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم اللهُ قالوا إن اللهَ حَرَّمَهما على الكافرين الذين اتَّخَذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاءَ يومِهِم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ [الأعراف :٥١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويلٌ لكلِّ أفَّاكٍ أثيم يسمع آياتِ اللهِ تُتلى عليه ثُمّ يُصِرُّ مستكبرًا كأن لم يسمعْها فبشِّرْه بعذابٍ أليم وإذا علِم من آياتنا شيئًا اتخذَها هزوًا أولئك لهم عذابٌ مهينٌ من ورائهم جهنَّمُ ولايغني عنهم ماكسبوا شيئًا ولامااتخذوا من دونِ اللهِ أولياءَ ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾[الجاثية : ٧ ـ ١٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقيل اليومَ ننساكم كما نسيتم لقاءَ يومِكم هذا ومأواكم النّارُ ومالكم من ناصرين ○ ذلكم بأنكم اتخذتم آياتِ اللهِ هزوًا وغرتكمُ الحياةُ الدنيا فاليومَ لايخرجون منها ولايستعتبون ﴾ [الجاثية : ٣٤ ـ ٣٥] .

ونهى ـ جل وعلا ـ عن اتخاذ آياته هزوا ، فقال : ﴿ ولاتتخذوا آيات الله هزوا ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، وقد سبق ذكر بعضها في المسألة السابقة .

كما أن رسول الله ﷺ اشتد غضبه على من ظنه متلاعبا بحدود الله، كما قال ﷺ فيمن طلق امرأته ثلاثا بلفظ واحد : « أيلعب بكتاب الله بين أظهركم »[١] حتى سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ أن يقتله ، وذلك لما رأى من شدة غضبه ﷺ على حدود الله .

كما اشتد غضبه ﷺ على المتلاعبين بالطلاق ، فتارة يطلقون ، وتارة يراجعون ، وعد ذلك لعبا ، فقال ﷺ : « مابال أقوام يلعبون بحدود الله»[٢]

فلم يكن ﷺ يرضى أن يُتلاعب بدين الله ، ولاأن يُتَّخَذَ لهوًا .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، ولها صور : منها أنه يوجد اليوم كثير من الناس ينتمي إلى الإسلام ، وهو لايعرف منه إلاَاسمه ، فليس

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب الطلاق ـ باب طلاق الثلاث المجموعة وما فيه من التغليظ ـ (٣/٣٤٩) ، حديث رقم (٥٥٩٤) ، وفي المجتبى ـ كتاب الطلاق ـ باب طلاق الثلاث المجموعة ومافيه من التغليظ ـ (٦/١٤٢ ـ ١٤٣)ح٣٤٠١ عن محمود بن لبيد ، قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٢٧٥) : «رجاله ثقات » .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الطلاق ـ (١/ ٦٥٠) ح٢٠١٧ والطبري في تفسيره (٢/٣٣٣) ، وابن بطة في الحيل (٣٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الخلع والطلاق ـ باب ماجاء في كراهية الطلاق ـ (٧/ ٣٢٢) ، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١٢٥) : « إسناده حسن »

له اهتمام بأمر دينه ألبتة .

ومنها مايوجد من بعض المبتدعة كالمتصوفة الذين جعلوا الدين مجرد طقوس ليست منه في شيء ، كتعبدهم بالمكاء والتصدية ، والرقص ، والدوران ، والأذكار المبتدعة ، والعبادات الشركية ، ونحوها .

ومنها مايكون من بعض من ينتمي إلى الإسلام من فعل ماتهواه نفسه من العبادات ، وترك أكثرها ، كالمتساهلين ببعض الصلوات ، وكما يجري من أهل القوانين الوضعية الذين يأخذون من الشريعة الإسلامية مايهوون ، ويعرضون عما سواه .

ومنها : تلاعب المتكلمين بنصوص الوحيين ، إذ مايرونه مؤيدا لبدعتهم يحتجون به ، وما يرونه معارضا لها وناقضا ، يعرضون عنه ، ويردونه .

ومنها مايكون من بعض المنافقين المنتمين إلى الإسلام ، الذين يتخذون آيات الله هزوا ، فيسخرون من الدين وأهله ، ويعترضون على الله ـ تعالى ـ وعلى حكمته وشرعه .

ومنها مايفعله بعض الناس من جعله الدين سلما له كي ينال به عرضا من الدنيا ، كما يفعل ذلك سدنة القبور والمشاهد الشركية .

فهذه بعض الصور التي تدل على أن هذه الخصلة ماتزال موجودة، وهي صور واضحة ، ومعروفة ، لاإخال أنها تخفى على أحد ، والله المستعان .

الثالثة والعشرون[1]

أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء[2] الله لهم يدل على رضاه ، كقولهم : ﴿ نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ [سبأ : ٣٤].

الله ـ جل وعلا ـ يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب ، ولايعطي الدين إلا من يحب[3]، وهذا من حكمته ـ جل وعلا ـ ، بيد أن أهل الجاهلية فهموا خلاف ذلك ، فظنوا أن عطاء الله دليل على رضاه عن المعطى ، وأن من قدر عليه رزقه ، فهو دليل على الغضب عليه .

ولما كانت هذه القاعدة متقررة لديهم ، اغتروا بذلك ، وبقوا على ماهم عليه من الكفر والفجور والطغيان ، واستدلوا بذلك على بطلان دعوات الأنبياء بكون أتباعهم من الضعفاء .

وهذا هو معنى ماذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة .

(١) هذه المسألة عطفت على المسألة قبلها في (أ) ، ولم تفرد برقم مستقل .

(٢) في (د) : « إعطاء » .

(٣) جاء هذا المعنى في حديث أخرجه البزار ، كما في مجمع الزوائد (١٠/٢٩٢) ، وقال فيه : « وفيه من لم أعرفهم »، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٣٢٩) ، ح١٣٦٢ و (٢/٣٥٢) ح١٤٠٢ ، وضعفه ، وقال : « قال الدارقطني : رفعه جماعة ، ووقفه جماعة ، والصحيح الموقوف » .
ومعناه صحيح ، تشهد له الآيات والأحاديث الصحيحة .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ـ جل وعلا ـ حكاية عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الكفار استبعدوا أن يعذبهم الله ـ تعالى ـ مستدلين على ذلك بكثرة ماأعطاهم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا .

ومن أدلة اغترار أهل الجاهلية بذلك : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ○ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ [الأنعام : ٥٣ ـ ٥٤] .

ووجه الاستدلال من ذلك : أنهم أنكروا أن يمن الله ـ تعالى ـ على هؤلاء الضعفاء الفقراء ، ويدع الأغنياء ، فكان المقياس عندهم هو الغنى والفقر .

وقوله ـ تعالى ـ في قصة ذي الجنتين : ﴿ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ [الكهف : ٣٤] .

فقد استدل على صحة ماهو عليه بما رأى من كثرة أمواله وأولاده .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴾ [مريم : ٧٣] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون ﴾ [المؤمنون : ٥٦] .

وهذه الآية نزلت في قريش[١].

والمعنى : أيحسب هؤلاء أن الذي نعطيهم من عاجل الدنيا من مال وبنين نسابق لهم في خيرات الآخرة ، ونبادر لهم فيها ، بل لايعلمون أن هذا الإمداد من الاستدراج[٢].

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن قارون أنه قال: ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص : ٧٨] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « أي : أنا لاأفتقر إلى ماتقولون، فإن الله ـ تعالى ـ إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ، ولمحبته لي ، فتقديره : إنما أعطيته لعلم الله في أني أهل له »[٣].

وقال قتادة :« على علم عندي : على خير عندي »[٤]

وقال السدي : « علم الله أني أهل لذلك »[٥] ، وقال ابن زيد :« لولارضا الله عني،ومعرفته بفضلي،ما أعطاني هذا المال »[٦].

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/ ٣١) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/ ٣١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١١٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٧) وزاد نسبته إلى عبدبن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥/ ١٣٧) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠/ ١١٣) .

وهذه الخصلة من خصال الجاهليتين ، أما الأميون فكونها من خصالهم أمر واضح من خلال الأدلة التي ذكرتها ، أما كونها من خصائص الكتابيين - ايضا - فيدل على ذلك عموم قوله - تعالى - : ﴿وما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ○ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾ .

وقد أبطل الله - تعالى - هذا الاعتقاد ، وبين أن العطاء من الدنيا لايدل على رضاه ، بل قد يكون استدراجا ، كما قال - تعالى - : ﴿فلما نسوا ماذُكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ○ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ [الأنعام : ٤٤- ٤٥] .

وقال - تعالى - : ﴿ ولايحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ﴾ [آل عمران : ١٧٨]

والإملا : إطالة العمر ، ومافي ضمنه من رزق ونصر[(١)].

وقال - تعالى - : ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون ○ وأملي لهم إن كيدي متين ﴾ [القلم: ٤٤ -٤٥].

وقال - تعالى - : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ○ ولبيوتهم

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨٢) .

أبوابا وسررا عليها يتكئون ○ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥] .

ومعنى الآية : لولا أن يعتقد كثير من الناس أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه ، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال .

وهذا معنى ما جاء عن ابن عباس[1] والحسن البصري[2] وقتادة[3] ومجاهد[4] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فأما الإنسان إذا مابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا مابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا ﴾ [الفجر : ١٥ ـ ١٧] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « يقول ـ تعالى ـ منكرا على

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/٦٨) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/١٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
والحسن هو ابن يسار البصري ، الإمام المعروف ، ولد نحو سنة ٢١ ، وأدرك كثيراً من الصحابة ، وكان إماما في العلم والزهد والدين ، وتوفي سنة ١١٠هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٧/١٥٦ ـ ١٧٨) ، تاريخ يحيى بن معين (٢/١٠٨ ـ ١١٣)، التاريخ الكبير (٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠) ، تهذيب الكمال (٦/ ٩٥ ـ ١٢٦) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/١٩٦) ، وابن جرير في تفسيره (٢٥/٦٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/١٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/١٧) .

الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله ـ تعالى ـ عليه في الرزق ليختبره في ذلك ، فيعتقد أن ذلك إكرام له ، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ وكذلك في الجانب الآخر ، إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق ، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ كلا ﴾ أي ليس الأمر كما زعم ، لا في هذا ولا في هذا ، فإن الله ـ تعالى ـ يعطي من يحب ومن لا يحب ، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين : إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك ، وإذا كان فقيرًا بأن يصبر »[1] .

وقد بين رسول الله ﷺ فساد هذا الاعتقاد ببيان أن الدنيا قد تفتح على الكافر ، ويعطى مالم يعط المؤمن ، كما جاء ذلك في قوله ﷺ : « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الديباج[2] والحرير ، فإنها لهم في الدنيا ، ولكم في الآخرة »[3] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٠) .

(٢) الديباج : بفتح الدال وكسرها ، والكسر أشهر ، ثياب تتخذ من الإبريسم .

انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأشربة ـ باب آنية الفضة ـ (٦/ ٢٥١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال ـ (٣/ ٢٠٦٧) ح٢٠٦٧ .

وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر »[1] .

كما بين ﷺ فساد هذا الاعتقاد ببيان حقارة الدنيا عند الله ـ تعالى ـ وهوانها عليه بقوله : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء »[2] فقد بين ﷺ حقارة هذه الدنيا عند الله ـ تعالى ـ ،

---

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب الزهد والرقائق ـ (٤/ ٢٢٧٢) ح٢٩٥٦عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الزهد ـ باب ماجاء في هوان الدنيا على الله ـ (٤/ ٥٦٠) ح٢٣٢٠ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا ـ (٢/ ١٣٧٦ـ ١٣٧٧) ح٤١١٠ ، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (١٢) ح ١ ، وابن أبي عاصم في الزهد (٥٨) حديث رقم (١٢٨) ، والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٦) ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الرقاق ـ (٤/ ٣٠٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣)، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الرقاق ـ باب هوان الدنيا على الله ـ (١٤/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) ح٤٠٢٧ من حديث سهل بن سعد .

قال الترمذي : « هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه » ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد (٥٩) ح١٢٩ ، ١٣٠ ، والبزار كما في كشف الأستار (٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) ح٣٦٩٣ ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣١٧) ح١٤٤٠ من حديث أبي هريرة .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « وفيه صالح مولى التوأمة ، وهو ثقة ، لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات » .

وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/ ٣١٩) ، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) ح ١٤٣٩ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ٩٢) من حديث ابن عمر .

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٧٨) ح٥٠٩ ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الرقاق ـ باب هوان الدنيا على الله ـ (١٤/ ٢٢٨) ح٤٠٢٦ عن رجال من أصحاب النبي ﷺ .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده ، كما في المطالب العالية لابن حجر (٣/ ١٧٣) ح٣١٧٢ عن رجل من بني فهم .

=

ولو كان لها شأن عنده ، لجعلها لأوليائه وأحبابه ، ولما نال الكفار شيئًا منها .

وبهذه النصوص التي ذكرتها ـ وغيرها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كثير جدًّا ـ تبين لنا كيف خالف رسول الله ﷺ ماعليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة .

وهذا الاعتقاد مايزال موجودًا ، وله صورٌ ، منها مايعتقده المتصوفة من أن حصول الخارق على يدي أحدهم أنه كرامة له ، وأنه دليل على رضاه عمن جرى على يديه هذا الخارق .

ومنها مايبتلى به بعض عباد القبور من حصول مطلوبهم عند دعائهم غير الله ، واستغاثتهم به ، بجانب قبر ولي ونحوه[1]

ومنها أن كثيرًا من الجهال اليوم إذا أصاب نعمةً اعتقد أنه من رضا الله ـ تعالى ـ عنه ، بل إن بعضهم قد يبطر هذه النعمة بسبب ذلك ، ويحتقر الناس من أجله ، في حين أنه إذا رأى بعض الناس تصيبه المكاره الدنيوية اعتقد أن ذلك دليل غضب الله ، وأن مايجري إنما هو انتقام منه .

= وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢١٩ ـ ٢٢٠) ح٦٢٠ عن الحسن مرسلا .
وأخرجه هناد السري في الزهد (١/ ٣٢١) ح٥٧٨ عن محمد بن عمرو مرسلا .
وأخرجه هناد ـ أيضا ـ في الزهد (٢/ ٤١٢) ح٨٠٠ عن عمرو بن مرة مرسلا .
والحديث صحيح بمجموع طرقه ، كما أفاد ذلك العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة ، ح٦٨٦ .

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٨١) .

بل إن بعض المتعاملين ببعض المعاملات المحرمة ، وخاصة الربا حينما يرون كثرة أموالهم التي بين أيديهم ، يداخلهم الشك فيما توعد الله به آكلي الربا من محق البركات ، فيظنون أن مايتعاملون به ليس من هذا القبيل ، بل هو من المعاملات المباحة ، بدليل عدم محقها .

ومنها مايبتلى به بعض من يعتدي في الدعاء ، كالدعاء بحصول معصية ونحو ذلك ، فإذا استجيب له ، وحصل بعض غرضه ، ظن أن ذلك دليل على صلاح عمله[١] .

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر .

(١) انظر : المرجع السابق ، نفس الجزء والصحيفة .

الرابعة والعشرون[1]

ترك الدخول في الحق[2] إذا سبقهم إليه الضعفاء ، تكبرا وأنفة[3] ، فأنزل الله : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ الآيات . [الأنعام : ٥٢]

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية المقيتة ، أنهم كانوا يأنفون ، ويكرهون اتباع الحق ، بسبب أن الضعفاء المحتقرين لديهم سبقوهم إليه ، وآمنوا به .

وذلك أنهم كانوا يزدرون الفقراء ، ويحتقرونهم ، ويأنفون من مجالستهم ، والحديث معهم ، ومن باب أولى متابعتهم فيما ذهبوا إليه ، وكانوا يرون أنفسهم بأنهم أحق بالفضائل من غيرهم .

ولما جاءت الرسل ـ عليهم السلام ـ بالأديان من عند الله ـ تعالى ـ وكان غالب أتباعهم من الضعفاء ، أنف هؤلاء الجاهليون من متابعتهم ، واستكبروا عن قبول الحق بسبب ذلك ؛ خشية من سقوط مهابتهم أمام الناس ، إذا رأوهم مع عبيدهم ومواليهم ، ومن هم دونهم في المنزلة[4] .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الثالثة والعشرون .
(٢) في (٥) : في دين الله .
(٣) « تكبرا وأنفة » ساقطة من (ب) ، وموضعها بياض بمقدار كلمتين .
(٤) انظر : تفسير المنار (١٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

وقد استدل - رحمه الله تعالى - على النهي عن هذه المسألة بقوله - تعالى - : ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه المسألة يبينه سبب النزول ، فقد جاء عن سعد بن أبي وقاص[(١)] - رضي الله تعالى عنه - أنه قال : « نزلت هذه الآية في ستة : أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تدني هؤلاء »[(٢)]

وعنه قال : « كنا مع النبي ﷺ ستة نفر ، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء يجترؤن علينا ، وكنت أنا وابن مسعود ، ورجل من هذيل ، وبلال[(٣)]، ورجلان لست أسميهما ، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

---

(١) هو سعد بن مالك بن عبد مناف القرشي ، الزهري ، صحابي جليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ،واختلف في تاريخ وفاته ، فقيل سنة ٥١ هـ ، وقيل : ٥٧ ، وقيل ٥٨هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٣/١٣٧ - ١٣٨) ، طبقات خليفة (١٥، ٢٦) ، تاريخ خليفة (٢٢٣) ، الحلية (١/ ٩٢ - ٩٥) ، تهذيب الكمال (١٠/٣٠٩ - ٣١٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل سعد بن أبي وقاص - (٤/١٨٧٨) ، حديث رقم (٢٤١٣) .

(٣) هو بلال بن رباح الحبشي ، القرشي ، التيمي ، مؤذن المصطفى ﷺ ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وأوذي في الله ، وتوفي سنة ١٧هـ ، وقيل : ١٨ ، وقيل ٢٠ ، وعمره سبعون ، وقيل : ثمانون سنة .
انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ٢٣٢ - ٢٣٩) ، طبقات خليفة (١٩، ٢٩٨) ، نسب قريش (٢٠٨) ، تهذيب الكمال (٤/٢٨٨ - ٢٩١) .

جهه ﴾»[1]

وعن ابن مسعود قال : « مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت[2]، وصهيب[3]، وبلال ، وعمار[4] قالوا : يامحمد أرضيت بهؤلاء ؟ أتريد أن نكون تبعا لهؤلاء ؟ فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم ﴾ الآية »[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب في فضل سعد بن أبي وقاص ـ (١٨٧٨/٤) ح٢٤١٣ .

(٢) هو خباب بن الأرت بن جندلة التميمي ، أبو عبدالله ، صحابي جليل ، شهد بدرا مع رسول الله ﷺ وتوفي سنة ٣٧ هـ ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .
انظر : مغازي الواقدي (١/ ١٥٥) ، طبقات ابن سعد (٦/ ١٤) ، تهذيب الكمال (٢١٩/٨ ـ ٢٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥) .

(٣) هو صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو الرومي ، أبو يحيى ، صحابي جليل ، أسلم قديما بمكة ، وشهد بدرا مع رسول الله ﷺ ، وتوفي سنة ٣٨ هـ ، وعمره سبعون سنة ، وقيل : ٨٤ هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٣٠) ، طبقات خليفة (١٩، ٦٢) ، تهذيب الكمال (١٣/ ٢٣٧ـ ٢٤٠) .

(٤) هو عمار بن ياسر العنسي ، أبو اليقظان ، صحابي جليل ، أسلم بمكة قديما ، وعذب في الله ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وقتل على الحق بصفين مع علي ، وعمره ٩٣ سنة .
انظر : طبقات بن سعد (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٦٥) ، تهذيب الكمال (٢١/ ٢١٥ـ ٢٢٧) ، تاريخ الإسلام للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ (٥٦٩ ـ ٥٨٣) .

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٢٠) ، وابن جرير في تفسيره (٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٨) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٣) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢١) : « ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير كردوس ، وهو ثقة » .

فهذه الآية التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ تدل على النهي عن طرد المؤمنين ، استجابة للمتكبرين الذين يأنفون منهم ، وفي ضمن ذلك النهي عن مشابهتهم في ذلك .

ومن الأدلة على ترك أهل الجاهلية الحق بسبب سبق الضعفاء إليه : قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن قريش : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] .

فهم يستكبرون عن اتباعه لكونه في نظرهم من الضعفاء .

وقول قوم نوح ﷺ له : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء : ١١١] .

وامتناع فرعون من الإيمان بالكليم موسى لأجل أنه من الإسرائيليين الذين اتخذهم فرعون له خدما ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنه: ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ [المؤمنون : ٤٧] .

ومما يدل على وجود هذه الخصلة في أهل الكتاب ، قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم : « أما إني لأعلم مالذي يمنعك من الإسلام ، تقول : إنما تبعه ضعفة الناس ، ومن لاقوة له » .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد نهاه الله ـ تعالى ـ عن طرد أهل الإيمان ، وإن كانوا ضعفاء ، كما في الآية التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ، وأمره بأن يصبر نفسه بالجلوس معهم ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وعاتبه ربه ـ جل وعلا ـ لمّا اشتغل بدعوة السادة من قريش عن تعليم الأعمى ، فقال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ عبس وتولى ○ أن جاءه الأعمى ○ ومايدريك لعله يزكى ○ أو يذكر فتنفعه الذكرى ○ أما من استغنى ○ فأنت له تصدى ○ وماعليك ألا يزكى ○ وأما من جاءك يسعى ○ وهو يخشى ○ فأنت عنه تلهى ﴾ [عبس : ١ـ ١٠] .

وبين ﷺ أن الكبر بطر الحق ، وغمط الناس .

وبطر الحق : هو التكبر عليه ، فلا يقبله[١] .

وغمط الناس : احتقارهم ، والاستهانة بهم[٢] .

ولاشك أن عدم قبول الحق بسبب سبق الضعفاء إليه داخل في هذا؛ لأن فيه ردا للحق ، وازدراء للضعفاء .

والله ـ جل وعلا ـ يقول : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون

(١) انظر : المعلم بفوائد مسلم للمازري (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر : المرجع السابق .
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر وبيانه ـ (١/ ٩٣)ح١٤٧ .

بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾[الأحقاف : ٢٠] .

ويقول : ﴿ ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ [الجاثية : ٧ ـ ٨] .

وقال ﷺ : « ألا أدلكم على أهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، وأهل النار كل جواظ[١] ، عتل[٢] ، مستكبر»[٣] .

وقال ﷺ : « احتجت الجنة والنار ، فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي ، أعذب بك من أشاء ، ولكليكما علي ملؤها »[٤] .

---

(١) الجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : كثير اللحم المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين .
انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢٥٦) ، الفائق في غريب الحديث (١/٢٤٧) ،النهاية في غريب الحديث (١/٣١٦) .

(٢) العتل : الشديد الجافي ، والفظ الغليظ من الناس .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٣/١٨٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب قول الله تعالى : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ ـ (٧/٢٢٤) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب النار يدخلها الجبارون والمتكبرون ، والجنة يدخلها الضعفاء ـ (٤/٢١٩٠) ح٢٨٥٣ من حديث الحارثة بن وهب .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ـ باب النار يدخلها الجبارون والمتكبرون ، والجنة يدخلها الضعفاء ـ (٤/٢١٨٦ ـ ٢١٨٧)ح ٢٨٤٦ من حديث أبي سعيد الخدري .

وهذا هو من ترك الدخول في الحق تكبرا وأنفة .

وهذه الخصلة مايزال لها وجود إلى يومنا هذا ، فقد سبق في شرح المسألة الثامنة بيان أن هناك من الضلال من استدل على بطلان الحق بسبق الضعفاء .

ولاريب أن هذا الاستدلال لم يكن إلا عن مقدمة متقررة عندهم ، وهذه المقدمة عدم اعتبار الضعفاء ، وعدم اعتبار رأيهم ، نتيجة لاحتقارهم، والله أعلم .

الخامسة والعشرون(١)

الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء ، كقوله(٢) : ﴿ لو كان خيرا ماسبقونا إليه ﴾ [الأحقاف ١١] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة ، أن من خصال أهل الجاهلية ، كونهم يستدلون على بطلان الحق بسبق الضعفاء إليه ، فإذا سبقوهم إلى الإيمان به ، ومتابعته ، عدوا ذلك دليلا على بطلانه ؛ لأنهم ـ كما سبق ـ يرون أنهم أحق بكل فضيلة ، وأنه لامزية لهؤلاء الضعفاء عليهم ، وأنهم ليسوا إلا مجرد أتباع لهم .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسالة بقول الله ـ جل وعلا ـ مخبرا عن الكفار من قريش أنهم قالوا لما آمن الضعفاء ، وسبقوهم إلى الإسلام : ﴿ لو كان خيرا ماسبقونا إليه ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أنهم أنكروا أن يكون في الإسلام خير بسبب سبق هؤلاء الضعفاء إليه .

قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية : « قال ناس من المشركين : نحن أعز ، ونحن ، ونحن ، فلو كان خيرًا ماسبقنا إليه فلان وفلان ، فنزلت هذه

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الرابعة والعشرون .
(٢) في (أ) « بقوله » ، وفي (ب) « لقوله » .

الآية »[1].

وقيل : إن هذه الآية نزلت في مولاة لعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - اسمها زِنِّيرة ، وكان عمر - قبل إسلامه - يضربها على الإسلام ، فكان كفار قريش يقولون : لو كان خيرا ماسبقتنا إليه زنيرة[2].

وأما ابن جرير فكأنه يميل إلى أن هذه الآية نزلت في الكفار من بني إسرائيل ، الذين يعيرون من آمن منهم بالنبي ﷺ ، وذلك لأن الآية جاءت بعد قوله - تعالى - : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [الأحقاف : ١٠].

ولاتعارض بين هذه الأقوال ، فلايمنع أن يكون كفار بني إسرائيل قالوا هذا ، وكفار قريش قالوه ، فنزلت الآية للرد على الطائفتين.

ومما يدل على هذه الخصلة - أيضا - قوله - تعالى - مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣].

فهم لما سارعوا إلى الإيمان بالنبي ﷺ ، استنكر الكفار أن يخصهم الله - تعالى - بالمن ، وأن يسبقوهم إليه .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/٤٠) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن المنذر عن عون بن أبي شداد ، كما في الدر المنثور (٦/٤٠) .
وزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة : صحابية جليلة ، أسلمت قديما ، وعذبت في الله ، اشتراها أبو بكر الصديق ، فأعتقها .
انظر : سيرة ابن هشام (١/٣١٨) ، الاستيعاب (٤/٣١٦) ، أسد الغابة (٧/١٢٣) ، الإصابة (٤/٣٠٥) .

ومما يدل عليها ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن قوم نوح ﷺ أنهم قالوا : ﴿ مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ [هود : ٢٧] .

فكأنهم يقولون : أول من آمن بك هؤلاء الأراذل ، وهم لامزية لهم عندنا ؛ لأنهم ليسوا من أهل الرأي ، ولم يسارع إلى الإيمان بك أشراف القوم وسادتهم ، مما يدل على بطلان ماجئت به .

ومما يدل على أنها من خصال أهل الكتاب إضافة إلى ماذكره ابن جرير ، حديث عدي بن حاتم « إني لأعلم مايمنعك من الإيمان ، أن تقول: إنما تبعه ضعفة النّاس ، ومن لاقوة له ».

فالضعفة هم السابقون ، وليس السابقون الأشرافَ ، وأهلَ القوة ، وسبق هؤلاء يدل على بطلانه ؛ لأنهم أتباع كل ناعق .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية ، حيث لم يجعل ﷺ للضعف والقوة اعتباراً في معرفة الحق والباطل ، فالحق لايعرف بالرجال ، وإنما الرجال يعرفون بالحق .

قال ﷺ : ﴿ إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة ، لايزن عند الله جناح بعوضة »[1] .

لاريب أن هذ الحديث قاطع على أهل هذا الاستدلال استدلالهم ، فهذا الرجل مع بدانته ، وعظم هيئته ، لايكون في الميزان عند الله ـ تعالى ـ شيئا .

كما أنه ﷺ ، بين أن أهل النار هم المتكبرون المتجبرون ، وأن أهل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب صفة القيامة والجنة والنار ـ (٢١٤٧/٤) ح٢٧٨٥ .

الجنة هم الضعفاء ثم إن الله ـ تعالى ـ يختص برحمته من يشاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فالقول بأن سبق الضعفاء دليل على بطلان الحق ، معارض لذلك .

وهذه الخصلة ـ كما تبين من الأدلة ـ من خصال الأميين والكتابيين .

وهي خصلة لاأشك في وجودها في هذا العصر ، بيد أن القول بوجودها يحتاج إلى دليل ، ومعلوم أن كل أحد يدعي أن الحق ضالته ، وأنه ينشدها سواء كانت مع الضعفاء أو مع الأقوياء ، وقل من يصرح أنه لن يتبع الحق إذا سبق إليه الضعفاء ، وهذه المسألة تحتاج إلى إعراب باللسان عما يكنه القلب .

وقد سبق ذكر بعض الأمثلة على استدلال بعض أهل هذا العصر على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، وإذا كان لم يتبعه إلا الضعفاء ، فهو يعني أنهم سبقوا إليه ، والله أعلم .

السادسة والعشرون[1]

تحريف كتاب الله من بعد ماعقلوه وهم يعلمون[2]

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن أهل الكتاب سطوا على كتاب الله ـ تعالى ـ المنزل عليهم ، فغيروا فيه ، وبدلوا ، وأدخلوا ماليس منه فيه ، وأخرجوا منه ماهو منه .

وقد بين أن هذا الصنيع لم يكن عن جهل منهم ، بل هو عن قصد وعلم بما يعملون ، وهذا أشد إمعانا في الضلالة .

وقد ذكر أهل العلم أن التحريف نوعان :

أحدهما : تحريف اللفظ ، وهو العدول به عن وجهته إلى غيرها، إمابزيادة أونقصان ، وإمابتغيير حركة إعرابية أوغير إعرابية .

ثانيهما :تحريف المعنى ، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته بإعطائه معنى لفظ آخر بقدر مشترك بينهما[3].

وقد وقع أهل الكتاب في كليهما[4].

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الخامسة والعشرون ، وفي (هـ) : السابعة والعشرون
(٢) « وهم يعلمون » ساقطة من (أ) .
(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٣٣٣) .

(٤) انظر : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ٢١٥) .

ومن الأدلة على ذلك ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴾[البقرة : ٧٥] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[النساء : ٤٦] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ [المائدة :١٣] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ﴾ [المائدة :٤١] .

فهذه الآيات فيها إخبار من الله ـ تعالى ـ عن وقوع أهل الكتاب في تحريف كلام الله ـ تعالى ـ .

وهذا التحريف المذكور فيها ، يحتمل تحريف اللفظ وتحريف المعنى .

وقد جاءت نصوص أخرى مبينة وقوع النوعين منهم ، ومنها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ○ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ [البقرة : ٥٨ ـ ٥٩] .

فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال مفسرا هذه الآية : « قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا ، وقولوا : حطة ، فبدلوا ، فدخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا : حبة في شعيرة »(١).

فهذا التفسير من رسول الله ﷺ يبين لنا أن التحريف المذكور في الآية، إنما هو تحريف الألفاظ .

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ قول ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث أخبار الله ، تعرفونه غضا، محضا ، لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله ، وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا، أفلا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسائلهم ، ولاوالله مارأينا منهم أحدا قط سألكم عن الذي أنزل إليكم »(٢)

وعنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : « وصف الله محمدا في التوراة، فلما قدم رسول الله ﷺ ، حسده أحبار اليهود ، فغيروا صفته في كتابهم ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ ـ (١٤٨/٥) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ (٢٣١٢/٤) ح٣٠١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الشهادات ـ باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة (١٦٣/٢) ، وفي كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي ﷺ : « لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء » ـ (١٦٠/٨) .

وقالوا : لانجد نعته عندنا ، وقالوا للسفلة : ليس هذا نعت النبي الذي يحرم كذا وكذا كما كتبوه ، وغيروا نعت هذا كما وصف ، فلبسوا على الناس ، وإنما فعلوا ذلك لأن الأحبار كانت لهم مأكلة يطعمهم إياها السفلة؛ لقيامهم على التوراة ، فخافوا أن تؤمن السفلة ، فتنقطع تلك المأكلة »[1].

وعنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن أحبار يهود وجدوا صفة النبي محمد ﷺ مكتوبا في التوراة أكحل[2]، أعين[3]، ربعة[4]، جعد الشعر[5]، حسن الوجه ، فلما وجدوه في التوراة ، محوه حسدا وبغيا ، فأتاهم نفر من قريش من أهل مكة ، فقالوا : نعم ، نجده طويلا ، أزرق ، سبط الشعر[6]،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ـ باب في دخول عبدالله بن سلام على رسول الله ﷺ ـ (٥٣٧/٢) .

(٢) الأكحل : الذي في أجفان عينيه سواد ، خلقة .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٥٤) .

(٣) الأعين : واسع العينين .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٣٣) .

(٤) الربعة : الذي بين الطويل والقصير .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٩٠) .

(٥) جعد الشعر : أي شعر فيه تكسر ، وقيل : الشعر القصير .
انظر : في غريب الحديث (١/ ٢٧٥) ، لسان العرب (٣/ ١٢١) « جعد »

(٦) سبط الشعر : أي شعر منبسط مسترسل ، ليس فيه تكسر .
انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ٢٧) ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٣٤) .

فأنكرت قريش ، وقالوا : ليس هذا نا »[1].

ومن تحريف المعنى ماجاء عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال : أتي النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا ، فقال لليهود :« ماذا تصنعون بهما » ؟ قالوا : نسخم وجوههما ، ونخزيهما ، قال: « فأتوا بالتوراة ، فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاؤا ، فقالوا لرجل ممن يرضون : ياأعور ، اقرأ ، فقرأ حتى انتهى إلى منها ، فوضع يده عليه، قال : « ارفع يدك » ، فرفع يده فإذا هي تلوح ، فقالوا : يامحمد إن عليهما الرجم ، ولكنا نكاتمه بيننا ، فأمر بهما ، فرجما»[2].

ففي هذا الحديث بيان لتحريف أهل الكتاب حد الرجم الواجب عليهم إقامته ، ولم يكن هذا التغيير والتحريف في الألفاظ ، وإنما كان في التأويل، بدليل أن القارىء ، لما رفع يده عن آية الرجم لاحت للناظرين .

ومن الأمثلة على تحريفهم : زعمهم أن ماجاء في التوراة « سأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامي في فيه ، ويقول لهم ماآمرهم به ، والذي لايقبل قول ذلك النبي ، الذي يتكلم باسمي ، أنا أنتقم منه ومن سبطه »[3]أنه على حذف أداة الاستفهام ، والتقدير : أأقيم لبني إسرائيل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٤٥) ح٨١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التوحيد ـ باب مايجوز من تفسير التوراة ـ (٨/ ٢١٣ـ ٢١٤) .

(٣) أسفار العهد القديم ـ سفر التثنية ـ الإصحاح الثامن عشر ـ فقرة (١٥ ـ ٣٠) (ص =

نبيًا من إخوتهم ، أي : لاأفعل هذا[1].

ومنها زعمهم أن المراد بجبال فاران ، أرض الشام ، وليست أرض الحجاز[2].

كما أن النصارى ـ أيضا ـ قد طرأ على كتابهم التحريف ، بدليل تعدد الأناجيل التي بين أيديهم[3] .

وقد حذر الله ـ تبارك وتعالى ـ من هذه الفعلة الشنيعة ، وتوعد من فعلها ، فقال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم ممايكسبون ﴾ [البقرة : ٧٩] .

كما أنه ـ جل وعلا ـ شنع على اليهود فعلهم ذلك ،وهذا يعني بلاريب التحذير مما وقعوا فيه .

---

٣٠٨ ـ ٣٠٩) .

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (١٠٧) .

(٢) انظر : أسفار العهد القديم ـ سفر التثنية ـ الإصحاح الثالث والثلاثين ـ فقرة (١) (ص ٣٣٤) ، هداية الحيارى (١١٠) .
وانظر أمثلة التحريف عند اليهود في : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٠١ـ ٣٢٩) .

(٣) انظر : الفصل (٢/ ١٣٩ـ ١٤٠) ، هداية الحيارى (٢٠١) .
وانظر في التحريف عند النصارى : شفاء الغليل في بيان ماوقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي (١٠٢ـ ١٢٣) ، الرد على النصارى لأبي البقاء صالح الجعفري (٨٠ ـ ٨٦) ،

وبهذا يتبين كيف خالف دين الله ـ تعالى ـ الذي جاء به محمد ﷺ دين أهل الجاهلية في هذه الخصلة .

وهذه الخصلة الجاهلية موجودة عند أهل البدع المنتمين إلى الإسلام ، وهذا أمر ظاهر لكل ذي بصيرة ، « فما من فرقة من الفرق المخالفة المنتسبة إلى الإسلام ، كالرافضة ، والجهمية[1]، والقدرية[2] ، والجبرية [3] ، والمعتزلة ، والأشاعرة . . . إلاوقد ضربت بسهم وافر من التحريف »[4].

---

(١) الجهمية : إحدى الطوائف الضالة ، التي نشأت في الإسلام ، وهي تنسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي السمرقندي ، لهم بدع كثيرة ، منها نفي الأسماء والصفات ، ومنها القول بالجبر ،والإرجاء ، والقول بفناء الجنة والنار ، وقد كفرهم أكثر أهل العلم ، ولم يعدوهم من الثلاث وسبعين فرقة .
انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٤) ، الفرق بين الفرق (٢١١ ـ ٢١٢) ، التبصير في الدين (١٠٧ ـ ١٠٨) ، الملل والنحل (١/ ٨٦ ـ ٨٨) ، اعتقدات فرق المسلمين والمشركين (٦٨) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٤) ، مذاهب الفرق الثنتين والسبعين فرقة (١٣٦) ، الملل والنحل للبغدادي (١٤٥) ، الفرق المفترقة للعراقي (٨٧) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٢) القدرية : ليست فرقة بعينها ، وإنما هو اصطلاح يطلق على كل من نفى القدر ، كالمعتزلة والرافضة والزيدية . . . .

(٣) الجبرية كالقدرية من حيث إن هذا اللفظ لايعني طائفة بعينها .
والجبر ـ كما عرفه الشهرستاني ـ « نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب » الملل والنحل (١/ ٨٥) .
ويدخل تحت مسمى الجبرية طوائف كالجهمية والنجارية والضرارية ، بل وحتى الأشاعرة ، لقولهم بمايسمونه بالكسب الذي ترجع حقيقته إلى الجبر .
انظر :الملل والنحل للشهرستاني (١ /٨٥ـ ٩١) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٨ ـ ٦٩) .

(٤) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال لبكر بن عبدالله أبوزيد (٤٩)

وهذه الفرق - كما سبق - ماتزال موجودة ، مما يعني أن التحريف مايزال موجودا .

لكن هذا التحريف هو تحريف المعنى ، أما تحريف اللفظ ، فلايدان لأحد به ؛ لأن الله - تعالى - تكفل بحفظه كما قال : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر :٩] .

نعم ، جرت محاولات كثيرة لتحريفه ، وزيد فيه ، ونقص منه ، لكن الله - تعالى - فضح من قام بذلك ، واشتهر أمره ، ولم يتم له ماأراد .

ومن هؤلاء الرافضة - أخزاهم الله - ، فإنهم حاولوا بما استطاعوا من قوة تحريف كتاب الله ، لكنهم خابوا ، وخسروا ، وكشف الله عوارهم .

فمن تحريفاتهم ، تحريفهم قوله - تعالى - : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾ إلى « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله »[1]

وتحريفهم قوله - تعالى - : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴾ إلى: « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي »[2].

والأمثلة كثيرة جدا[3]

---

(١) انظر : الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله (١٢٠) .
(٢) الكافي للكليني (٢/ ٣٨٠) ، وانظر : الشيعة وتحريف القرآن (٣٨٠) .
(٣) انظر :الوشيعة في عقائد الشيعة لموسى جار الله (١٣٨ - ١٤١) ،الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير (١٦٦ - ٢٤٣) ، الشيعة وتحريف القرآن (١١٩ - ١٥٨) ، =

وما ذكرته قبل قليل من أنه مامن طائفة من طوائف أهل البدع ، إلاولها نصيب وافر من التحريف ، ليس ادعاء ، وإنما هو حقيقة ، ولو أردنا أن نستقصي ماعند طوائف أهل الابتداع من التحريفات ، لاحتاج الأمر منا إلى مجلدات ضخمة ، ولكن حسبنا أن نضرب بعض الأمثلة ببعض الفرق المعروفة ، حتى لايدعي مدع أن هذه المقولة مجرد ادعاء لاحقيقة لها .

فمن هذه الطوائف ، الأشاعرة[1] ـ الذين يدعون أنهم أهل السنة ـ فقد وقعوا في تحريفات كثيرة ، منها على سبيل المثال تحريفهم ماجاء في صفة الاستواء ، بأن المراد به الاستيلاء[2]، وبأن المراد باليد التي هي صفة لله : القدرة[3].

ومن هذه الطوائف الشيعة الذين تأولوا كثيرا من الآيات على ماأصلوه في مسألة الإمامة والولاية ، وغيرها من بدعهم[4] .

ومن هذه الطوائف ، المتصوفة ، فإنهم تأولوا القرآن على غير تأويله بما يسمونه « التفسير الإشاري »[5]، فحرفوا تحريفا عظيما ، وحمّلوا كتاب

= الشيعة في التصور الإسلامي لعلي عمر فريج (١٣ـ ٢٧) .

(١) اكتفيت بالأشاعرة من الفرق المنتمية إلى أهل السنة (أعني بهم الذي يقابلون الشيعة) لكونهم من أكثر الطوائف انتشارا في العالم الإسلامي اليوم .

(٢) انظر : شرح جوهرة التوحيد للقاني (٩٢) .

(٣) انظر :أساس التقديس (١٦١ ـ ١٦٧) ، شرح جوهرة التوحيد (٩٣) .

(٤) انظر أمثلة ذلك في : أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله د . علي السالوس (٣٥ ـ ٩٥) ، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي لمحمد البنداري (٨٢ ـ ٩٣) ، تبديد الظلام وتنبيه النيام لإبراهيم الجبهان(٣٤ ـ ٤٥) .

(٥) التفسير الإشاري : هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها ، بمقتضى إشارات خفية ، تظهر ـ زعموا ـ لأرباب السلوك ، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد ـ أيضا ـ .

=

الله مالايحتمله ، وألحدوا فيه ، حتى كفَّرهم بسبب ذلك طوائف من أهل العلم[1]، فالمقصود أن تحريف كتاب الله ـ تعالى ـ لايزال موجودًا ، لكن الله ـ تعالى ـ حافظ دينه وكتابه .

= مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (١/ ٥٤٦) وانظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د . فهد الرومي (١/٣٦٧) .

(١) انظر : فتاوى ابن الصلاح (١/١٩٦ ـ ١٩٧) ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

السابعة والعشرون[1]

تصنيف الكتب الباطلة ، ونسبتها إلى الله ، كقوله[2]: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾[3] الآية [البقرة : ٧٩] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين : أنهم كانوا يضعون للناس كتبا صنفوها بأنفسهم، ثم يضيفونها إلى الله ـ تعالى ـ ، فيزعمون أنها من عنده ، إعظاما لشأنها ، وتمكينا لها في قلوب الأتباع[4].

وهذا التصنيف على نوعين :

أحدهما : تصنيف ألفاظ .

ثانيهما : تصنيف تأويلات باطلة لما بين أيديهم من الكتاب[5].

وقد استدل على هذه المسألة بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ظاهر ، فإن الله ـ تعالى ـ توعد فيها

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) و (هـ) السادسة والعشرون .
(٢) في (أ) و (هـ) : « لقوله » .
(٣) في (جـ) أكمل الآية إلى قوله : ﴿ ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ .
(٤) انظر : روح المعاني (١/ ٣٠٣) .
(٥) انظر : المرجع السابق ، نفس الصحيفة .

اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم ينسبون مافيه إلى الله ـ تعالى ـ .

قال ابن عباس في الآية : « نزلت هذه الآية في أهل الكتاب»[1].

وعنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « هم أحبار اليهود ، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة ، أكحل العين ، ربعة ، جعد الشعر ، حسن الوجه ، فلما وجدوه في التوراة ، محوه حسدا ، وبغيا، فأتاهم نفر من قريش ، فقالوا : تجدون في التوراة نبيا أميا ؟ قالوا : نعم ، نجده طويلا ، أزرق ، سبط الشعر ، فأنكرت قريش ، وقالوا : ليس هذا منا».

ومن الأدلة على هذه المسألة : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « هم اليهود ، كانوا يزيدون في كتاب الله مالم يُنْزِل اللهُ »[2].

وقال وهب بن مُنَبِّه[3] ـ رحمه الله تعالى ـ : « إن التوراة والإنجيل

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى : ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ﴾ ـ (٢٨٦/٦) ح١٠٩٩١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨٢/١) وزاد نسبته إلى وكيع وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٢٤/٣) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٦١/٢) رقم (٨٣٨) .

(٣) هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار ، أبو عبدالله الصنعاني ، من كبار =

كما أنزلهما الله ، لم يُغير منهما حرف ، ولكنهم يضلونهم بالتحريف والتأويل ، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم ، ويقولون : هي من عند الله ، وماهي من عند الله ، فأما كتب الله ، فهي محفوظة لاتغير»[1].

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ ماسبق ذكره في المسألة التي قبل هذه المسألة عند بيان تحريف اليهود والنصارى ، وذلك أنه من المعلوم أن أولئك لما حرفوا كتابهم ، نسبوه إلى الله ـ تعالى ـ .

ومن الأدلة على وقوع الأميين في هذه الخصلة : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

فهذه الآية نزلت في مسيلمةالكذاب[2]، كما قال ذلك عكرمة

= علماء التابعين ، أدرك بعض الصحابة ، وروى عنهم ، وتوفي سنة ١١٠، وقيل : ١١٤هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٥/٥٤٣) ، تاريخ خليفة (٣٤٠) ، التاريخ الكبير للبخاري (٨/ ١٦٤) ، تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠ـ ١٦٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤ ـ ٥٥٧)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦١ـ ٣٦٢) ، رقم (٨٤٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة بن كثير الحنفي ، الكذاب ، ادعى النبوة زمن النبي ﷺ ، وأظهر خوارق استمال بها بعض السذج من الناس ، وأقام من شهد معه بعد وفاة النبي ﷺ أنه ﷺ أشركه معه في الرسالة ، وتوفي مقتولا سنة ١١في وقعة اليمامة .
انظر : جمهرة النسب للكلبي (٥٤٣) ، تاريخ ابن جرير (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) و (٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧) ، جمهرة أنساب العرب (٣١٠) ،المنتظم لابن الجوزي (٤ / ٢٠ـ ٢٢) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٨) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

وقتادة[١]، وذلك أنه كان يدعي أن الوحي ينزل عليه من السماء ، ويوهم أن ماوضعه من الأسجاع إنما هي من عند الله[٢].

ومثله سجاح[٣]التي زعمت أنه يوحى إليها ، وتبعها على ذلك بعض قومها[٤].

ومثلهما ، طليحة الأسدي[٥]، والأسود

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٢) انظر : الردة للواقدي برواية ابن أعثم(١١١) ، تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٩) ، تاريخ ابن جرير (٣/ ١٣٨) ،الفتوح لابن أعثم (١ / ٢٥) ، المنتظم (٤/ ٢١) ، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٢٤٤) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٦٤) ، تاريخ الإسلام للذهبي - قسم المغازي ـ (٦٨٣ـ ٦٨٥) ، تاريخ الخميس (٢/ ١٥٨) .

(٣) هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية ، وذكر ابن حزم أنها بنت أوس بن جرير بن أسامة بن العنبر بن يربوع ، ادعت النبوة ، وتزوجها مسيلمة ، ثم أسلمت بعد ، وتوفيت زمن أمير المؤمنين معاوية ، وصلى عليها سمرة بن جندب .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٢٢٦) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٩) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٦٠) .

(٤) انظر : تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٩) ، المنتظم (٤/ ٢٢ـ ٢٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٦٠) ، تاريخ الخميس (٢/ ١٥٩) .

(٥) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي ، ادعى النبوة ، ثم أسلم ، وحسن إسلامه .
انظر : جمهرة أنساب العرب (١٩٦) ،المنتظم (٤ / ٢٤ـ ٢٥) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٢) .
وانظر في ادعائه الوحي : تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٢٩) ، جمهرة أنساب العرب (١٩٦)،المنتظم (٤ / ٢٤ـ ٢٥) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٣٢) ، ، تاريخ الخميس (٢/ ١٦٠) .

العنسي[1].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد علمنا أن الله ـ تعالى ـ ذم اليهود على صنيعهم هذا ، وبين أنه لاأظلم ممن افترى عليه كذبا ، وأنه يوحى إليه ، وأضل الناس بما وضعه لهم من نفسه ، وهذا يعني كله التحذير من الوقوع في هذه الخصلة .

وهذه الخصلة لاتزال موجودة إلى عصرنا هذا ، وذلك أن كثيرا من طوائف الضلال لايزالون يزعمون أن الوحي يتنزل عليهم من السماء ، ويصنفون الكتب الباطلة ، ويضيفونها إلى الله ـ تعالى ـ .

ومن أولاء : الرافضة الذين يزعمون أن الله ـ تعالى ـ أنزل كتابا على فاطمة[2] بعد موت أبيها ﷺ ؛ تسلية لها ، ويسمون هذا الكتاب «مصحف فاطمة» ، ويزعمون أنه ثلاثة أضعاف هذا المصحف ، وأنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ، وإنما فيه علم ماسيكون إلى قيام

---

(١) هو عبهلة بن كعب بن غوث ، ادعى النبوة في آخر حياة المصطفى ﷺ ، وقتله المسلمون في منزله بمعونة زوجته الصالحة .
انظر : تاريخ ابن جرير (٣/ ٢٤٠) ، جمهرة أنساب العرب (٤٠٥) ، المنتظم (٤/ ١٨ـ ٢٠) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٣٣٦) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٠٧) .
وانظر في ادعائه الوحي من السماء : تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٣٠) ، تاريخ ابن جرير (٣/ ٢٤٠) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٢٨) ، البداية والنهاية (٦/ ٣٠٧) .

(٢) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وريحانته ، وأحب بناته إليه ، زوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأم سيدي شباب أهل الجنة ، ولدت سنة ٤١ من مولد أبيها ﷺ ، وقيل قبل المبعث بسبع سنين ، وقيل بخمس ، وتوفيت سنة١١هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٨/ ١٩ ـ ٣٠) ، تاريخ خليفة (٩٦) ، تهذيب الكمال (٣٥/ ٢٤٧ ـ ٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨ ـ ١٣٤) .

الساعة[1]

كما أنهم يذكرون أن لديهم كتابا اسمه « الجفر الأبيض » ، يزعمون أن فيه زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام ، ومصحف فاطمة[2].

ومنهم البابية[3] الذين يزعمون أن كتابهم البيان وحي من الله أنزله على زعيمهم[4].

ومنهم البهائية[5] الذي ينسبون كتابهم «الأقدس » إلى الله - تعالى -

---

(١) انظر : حق اليقين في معرفة أصول الدين (١/ ١٦٤ - ١٦٥) .

(٢) انظر : حق اليقين في معرفة أصول الدين (١/ ١٦٥) .

(٣) البابية : نحلة جديدة ، ظهرت سنة ١٢٦٠هـ على يد رجل اسمه علي بن محمد رضا الشيرازي ، المولود سنة ١٢٣٥، والهالك سنة ١٢٦٥هـ ، وقد ادعى النبوة ، ونسخ شريعة الإسلام ، وكفر باليوم الآخر ، وفتح باب النبوة وغير ذلك من البدع .
انظر :الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل (١٦٣ - ٢٥٤) ،البهائية لعبدالرحمن الوكيل (٨٧ - ١٢٨) ، البابية والبهائية لأحمد بن حجر آل بوطامي (١٦- ١٨) ، قراءة في وثائق البهائية د . عائشة عبدالرحمن (٣٥ - ٣٧) ، أضواء وحقائق على البابية والبهائية والقاديانية د . آمنة نصير (١١- ٤٥) ، حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبدالحميد (٥٥ - ١٣٢) ، البابية لإحسان إلهي ظهير .

(٤) انظر : حقيقة البابية والبهائية (٩١) ، أضواء وحقائق على البابية والبهائية والقاديانية (١٦) ، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد بن سعيد الغامدي (٢٠٨) .

(٥) البهائية : نحلة ظهرت إثر القضاء على البابية ، وهي امتداد لها ، وقد أسسها حسين ميرزا عباس ، المولود سنة ١٢٣٣هـ ، والهالك سنة ١٣٠٩هـ ، لهم بدع كثيرة منها: ادعاء عدم ختم النبوة بالمصطفى ﷺ ، وعبادة غير الله ، وتعظيم المجوسية .
انظر : حقيقة البهائية لمحمد الخضر حسين ، البهائية لإحسان إلهي ظهير ، قراء في وثائق البهائية ، وغيرها من المراجع التي ذكرتها في البابية .

ويزعمونه وحيا[1].

ومنهم القاديانية[2] الذين يزعمون أن كتابهم «تذكرة وحي مقدس» و «الهدى والتبصرة لمن يرى» و «براهين أحمدية» أنها وحي من الله[3].

ومنهم التجانية الذين يزعمون أن كتابهم «جواهر المعاني» جاء به الرسول ﷺ من ربه ـ تعالى ـ، وأنه قال فيه: «كتابي هذا، وأنا ألفته»[4].

فهذه بعض الطوائف التي صنف قادتها ومقدموها كتبا من عند أنفسهم؛ رغبة منهم في إضلال العباد، ونسبوها إلى الله ـ تعالى ـ.

وقد سبق في المسألة التي قبل هذه المسألة أن أهل البدع كلهم وقعوا في تحريف كلام الله ـ تعالى ـ بتأويلهم له تأويلا يوافق أهواءهم ومابتدعوه، وهو من جنس تصنيف الكتب الباطلة، ونسبتها إلى الله؛ كما جاء في أول شرح هذه المسألة أن التصنيف نوعان هذا أحدها، والله أعلم.

---

(١) انظر: مفتاح باب الأبواب د. ميرزا محمد خان (٣٨٧)، البهائية للوكيل (١٥٢ـ ١٥٣)، أضواء وحقائق على البابية والبهائية والقاديانية (٤٨)، حقيقة البابية والبهائية (١٥٨)، البهائية لظهير (٢٣٠).

(٢) القاديانية: نحلة ظهرت متأخرة على يد رجل يدعى مرزا غلام أحمد، المولود سنة ١٢٥٢، والهالك سنة ١٣٢٨هـ، لهم بدع كثيرة، منها: ادعاء عدم ختم النبوة، ومنها ادعاء المؤسس أنه عيسى ﷺ، وتأويلات سامجة للقرآن، وغيرها.
انظر: طائفة القاديانية لمحمد الخضر حسين، القاديانية لإحسان إلهي ظهير، أباطيل القاديانية في الميزان د. محمد النجرامي، القاديانية د. حسن عبدالظاهر، قرار المحكمة الشرعية الفيدرالية الإسلامية بالباكستان.

(٣) انظر: عقيدة ختم النبوة (٢٤٠)، القاديانية لعبدالظاهر (٦٠).

(٤) التجانية لعلي الدخيل الله، نقلا عن: بغية المستفيد (١٨٣).

الثامنة والعشرون[1]

أنهم لايقبلون[2] من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، كقوله[3] : ﴿قالوا[4] نؤمن بما أنزل علينا﴾ [البقرة : ٩١] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن أهل الجاهلية : الأميين والكتابيين ، قد سلكوا في نظرهم لما جاء من عند الله ـ تعالى ـ مسلكا مشينا ، ينافي العقل السليم ، والفطرة السليمة ، وهذا المسلك هو مسلك التعصب للطائفة ، فقد كانوا يعمون أبصارهم ، ويصمون آذانهم عما لم يكن عندهم ، ولم تأت به طائفتهم التي إليها ينتمون .

ولقد كان لهذا المسلك آثاره السيئة عليهم لما جاء الإسلام ؛ إذ إن كثيرا منهم أبى قبول ماجاء به الرسول ﷺ عصبية لمذهبه ، أوقبيلته، أوغير ذلك .

وقد استدل ـ رحمه الله ـ على هذه المسألة بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أن الله ـ تعالى ـ أخبر عن اليهود

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السابعة والعشرون .
(٢) في (جـ) : « يعقلون » .
(٣) في (ب) و (د) و (هـ) : « لقوله » .
(٤) ﴿ قالوا ﴾ ساقط من (أ) و (د) و (هـ) .

الذين كانوا زمن النبي ﷺ أنهم أبوا الإيمان بما جاء من عنده لرسوله ﷺ، وأعلنوا عدم إيمانهم بغير ماعندهم وهو التوراة[1].

ومما يدل على هذه الخصلة ـ أيضا ـ قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [البقرة : ١١٣].

فقد بين الله ـ تعالى ـ في هذه الآية أن اليهود انكروا أن يكون في دين النصرانية شيء من الحق ، وقابلهم النصارى بمثل ذلك ، مع أن كلتا الطائفتين تتلو كتاب الله،وتعلم ماعند الأخرى من الحق ، لكنه الجحود[2].

كما بين ـ جل وعلا ـ أن ﴿الذين لايعلمون ﴾ وهم مشركوالعرب[3]لهم مسلك مثل مسلك أهل الكتاب .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن تواصي اليهود فيما بينهم بهذه الخصلة : ﴿ ولاتؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

أي : لاتصدقوا إلا من كان على دينكم ، وهو اليهودية[4].

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن كفر اليهود ، وعنادهم ، ومخالفتهم

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١/٤١٨ ـ ٤١٩) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/٤٩٥) .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (١/٤٩٧) .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير (٣/٣١٣) .

مايعرفون من شأن النبي ﷺ : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وماأنت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض﴾[البقرة: ١١٣] .

أي : لو أقمت كل دليل على صحة ماجئت به لماتبعوك ، ولما تركوا أهواءهم[١].

وأخبر ـ تعالى ـ عن تعصبهم لآبائهم ، وعدم إيمانهم بماليسوا عليه : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

ولما رأت يهود أن النبي الذي بعث لم يكن منهم ، كفروا ، وأصروا على قتاله .

فعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ماكانوا يقولون فيه »[٢].

وقد سبق بيان أن الأميين تركوا اتباع الحق بسبب مخالفته ماعليه آباؤهم ، وبقوا على باطلهم ؛ تعصبا لهم.

ومن عدم قبول الأميين الحق إذا كان مع غير طائفتهم ، امتناع أبي

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٩٤) .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في السيرة كما في مختصر ابن هشام (١/٥٤٧) ، وابن جرير في تفسيره (١/ ٤١٠ ـ ٤١١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٧٦) رقم (٩١١) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٤) .

جهل من الإيمان برسول الله ﷺ لئلا يكون تابعا لبني عبد مناف[1]، مع علمه بصدق النبي ﷺ ، كما أقر هو بذلك[2].

ومن ذلك ، امتناع أمية بن أبي الصلت[3] من ذلك ، لكونه ﷺ من غير ثقيف[4].

ومن ذلك أنه لما تنبأ مسيلمة الكذاب ، جاءه أعرابي ، فقال : « والله إني لأعلم أنك كاذب ، ولكن كذاب ربيعة[5] أحب إلينا من صادق

---

(١) بنو عبد مناف : هم هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب بنو عبد مناف بن قصي بن كلاب ، أجداد جاهليون ، كانت لهم السقاية والرفادة والحجابة والندوة .
انظر : جمهرة النسب (٢٦ ـ ١٢٧) ، نسب قريش (١٤ـ ١٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ١٨٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/ ٩ ـ ١٠) ، وانظر : أسباب النزول للواحدي (٢١٦) .

(٣) هو أمية بن عبدالله بن أبي الصلت الثقفي ، وقيل : أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف الثقفي ، كان في الجاهلية ممن نبذ عبادة الأوثان ، وشرب الخمر ، وكان يطمع في النبوة ، فلما لم تكن له ، بارز رسول الله ﷺ بالعداء ، ومات كافرا سنة خمس للهجرة .
انظر : جمهرة النسب (٣٩٠) ، الأغاني (٤/ ١٢٠ ـ ١٣٣) .

(٤) ثقيف : قبيلة من قبائل العرب المشهورة ، وهي تنسب إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن .
انظر : جمهرة النسب (٣٨٥ ـ ٣٩٢) ، جمهرة الأنساب (٢٦٦ ـ ٢٦٩) .
وخبر امتناع أمية من الإيمان بسبب ذلك ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٣٢) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١١٦ـ ١١٧) .
قال الهيثمي : « وفيه مجاشع بن عمرو ، وهو ضعيف » .

(٥) ربيعة : قبيلة من قبائل العرب ، وهم بنو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .
انظر : جمهرة النسب (٤٨٣ ـ ٤٨٨) ، النسب لأبي عبيد (٣٤٦ ـ ٣٧٦) .

مضر[1]»[2].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذا الأمر، فكان الحق ضالته ، وكان مما أنزل الله ـ تعالى عليه مايأمره بذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قولوا آمنا بالله ومآأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى ومآأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[البقرة : ١٣٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل آمنا بالله ومآأنزل علينا ومآأنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ومآأوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[آل عمران:٨٤] .

ولما جاء الشيطان إلى أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ وأخبره بفضل قراءة آية الكرسي ، وأخبر بذلك النبي ﷺ ، صدقه النبي ﷺ ، ولم يستكبر عن قبول ذلك لكونه عدوا له ، بل قال : « أما إنه صدقك، وهو كذوب »[3].

---

(١) مضر : قبيلة من قبائل العرب الكبار ، وهي تعود إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أخي ربيعة سالف الذكر .
انظر : جمهرة النسب (٢٠ ـ ١٢٧) ، النسب (٢٤٤ ـ ٣٤٥) .

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوكالة ـ باب إذا وكل رجلا ، فترك الوكيل شيئا ، فأجازه الموكل . . . ـ (٣/٦٣) ، وفي بدء الخلق ـ باب صفة إبليس وجنوده ـ (٤/ ٩٢) ، وفي فضائل القرآن ـ باب فضل سورة البقرة ـ (٦/ ١٠٤) .

ولما جاءه حبر من أحبار اليهود ، وقال له : « يامحمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك » لم يردَّ هذا النبي ﷺ لكونه ممن حاربه ، وعاداه ، وعادى ماجاء به ، بل ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقوله[1]

وبين ﷺ أن رد الحق وعدم قبوله هو الكبر، والكبر ممقوت .

فهذا هو هديه ﷺ مع من جاءه بالحق .

وقد خالف هذا الهدي العظيم مبتدعة هذه الأمة ، فإنهم سلكوا مسلك أهل الجاهلية قبلهم ، فردوا الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ والدعاة الذين هم على سبيله .

ومن صور وجود هذه الخصلة أن جميع فرق الضلال ماتزال تصر على ماهي عليه من البدع ، وتبطر الحق ، مع وضوحه وجلائه ، ويأبون أن يتأملوا مامع غيرهم ، بل ويحذرون من ذلك ، كما قال أحد دعاة البدع في هذا العصر محذرا من كتب السنة : « وأختم هذا الفصل بسرد أسماء كتب المجسمة التي يجب التحذير منها . . . جميع الكتب التي أطلق عليها كتب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿وماقدروا الله حق قدره﴾ (٦/٣٣) ، وفي التوحيد ـ باب ﴿ لماخلقت بيديّ ﴾ (٨/ ١٧٤) وباب ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا﴾ ـ (٨/ ١٨٧) ، وباب كلام الرب مع الأنبياء وغيرهم ـ (٨/ ٢٠٢) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب صفات المنافقين ـ باب صفة القيامة والجنة والنار ـ (٤/ ٢١٤٧) ح٢٧٨٦ .

السنة »[1] ، ثم عددها كتابا كتابا .

ومن صميم معتقد الرافضة أنه إذا كان في مسألةٍ ما خلافٌ لايعرف وجه الحق فيه ، فإن دينهم الذي يدينون به هو أخذ القول المخالف للقوم ، وهم أهل السنة[2] .

وكون هذا يخالف فيه أهل البدع أمر لايضير ، بل إن مما يؤسف عليه أن نرى اليوم تعصب أكثر الجماعات التي تسمى بـ« الإسلامية » لآراء قادتها، وصعوبة مخالفتهم ، وعدم قبول ماعند غيرهم من الحق، وكان الأجدر بمثل هذه الجماعات التي هدفها ـ كما يزعمون ـ خدمة الدين الإسلامي ، ونشره ، وتنقيته مما يكدر صفوه ، أن توحد صفوفها ، ولاتختلف ، وتقبل مايأتيها من توجيه ونقد رشيد من الجماعة الأخرى .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ ماسبق في المسألة الرابعة ، وهي « مسألة التقليد » من أن كثيرا من المقلدة لايقبلون إلا ماوافق رأي مقلدهم .[3]

فهذه بعض صور وجود هذه الخصلة في عصرنا هذا،والله أعلم .

---

(١) انظر : التقديم لكتاب دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي (٧٤ ـ ٧٥) .

(٢) انظر : الأصول من الكافي للكليني (٦٨/١) ، علل الشرائع لابن باويه (٥٣١) ، من لايحضره الفقيه لابن بابويه (٣ / ٥ ـ ٦) ، وسائل الشيعة للحر العاملي (٧٥/١٨) ، علم اليقين للكاشاني (٧٥٣/٢) ، تهذيب الأصول للسبرزاوي(١٨٤/١) ، تهذيب الأحكام للطوسي(٣٠١/١) .

(٣) انظر : (ص ١٢١ ـ ١٢٥) من هذا البحث .

التاسعة والعشرون[1]

أنهم مع ذلك لايعملون[2] بما تقوله[3] طائفتهم[4] ، كما نبه الله عليه[5] بقوله : ﴿ قل[6] فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ [البقرة : 91] .

يبين المؤلف في هذه المسألة كذب أهل الجاهلية ـ وخاصة الكتابيين ـ في دعوى الإيمان بما معهم من الحق ، وذلك أنهم لو كانوا مؤمنين حقيقة، لآمنوا بما أمرتهم به رسلهم أن يؤمنوا به ، ولآمنوا بالكتاب كله ، ولم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، لكن تعصبهم ذلك ، إنما غرضهم منه دفع الحق الذي جاء به مَن هو مِن غير طائفتهم .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على ذلك برد الله ـ تعالى ـ على اليهود حين قالوا : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم﴾ ، فإن الله ـ تعالى ـ رد عليهم بقوله : ﴿ قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ .

---

(1) رقم هذه المسألة في (أ) الثامنة والعشرون .
(2) في (أ) و (ب) و (د) و (هـ) : « يعلمون »
(3) في (أ) : « تقول »
(4) في (ج) : « الطائفة » .
(5) في (ب) : « كما بين الله عنهم » وفي (هـ) : « عليهم » .
(6) ﴿ قل ﴾ ساقطة من (ب) و (جـ) و (د) و (هـ) .

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن الله - تعالى - بين كذبهم في دعواهم تلك ، ببيان مخالفتهم لما جاءت به رسلهم ، وهو تحريم قتل الأنبياء ، فلو كانوا يؤمنون بما جاءت به رسلهم لما قتلوا الأنبياء ، لكنهم قتلوهم ، فدل على كذبهم .

قال الزمخشري : « ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء ، مع ادعائهم الإيمان بالتوراة ، والتوراة لاتُسَوِّغ قتلَ الأنبياء »[1].

وهذه الآية كقوله - تعالى - : ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴾ [آل عمران :١٨٣] .

ومما يدل على تركهم العمل بما تقوله طائفتهم ، قوله - تعالى - : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

وقوله - تعالى - : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ [المائدة: ٧٠] .

وقوله - تعالى - : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون ﴾ [المائدة : ٦٦] .

---

(١) الكشاف (١/ ٨٢) .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ○ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ [النساء : ١٦٠ ـ ١٦١] .

ولو أردنا أن نذكر مخالفات أهل الكتاب لطال بنا المقام ، لكن هذه أمثلة لكذبهم في دعوى اتباعهم الطائفة التي ينتمون إليها .

وقد سبق في مسألة التناقض في الانتساب جملة من الأدلة ، وهي دالة على نفس هذه المسألة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد بين الله ـ تعالى ـ أن الدعوى المجردة عن دليل يثبت صدقها ، دعوى كاذبة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران : ٣١]

وشنع ـ جل وعلا ـ على من ادعى ذلك ، دون تحقيق لهذه الدعوى ، فقال : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ [النور : ٤٧] .

كما أن في الآيات التي ذكرت في الاستدلال تشنيعا على أهل الكتاب تلك الدعوى المقيتة ، والله أعلم .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فاليهود والنصارى ، يزعمون أنهم مؤمنون بما جاءت به رسلهم ، ولايؤمنون بغير ذلك ، ولاريب أنه

ادعاء كاذب ، إذ لو كان صادقا لاتبعوهم فيما أمروهم به ، وهو الإيمان بمحمد ﷺ ، كما جاء في كتبهم .

والرافضة لايقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، وهم مع ذلك أبعد الناس استجابة لهم ، فهم يلعنون الشيخين ، ويكفرونهما ، ويناصبونهما العداء ، وعلي - رضي الله تعالى عنه - يترحم عليهما ، ويفضلهما على نفسه ، فإنه لما سئل : أي الناس خير بعد نبي الله ﷺ قال : « أبو بكر » ثم لما قيل له : ثم من ؟ قال : « عمر »[1].

ولما توفي عمر ، وقف على سريره ، وقال : « رحمك الله ، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ؛ لأني كثيرا ماكنت أسمع رسول الله ﷺ يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما »[2]

والأشاعرة لايقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم ، وينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ويتعصبون له ، وهم مع ذلك مخالفون له في أصول مذهبه ، فإنه رجع إلى ماكان عليه السلف ، ونشر ذلك في كتبه ، والمنتسبون إليه على مذهب يخالف مذهبه ، وهو مذهب الجهمية[3]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا - (٤/١٩٥) من حديث محمد بن الحنفية .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - باب - (٤/١٩٧) عن ابن عباس .

(٣) انظر : الإبانة له ، وانظر في مخالفة أتباعه له : بين أبي الحسن وأتباعه في العقيدة لخليل الموصلي .

ومن صور ذلك عدم قبول غلاة مقلدة أئمة المذاهب لما مع غيرهم من الحق ، كما سبق بيانه ، وهم بهذا لايعملون بمن يدعون الانتساب إليهم ، ويتعصبون لهم ؛ لأن الأئمة ـ رحمهم الله تعالى ـ نهوا عن تقليدهم ، وأمروا من يقلدهم بأن يضرب بأقوالهم عرض الحائط إن هو خالف الأخبار الصحيحة ، ولابأس أن نورد بعض أقوالهم في هذا الباب.

يقول الإمام أبو حنيفة[١] : « إذا صح الحديث ، فهو مذهبي »[٢].

ويقول : « لايحل لأحد أن يأخذ بقولنا ، مالم يعلم من أين أخذناه »[٣].

ويقول الإمام مالك[٤]: « إنما أنا بشر ، أخطيء ، وأصيب ، فانظروا

---

(١) هوالإمام الكبير ، والعابد الزاهد الورع الفقيه النعمان بن ثابت بن زوطي ، التيمي ، الكوفي ، أحد أذكياء العالم ، ولد سنة ٨٠هـ ، وتبحر في العلم ، واشتهر بالرأي ، دعي للقضاء مرارا ، فأبى تورعا ، فسجن ، وجلد ، وتوفي سنة ١٥٠هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٣٦٨/٦ ـ ٣٦٩) و (٣٢٢/٧) ، تاريخ بغداد (٣٢٣/١٣ ـ ٤٥٤) ، تهذيب الكمال (٤١٧/٢٩ ـ ٤٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٦ ـ ٤٠٣) .

(٢) ذكر هذا القول ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار (٦٣/١) ، وفي رسم المفتي ضمن مجموع رسائله (٤/١) ، والفلاني في إيقاظ الهمم (٦٢) .

(٣) ذكر هذا القول ابن عبدالبر في الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء (١٤٥) ، وابن القيم في أعلام الموقعين (٣٠٩/٢) ، وابن عابدين في حاشيته على البحر الرائق (٢٩٣/٦) ، وفي رسم المفتي (٢٩) ، والشعراني في الميزان (٥٥/١) .

(٤) هوالإمام الحافظ الكبير ، الفقه النحرير مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبدالله ، أحد أئمة أهل السنة والجماعة ، ولد سنة ٩٣هـ ، وطلب الحديث والفقه ، فبرز في ذلك ، ونفع الله به حيا وميتا ، له مؤلفات منها : الموطأ ، وقد توفي سنة ١٧٩هـ .
انظر : الحلية (٣١٦/٦ ـ ٣٥٦) ، تهذيب الكمال (٩١/٢٧ ـ ١٢٠) ، سير أعلام النبلاء (٤٨/٨ ـ ١٣٤) .

في رأيي ، فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل مالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[١].

ويقول الإمام الشافعي[٢]: « مامن أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ ، وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول ، أوأصلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ماقلت ، فالقول ماقال رسول الله ﷺ ، وهو قولي »[٣].

ويقول الإمام أحمد[٤]: « لاتقلد دينك أحدا من هؤلاء[٥]، ماجاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعد الرجل

---

(١) ذكر هذا القول ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (   ) وابن حزم في أصول الأحكام (١٤٩/٦) ، والفلاني في إيقاظ الهمم (٧٢) .

(٢) هو الإمام العالم العلامة الفقيه المحدث محمد بن إدريس بن العباس بن شافع القرشي ، أبو عبدالله ،ولد سنة ١٥٠ هـ ، وتفقه على علماء عصره ، ورحل في طلب الحديث والفقه ، له مؤلفات منها : الأم ، والرسالة ، وتوفي سنة ٢٠٤هـ .
انظر : الحلية (٦٣/٩ ـ ١٦١) ، تاريخ بغداد (٥٦/٢ ـ ٧٣) ، تهذيب الكمال (٣٥٥/٢٤ ـ ٣٩١) ، سير أعلام النبلاء (٥/١٠ ـ ٩٩) .

(٣) ذكر هذا القول ابن القيم في أعلام الموقعين (٣٦٣/٢ ـ ٣٦٤) ، والفلاني في إيقاظ الهمم (١٠٠) .

(٤) هو الإمام الحافظ الفقيه ، الزاهد الورع ،أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو عبدالله ، ولد سنة ١٦٤هـ ، وطلب العلم فحاز قصب السبق فيه ، صبر على الأذى في ذات الله ، فقد وقف أمام المعتزلة في مسألة خلق القرآن ، ونصر مذهب أهل السنة ، فجلد بذلك ، وسجن ، ونفي ، له مؤلفات منها : المسند ، وفضائل الصحابة ، وقد توفي سنة ٢٤١هـ .
انظر : الحلية (١٦١/٩ ـ ٢٣٣) ، تاريخ بغداد (٤١٢/٤ ـ ٤٢٣) ، تهذيب الكمال (٤٣٧/١ ـ ٤٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧٧/١١ ـ ٣٥٨) .

(٥) يعني بذلك الأوزاعي ومالك بن انس ؛ لأن السائل سأل عنهم ، ولاريب أنه لايعني هؤلاء بعينهم ، بدليل بقية كلامه .

مخير »[1].

فهاهي نصوص الأئمة ، تدل على أن ماجاء عن رسول الله ﷺ بخلاف أقوالهم ، وما أفتوا به ، فإن قولهم ماقال رسول الله ﷺ ، بيد ان كثيرا من المتعصبين لهم ، يخالفونهم في هذا ، ولايقبلون غير ماروي عنهم ، ولاريب أن هذا مخالفة لهم ؛ لأنهم إن كانوا متبعين لهم ، فعليهم أن يتبعوهم في هذه المسألة الجليلة القدر .

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله أعلم

(١) روى هذا القول أبو داود في مسائله للإمام أحمد (٢٧٧) .

الثلاثون[1]

وهي من أعجب الآيات[2] ، أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا مانهى عنه[3] من الافتراق ، صار[4] كل حزب بما لديهم فرحين[5] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة كيف عاقب الله ـ تعالى ـ المخالفين عن أمره من أهل الجاهلية على اختلاف أصنافهم ، حين أمرهم بالاجتماع ، ونهاهم عن الافتراق ، فأبوا إلا خلاف ذلك ، فافترقوا، وصاروا شيعا وأحزابا ، فبين أن عقوبته ـ جل وعلا ـ لهم هي تزيين ذلك في قلوبهم ، حتى إن كل طائفة من هذه الطوائف تعتقد أنها وحدها هي التي على الحق ، وغيرها على الباطل ، مطمئنة بما هي عليه[6] .

وقد دل على ذلك كتاب الله ـ تعالى ـ كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ ولاتكونوا من المشركين ○ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [الروم : ٣٠ ـ ٣١] .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : التاسعة والعشرون .
(٢) في (جـ) و (د) : « عجائب آيات الله » وفي (هـ) : « من أعجب آيات الله ».
(٣) في (أ) : « مانهى الله عنه » .
(٤) في الأصل و (ب) : « فصار » ، ولاداعي للفاء .
(٥) في جميع النسخ حتى الأصل « فرحون » وهو خطأ ؛ لأنه خبر صار .
(٦) انظر : تفسير ابن جرير (٤٣/٢١) .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ : « كل فريق من تلك الأمم بما اختاروا لأنفسهم من الدين والكتب فرحون ، معجبون به ، لايرون أن الحق سواه »[1].

وماقاله هذا الإمام حسن ، يدل عليه قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن اليهود والنصارى: ﴿ وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

فكل طائفة تعتقد أنها على الحق ، وماسواها على الباطل ، ولذلك قالوا ماأخبر الله ـ تعالى ـ به عنهم : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم ﴾ [البقرة : ١١٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ [غافر : ٨٣] .

وهذه الخصلة من خصال الجاهليتين ، كما سبق .

وقد مضى الكلام على مسألة افتراق الأمم في دينهم ودنياهم بالتفصيل[2] ، ولله الحمد والمنة .

وهذه من الخصال التي لاتزال موجودة ، وذلك أنه مامن طائفة من طوائف المبتدعة إلا وهي معجبة ببدعتها وهواها[3]، ولولا ذلك لما استمرت

---

(١) تفسير ابن جرير (١٨/ ٣٠) .

(٢) راجع : (١٢٤ ـ ١٤٣) .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/ ٢١) .

ويقيت ، وذلك أنهم ماتمسكوا بهذه البدع والأهواء المختلفة إلا وهم معجبون بها ، مطمئنون إليها ، منتصرون لها ، معتقدون أن الحق يتمثل فيها .

والله ـ تعالى ـ أعلم .

الحادية والثلاثون(١)

وهي من أعجب الآيات(٢) ـ أيضا ـ معاداتهم الدين الذي انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم ، وعادوا نبيهم(٣) غاية المحبة(٤)، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى ـ عليه السلام ـ ، واتبعوا كتب السحرة ، وهي من دين آل فرعون .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة موقف أهل الكتاب من مسألة عظيمة ، وهي مسألة تحقيق كلمة التوحيد ، وذلك أن من شروط تحقيقها محبتها ، ومحبة ماتدل عليه ، وماتستلزمه ، ومحبة أهلها ، وبغض ضدها ، وهو الشرك ، ومعاداة أعدائها ، وبغضهم ، ولاتنفع هذه الكلمة صاحبها إلا إذا حقق ذلك(٥).

وهذا في جميع الأديان السماوية،كما دل على ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ : ﴿ ولقد بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثلاثون .
(٢) في (أ) و (ب) و (د) : « وهي من عجائب آيات الله » ، وفي (جـ) : « عجائب الله »
(٣) في (د) : « نبيهم وفتنهم » .
(٤) في (أ) : « محبته » .
(٥) انظر : تفسير كلمة التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة مؤلفاته

الطاغوت ﴾ [النحل : ٣٦] .

ولكن أهل الكتاب ـ كما ذكر المؤلف ـ لم يقوموا بما يجب عليهم القيام به تجاهها ، حيث إنهم عادوا مادلت عليه ، وهو دين الإسلام بمفهومه العام[١] والخاص[٢] ، وناصبوه العداء ، وناصبوا العداء لأهله ، وأحبوا دين الكفار ، ووالوهم ، وتبعوهم على كفرهم .

وقد مثل لذلك بموقفهم من محمد ﷺ الذي لم يأت بماهو غريب عليهم ، بل جاء بما جاء به نبيهم موسى ﷺ من التوحيد الخالص ، فهم عادوه ، وكفروا به ، واتبعوا دين من عادى نبيهم ، وهو دين آل فرعون ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ○ واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [البقرة : ١٠١ـ ١٠٢] .

وهذه طبيعة اليهود ، فقد كرهوا دين الله منذ اللحظات الأولى من إنجائهم من فرعون وقومه ، وأحبوا دين الكفار ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

---

(١) وهو الإسلام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا من الأنبياء .
انظر : الرسالة التدمرية (١٧٣ ـ ١٧٤) .

(٢) وهو الإسلام الذي بعث الله به محمدا ﷺ ، المتضمن شريعة القرآن .
انظر : المرجع السابق (١٧٣) .

وقال ـ تعالى ـ مبينا محبتهم اتباع السامري على دينه : ﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ○ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولايملك لهم ضرا ولانفعا ○ ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ○ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ [طه : ٨٨ ـ ٩١] .

فهم أحبوا متابعة الكفار على كفرهم ، مع قربهم من مشكاة النبوة، فعبدوا العجل ، واتخذوه إلها ، مع نهي هارون ﷺ إياهم عن فعل ذلك.

وبين الله ـ تعالى ـ مظاهرة أهل الكتاب للمشركين الأميين على رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب بقوله : ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ﴾ [الأحزاب : ٢٦] .

وفضلوا دين المشركين على دين المسلمين ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾[النساء:٥١] .

فالمقصود أن أهل الكتاب عادوا دينهم ونبيهم ، وأحبوا دين الكفار.

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فكان مما أنزل عليه وجوب معاداة الكفار ، والبراءة منهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ [المائدة : ٥١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وماأعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [الممتحنة : ١] .

والأدلة على تحريم موالاة الكفار ، ووجوب البراء منهم كثيرة جدا.

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، ولها صور عديدة ، منها أن عباد غير الله ـ تعالى ـ ممن ينتسبون إلى الإسلام ـ وهو منهم براء ـ من المتصوفة والرافضة ، يحبون دين أبي جهل ، ويكرهون دين محمد ﷺ ، ويوالون المشركين ، ويبغضون الموحدين ، وهذا أمر ظاهر فلولا محبتهم للشرك وأهله لما انتصروا لهم ، ولما دانوا بدينهم .

ومن صور ذلك محبة المتصوفة لجميع الأديان(١) حاشا دين الإسلام الذي يزعمون أنهم ينتمون إليه ، فقد بلغ بهم الأمر إلى أن يكونوا عونا للاستعمار على المسلمين(٢)، بل إن بعضهم صرح بأنه كان يأخذ تصوفه من رهبان النصارى(٣).

ومن صور ذلك محبة كثير من الناس أنظمة الكفار ، وبغضهم أحكام

---

(١) انظر : الصوفية بين الأمس واليوم د . حسين نصر (١٦١ ـ ١٦٢) .

(٢) انظر : مشتهى الخارف الجاني (٤٦٩) ، التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة (١٨٣) .

(٣) انظر : مجلة التوحيد المصرية ، عدد ٧ ، وتاريخ ١٤٠٦هـ (ص ٣٨ ـ ٣٩) .

دين الإسلام .

ومن صور ذلك دعوة بعض الضلّال إلى الأخذ بأديان المتقدمين ، كمناداة حسين أمين إلى اعتناق دين الفراعنة لكونه ـ بزعمه ـ من الأديان النموذجية والسلفية الصالحة[1] ، مع شنه الحملات المستعرة ضد الإسلام .

ومن صور ذلك مايكون من تودد بعض الناس للكفار ، حتى يتنازل عن شيء من دينه ، كتسمية أحدهم نفسه بـ« الأنبا » وأطلاقه على الأنبا « فضيلة الشيخ »[2] ، وتسمية أحدهم النصارى بـ « إخواننا المسيحيين»[3]

ومن ذلك مانراه من تودد محمد الغزالي للنصارى ، وحملته الشرسة على المسلمين السلفيين الصالحين ، فهو يقول عن النصارى : «إن الوحدة الوطنية الرائعة بين مسلمي مصر وأقباطها يجب أن تبقى ، وأن تصان ، وهي مفخرة تاريخية ، ودليل جيد على ماتسديه السماحة من بر وقسط »[4].

ويقول عن أحد كبارهم : « وقد كنت أريد أن أتجاهل مايصنع الأخ شنودة الرئيس الديني لإخواننا الأقباط »[5].

ويقول ـ أيضا ـ : « إننا نستريح من صميم قلوبنا إلى قيام اتحاد بين الصليب والهلال »[6]

---

(١) انظر : إسلام آخر زمن (١/ ٥٠ ـ ٥١) .
(٢) انظر : مجلة التوحيد ، عدد ٦ عام ١٤٠١هـ .
(٣) انظر : حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ، لعباس السيسي (١٢٠) .
(٤) قذائف الحق (٦٦) .
(٥) المرجع السابق (٦٦ ـ ٦٧) .
(٦) من هنا نعلم لمحمد الغزالي (٥٣) .

ويقول عن أعداء الله الرافضة : « وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم ، وأحبهم »[1].

فتأمل تسميته النصارى « إخوة » ، واسترواحه إلى قيام اتحاد بين عباد الله وعباد الصليب ، وتصريحه بمحبة الرافضة ، وإعزازه لهم ، ثم قارن بينه وبين مايقوله عن السلفية « لكن مايسمى الآن بالسلفية ، ويقترح سبيلا للعودة ، شيء غريب حقا ، يتضمن جملة ضخمة من القضايا الطفيلية التي كان ينبغي أن تموت مكانها ، ولاتكلف الأجيال بدراستها .

وإذا جاز تناولها بالشرح فبين بعض الأخصائيين ، أوعند شرح طائفة من الأحاديث المروية ، أوعند ذكر الأقوال في تفسير آية من الآيات .

أما إيهام الجماهير بأن هذه القضايا عقائد من صلب الإيمان ، وأن تجاوزها خروج على الدين ، فذلك باطل »[2].

ويقول : « والصحوة الإسلامية مهددة من أعداء كثيرين ، والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الديني ، يلبس ثوب السلفية »[3]

ويقول عن المتمسكين بالحديث : « إنكم تنطلقون كالزنابير الهائجة ، تلسعون هذا وذاك باسم الحديث النبوي والدفاع عن السنة ، ونحن نعرف أن

---

(١) دستور الوحدة الثقافية (١٣٩) .

(٢) دستور الوحدة الثقافية (١٣٤ ـ ١٣٥) ، وانظر : كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها للدكتور ربيع المدخلي (٢٣ ـ ٣٠) .

(٣) سر تأخر العرب (٥٢) .

آباءكم قتلوا عليا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية ، وقتلوا عثمان باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية ، وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية ، فياأولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ؟! ويجاهدون لنصرته؟!»[1].

فهو يجعل أعداء الله إخوانا له وأحبابا ، بينما يصف المتمسكين بالكتاب والسنة بأبشع الصفات .

وقريب من الغزالي في التودد لأعداء الله النصارى الدكتور حسن الترابي الذي يقول : « إن الوحدة الوطنية تشكل واحدة من أكبر همومنا، وإننا في « الجبهة الإسلامية » نتوصل إليها بالإسلام على أصول « الملة الإبراهيمية »، التي تجمعنا مع « المسيحيين » بتاريخ التراث الديني المشترك ، وبرصيد تاريخي من المعتقدات والأخلاق ، إننا لانريد عصبة عداء ، بل وشيجة إخاء في الله الواحد »[2] .

فأي تراث مشترك يريده الترابي ؟ .

إن تراث أمة الإسلام هو التوحيد ، وعبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، في حين أن تراث أمة الصليب الشرك والتنديد .

ثم هل الترابي يؤمن بأن عباد الصليب على ملة إبراهيم ﷺ ، والله ـ تعالى ـ قد كذبهم في ذلك ؟ .

---

(١) دستور الوحدة الثقافية (١٨٦ـ ١٨٧) .

(٢) مجلة المجتمع الكويتية ، ذات العدد (٧٣٦) والتاريخ ٨/ ١٠/ ١٩٨٥م .

ثم هل إلهنا الذي يريد الترابي أن نجتمع في الأخوة فيه ، هو إلههم ؟ .

إن الهنا هو الله ـ تعالى ـ ، بينما يزعمون أن إلههم هو المسيح عيسى بن مريم ﷺ .

ومن صور ذلك تفضيل بعض السذج من المسلمين ـ بقصد أوغير قصد ـ سنن الكفار وهديهم على سنة محمد ﷺ ، فتجدهم يحاكون اولئك في كل شيء .

فهذه بعض الصور التي تبين أن هذه الخصلة لاتزال موجودة .

والله المستعان .

الثانية والثلاثون[1]

كفرهم بالحق إذا كان مع من لايهوونه[2] ، كقوله[3] : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء[4] ﴾[5][البقرة : ١١٣] .

الكلام في هذه المسألة مضى ضمن الكلام على المسألة الثامنة والعشرين ، وهي « أنهم لايقبلون من الحق إلا الذي مع طائفتهم » .

ووجه الاستدلال من الآية التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ظاهر ، حيث إن كلا من الطائفتين : اليهود والنصارى ، لم تقبل ماعند الأخرى من الحق، لكونها لاتهواها ، مع أن كل واحدة تعلم ماعند الأخرى من الحق ، والله أعلم.

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الحادية والثلاثون .
(٢) في (أ) « يهوون » .
(٣) في بقية النسخ « كما قال ـ تعالى ـ » .
(٤) في (د) و (هـ) زيادة ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ .
(٥) في (أ) و (ب) و (جـ) و (د) زيادة كلمة « الآية » .

الثالثة [والثلاثون][1]

إنكارهم ماأقروا أنه[2] من دينهم ، كما فعلوا في حج[3] البيت ، فقال[4] الله[5] : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾[6] [البقرة: ١٣٠] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من تلاعب أهل الجاهلية بدينهم: كونهم يجحدون ماأقروا من قبل أنه منه ، فينكرون ماوجب عليهم الإيمان والعمل به ، ويزعمون أنه ليس من دينهم .

وهذا الإنكار نوعان :

أحدهما : إنكار بلسان المقال ، كمن يصرح بأن هذا ليس من الدين في شيء :

ثانيهما : إنكار بلسان الحال ، وهذا يكون بترك العمل به ، كمن يعرض إعراضا كليا .

وهذه الخصلة من خصال الجاهليتين .

---

(١) مابين المعكوفتين ،ساقط من الأصل ،ورقم هذه المسألة في (أ) الثانية والثلاثون .
(٢) في (هـ) « به » .
(٣) في (ب) « الحج » .
(٤) في (هـ) « وقال » .
(٥) لفظ الجلالة « الله » ساقط من (جـ) و (هـ) .
(٦) في (هـ) زيادة كلمة « الآية » .

وقد مثل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لذلك بقوله : « كما فعلوا في حج البيت » .

وهذه إشارة منه لقريش ، الذين لم يكونوا يقفون بعرفات مع الناس في الحج، لئلا يتساووا مع غيرهم ، لكونهم أهل الحرم ، مع كونهم مقرين بفرضيته عليهم في دينهم ، وأنه من شعائر الحج ، ومن دين إبراهيم ﷺ الذي يزعمون أنهم عليه[1].

وقد ذكر رد الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن هذه الشعائر التي تركوها من دين إبراهيم ، وهم يزعمون اتباعه ، فتركهم إياها دليل على رغبتهم عن اتباع ملته .

ومما يدل على إنكار أهل الكتاب ماأقروا به أنه من دينهم ، موقفهم من النبي ﷺ ، فإنهم كانوا مقرين بوجوب الإيمان به ، لكنه لما بعث ، أنكروا ذلك، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ﴾ [البقرة: ١٠١] .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام (٢/٥٤٧) ، المنمق في أخبار قريش (١٢٧) .

ومن ذلك إنكارهم وجوب توحيد الله ـ تعالى ـ بالعبادة ، فمن دينهم ذلك، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عن المسيح ﷺ أنه قال : ﴿ ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ [المائدة : ١١٧] .

لكنهم أنكروا ذلك ، وعبدوا مع الله ـ تعالى ـ غيره ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٧٣] .

ومن ذلك إنكارهم ماوجب لله ـ تعالى ـ من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، فإن ذلك من الواجب عليهم في دينهم ، لكنهم أنكروا ذلك ، ووصفوه ـ تعالى ـ بما لايليق به ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٣] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران :١٨١] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .

ومن ذلك إنكارهم وجوب الإيمان بالأنبياء كلهم ، فإن الإيمان بالأنبياء كلهم مما وجب عليهم في دينهم ، لكنهم أنكروا ذلك ، وفرقوا بين

الرسل ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾[النساء: ١٥٠].

ومن ذلك إنكارهم وجوب الإيمان بالكتاب كله ، فإنهم أنكروا ذلك ، فآمنوا ببعض الكتاب ، وكفروا ببعض ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة : ٨٥] .

ومن ذلك إنكارهم ماأوجب الله ـ تعالى ـ عليهم في دينهم ، من بيان الكتاب، وعدم كتمانه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون ﴾ [آل عمران : ١٨٧] .

ومن ذلك إنكارهم ماأقروا به من وجوب التحاكم إلى كتاب الله ـ تعالى ـ ، فإنهم أقروا بذلك ، ثم أنكروه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ومن ذلك إنكارهم ماأخذه الله ـ تعالى ـ عليهم من عدم سفك دماء بعضهم بعضا ، وعدم إخراج بعضهم بعضا ، لكنهم مع ذلك ، قتلوا ، وأخرجوا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ○ ثم أنتم هؤلاء

تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ﴾ [البقرة: ٨٤ ـ ٨٥] .

وإنكار أهل الكتاب لما جاء في كتابهم وأقروا به : كثير جدا ، لكن هذه بعض الأمثلة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإن مما أنزل الله ـ تعالى ـ عليه مافيه وعيد شديد لمن أنكر ماأقر به ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدي القوم الظالمين ○ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ○ خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون ○ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ○ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴾ [آل عمران : ٨٦ ـ٩٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم سبيلا ﴾ [النساء : ١٣٧] .

فهذا جزاء من أنكر ماوجب عليه بعد إقراره به في الآخرة .

وبين النبي ﷺ جزاءه في الدنيا ، فقال ﷺ : « من بدل دينه ، فاقتلوه »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجهاد ـ باب لايعذب بعذاب الله ـ (٢١/٤) ، =

وقال ﷺ : « لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث . . . والمارق من دينه ، التارك للجماعة »[1] .

فمن بدل دينه ، استحق القتل ، لكونه أنكر ماأقر به من قبل ، وهو وجوب الإيمان .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، فكثير ممن ينتمي إلى الإسلام اليوم قد أنكروا ماأقروا به أنه من دينهم ، فالشرك المحرم على ألسنة الرسل ـ عليهم السلام ـ كلهم ، قد أنكر تحريمه كثير من أهل هذا العصر ـ امتدادا لما قبله من العصور ـ فاستباحوا الشرك ، وعبدوا غير الله ، وغيروا دين الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ولايكاد يسلم منه اليوم إلا القليل.

ومن ذلك وجوب وصف الله ـ تعالى ـ بصفات الكمال ، وتنزيهه عمايضاد هذه الحال ، قد أقر به كل من ينتمي إلى الإسلام ، ومع ذلك أنكره أهل البدع، فوصفوا الله ـ تعالى ـ بما لايليق ، وعطلوا الواجب له من الصفات .

ومن ذلك إنكار كثير ممن يزعم الإسلام وجوب التحاكم إلى كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك ، وهو

= وفي كتاب استتابة المرتدين ـ باب حكم المرتد والمرتدة ـ (٨/ ٥٠) ، وفي كتاب الاعتصام ـ باب قول الله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ـ (٨/ ١٦٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الديات ـ باب قول الله تعالى : ﴿ أن النفس بالنفس . . . ﴾ ـ (٨/ ٣٨) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب القَسامة ـ باب مايباح به دم المسلم ـ (٣/ ١٣٠٢ ـ ١٣٠٣)ح ١٦٧٦ .

إنكار أن يكون هناك شيء اسمه الحكم بالقرآن[1] .

ومن ذلك إنكار كثير من الناس العمل بالنظم الإسلامية ، واستبدالها بغيرها، سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أوغير ذلك .

ومن ذلك إنكار كثير من الناس تحريم بعض الأشياء ، كالتبرج والسفور ، والرشا ، والربا . . . وغير ذلك من المحرمات .

وماسبق ذكره من الإنكار ليس من لازمه أن يكون بالتصريح ، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال ، وقد علمنا في بداية شرح المسألة أن الإنكار نوعان : إنكار بالقول ، وإنكار بالعمل .

والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) انظر : الحكم وقضية تكفير المسلم لسالم البهنساوي (٢٧) .

الرابعة والثلاثون[1]

أن[2] كل فرقة تدعي أنها[3] الناجية ، فأكذبهم[4] الله بقوله : ﴿ هاتوا[5] برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١] ، [ثم بين الصواب بقوله][6] : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن[7] ﴾ الآية [البقرة : ١١٢] .

يريد الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن يبين أن كل طائفة من طوائف الضلال ـ تزعم أنها على الحق ـ وإن كانت معرضة عما جاءها من عند الله تعالى ـ ، وأن غيرها على الباطل ، ومن ثم فهي الناجية في الأولى والآخرة .

ثم بين أن الله ـ تعالى ـ أكذبهم في ادعائهم ذلك ، ورد عليهم قالتهم تلك بقوله : « فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ » .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثالثة والثلاثون .
(٢) « أن » ساقطة من (أ) .
(٣) في (أ) « أنها هي » .
(٤) في (هـ) « فكذبهم » .
(٥) في (أ) و (ب) و (جـ) و (هـ) ﴿ قل هاتوا ﴾ .
(٦) مابين المعكوفتين ساقط من الأصل ، وهو موجود في جميع النسخ .
(٧) ﴿ وهو محسن ﴾ ساقطة من (ب) .

ووجه الاستدلال من الآية التي ذكرها المؤلف ، أن الله ـ تعالى ـ بين أن أهل الجاهلية بزعمهم هذا ، ليس لهم مستند عليه ، بل هو محض التخرص والافتراء[1]، فمطالبتهم بالبرهان من باب التعجيز ، وإظهار كذبهم في دعواهم[2] .

كما بين أن الله ـ تعالى ـ قد أعرب عن الميزان القسط الذي يتبين به من كان على الحق ممن كان على الباطل ، والذي يعرف به الهدى من غيره، بقوله : « وبين الصواب بقوله : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ » فالميزان هو الاستسلام لله بالطاعة ، والانقياد له ، والخلوص من الشرك ، فمن توافرت هذه الشروط فيه ، فهو الناجي في الدنيا والآخرة، ومن انتقص شيئا منها ، فهو الخاسر فيهما ، وليس كما يزعم هؤلاء أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على دينهم[3] .

ومما يدل على وجود هذه الخصلة عند أهل الجاهلية ، قوله ـ تعالىـ: ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم ﴾ [البقرة : ١١٣] .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) ، البحر المحيط (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٤٩٣) .
(٣) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) ، تفسير ابن كثير (١/ ١٥٤) .

فهذه الآية تدل بمفهومها على أن كل طائفة من هذه الطوائف ـ وهم اليهود والنصارى ، والأميون ـ تدعي أن الحق منحصر فيها ، لايتعدى إلى غيرها ، بدليل أن كل واحدة تنكر ماعند الأخرى من الحق ، وتضللها[1] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا كونوا هودا أونصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

فاليهود تزعم أن الاهتداء في دينها ، والنصارى تزعم أن الاهتداء في دينها ، ومفهوم ذلك أن الضلال في غيره .

وقد بين الله ـ تعالى ـ الصواب بقوله : ﴿ قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .

فالحق في اتباع ملة إبراهيم ، التي هي ملة جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، وهي الإسلام لله وحده[2].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [الجمعة : ٦] .

فاليهود لما زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس ـ وهذا يعني أنهم هم الذين على الحق فقط ـ طالبهم الله ـ تعالى ـ بتمني الموت ؛ ليبرهنوا على صدقهم في ذلك الادعاء ، وحتى يتحقق لهم مايتمنونه ، ولكنهم كـــــــــــاذبـــــــــــون فـــــــــــي

---

(١) انظر : فتح القدير (١/ ١٣٠) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

ذلك[1] ، وقد بين الله - تعالى - كذبهم بقوله : ﴿ ولايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [الجمعة : ٧] .

وهذه الخصلة من خصال الكتابيين والأميين ، كما تبين من الأدلة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد عرفنا من خلال الآيات السابقة مَن الفرقة الناجية المنصورة ، ومَن الطائفة الضالة عن الصراط المستقيم .

كما أن رسول الله ﷺ بين صفات الطائفة الناجية المنصورة بقوله: « من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي »[2]وأما من يزعم أنه على مثل

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٢٨/٩٨ - ٩٩) ، تفسير أبي السعود (٥/٢٢٩) ، فتح القدير (٥/٢٢٦) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب الإيمان - باب ماجاء في افتراق هذه الأمة - (٥/٢٦) ح٢٦٤١ وقال : « هذا حديث مفسر غريب لانعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه » ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص ٨٥) ، والآجري في الشريعة (ص ١٦) ، وفي كتاب الأربعين (ص ٥٣- ٥٤) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢/٢٦٢) ، وابن نصر المروزي في السنة (ص ٢٣)ح ٥٩ ، والحاكم في مستدركه - كتاب العلم - (١/١٢٨ - ١٢٩) وسكت عنه ، وسكت عنه الذهبي من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص .
وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/١٧٨) ، وفي المعجم الصغير (١/٢٥٦)، والعقيلي في الضعفاء (٢/٢٦٢) ، وبهشل في تاريخ واسط (١٩٦) عن أنس .
وفي إسناده عبد الله بن سفيان ، وهو ضعيف .
وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٧٨) عن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأبي أمامة.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد : « وفيه كثير بن مروان ، وهو ضعيف جدا » .
والحديث حسن بشواهده ، ومعناه صحيح ، تشهد له النصوص الأخرى .
انظر : درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه اليوم والأصحاب لسليم الهلالي (١٣ - ١٧) .

ماعليه النبي ﷺ وأصحابه ، فيطالب بتأول قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[آل عمران: ٣١] .

وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن تزكية النفس ، فقال : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولايظلمون فتيلا ﴾ [النساء: ٤٩] .

فتزكية النفس ليس من سيما أهل الإيمان والصلاح .

وهذه المسألة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا .

فأهل البدع والضلال على اختلاف أصنافهم يزعمون أنهم على الحق ، وأنهم الطائفة الناجية المنصورة .

فالرافضة يزعمون أنهم على الحق ، وأنهم الناجون ، وأن الدين الإسلامي يتمثل فيهم حق التمثل(١).

والمتصوفة يزعمون أنهم الفرقة الناجية المنصورة(٢) .

والمعتزلة يزعمون أنهم هم الذين على الحق وحدهم(٣) .

---

(١) انظر : حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شبر ، المراجعات لعبد الحسين الموسوي (٦٦ ـ ٨٠) ، سلسلة الدروس الدينية في العقائد الإسلامية لناصر مكارم الشيرازي (٢/ ٧) ، التشيع والإسلام لمحمد باقر الصدر (١٤ ـ ١٥) ، أصل الشيعة وأصولها لحسين آل كاشف الغطا (١٠٩) .

(٢) انظر : كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس لإبراهيم التجاني (٢٤) ، صاروخ الغارة لمحمد الطاهر التجاني (٧) ، الصوفية بين الأمس واليوم د. حسين نصر (٥٣) ، معاهد التحقيق في الرد على المنكرين على أهل الطريق لمحمود الوفائي (٧٩) ، أبجدية التصوف الإسلامي لمحمد زكي إبراهيم (٢٦) .

(٣) انظر : الفكر الإسلامي والفلسفات المعاصرة في القديم والحديث د . عبد القادر محمود (٢٦٣) .

والأشاعرة يدعون أنهم هم أهل السنة والجماعة[1] .

والماتريدية يعدون أنفسهم أهل السنة والجماعة ، وأنهم الفرقة الناجية[2].

والإباضية يدعون أنهم المحققون من أمة محمد ، وأنهم هم الذين لايزالون يتمسكون بالإسلام أصولا وقواعد ، وأنهم هم الذين يراعون حقوقه، ويطبقون حدوده[3] .

وهكذا كل طوائف المبتدعة ، تدعي أنها على الحق ، ومن ثم فهي الناجية .

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق (٣١٨) ، شرح السنوسية الكبرى (٨) ، إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقري (٧) ، نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لوهبي غاوجي (١٠٣ ـ ١٠٤) ، مقدمة دفع شبه التشبيه لحسن السقاف (٧٩) ، أقوال الحفاظ المنثورة لبيان وضع حديث رأيت ربي في أحسن صورة للسقاف (٢٨٥) ، التآلف بين الفرق الإسلامية لمحمد حمزة (١٩٥) ، نشأة الأشعرية وتطورها د . جلال موسى (١٥) ، مذهب أهل السنة والجماعة في الفكر الإسلامي لفاطمة رفعت.

(٢) انظر : حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية (١٧) ، حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية (٢١) ، شرح العقائد العضدية للدواني (٢٨) ، إشارات المرام (٢٥) ، مقدمة فتح الله خليف لكتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي (٨ ـ ١٠) ، الماتريدية دراسة وتقويما لأحمد الحربي (١٠) ، أبو منصور الماتريدي إمام أهل السنة والجماعة د . علي المغربي ، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس السلفي الأفغاني (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(٣) انظر : إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء لسالم السيابي السمائلي (٥٩) ، أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج لسالم السيابي السمائلي (٣٩) ، الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة لصالح الصوافي (٢٠٣) ، الحق المبين في الرد على صاحب الفرقان لمحمد بن عبد الله السالمي (٢١٤) .

كما أن هذه الخصلة موجودة لدى مايسمى بـ « الجماعات الإسلامية»، فكل جماعة ترى أن الحق منحصر فيها ، لايعدوها ، وأن غيرها على الخطأ ، ولذلك تزدري الجماعات الأخرى ، بل ربما ناصبتها العداء ، ولربما بدعتها ، وكل هذا ناتج عن الجهل والبغي ، فنسأل الله للجميع الهداية والتوفيق .

الخامسة والثلاثون[1]

التعبد بتحريم الحلال[2] ، كما تعبدوا بالشرك .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن أهل الجاهلية مثل ماأنهم تعبدوا بالشرك بالله ، وجعلوه دينا لهم ، فإنهم كذلك جعلوا تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل دينا لهم ، فنازعوا الله في سلطانه ، واعتدوا على حدوده وتشريعاته ، فالحلال ـ عندهم ـ ماأحلوه، والحرام ماحرموه ، حسب أهوائهم ، وأهواء شياطينهم .

وقد تظاهرت النصوص الدالة على أن أهل الجاهلية الأميين والكتابيين ، قد أحلوا ماحرم الله ، وحرموا ماأحل .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذلك زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم لِيُرْدُوهُمْ وليلبسوا عليهم دِينَهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون ○ وقالوا هذه أنعام وحرث حِجْر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حُرِّمَتْ ظهورُها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ○ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الرابعة والثلاثون ، وفي (جـ) : السادسة والثلاثون .
(٢) في (هـ) : « بتحليل الحرام » .

عليم ○ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين ﴾ [الأنعام ١٣٧ـ ١٤٠] .

ففي هذه الآيات عدة أمور اجترؤا على القول فيها بالتحريم والتحليل بغير علم ، فقد أباحوا قتل الأولاد ، وجعلوا من الأنعام مالايجوز أكله إلا بمشيئتهم ، وفرقوا بين النساء والرجال فيما يجوز طُعْمُه ومالايجوز .

وقال ـ تعالى ـ مطالبا إياهم بالحجة والبرهان على ماادعوه من التفريق بين مااشتملت عليه أرحام الأنعام في التحليل والتحريم : ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ○ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ١٤٣ـ ١٤٤] .

وقد كان من ضمنماابتدعه أهل الجاهلية أنهم كانوا يُبَحِّرون البحائر ، وهي التي يمنع درها للطواغيت ، ويسيبون السوائب ، وهي الدابة التي يجعلونها لآلهتهم ، ويُسَيِّبون الوصائل ، وهي الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ، ثم تثني بأنثى ، فكانوا يسيبونها للطواغيت ، ويحمون الحامي ، وهو فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضى ضِرابه تركوه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل ، فلم يحمل عليه شيء[1]، وكانوا يحرمون

---

(١) ذكره البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة =

ذبحها وأكلها ، إلا إذا ماتت حتف أنفها[1].

وقد رد الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك بقوله : ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون ﴾ [المائدة : ١٠٣] .

ومن تحليل المحرمات : أنهم كانوا لايقاتلون في الأشهر الحرم ؛ لأنها العدة التي حرمها الله في عهد إبراهيم ، فجاء النُّساة وغيروا هذه الأشهر ، فإذا أراد بعضهم أن يغير على بعض ، أنسأ الأشهر الحرم ، وأحل القتال فيها ، وجعل بدلا منها غيرها من الشهور ، كما ذكر ذلك ابن عباس[2].

وقد بين الله ـ تعالى ـ ذلك في كتابه ، فقال : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يُضَل به الذين كفروا يُحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زُيِّن لهم سوء أعمالهم والله لايهدي القوم

= ولاوصيلة ولاحام ﴾ ـ (١٩١/٥) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٣/٣) ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وابن جرير في تفسيره (٨٧/٧ ـ ٨٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ـ باب ماذكر في الساعد والذراع ـ (٧٦/٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٣٧/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، كلهم عن أبي الأحوص مرفوعا .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٠/١٠ ـ ١٣١) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه ، كما في الدر المنثور (٢٣٦/٣ ـ ٢٣٧) .

الكافرين ﴾[التوبة : ٣٧] .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن تحليل اليهود ماحرم عليهم : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

فقد استحلوا أموال غيرهم ممن ليسوا من اليهود ، وهي محرمة عليهم .

ومن ذلك أن اليهود أباحوا اصطياد السمك يوم السبت ، وهو محرم عليهم[1].

كما أنهم استباحوا شحم الخنزير ، وباعوه ، وأكلوا ثمنه ، وذلك لما حرم عليهم أكله[2].

وقد بين النبي ﷺ أن النصارى كانوا يحلون ماحرم الله ، ويحرمون ماأحل ، كما في حديث عدي ، الذي قال فيه النبي ﷺ : « أليسوا يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ؟ ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ قال : بلى » .

فقد تبين من خلال هذه الأدلة أن أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بتحليل

---

(١) انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٣] في تفسير ابن جرير ، وفي الدر المنثور .

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه ـ كتاب البيوع ـ باب بيع الميتة والأصنام ـ (٤٣/٣).

الحرام ، وتحريم الحلال .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فمن شريعته تحريم القول على الله ـ تعالى ـ بغير علم في التحليل والتحريم، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل : ١١٧] .

وأنكر ـ تعالى ـ على المشركين فعلهم ذلك ، فقال ـ عز من قائل عليما ـ ﴿ قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ [يونس :٥٩] .

وقد تبين في الاستدلال على هذه المسألة مايبين كيف خالفهم رسول الله ﷺ ، لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي له أمر التحليل والتحريم، فمن نازعه في ذلك ، فقد خرج من رق عبوديته[١].

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور عديدة ، وأعظمها ، وأطمها على الإطلاق : استباحة الشرك الأكبر ، والذنب الذي لايغفر ، فقد عرفت في المسألة الأولى أن كثيرا من الناس، ممن يدعي الإسلام ، واقع في هاتيك الخصلة ، إذ عبدوا مع الله غيره في الركوع ، والسجود ، والقيام ، والحلق،والنذر،والذبح. . .

أفيظن عاقل يدري مايخرج من رأسه أن أولئك يفعلون مايفعلون وهم

---

(١) انظر : العقيدة وأثرها في بناء الجيل د . عبدالله عزام (١٥٤) .

يعتقدون حرمته ؟

لا أظن والله أن أحدا يظن ذلك .

ومن صور ذلك : استباحة البدع على اختلاف أنواعها ، فما من مبتدع بدعة ، إلا وهو يرى حلها .

ومن صور ذلك : استباحة المتصوفة لكثير من المحرمات ، كالزنا ، واللواط[1].

ومن صور ذلك : التعبد بتحريم زينة الله ، والطيبات من الرزق[2].

ومن صور ذلك : مضاهاة المشركين الأوائل في تبحير البحائر وتسييب السوائب ، فهذه الخصلة لاتزال موجودة في بعض البلاد[3].

ومن صور ذلك : مضاهاة المشركين في تحريم بعض أنواع الأطعمة على جنس دون آخر[4] .

ومن صور ذلك : استباحة أكل أموال الناس بالباطل ، عن طريق مايسمى «صناديق النذور» الموجودة في مساجد المشركين القبوريين .

فهذه بعض الصور الدالة على وجود هذه الخصلة .

---

(١) انظر : طبقات الشعراني (٢/١٣٥ ، ١٥٤) ، جامع كرامات الأولياء (١/٤١٤) و (٢/٧٧ ، ٣٧٢) ، الكشف عن حقيقة الصوفية (٤٤٢ ، ٤٥٣) .

(٢) انظر : شرح المسألة الثانية والسبعين ، والثالثة والسبعين .

(٣) انظر : رسالة التوحيد لإسماعيل الدهلوي (١٢٦ ـ ١٢٧) .

(٤) انظر : رسالة التوحيد (١٢٨) .

السادسة والثلاثون[1]

التعبد بكشف العورات[2]، لقوله[3]: ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها[4] ﴾[5] [الأعراف : ٢٨] .

يشير المؤلف إلى ماكان عليه أهل الجاهلية الأميون من إبداء عوراتهم أمام الناس ديانة للّه ، وذلك حال طوافهم بالبيت العتيق ، فقد كانت العرب : قريش وغيرهم لايطوفون بالبيت في ثيابهم التي كانت عليهم ، يتأولون في ذلك أنهم لايطوفون في ثياب عصوا اللّه فيها .

وكانوا إذا قدم أحدهم ممن ليس من أهل الحرم يريد الطواف ، خلع ثيابه التي كانت عليه ، فإن وجد أحدا يكريه ثيابه ، أويعيره ، لبسها ، وإلا طاف بالبيت عريانا[6].

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) و (جـ) : الخامسة والثلاثون .
(٢) في (أ) : « العورة » .
(٣) في (أ) و (جـ) و (د) : « كقوله »
(٤) ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ ساقطة من (أ) و (ب) و (جـ) و(د) و ﴿والله أمرنا بها ﴾ ساقطة من (هـ) .
(٥) في بقية النسخ زيادة « الآية » .
(٦) انظر : أخبار مكة للأزرقي (١/١٧٤ ـ ١٧٩) ، المنمق في أخبار قريش (١٢٧ـ ١٢٩) ، سيرة ابن هشام (١/٢٠٢ ـ ٢٠٣) ، تاريخ اليعقوبي (١/٢٥٧) ، شرح السيرة لأبي ذر الخشني (١/٢٦٠ ـ ٢٦١) ، الروض الأنف (١/٢٣٢) ، البدء والتاريخ للمقدسي (٤/٣٢) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي (٢/٦٧ ـ =

والنساء كالرجال في ذلك ، فقد كانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعا مفرجا عليها ، ثم تطوف فيه[1].

قال ابن عباس : « كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة ، فتقول : من يعيرني تِطْوافا[2] تجعله على فرجها ؟ وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله[3]

وقد استدل المؤلف على وجود هذه الخصلة بقوله - جل وعلا - : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾.

ووجه الاستدلال منها ببيان أن المراد بالفاحشة فيها إبداء العورات حال الطواف ، كما فسرها بذلك ابن عباس[4] ومجاهد[5]

= ٧٠) .

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٨/ ١٥٣ - ١٥٤) ، الروض الأنف (١/ ١٣٤) .

(٢) التطواف : بكسر التاء ، ثوب تلبسه المرأة ، وتطوف به .
انظر : « طوف » لسان العرب (٩/ ٢٢٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب التفسير - باب قوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ - (٤/ ٢٣٢٠) ح٣٠٢٨ .
وهذا البيت لضباعة بنت عامر بن صعصعة ، كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٣٤) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٥٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٥٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٧) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

والسدي[1].

والله ـ تعالى ـ بين أنهم يفعلون ذلك ، فدل على وجودها فيهم .

ومما يدل على هذه الخصلة ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الأعراف : ٣٢]

قال ابن عباس مبينا سبب نزول هذه الآية : « كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ، ويصفقون ، فأنزل الله هذه الآية »[2].

وعن عروة بن الزبير[3] أنه قال : « كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة ، إلا الحمس ـ والحمس قريش وما ولدت[4] ـ وكانت الحمس

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٥٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٧) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٣) ح١٢٣٤٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام القرشي ، أبو عبدالله ، أحد الفقهاء السبعة ، وأحد التابعين الأجلاء ، توفي سنة ٩٤ هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٥/ ١٧٨ـ ١٨٢) ، التأريخ الكبير للبخاري (٧/ ٣١) .

(٤) الحمس : قريش وما ولدت ، ومن كان يأخذ مأخذها من القبائل كالأوس والخزرج وخزاعة وثقيف وغزوان وبني عامر وبني صعصعة وجديلة قيس وبني كنانة إلا بني بكر ، سموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم ، أي : تشددوا فيه ، فكانوا يرون التزهد ، وقيل : بل سموا بالكعبة ؛ لأنها حمساء ، حجرها أبيض يضرب إلى السواد ، والأول أشهر .
انظر : المعلم بفوائد مسلم للمازري (٢/ ٥٨) ، الروض الأنف (١/ ٢٢٩) ، فتح الباري (٣/ ٦٠٣) .

يحتسبون على الناس ، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها ، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا »[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن أبابكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس : ألا لايحج بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان »[2].

فهذه نصوص صريحة في كون أهل الجاهلية يتعبدون بكشف عوراتهم .

وهذه الخصلة من خصال الأميين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، وذلك أن من شريعته ﷺ وجوب ستر العورات ، وحفظها ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ [الأعراف : ٣١] .

والزينة هنا : ستر العورة ، كما قال ذلك ابن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب الوقوف بعرفة ـ (٢/ ١٧٥) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب الوقوف بعرفة وقوله تعالى : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ ـ (٢/ ٨٩٤) ح١٢١٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب لايطوف بالبيت عريان ، ولايحج مشرك ـ (٢/ ١٦٤) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب لايحج البيت مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، وبيان يوم الحج الأكبر ـ (٢/ ٩٨٢) ح١٣٤٧ .

عباس[1].

وقال ﷺ : « لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولاالمرأة إلى عورة المرأة ، ولايفضي الرجل إلى الرجل في ثوب الواحد ، ولاتفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[2].

وعن المسور بن مخرمة[3]ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : « أقبلت بحجر أحمله ثقيل ، وعلي إزار خفيف ، فانحل إزاري ، ومعي الحجر لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارجع إلى ثوبك ، فخذه ، ولاتمشوا عراة »[4].

كما علمنا من خلال ماسبق أن رسول الله ﷺ خالفهم في مسألة الطواف عراة ، ونهى عن ذلك .

والتعبد بكشف العورات مايزال موجودا ، سواء كان ذلك لدى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ ـ (٤/ ٢٣٢٠) ح٣٠٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الحيض ـ باب تحريم النظر إلى العورات ـ (١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) ح٣٣٨ .

(٣) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب القرشي ، صحابي جليل ، ولد في السنة الأولى من الهجرة ، ، وتوفي سنة ٦٣هـ .
انظر : تاريخ خليفة (١٧٧ ، ٢٥٥) ، طبقات خليفة (١٥) ، تهذيب الكمال (٢٧/ ٥٨١ ـ ٥٨٣) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الحيض ـ باب الاعتناء بحفظ العورة ـ (١/ ٢٦٨) ح٣٤١ .

المنتمين إلى الإسلام ، أوغيرهم .

فالديانات الشرقية كالبوذية[1]، والجينية[2]، لايزال كشف العورات معدودا من شعائر دينهم .

والصوفية يعتقدون أن كشف من يدعونهم صالحين وأولياء عوراتهم من الكرامات التي أجراها الله ـ تعالى ـ على أيديهم ، بل هو عند بعضهم أمارة على الولاية ومن مستلزماتها[3]، ولذا من بدت عورته فهو الولي[4].

---

(١) البوذية : إحدى الديانات الشرقية القديمة ، ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، وسميت بذلك نسبة إلى مؤسسها الأول سدهارتا جواتاما (٥٦٠ق . م ـ ٤٨٠ق . م) الذي يلقب بوذا ، وكان ينكر الإلهية ، والنفس الإنسانية ، ويقول بالتناسخ ، والزهد والتقشف .
انظر : الأديان القديمة في الشرق مع ترجمة كتاب البوذية د . رؤوف شلبي (١٤١ ـ ٢٤٧) ، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام د . أوروانج بحر الدين (٢٤٠ ـ ٣٠٤)، الذيل على الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ١٣ ـ ١٨) ، أديان الهند الكبرى د . أحمد شلبي (١٤١ ـ ١٧٩) ، الفلسفة في الهند د . علي زيعور (١٨٩ ـ ٢٦٥) ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد (٧٠ ـ ٧٦) ، الموسوعة العربية الميسرة (٤٢٦ ـ ٤٢٧) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٠٧ ـ ١١١) .

(٢) الجينية : ديانة قديمة موجودة بالهند ، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد ، وتنسب إلى رجل اسمه « مهاوترا » (٥٩٩ ـ ٥٢٧ق . م) ويلقب « جينا » أي : القاهر .
يقولون بإنكار الخالق ، والتناسخ ، والتقشف ، وغير ذلك .
انظر : التفكير الديني في العالم قبل الإسلام (٣٠٥ ـ ٣١٤) ، أديان الهند الكبرى (١١٢ ـ ١٣٣) ، الموسوعة الميسرة (١٩٣ ـ ٢٠٠) .

(٣) انظر : الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (٤٤٠) .

(٤) انظر على سبيل المثال : طبقات الشعراني (١/ ١٤١) و (٢/ ٣ ، ١٤٢) ، جامع =

ويرون أن من آداب المريد ، ومن علامات زهده أن يكون عاريا[1] ، نعوذ بالله من الخذلان .

ومن مظاهر هذه الخصلة ـ أيضا ـ التعري حال الاجتهاد في الدعاء والإلحاح فيه ، وهذا يقع من النساء خاصة في بعض البلاد .

يقول الأستاذ عبد السلام البسيوني : « ويشبه هذا أن بعض المدروشات ، إذا أردن أن يقبل دعاهؤن ، وتخترق أمانيهن الحجب ، قامت إحداهن في جوف الليل ، وتجردت من كل ثيابها ، ثم طفقت تدعو ظانة أن في تجردها زيادة قربة ، وشفيعا في القبول »[2] .

فهذه بعض مظاهر هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان .

= كرامات الأولياء (١/ ٢١٠ ، ٢١٤) و (٢/ ٢٤ ، ٢٩٩ ، ٣٣١ ، ٣٧٨) ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين (١/ ٣٢٠) ، هذه هي الصوفية (١٠٤ ـ ١٠٥) ، الكشف عن حقيقة الصوفية (٤٤٠، ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٦٣، ٥٣٣، ٥٩٠) الرفاعية (٢٠٨) .

(١) انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (٨٩) .

(٢) الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة لعبد السلام البسيوني (١٠١) .

السابعة والثلاثون[1]

التعبد[2] باتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله .

يشير المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة إلى نوع من أنواع الشرك الأكبر ، المخرج من الملة ، وهو شرك الطاعة .

والمراد به : أن تطيع أحدا في تحليل ماحرم الله ، أوتحريم ماأحل[3].

وقد كان أهل الجاهلية : الأميون والكتابيون على حد سواء يطيعون أحبارهم ورهبانهم وسادتهم وكبراءهم في تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل .

وطاعتهم في ذلك هو معنى اتخاذهم أربابا من دون الله ، كما بين ذلك النبي ﷺ في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ [التوبة : ٣١] ، كما في حديث عدي بن حاتم حيث قال ﷺ : « أليسوا يحرمون ماأحل الله ، فتحرمونه ؟ ويحلون ماحرم الله فتحلونه ؟ قال : بلى ، قال فتلك

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السادسة والثلاثون .
(٢) في (هـ) : « تعبدهم » .
(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٩٨) ، مجموعة التوحيد (٩) .

عبادتهم ».

وعلى هذا بوب المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب التوحيد ، حيث قال : « باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ماأحل الله ، أوتحليل ماحرمه ، فقد اتخذهم أربابا »[1].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله تعالى ـ : « وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم ومن الشرك الأكبر الذي لايغفره الله »[2].

وهذه الآية ، وهذا الحديث دالان على اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله .

كما أن من الأدلة على ذلك ، أن ماتقرره المجامع الكنسية ـ وما أكثرها ـ يصبح دينا لعامة النصارى[3].

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ أن أكثر اليهود تركوا الإيمان بمحمد ﷺ طاعة لأحبارهم ، ولذلك قال النبي ﷺ : « لو آمن بي عشرة من اليهود ، لآمن اليهود كلهم ».

ولاريب أن هذا من أعظم الطاعة ؛ إذ إنه اقتضى ترك الحق ، واتباع الباطل .

---

(١) كتاب التوحيد للمؤلف (١٠٢) .

(٢) فتح المجيد (٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(٣) انظر : هداية الحيارى (٣١١) .

ومن ذلك أنه لما غير أحبارهم حد الرجم ، أطاعوهم في ذلك ، وعملوا به.

ومما يدل على طاعة الأميين كبراءهم في تحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، أنه لما ابتدع عمرو بن لحي الشرك بالله ـ تعالى ـ ، وتبحير البحائر ، وتسييب السوائب ، ووصل الوصائل ، وحماية الحامي ، أطاعوه في ذلك ، وجعلوا ماابتدعه دينا.

ومن ذلك تركهم الوقوف بعرفة ، طاعة لما اقترحه كبراؤهم ، مع اعترافهم بأن ذلك من دين إبراهيم ﷺ .

ومن ذلك طاعتهم كبراءهم في إنساء الأشهر الحرم .

وقد أنكر الله ـ تعالى ـ عليهم صنيعهم ذلك ، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ [الشورى : ٢١] .

وبين ـ جل وعلا ـ عاقبة من فعل ذلك في الآخرة ، فقال : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [البقرة:١٦٦]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع

بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ○ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ○ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ماكانوا يعملون ﴾ [سبأ : ٣١ ـ ٣٣].

وقال ﷺ : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا مايكون كفرا من الطاعة ومالايكون كفرا : « وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوه في تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل الله ، يكونون على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله ، فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل الله ، اتباعا لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل ، فهذا كفر،وقد جعله الله ورسوله شركا ، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين ، مع علمه أنه خلاف الدين ، واعتقد ماقاله ذلك دون ماقاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء .

الثاني : أن يكون اعتقادهم ، وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الآحاد ـ باب ماجاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الصلاة ـ (٨/ ١٣٤) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله ، وتحريمها في المعصية ـ (١٤٦٩/٣) ح(١٨٤٠) .

ثابتا ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم مايفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ،فهؤلاء حكم أمثالهم من أهل الذنوب »[1].

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور، منها : مايوجد عند المتصوفة من اعتقاد تحليل ماأحله المشايخ ، وتحريم ماحرموا ، وإن كان الأمر خلاف ذلك ، ويربون مريديهم على ذلك ، وينهونهم عن مجادلتهم في ذلك ، أوالاعتراض عليهم ، أوالانكار عليهم ولو باطنا .

وفي هذا يقول عبدالوهاب الشعراني : « ومن شأنه ـ يعني شأن المريد ـ إذا وجهه شيخه في حاجة ، ورأى الصلاة تقام في مسجد في الطريق ، فلايعرج على الجماعة ، بل يمضي في حاجة شيخه ، ثم يصلي بعد ذلك »[2]

ومن ذلك أن بعض متعصبة الفقهاء يأبون الرجوع عن اجتهادات الأئمة ـ رحمهم الله تعالى ـ ، ولو استبان لهم الدليل ، ولاشك أن هذا أمر خطير ، ومن طاعة العلماء في تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل[3].

فهذه بعض الأمثلة التي تدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) الإيمان (٦١) .
(٢) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (٢٠٣) .
(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩٨/١) ، الإيمان له (٦١ ـ ٦٢) .

الثامنة والثلاثون[1]

الإلحاد في الصفات ، كقوله[2] : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون[3] ﴾ [فصلت : ٢٢] .

التاسعة والثلاثون[4]

الإلحاد في الأسماء[5]، كقوله[6] : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ [الرعد: ٣٠] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهاتين المسألتين موقف أهل الجاهلية من أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته ، فيذكر أنهم ألحدوا فيها .

والإلحاد فيها : هو الميل بها ، وبحقائقها ، ومعانيها عن الحق الثابت لها إلى الإشراك والتعطيل والكفر[7] .

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السابعة والثلاثون .
(٢) في (ب) و (د) : « لقوله » .
(٣) في (ب) : « تعلمون » وهو خطأ .
(٤) رقم هذه المسألة في (أ) الثامنة والثلاثون .
(٥) « في الأسماء » ساقطة من (أ) .
(٦) في (ب) و (د): « لقوله » .
(٧) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٩/١) ، الصواعق المرسلة (٢١٧/١) ، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبد العزيز السلمان (٩٥) .

وقد ذكر أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ أنه أنواع ، وقد وقع أهل الجاهلية الأميون والكتابيون فيها كلها ، وإليك هذه الأنواع ، مع بيان أدلة وقوع أهل الجاهلية فيها :

النوع الأول : التكذيب بها ، وجحودها ، كما قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾[الأعراف:٨١] «الإلحاد: التكذيب »[1].

دليل هذا النوع ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ .

وهذه الآية قد استدل بها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ على إلحاد أهل الجاهلية في الصفات .

ووجه الاستدلال من هذه الآية أن الله ـ تعالى ـ أخبر أنهم ينفون علمه المحيط بكل شيء ، ونفي هذه الصفة إلحاد فيها .

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية ماجاء عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « كنت مستترا بأستار الكعبة ، فجاء ثلاثة نفر: قرشي، وختناه[2] ثقفيان ، أوثقفي ، وختناه قرشيان ، كثير شحم بطونهم ،

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ١٣٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٤٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) الختن : يطلق على أبي امرأة الرجل ، وعلى زوج البنت .
انظر : الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٥٤) ، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٦٤)، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٦٤) ، لسان العرب ، مادة «ختن » =

قليل فقه قلوبهم ، فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر : إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه ، فقال الآخر : إن سمع منه شيئا سمعه كله ، قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ هذه الآية ».

ومما يدل على هذا النوع ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ .

وهذه الآية ـ أيضا ـ قد استدل بها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ .

ووجه الاستدلال منها ظاهر ، حيث إنهم أنكروا اسما من أسمائه ـ تعالى ـ وهو « الرحمن » .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما أمر الكاتب أن يكتب في صلح الحديبية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال سهيل بن عمرو[1]: « أما الرحمن ، فوالله ماأدري ماهو ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، كما كنت تكتب »[2]

= (١٣/١٣٨ ـ ١٣٩) .

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي ، أبو يزيد ، صحابي جليل ، أسلم يوم الفتح ، وحسن إسلامه ، وكان من الأواهين ، لاينام من الليل إلاقليلا ، ، واستشهد في اليرموك ، وقيل : يوم مرج الصفر .
انظر : طبقات خليفة (٣٠٠) ، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (٦٠) ، سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الشروط ـ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط ـ (٣/ ١٨١) .

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وماالرحمن ﴾ [الفرقان : ٦٠] .

وعن عبدالرحمن بن عوف[١] ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : « كاتبت أمية بن خلف[٢] كتابا : يحفظني في صاغيتي[٣] بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن ، قال : لاأعرف الرحمن ، اكتب اسمك الذي أعرفك به في الجاهلية »[٤]

النوع الثاني : تسمية الأصنام بها، واشتقاقهم منها أسماء لها[٥] .

والدليل على ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يسمون معبوداتهم من دون

---

(١) هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري ، القرشي ، أبو محمد ، صحابي جليل ، شهد له المصطفى ﷺ بالجنة ، ولد بعد الفيل بعشر سنين ، وأسلم قديما ، وهاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وتوفي سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين للهجرة .
انظر : طبقات ابن سعد (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤٤) و (٣/ ١٢٤ ـ ١٣٧) ، طبقات خليفة (١٥)، حلية الأولياء (١/ ٨٨ ـ ١٠٠) ، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٢٤ ـ ٣٢٩) .

(٢) هو أمية بن خلف بن وهب بن لؤي ، رأس الكفر ، عدو الله ورسوله ، أدرك الإسلام، ولم يسلم ، وهلك ببدر .
انظر : جمهرة النسب (٩٥) ، النسب (٢١٢، ٢٨٥) ، نسب قريش (٣٨٧) .

(٣) صاغية الرجل : خاصته ، وما يميل إليه من أهل ومال .
انظر : شرح البخاري للكرماني (١٠/ ١٣١ ـ ١٣٢) ، فتح الباري (٤/ ٥١٦) ، عمدة القاري (١٠/ ١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الوكالة ـ باب إذا وكل المسلم حربيا في دار الحرب أو في دار الإسلام ، جاز ـ (٣/ ٦٠ ـ ٦١) .

(٥) انظر : بدائع الفوائد (١/ ١٦٩) .

الله ـ تعالى ـ « آلهة » ،وهذا مشهور عنهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ﴾ [نوح : ٢٣] ، وكما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم : ﴿ أن امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾ [صٓ : ٦] .

كما أنهم كانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله ـ تعالى ـ ، كما جاء عن ابن عباس ، ومجاهد أنهما قالا في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ : « اشتقوا اللات من الإله ، والعزى من العزيز »[1].

النوع الثالث : تسميته ـ تعالى ـ ، ووصفه بما لايليق بجلاله[2].

والدليل على هذا ، تسمية اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ الغني ـ جل جلاله ـ بالفقير ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

وتسميتهم هم والنصارى إياه « أبا » ، ووصفهم إياه بالأبوة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود عزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة :١٨] .

ومنه وصف المشركين إياه بالأبوة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا بشر

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٤٩/٣) عن ابن عباس ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٣/٩) عن مجاهد .

(٢) انظر : بدائع الفوائد (١٦٩/١) .

أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾ [الزخرف: ١٧] .

ومنه وصف اليهود إياه بالبخل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ووصفهم إياه بالتعب ، فإنهم يزعمون أن الله ـ تعالى ـ لما خلق السماء والأرض ، تعب واستراح في اليوم السابع ، فرد الله ـ تعالى ـ ذلك بقوله[1]: ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ [قٓ : ٣٨] .

وهذا الوصف الخبيث لايزال موجودا في كتبهم التي يقدسونها ، ففي سفر التكوين مانصه « فأكملت السماوات والأرض وكل جندها ، وفرغ الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدسه ؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا[2] .

النوع الرابع : تسميته ـ تعالى ـ بما لم يسم به نفسه .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٣٩) ، وابن جرير في تفسيره (٢٦/١٧٩) ، وابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/١١٠) عن قتادة .
وأخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/ ١١٠) عن الضحاك .
وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٦/١٧٩) والبيهقي في الأسماء والصفات ـ باب ماذكرفي القدم والرجل ـ (٢/ ٩٣) عن مجاهد ، وهو في تفسيره (ص٦١٢) .

(٢) أسفار العهد القديم - سفر التكوين - الإصحاح الثاني - الفقره ١-٢

والدليل على هذا النوع : ماجاء عن ابن عباس في قوله - تعالى - : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ أنه قال : « إلحاد الملحدين : أن دعوا اللات في أسماء الله »[1].

وقال الأعمش[2]: « يدخلون فيها ماليس منها »[3].

النوع الخامس : تشبيه صفاته بصفات خلقه[4].

ودليل هذا النوع حديث عبدالرحمن بن عوف سابق الذكر ، وذلك أن الجاهليين لم يقولوا قولهم ذلك ، إلا بعد أن شبهوا الله - تعالى - بخلقه ، فقاسوا صفاته على صفات المخلوقين ، فخرجوا بتلك النتيجة.

وبهذا يتبين لنا أن أهل الجاهلية قد ألحدوا في أسماء الله - تعالى - وصفاته .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد وصف النبي ﷺ ربه بما وصف به نفسه ، وسماه بما سمى به نفسه ،

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٣٣١).

(٢) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمد الأعمش ،إمام جليل من أئمة التابعين وعلمائهم ، ادرك بعض الصحابة، وروى عنهم ، وتوفي سنة ١٤٦ ، أو ١٤٧ ، أو ١٤٨ .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٣) ، طبقات خليفة (١٦٤) ، تاريخ خليفة (٢٣٢ - ٤٢٤) ، حلية الأولياء (٥/ ٤٦ - ٦٠) ، تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ - ٢٩) ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦- ٢٤٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٢/ ١٤٩) .

(٤) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٣١٠) ، بدائع الفوائد (١/ ١٦٩) .

ولم يلحد فيها بتعطيل ، أو تمثيل ، أو إشراك ، بل أثبتها كما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، على حد قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] .

وتعبد ربه بها ، ممتثلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ ، وتأدب معها غاية الأدب ، فكان ﷺ يغير الأسماء ؛ احتراما لأسمائه ـ تعالى ـ ، كتغييره اسم أبي الحكم إلى أبي شريح[1] ؛ تأدبا مع اسم الله « الحكم » ، كما شدد ﷺ على من تسمى بما اختص به ـ جل وعلا ـ كما في قوله : « إن أخنع[2] اسم عند الله : رجل تسمى مالك

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ـ باب كنية أبي الحكم ـ (١٧٥) ح٨٣٤، وفي التاريخ الكبير (٨/٢٢٧ـ ٢٢٨) ، وأبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب في تغيير الاسم القبيح ـ (٥/ ٢٤٠) ح٤٩٥٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب القضاء ـ باب إذا حكموا رجلا ، ورضوا به ، فحكم ـ (٢/٤٦٦) ح٥٨٤٠ ، وفي المجتبى ـ كتاب آداب القضاء ـ باب إذا حكموا رجلا ، فقضى بينهم ـ (٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) ، ح٥٣٨٧ ، وابن سعد في الطبقات (٦/٤٩) ، والدولابي في الكنى (١/ ٧٤) ، وابن حبان في صحيحه ، كما في موارد الظمآن ـ كتاب الأدب ـ باب ماجاء في السلام ـ (٤٧٧) ح١٩٣٧ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الأدب ـ (٤/ ٢٧٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب أدب القاضي ـ باب ماجاء في التحكيم ـ (١٠/ ١٤٥) .
وقد جود إسناد هذا الحديث الألباني في تخريج أحاديث المشكاة (٣/١٣٤٧) .
وأبو شريح اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال ، أشهرها أنه خويلد بن عمرو الخزاعي ، وهو صحابي جليل ، أسلم يوم الفتح ، وتوفي سنة ١٨هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/ ٢٩٥) ، تاريخ خليفة (٢٦٥) ، تهذيب الكمال (٣٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) .

(٢) أخنع : أي أذل ، وأوضع ، وأفجر .
انظر : لسان العرب « خنع » (٨/ ٨٠) ، فتح الباري (١٠/ ٦٠٥) .

الأملاك »[1].

والإلحاد في أسماء الله - تعالى - وصفاته موجود في هذا العصر ، وله صور ، منها : نفي الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، أو نفي بعضها، وقد وقع فيه طوائف كثيرة من المبتدعة ، كالجهمية الذين ينفون الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ولايثبتون سوى ذات مجردة[2]، والمعتزلة الذين لايثبتون غير الأسماء ، وهو إثبات مقارب للنفي، حيث سلبوا عنها معانيها ، وجعلوها مجرد أعلام فقط[3]، أما الصفات ، فينفونها[4]، ومثلهم الرافضة[5]، والإباضية[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب أبغض الأسماء إلى الله - (١١٩/٣)، ومسلم في صحيحه - كتاب الآداب - باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك - (١٦٨٨/٣) ، ح٢١٤٣ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين (٢١٤/١) ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (٩٦)، الفرق بين الفرق (٢١١) ، الملل والنحل (٨٦/١) ، المواقف في علم الكلام (٤٢٨)، التبصير في الدين (١٠٨) .

(٣) انظر : الرسالة التدمرية (١٨) .

(٤) انظر : شرح الأصول الخمسة (١٤٩- ٢٩١) ، مقالات الإسلاميين (٢٦٤/١ - ٢٦٧)، الملل والنحل (٤٣/١) ، المواقف في علم الكلام (٤١٥) ، التبصير في الدين (٦٣)، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق (٨٤ - ٩١) .

(٥) انظر : أوائل المقالات في المذاهب المختارات لابن النعمان (٥٤ - ٥٦) ، اعتقادات الصدوق لابن النعمان (١٨٦ - ١٩٧) ، حق اليقين في معرفة أصول الدين (٥٥ - ٨٩)

(٦) انظر : الموجز لأبي عمار عبدالكافي الإباضي (١٧٨/١) ، الإباضية عقيدة ومذهبا د.صابر طعيمة (٩٠ - ١٠٧) .

والأشاعرة الذين لايثبت جمهورهم سوى سبع صفات[1]، ومثلهم الماتريدية الذين يثبتون ماأثبته الأشاعرة ، ويزيدون ماأسموه بصفة « التكوين»[2].

ومعلوم أن هذه المذاهب يعج بها العالم الإسلامي .

ومن صور وجود هذه الخصلة ـ أيضا ـ تسمية الله ـ تعالى ـ بما لم يسم به نفسه ، ولم يسمه به أعلم الخلق بربه ، كتسمية المتصوفة إياه بـ« هو » ، وإطلاق المتكلين لفظ «الجسم » و «الجوهر»[3]و « العرض »[4]، وغير ذلك من الألفاظ على الله ـ تعالى ـ[5]

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/ ٩٥) ، المواقف في علم الكلام (٢٧٩ ـ ٢٩٩) ، أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (٨٩ ـ ١١٢) ، المطالب العالية للرازي (٣/ ٢٢١) ، شرح السنوسية الكبرى لمحمد السنوسي (١٠٠ ـ ٢٤٥) .

(٢) انظر : التمهيد في أصول الدين للنسفي (١٢ ـ ٣٢) ، شرح كتاب الفقه الأكبرلملا علي قاري (٢٥ ـ ٣٨) ، الماتريدية للحربي (٢٣٩) ، الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس الأفغاني .

(٣) الجوهر : إحدى المقولات الكلية عند المناطقة ، ويعرفونه بانه «الموجود لافي موضوع » .
انظر : معيار العلم لأبي حامد الغزالي (٢٢٨) ، التعريفات (٣٨) ، جامع العلوم (١/ ٤٧٩) ، الكليات (٣٤٦ ـ ٣٤٧) ، تسهيل المنطق د. عبدالكريم الأثري (٢٦) .

(٤) العرض : بفتح العين والراء ، إحدى المقولات الكلية ، وهو الموجود في موضوع .
انظر : معيار العلم (٢٢٩) ، جامع العلوم (٢/ ٣٦٩) التعريفات (٣٥١) ، تسهيل المنطق (٢٦) .

(٥) انظر : مختصر الصواعق المرسلة (٣١٠) ، بدائع الفوائد (١٦٩ ـ ١٧٠) ، لوامع =

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ إطلاق كل اسم محمود أو مذموم عليه، ووصفه ، بكل وصف قبيح أو مذموم ، كما عليه غلاة المتصوفة من أهل وحدة الوجود ، الذين صور مذهبهم ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ تصويرا كاملا بقوله :

فأتى فريق ثم قال وجدته
هذا الوجود بعينه وعيان
ماثم موجود سواه وإنما
غلط اللسان فقال موجودان

فهوالسماء بعينها ونجومها
وكذلك الأفلاك والقمران

إلى أن قال :

وهو الغمام بعينه والثلج والـ
أمطار مع برد ومع حسبان
وهو الهواء بعينه والماء والتـ
ترب الثقيل ونفس ذي النيران
هذي بسائطه ومنه تركبت
هذي المظاهر ماهنا شيئان

= الأنوار البهية (١/١٢٨) .

وهو الفقير لأجل ظهوره
فيها كفقر الروح للأبدان

إلى أن قال :

فالقوم ماصانوه عن إنس ولا
ولا جن ولا شجر ولاحيوان
كلا ولا علو ولا سفل ولا
واد ولا جبل ولا كثبان
كلا ولاطعم ولا ريح ولا
صوت ولا لون من الألوان
لكنه المطعوم والملبوس والـ
مشموم والمسموع بالآذان
وكذاك قالوا إنه المنكوح والـ
ـمذبوح بل عين الغوي الزاني
فالكل عين الله عند محقق
والكل معبود لذي العرفان
هذاهو المعبودعندهم فقل
سبحانك اللهم ذا السبحان[1]

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢١ ـ ٣٢) ، وانظر : فتح الله بخصائص الاسم « الله » لمحمد البازي (٤٤٢) فقد نقل مقررا أن صورة الإنسان مظهر اسم الله.

ومن الإلحاد في أسمائه ـ سحبانه ـ القول فيها بغير علم ، كما يزعم بعض شراحها بأن اسمه ـ تعالى ـ كذا له من الخصائص كذا وكذا ، فأحدهم يزعم أن من خصائص اسم « الله » كونه حارا[1] .

ومن الإلحاد المعاصر فيها : الاستهانة بها فيما يجعله السحرة منها في الحروز ، واستجلاب الشياطين من الجن بجعلها رموزا عليهم .

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله أعلم .

---

(١) ـ انظر : المختصر في معاني أسماء الله الحسنى لمحمود سامي (٨٨١) ، وانظر في الخواص التي جعلها هؤلاء المبتدعة لأسماء الله ـ تعالى ـ : كتاب ولله الأسماء الحسنى لأحمد عبدالجواد ، فقد ذكر لكل اسم خاصية ، وانظر : المختصر في معاني أسماء الله الحسنى .

التعطيل ، كقول آل فرعون[2]

يبين المؤلف في هذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية الأميين والكتابيين ، أنهم كانوا يعطلون الله ـ تعالى ـ عما يجب له .

والتعطيل في اللغة مأخوذ من العطل ، وهو الخلو ، والفراغ ، والترك[3] .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وبئر معطلة ﴾ [الحج : ٤٥] أي : متروكة ، كما قال ذلك ابن عباس[4]، وقتادة[5].

وقال امرؤ القيس[6]:

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) التاسعة والثلاثون .

(٢) في (هـ) زيادة « الله أمرنا بها » .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة « عطل » (٤/٣٥١) ، لسان العرب ، مادة « عطل » (١١/٤٥٣) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/١٨٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٦٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٤٠) وابن جرير في تفسيره (١٧/١٨٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣٦٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٦) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي ، الملك الضِّلِّيل ، من فحول الشعراء في الجاهلية ، وصاحب إحدى المعلقات السبع الشهيرة .

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولابمعطل[1]

وقال لبيد[2]:

يرضن صعاب الدر في كل حجة وإن لم تكن أعناقهن عواطلا[3]

وهو في الاصطلاح ينقسم ثلاثة أقسام هي :

أولا : تعطيل المصنوع عن صانعه .

ثانيا : تعطيل معاملته بترك عبادته ، أوعبادة غيره معه .

ثالثا : تعطيله ـ تعالى ـ عن كماله المقدس ، وذلك بتعطيل أسمائه وصفاته[4] .

وقد وقع أهل الجاهلية في شَرَك هذه الأنواع كلها ، وقد أشار المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إلى النوع الأول منها ، وذلك بقوله : « كقول آل فرعون » ، ويعني به ماحكاه الله ـ تعالى ـ عن فرعون أنه قال : ﴿ وما رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٣٢] ، وذلك حينما ادعى إنكار الله ، وأنه

= انظر : الشعر والشعراء (١/ ١٠٥) ، طبقات الشعراء لابن سلام (٤١ ـ ٤٥) .

(١) ديوان امرؤ القيس (١١٥) ، شرح القصائد العشر لابن النحاس (١/ ٢٤) ، شرح القصائد المشهورة للتبريزي (٤٤) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد (١٢٧) .

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامري ، صحابي جليل ، سكن الكوفة ، وتوفي بها سنة ٤١هـ .

انظر : الثقات لابن حبان (٣/ ٣٦٠) ، طبقات ابن سعد (٦/ ٣٣) ، الإصابة (٣/ ٣٠٧)

(٣) ديوان لبيد (١١٨) .

(٤) انظر : الجواب الكافي لابن القيم (١٥٣) .

لايعرف لقومه إلها غيره ، كما قال ـ فيما أخبر الله تعالى به عنه ـ ﴿ ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري ﴾[القصص : ٣٨] ، لكن تجاهله هذا تجاهل العارف[١]، إذ إنه أنكر وجوده ظاهرا ، بينما هو مقر به في باطنه، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [النمل : ١٤] .

والقول بإنكار وجود الله ـ تعالى ـ هو مذهب الدهرية[٢] ، الذين اخبر الله عنهم أنهم قالوا : ﴿ ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

ومن تعطيل المخلوق عن خالقه : الشرك في الربوبية ، كما فعل ذلك قوم إبراهيم ﷺ ، وقول ملكهم الذي حاج إبراهيم في ربه : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

ومنه ـ أيضا ـ قول المجوس بالأصلين : النور ، والظلمة ، فالنور خالق الخير ، والظلمة خالق الشر[٣].

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) الدهرية : قوم جحدوا وجود الخالق ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه، وبلاصانع ، وأن الأشياء ليس لها أول ألبتة .
انظر في شأن هذه الطائفة : المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي (٩٤ ـ ٩٧) ، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ، رسالة في إبطال مذهب الدهريين لجمال الدين الأفغاني ترجمة محمد عبده ، الدهرية في منتهى الغباوة لنعمان زكي الأحمدي .

(٣) انظر : الجواب الكافي (١٥٣) ، شرح الطحاوية (٨٠) .

ومنه ـ أيضا ـ : قول أهل التثليث من النصارى ، الذين يزعمون أن لعيسى ﷺ تصرفا في الكون[1].

أما النوع الثاني ، فإن أهل الجاهلية : أميهم وكتابيهم قد وقعوا في ذلك أشد الوقوع ، وعبدوا من دون الله ـ تعالى ـ آلهة شتى ، وقد مضى مفصلا[2]

وأما النوع الثالث ، فقد سبق ـ أيضا ـ بيانه عند أهل الجاهلية[3]، وبهذا يتبين أن أهل الجاهلية قد وقعوا في أنواع التعطيل كلها .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، وقد سبق بيان ذلك[4] .

وأنواع التعطيل الثلاثة موجودة في هذا العصر .

فتعطيل المصنوع من صانعه موجود عند الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق ـ جل وعلا ـ ، وأغلب الفلسفات الغربية اليوم على هذا ، ومن هذه الفلسفات على سبيل المثال :

البراجماتية[5]، التي يرى أحد مؤسسيها ، وهو جون

---

(١) انظر : شرح الطحاوية (٨٦) .

(٢) انظر : (ص٩٠ ـ ١٠٠) من هذا البحث .

(٣) انظر : (ص ٤٠٨ ـ ٤١٤) من هذا البحث .

(٤) انظر في بيان النوع الأول (ص ١٠٠ ـ ١٠٤) ، وفي الثاني (ص٤١٤) .

(٥) البراجماتية : مذهب فلسفي يدعو إلى اعتبار النتائج العملية وحدها مقياسا للأعمال ، ويرى أن الغاية تبرر الوسيلة ، وقد وضع أس هذه الفلسفة وليم جيمس المتوفى سنة ١٩١٠هـ .

ديوي[1] أنه لو كان هناك إله يحكم العالم ، ويدبر أمره ، لكان عالما إقطاعيا[2].

ومن هذه الفلسفات ـ أيضا ـ : الوجودية[3] التي يرى مؤسسها أن الله ـ تعالى عن قوله علوا كبيرا ـ مجرد خرافة ، لاحقيقة له[4].

= انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٣٣٥) ، تطور الفكر الغربي ، تأليف د. علي عبدالمعطي وآخرين (٤١٩ ـ ٤٢٤) ، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام د . عبدالحميد الشاعر (٧٥) ، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د . مصطفى حلمي (١٧١ ـ ١٨١) ، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة د. عبدالعظيم المطعني (١٥٣ـ ١٦٠) .

(١) جون ديوي : فيلسوف أمريكي ، ولد سنة ١٨٥٩م ، وتولى التدريس في كثير من الجامعات والمعاهد الأمريكية ، ودافع عن الاشتراكية الديمقراطية ، وتأثر بآراء دارون، ووليم جيمس ، له مؤلفات منها : كيف نفكر ، الديمقراطية والتربية ، وتوفي سنة ١٩٥٣م .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٨٤١ ـ ٨٤٢) .

(٢) انظر : التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام (٧٥) .

(٣) الوجودية : مذهب فلسفي أسسه شخص اسمه سورين كير كجارد ، المولود سنة ١٨١٢م ، والمتوفى سنة ١٨٥٥م ، من أهم أفكارهم ، زعمهم أن الإنسان أقدم شيء في الوجود ، وأن ماجاءت به الأديان ليس سوى عائق أمام حرية بني الإنسان ، لذا لابد من نبذه ، والتخلص منه .
انظر : المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د . عبدالرحمن عميرة (٢١٣ ـ ٢٤٦)، الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة (١٥٥ ـ ١٧١) ، تطور الفكر الغربي (٤٣٣ ـ ٤٣٨) ، الموسوعة العربية الميسرة (١٩٤٥) ، أخطاء المنهج الغربي الوافد لأنور الجندي (٤٠٥ ـ ٤١١) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (٥٤١ ـ ٥٤٥) .

(٤) انظر : فلسفة جان بول سارتر د . حبيب الشاروني (٦٠) ، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام (٧٦) ، السارترية د ، خليل أحمد خليل (٢٧ ـ ٢٨) ، سارتر =

ومن تلك الفسلفات : الماركسية التي يزعم مؤسسوها أن الله تاريخيا وشعبيا ، وقبل كل شيء ، مجموعة من الأفكار التي ولدها غباء الإنسان المكبل بالأغلال ، ويقولون : لاإله والحياة مادة[1].

ومن تلك الفلسفات ـ أيضا ـ : المثالية[2] التي تنكر وجود أي شيء خارج العقل ، فمالا يدركه العقل يستحيل وجوده[3]، ومن ذلك وجود الله .

ومنها ـ أيضًا ـ :نظرية النشوء والارتقاء[4]، التي أسف مؤسسها الأول

= والوجود د . سليمان بطرس (١٥ ـ ١٦) ، وجودية سارتر د. آدم إبراهيم (٣٤) .

(١) انظر : المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي لمحمد الحسن (٢٠٦) .

(٢) المثالية : ملهب فلسفي يقول : إن حقيقة الكون أفكار ، وصور عقلية ، وإن العقل مصدر المعرفة .
انظر :حول المثالية والواقعية لمحمد التسخيري ، الموسوعة العربية الميسرة (١٦٤٥)، تطور الفكر الغربي (٤٢٥ ـ ٤٢٨) .

(٣) انظر : المرجعين الأخيرين .

(٤) نظرية النشوء والارتقاء ، أو نظرية التطور ، نظرية أسسها تشارلز دارون ، وكانت تقول في أول أمرها : إن الكائنات الحية تسير في تطورها مرتقية من أدنى الأحياء ، وأخسها إلى أعلاها وأشرفها ، وهو الإنسان ، ثم عممت هذه النظرية حتى على غير الكائنات الحية ، وهي تقوم على أسس ثلاثة : تنازع البقاء ، والانتخاب الطبيعي ، والبقاء للأصلح .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٧٧٤) ، كواشف زيوف لعبدالرحمن الميداني (٣١٧ ـ ٣١٨) ، مذاهب فكرية معاصرة (٩٣ـ ١٠١) ، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة (١٤٤) ، عصر الإلحاد لمحمد الندوي (١١٨ ـ ١٣٩) ، دارون ونظرية التطور لشمس الدين بلوت ، نظرية التطور الداروينية لطالب الجنابي .

داروين[1]على استعماله لفظ « الخالق » مجاراة للرأي العام[2].

ومنها مدرسة التحليل النفسي[3]عند فرويد[4]التي تقوم على أساس أن الإنسان كائن مادي ناتج عن تطور المادة تطورا ذاتيا[5].

فهذه بعض الأمثلة على وجود تعطيل المصنوع عن صانعه في الفلسفات الغربية ، وهي قليل من كثير ، وإلا فإن لقائل أن يقول ـ

---

(١) هو تشارلز روبرت داروين ، فيلسوف بريطاني ، ولد سنة ١٨٠٨م ، ودرس الطب ، وفشل فيه ، ثم درس اللاهوت ، ثم انتقل إلى دراسة علم الأحياء ، وكون نظريته في التطور ، وكتب كتبا ، منها : أصل الأنواع ، أصل الإنسان .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٧٧٤) ، كواشف زيوف (٣١٧) ، مذاهب فكرية معاصرة (٩٣) .

(٢) انظر : تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم (٣٥٤ ـ ٣٥٥) ، كواشف زيوف (٣٢٠) ، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام (٧٣) .

(٣) هي مدرسة تهتم بدراسة النفس الإنسانية ، وتقوم على أساسين : أحدهما : الإلحاد بالله ، وإنكار الغيبيات ، واعتبار أن الإنسان ظاهرة مادية فقط ، ثانيهما : الإباحة الجنسية ، وحث الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرية تامة ، وبهذين الأساسين فسر نشأة المجتمع ، والدين ، والحضارة .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٤٦٩ ـ ٤٩٧) ، كواشف زيوف (٢٨٩ ـ ٣١٥) ، الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب (١٩ ـ ٤٧) ، عصر الإلحاد (١٥٢ ـ ١٦٤)، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة (١٤٤ ـ ١٥٣) .

(٤) هو سيجموند فرويد ، طبيب نمساوي ملحد ، ولد سنة ١٨٥٦هـ ، وأسس مدرسة التحليل النفسي ، له مؤلفات منها : تفسير الأحلام ، ثلاث رسائل في نظرية الجنس.
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (١٢٩٧) ، كواشف زيوف (٢٨٩) ، الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة (١٤٤) .

(٥) انظر : كواشف زيوف (٢٩٣) .

ولاغضاضة عليه فيما قال ـ : إن الفلسفات الغربية كلها اليوم إلحادية .

كما أن من صور تعطيل المخلوق عن خالقه مايدعيه المعتزلة من هذه الأمة من كون العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ، والله ـ تعالى ـ ليس له فيها خلق ، كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ[١]

وأما تعطيل الخالق عن كماله المقدس[٢] ، وتعطيله عما يستحقه من العبادة[٣] ، فقد مضى مفصلا ولله الحمد والمنة .

---

(١) انظر : شرح المسألة الرابعة والأبعين .

(٢) انظر : (ص٤١٥ ـ ٤١٩) .

(٣) انظر : (ص١١٩ ـ ١٢٣) .

الحادية والأربعون[1]

نسبة النقائص إليه ، كالولد ، والحاجة[2] ، والتعب ، مع تنزيههم رهبانهم[3] عن بعض ذلك[4] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المسألة ، أن من خصال أهل الجاهلية ، أنهم كانوا ينسبون إلى الله ـ تعالى ـ مالايليق به من صفات النقص ، التي يرون أن الكمال التنزه منها ، وأنهم مع إطلاقهم هذه الصفات على الله ـ جل وعلا ـ كانوا ينزهون كبراءهم عنها .

ومن هذه النقائص التي أضافوها إلى الله ـ تعالى ـ ، ونزهوا أنفسهم عنها ، زعمهم أن الملائكة بنات الله ـ تعالى ـ ، مع كراهيتهم لذلك .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون ﴾ [النحل : ٥٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ○ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ○ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الأربعون .
(٢) في (د) : « الصاحبة » .
(٣) في (ب) : « ربها لهم » .
(٤) في (جـ) : « نسبة النقائص إليه » فقط .

شهادتهم ويسألون ﴾ [الزخرف : ١٧ـ ١٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ﴾[الإسراء : ٤٠] .

ومنها : تنزيه النصارى أحبارهم عن أن يولد لهم ؛ لأنهم يزعمون أن الراغبين في تحصيل الكمالات كالرهبان وأضرابهم ، لابد أن يترفعوا عن التدنس بدناءة التمتع بالنساء ، اقتداء بالمسيح ﷺ[(١)]، ومع ذلك يصفون الله ـ تعالى ـ بالأبوة ، كما قال ـ تعالى ـ ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾[التوبة : ٣٠] .

ومن النقائص التي نسبها إليه أهل الجاهلية : الحاجة ، فقد زعم اليهود ـ أخزاهم الله ـ أن الله ـ تعالى ـ محتاج إليهم ، كما جاء ذلك في سبب نزول قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١]

فقد جاء أن أبا بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ دخل بيت المدراس[(٢)] فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له « فنحاص»[(٣)]

---

(١) انظر : شرح مسائل الجاهلية (٣٤) .

(٢) المدراس : البيت الذي يدرس فيه اليهود .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/١١٣) ، لسان العرب ، مادة « درس » (٦/ ١٨٠) .

(٣) فنحاص : يهودي من بني قينقاع ، وهو من أعداء الرسول ﷺ ، ومن فسقة أحبار اليهود ، وممن طلب نزول كتاب من السماء ، ولم أجد من أرخ وفاته .

=

وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر يقال له : « أشيع »[1]، فقال له أبو بكر : ويحك يافنحاص ، اتق الله ، وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ، فقال فنحاص : والله يأبا بكر مابنا إلى الله من حاجة ، من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، مانتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا مااستقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ، ويعطينا ، ولو كان غنيا ماأعطانا الربا . . . »[2].

فهذا الخبيث قد نسب الفقر والحاجة إلى الله ـ تعالى ـ ، ونزه نفسه وطائفتَه عن ذلك .

ومن النقائص التي نسبها إليه أهل الجاهلية ـ أيضًا ـ : التعب ، فقد نسبه اليهود إليه ، كما جاء ذلك في سبب نزول قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض ومابينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾[ق : ٣٨] .

= انظر : سيرة ابن إسحاق كما في مختصر ابن هشام (١/ ٥١٤ ، ٥٧٠، ٥٥٨) .

(١) أشيع : يهودي من بني قينقاع ، يقترن كثيرا اسمه بسابقه ، وهو مثله في الفسق ، ولم أجد من أرخ وفاته .
انظر : المرجع السابق ، نفس الصحائف .

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (١/ ٣٢٨) ، وابن إسحاق في السيرة ، كما في مختصر ابن هشام (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) ، وابن جرير في تفسيره (٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) .

ومن هذه النقائص : البخل ، كما قال ـ جل وعلا ـ مخبرا عنهم: ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ [المائدة : ٦٤] .

ومنها : الندم على الفعل(١)، والحزن(٢)، والنسيان(٣).

وفي التوراة التي بين أيدي اليهود من نسبة النقائص إلى الله ـ جل وعلا ـ مالايكاد يحصر .

فالمقصود أن أهل الجاهلية قد أضافوا إلى الله ـ تعالى ـ من النقائص ماتنزهوا عنه .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فقد أبطل ـ تعالى ـ هذه الخصلة ، واجتث أصولها ، فكان مما أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ ، تنزيه نفسه الكريمة عما نسبه إليها أهل الجاهلية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل هو الله أحد ○ الله الصمد ○ لم يلد ولم يولد ○ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [الإخلاص : ١ـ ٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾[الصافات : ٨١] .

ولما ادعى المشركون أن الله ـ تعالى ـ قد اتخذ صاحبة وولدا ، رد

---

(١) انظر : أسفار العهد القديم ـ سفر التكوين ـ الإصحاح السادس ـ الفقرة ١ ـ ٤ ، سفر صموئيل الثاني ـ الإصحاح الرابع والعشرين ـ الفقرة ١٦

(٢) انظر : سفر التكوين ـ الإصحاح السادس ـ الفقرة ٦

(٣) انظر : سفر التكوين ـ الإصحاح التاسع ـ الفقرة ١٣ ـ ١٧ .

الله ـ تعالى ـ عليهم قالتهم تلك ، وأبطلها ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ○ بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾ [الأنعام : ١٠٠ـ ١٠١] .

ولما وصفوه بالتعب ، أجابهم بقوله : ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾.

ونزه النبي ﷺ ربه عما لايليق به ، كما في قوله ﷺ : « والشر ليس إليك»[١].

وإذا كان اليهود والنصارى والأميون قد نسبوا النقائص إلى الله ـ تعالى ـ فإن لهم اليوم بقية ووارثا ، وذلك أن كثيرا من طوائف الضلال قد قلدوهم في هذه الخصلة ، بل ربما زادوا عليهم كفرا وطغيانا ، ومن ذلك مازعمه القاديانيون من كونه ـ تعالى ـ يجامع ، ويباشر ، ويولد له ، وذلك أنهم زعموا أن الله ـ تعالى ـ يجامع نبيهم، وأنه يولد له منه أولاد ، وأنه قال لكبيرهم : « اسمع ياولدي »[٢].

كما أنهم يعتقدون أن الله ـ تعالى ـ يخطيء ، ويصيب ، كما يشبهونه بالأخطبوط[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ـ (١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦) ح٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب .

(٢) انظر : القاديانية لأحسان إلهي ظهير (١٠٠) .

(٣) انظر : المرجع السابق ، نفس الصحيفة .

ومن صور نسبة النقائص لله ـ تعالى ـ في هذا العصر أن بعض الحداثيين[1] لايتورعون عن وصف الله ـ تعالى ـ بأي وصف ، ولاعن تسميته بأي اسم ، وذلك فيما يزعمونه شعرًا ، وإليك شيئا مما قالوه في هذا :

يقول بدر شاكر السياب :

محمد اليتيم أحرقوه .

فالسماء .

يضيء من حريقه .

وفارت الدماء من يديه .

من عيونه .

وأحرق الإله في جفونه .[2]

= والأخطبوط : حيوان رخوي ، بحري يوجد بالبحار الدافئة ، وجسمه كيسي الشكل، وله ثمانية أذرع .
انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٦٥) .

(١) الحداثة : دعوة إلحادية ، متلبسة بلباس الأدب ، وتعني الثورة على كل ماكان وماهو كائن في المجتمع من قيم وأخلاق ودين .
انظر في شأنها : الحداثة في ميزان الإسلام لعوض القرني ، الحداثة د . محمد خضر عريف ، الحداثة من منظور إيماني د . عدنان رضا النحوي ، أسلوب جديد في حرب الإسلام لجمعان الزهراني ، مجلة الحرس الوطني ، الصادرة في ربيع الآخر ١٤١٠هـ مقال بقلم د . محمد مصطفى هدارة .

(٢) بين الأصالة والحداثة لأحمد فرح عقيلات (١٥) .

ويقول أدونيس :

مات إله كان هناك .

يهبط من جمجمة السماء .[1]

ويقول صلاح عبدالصبور :

ملاحنا ينتف شعر الذقن في جنون .

يدعو إله النقمة المجنون .

أن يلين قلبه .

ولايلين .[2]

ويقول عبدالعزيز المقالح :

صار الله رمادا .

صمتا ، رعبا ، في كف الجلادين .

حقلا ينبت سبحات وعمائم بين الرب الأغنية الثروة .

والرب القادم من هوليود .

كان الله قديما حيا .

كان سحابة .

كان نهارا في الليل .

---

(١) شعراء السعودية المعاصرون د . أحمد كمال زكي (١٤٤) .

(٢) الحداثة في ميزان الإسلام (١٠٦) .

أغنية تغسل بالامطار الخضراء تجاعيدالأرض[1].

﴿ سبحانك ربك رب العزة عما يصفون ﴾

ومن نسبة النقائص إليه ـ تعالى ـ : مايزعمه غلاة المتصوفة من أن الله ـ تعالى ـ له كل اسم ووصف قبيح وحسن[2] .

ومن ذلك ماسبق ذكره من إلحاد فرق المبتدعة في أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته[3] .

والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) الحداثة في ميزان الإسلام (٨٦) .

(٢) انظر : (ص٤١٧ ـ ٤١٩) من هذا البحث .

(٣) انظر : (ص٤١٥) من هذا البحث .

الثانية والأربعون[1]

الشرك في الملك ، كقول المجوس[2] .

يشير المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة إلى ماكان عليه المجوس من الاشتراك في ملكية الأشياء من الأموال ، والنساء ، وغير ذلك .

وهذا الأمر أول من دعا إليه مزدك[3] الذي ظهر في عهد قباذ[4] ، فاستجاب له ، ثم بعد أن تولى ابنه أنوشروان[5] أمر الفرس قتله ، وخلص

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الحادية والأربعون .
(٢) في (ب) : « كالمجوس » .
(٣) هو مزدك بن الموبذاد ، رجل إباحي ، ظهر زمن قباذ ، وادعى النبوة ، ثم أظهر من أمره ماذكرت أعلاه ، ودعا الناس إلى ذلك ، فأجابه قباذ ، ثم قتله أنوشروان .
انظر : تاريخ ابن جرير (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) ، الفهرست لابن النديم (٤٠٦) ، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٧٦) ، أخبار الدول وآثار الأول للقرماني (٣/ ١٥٢) .
(٤) هو قباذ بن يزدجرد بن بهرام جمر ، أحد ملوك الفرس ، وكان زنديقا يظهر كراهته للدماء والظلم ، وقد عزله الفرس لما استجاب لمزدك ، وولوا أخاه جاماسف ، إلا أنه عاد مرة أخرى للحكم بعد أن انتصر على أخيه .
انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (١/ ٢٧٣) ، الكامل في التاريخ (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) ، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٧٦) ، أخبار الدول (٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣) .
(٥) هو أنو شروان بن قباذ ، ملك من ملوك الفرس ، تولى الأمر بعد قتله أباه ، وقضى على المزدكية ، واستأصلهم ، وحكم الفرس سبعة وأربعين عاما وسبعة أشهر .
انظر : تاريخ ابن جرير (٢/ ٩٨ ـ ١٠٤) ، الكامل في التاريخ (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٦٠) ، =

الناس من ذلك .

والذي حمل مزدك على القول بذلك ، زعمه إرادة مجتمع سالم من المخالفة والبغضاء ، ورأى أن أكثر مايقع بين الناس من البغضاء والمخالفة إنما سببه اقنساء والأموال ؛ لذا أحلهما ، وجعل الناس شركاء فيهما ، كاشتراكهما في اقماء والنار والكلأ[1]

ولاأعلم لهذه الخصلة وجودا عند أهل الكتاب ، كما أنها ـ حسب علمي ـطن تكن حتى منتشرة انتشارا كبيرا بين المجوس ، إنما كانت لفترة زمنية معينة ، وبالتحديد في عهد قباذ ، ثم قضي عليها ، بالقضاء على قباذ ومزدك .

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فلإسلام أباح الملكية الفردية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون ﴾ [البقرة :٢٧٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ [النساء : ٧] .

= المختصر في أخبار البشر (١/ ٥١ ـ ٥٢) ، أخبار الدول (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٤) .

(١) انظر : تاريخ اليعقوبي (١/ ١٦٤) ، تاريخ ابن جرير (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) ، الفهرست لابن النديم (٤٠٦) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢٧٤) ، الملل والنحل (١/ ٢٤٩) ، البدء والتاريخ (٣/ ١٦٧ ـ ١٦٨) ، تلبيس إبليس (٨٨) ، الكامل في التاريخ (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٩) ، المختصر في أخبار البشر (١/ ٥١) ، تاريخ ابن خلدون (٢/ ١٧٦) ، أخبار الدول (٣/ ١٥٢) .

ولما أباحها ، حماها ، ورتب العقوبات في سبيل ذلك لمن اعتدى عليها ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ [النساء : ١٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ۝ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ [النساء : ٢٩ ـ ٣٠] .

وبين ﷺ حرمة الاعتداء على أموال الآخرين ، فقال في خطبته العظيمة ، خطبة الوداع : « إن دماءكم ، وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا »[1] وقال ﷺ : « لايحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه »[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب قول النبي ﷺ « رب مبلغ أوعى من سامع » ـ (١/ ١٢٤ ـ ١٢٥) ، وفي باب ليبلغ الشاهد الغائب ـ (١/ ٣٤ ـ ٣٥) ، وفي كتاب الحج ـ باب الخطبة أيام منى ـ (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢) ، وفي كتاب المغازي ـ باب حجة الوداع ـ (٥/ ١٢٦ ـ ١٢٧) ، وفي كتاب الأضاحي ـ باب من قال الأضحى يوم النحر ـ (٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) ، وفي كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ «لاترجعوا بعدي كفارا » (٨/ ٩١) ، وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ـ (٨/ ١٨٥ ـ ١٨٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب القسامة ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ـ (٣/ ١٣١٥ـ ١٣١٧) ح١٦٧٩ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٧٢) ، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٤٥) الحديث رقم (١٧٥٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الغصب ـ باب من غصب لوحا . . . (٦/ ١٠٠) ، والدارقطني في السنن ـ كتاب البيوع ـ (٣/ ٢٦) ح٩٢ =

بل إن الإسلام رتب الأجر العظيم على من قتل في سبيل المحافظة عليها ، كما قال ﷺ : « ومن قتل دون ماله فهو شهيد»[1].

فهذا هو منهج الإسلام في هذه المسألة ، ولاريب أنه منهج عدل، لاشطط فيه ، بخلاف المناهج الأخرى التي بخست الناس حقوقهم ، فلله الحمد والمنة .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، وتتمثل في المذهب الشيوعي ، الذي يدعو إلى إلغاء الملكية الفردية ، وإحلال الملكية الجماعية

= عن أبي حرة الرقاشي عن عمه .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٧٢) : « رواه أبو يعلى ، ومرة وثقه أبوداود ، وضعفه ابن معين » .
وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٥) ، والطحاوي في مشكل الآثار ـ باب بيان مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ في الضيافة ـ (٤/ ٤٢) ، وفي شرح معاني الآثار ـ باب الرجل يمر بالحائط أله أن يأكل منه أم لا ـ (٤/ ٢٤١) عن أبي حميد الساعدي .
وأخرجه الدارقطني في سننه ـ كتاب ـ (٣/ ٢٦) ح٩١ عن أنس من طريقين ، قال الزيلعي عنهما في نصب الراية (٤/ ١٦٩) : « الأول فيه مجاهيل ، والثاني فيه علي بن زيد بن جدعان » .
وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٣) و (٥/ ١١٣) ، والطحاوي في مشكل الآثار ـ باب بيان مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ في الضيافة . . . (٤/ ٤١ ـ ٤٢) ، وفي شرح معاني الآثار ـ باب الرجل يمر بالحائط أله أن يأكل منه أم لا ـ (٤/ ٢٤١) ، والدارقطني في السنن ـ كتاب البيوع ـ (٣/ ٢٦) ح٩٠ ، عن عمرو بن يثربي .
قال الزيلعي في نصب الراية (٤/ ١٦٩) : « وإسناده جيد » .
والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه في إرواء الغليل (٥/ ٢٧٩ ـ ٢٨٢) ح١٤٥٩

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المظالم والغصب ـ باب من قتل دون ماله ـ (٣/ ١٠٨) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الأيمان ـ باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان مهدر الدم . . . (١/ ١٢٤) ح٢٢٦ .

محلها ، وذلك عن طريق ماأسموه بالبروليتاريا ، وهي طبقة العمال ، فهم يرون أنه حينما تتسلم هذه الطبقة مقاليد الحكم عن طريق الثورة التي يقومون بها ، فإنه تُلغى الملكية الفردية إلغاء تاما لارجعة فيه أبدا[1].

ومما يجدر ذكره هنا أن التعليل الذي علل به الشيوعيون المتأخرون هو ماعلل به مزدك على شيوعيته ، وهو أن الصراع بين الناس إنما ينشأ بسبب الأموال والنساء[2] .

وقد بدأ هذا المذهب ـ ولله الحمد والمنة ـ في الزوال ، وذلك بعد القضاء عليه في معقله الرئيس : الاتحاد السوفيتي سابقا ، وألمانيا الشرقية على يد فلاسفته ، والمنظرين له ، ولم يبق له وجود سوى في عدد قليل من البلاد ، مثل كوبا ، والصين الشعبية ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون ﴾ .

---

(١) انظر : مذاهب فكرية معاصرة (٢٩٢ ـ ٢٩٣) ، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (١٢١ـ ١٢٢) ، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي (٢٠١ ـ ٢٠٢) ، سقوط الماركسية د. وحيد الدين خان (٢٢١) ، الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة د . يوسف كمال (٥٧ ـ ١١٣) ، الفكر المادي في ميزان الإسلام (٨٥ ـ ٩٢) .

(٢) انظر : مذاهب فكرية معاصرة (٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، الفكر المادي في ميزان الإسلام (٨٥ ـ ٨٧) .

الثالثة والأربعون[1]

جحود القدر .

لم يكن أهل الجاهلية على مذهب واحد في القدر ، وإنما كانوا على مذاهب مختلفة ، فمنهم من يجحده ، ومنهم من يجعله حجة له على ربه ، ومنهم من يعارض شرع ربه به .

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذه المذاهب كلها ، وهو هنا يشير إلى أحدها ، وهو مذهب من جحده .

فقد كان من أهل الجاهلية من يرى أن الأمور ليست بتقدير الله ـ تعالى ـ ، وأنه لاعلم له بها ، ولاحكمة له في خلقها ، وإنما كل ذلك مجرد خبط عشواء ، ونتيجة لما يجري به الدهر ، وتعاقب الليل والنهار.

وقد بين الله ـ تعالى ـ ضلالهم في هذه المسألة في آيات منها قول المنافقين بعد غزوة أحد : ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا﴾[آل عمران : ١٥٤] .

فرد الله ـ تعالى ـ ذلك عليهم بقوله : ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الثانية والأربعون .

أي : إن هذا أمر قدره الله ، وحكم حتم لامحيد عنه[1].

ومنها قوله ناهيا عباده المؤمنين عن مشابهة المنافقين في ذلك : ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾[آل عمران : ١٥٦] .

ومنها قوله ـ تعالى ـ رادا على المنافقين : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[آل عمران : ١٦٨] .

وقوله ـ تعالى ـ ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩] .

فقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن مشركي مكة أتوا النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية[2].

ووجه الدلالة من هذه الآية ، أن الله ـ تعالى ـ قال :﴿ خلقناه ﴾ والخلق أحد مراتب القدر[3]، فلو كانوا يخاصمون النبي ﷺ محتجين بالقدر ، لما ناسب أن يقول : ﴿ خلقناه ﴾ ، لأن الذي يحتج بالقدر لاينفي الخلق ،

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤١٨/١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب كل شيء بقدر ـ (٢٠٤٦/٤)ح٢٦٥٦ .

(٣) انظر : العقيدة الواسطية (١٨٥) ضمن مجموع رسائل مفيدة ومهمة ، شفاء العليل (٤٩ ـ ٦٤) .

كما أن من نفي القدر : نفي كون الأشياء من خلق الله ، ونسبتها إلى غيره ، كالدهر ، كما جاء ذلك في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾[الجاثية : ٢٤] .

فالموت والحياة ليستا بتقدير الله ، وإنما من فعل الدهر .

وقد جاء في أشعارهم مايدل على نفيهم القدر ، كما قال الأعشى[١]:

استأثر الله بالوفاء وبالعدل   وولى الملامة الرجلا[٢]

وكما قال زهيربن أبي سلمى[٣]:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم[٤]

---

(١) هو ميمون بن قيس بن الجندل ، أبو بصير ، من بكر بن وائل ، من شعراء النصرانية في الجاهلية ، له ديوان شعر مطبوع .
انظر : طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (٤١) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٢٥٧ ـ ٢٦٦) ، الأغاني (٩/١٠٨ ـ ١٢٨) .

(٢) الأغاني (٩/١٢٥) .

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني ، من شعراء النصرانية في الجاهلية ، وصاحب إحدى المعلقات السبع ، وكان حكيما ، عاقلا .
انظر : طبقات الشعراء (٢٥) ، الشعر والشعراء (١/١٣٧ـ ١٥٣) ، الأغاني (٩/١٣٩ـ ١٥١) .

(٤) ديوان زهير (١١٠) ، شرح القصائد المشهورات (١/١٢٥) ، شرح القصائد العشر (١٥٣) ، جمهرة أشعار العرب (١٧٣) .

فما يجري على الفتى من خير وشر ، ليس بتقدير الله ـ بزعمه ـ ، وإنما سببه تلاعب الدهر وروغانه .

وهذه المسألة من مسائل الأميين كما تبين من الآيات ، ومن مسائل الكتابيين كما في بيت الأعشى وزهير .

وهو يحكى مذهبا للربانيين من اليهود[1]، وللنسطورية من النصارى[2] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فأثبت القدر ، ولم يجحده ، وبين أنه أحد أركان الإيمان التي لايتم إيمان عبد حتى يستكملها كلها ، كما في قوله ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ،

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/ ٢١٢) .
والربانيون :إحدى طوائف اليهود ، ويطلق عليهم الأشعنية ، والفريسيون ، أي : المعتزلة ، ومن أهم معتقداتهم : زعمهم أنهم خاصة الخاصة ، وأن كلام الحاخامات أفضل من كلام الأنبياء ، وأن من يقرأ التوراة دون أن يقرأ المشناة والجمارا ، فليس له إله .
انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٧٨) ، الملل والنحل (١/ ٢١٢) ، إفحام اليهود للسموأل (١٧٤) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د . محمد البار (٢٤١ ـ ٢٥١) .

(٢) انظر : الملل والنحل (١/ ٢٢٥) .
والنسطورية : طائفة من طوائف النصارى ، وهم أصحاب نسطور الحكيم ، الذي ظهر زمن المأمون ، ومن أهم معتقداتهم : زعمهم أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود، والحياة ، والعلم ، وزعمهم أن القتل الذي وقع على المسيح إنما وقع من جهة ناسوته ، لامن جهة لاهوته ، وزعمهم أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ، كما تقوله المعتزلة .
انظر : الملل والنحل (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي (١٤٨) .

وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

وبين ﷺ كتابة الله ـ تعالى ـ المقادير ، وقدمها بقوله : «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء »[2].

وبين ﷺ أن كل شيء بقضاء الله وقدره ، لايعزب عن ذلك شيء، كما في قوله ﷺ: « كل شيء بقدر »[3].

ونهى ﷺ أمته عن التحسر على مافاتها ، وأرشدها إلى ماهو خير من ذلك كله ، وهو الإيمان بأن ماجرى إنما هو بقضاء الله وقدره ، كما في قوله ﷺ : « احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولاتعجزن، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله ، وماشاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان »[4]

والأحاديث الدالة على وجوب الإيمان بالقدر ومراتبه كثيرة جدا ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله . . . (١/٣٦ ـ ٣٨) ح٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى ـ (٤/٢٠٤٤) ح٢٦٥٣ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب كل شيء بقدر ـ (٤/٢٠٤٥) ح٢٦٥٥

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب في الأمر بالقوة . . . ـ (٤/٢٠٥٢) ح٢٦٦٤ .

وجحود القدر من المسائل التي لاتزال موجودة ، فإن من أهل الضلال من يجحده كلية ، ويدعو غيره إلى الكفر به ، كما فعل ذلك القصيمي حين زعم أن الإيمان بالقدر سبب تأخر المسلمين عن مواكبة ركب الحضارة الدنيوية ، وأنه كان سبباً ـ بزعمه ـ في إلقاء الوهن بين الناس[1] .

ومثله حسين أمين الذي يرى أن عقيدة الإيمان بالقدر عقيدة بدوية لاتناسب المدنية والتطور الذي يشهدهما العالم اليوم[2] .

ومن أهل الضلال من يجحده بجحد بعض مراتبه ، كالإرادة والخلق ، وهؤلاء هم المعتزلة[3] ، ومن اعتقد معتقدهم من الرافضة[4] ، وبعض الماتريدية ، كالكوثري[5] ، وبعض الأشاعرة كمحمد عبده في أحد

---

(١) انظر : الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال (٢٧) ، بيان الهدى والضلال في الرد على صاحب الأغلال لإبراهيم السويح (٢/ ١٨٩) ، الرد القويم على ملحد القصيم لعبد الله اليابس (٣٧٠) .

(٢) انظر : العقلانية هداية أم غواية (١٢٩) .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة (٣٢٣ ـ ٣٩٠) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٨٢) ، الفرق بين الفرق (١١٤ ـ ١١٥) ، الإرشاد لأبي المعالي (١٧٣) ، الملل والنحل (١/ ٤٥) ، التبصير في الدين (٦٤) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٥٠) .

(٤) انظر : اعتقادات الصدوق (١٩٧) ، مقالات الإسلاميين (١/ ١١٥) ، الفصل (٣/ ٨٢) ، منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) ، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة لهاشم معروف الحسيني (٢٤٠) ، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن المحمود (٢٦١) .

(٥) انظر : تحت سلطان القدر لمصطفى صبري (٢٠ ـ ٢١) .
والكوثري هو محمد بن زاهد بن حسن الكوثري ، ولد سنة ١٢٩٦هـ ، وتولى وكالة مشيخة الإسلام العثمانية ، وكان حنفيا ، ماتريديا ، قبوريا ، خبيث المعتقد ، بذيء =

رأييه[1] ، ومحمود شلتوت[2] ، وغيرهم .

فهؤلاء يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه ، وليس الله ـ تعالى ـ ، والخلق أحد مراتب القدر ، كما أنهم ينفون إرادة الله ـ تعالى ـ ، والإرادة ـ أيضًا ـ من مراتب القدر[3] .

وبما ذكرته يتبين أن الكفر بالقدر مايزال موجودا في هذا العصر ، مع أني تركت الإشارة إلى ذكر من لم يؤمن بالله ربا ؛ لأن من لم يؤمن بذلك ،

= اللسان ، فيه شيء من الرفض ، لم ينج من لسانه أحد حتى أصحاب محمد ﷺ ، وكان ومايزال ممقوتا من قبل أهل العلم ، له مؤلفات منها : تأنيب الخطيب على ماساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب ، الاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار ، هلك سنة ١٣٧١هـ .
انظر : تأنيب الخطيب له ، التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل لعبدالرحمن المعلمي ، براءة اللمة من الوقيعة في علماء الأمة لبكر أبو زيد ، الأعلام (٦/١٢٩) .

(١) انظر : الأعمال الكاملة لمحمد عبده (٣/٤٨٤ ـ ٤٨٥) ، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (١٧٦) .
ومحمد عبده هو ابن حسن خير الله ، مفتي مصر سابقا ، ولد سنة ١٢٦٦ هـ ، وكان عقلانيا ينتمي لمدرسة جمال الدين الأفغاني ، له مؤلفات منها : رسالة التوحيد ، تفسير القرآن الحكيم ، ولم يكمله ، توفي سنة ١٣٢٣ هـ .
انظر : تأريخ الأستاذ الإمام لمحمد رشيد رضا ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث (٢٨٠ ـ ٣٣٧) ، الأعلام (٦/٢٥٢ ـ ٢٥٣) .

(٢) انظر : فتاوى الشيخ شلتوت (٤٧) ، الإسلام عقيدة وشريعة (٤٩) ، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (١٧٦) .
ومحمود شلتوت مفتي مصر سابقا ، ولد سنة ١٣١٠هـ ، وله مؤلفات منها : الإسلام عقيدة وشريعة ، الفتاوى ، وتوفي سنة ١٣٨٢هـ .
انظر : الأعلام (٧/١٧٣) .

(٣) انظر : العقيدة الواسطية ضمن مجموع رسائل مهمة ومفيدة (١٨٥) ، شفاء العليل (٤٣ ـ ٤٩) .

لم يؤمن من باب أولى بما يصدر عنه ـ جل وعلا ـ .

الرابعة والأربعون[1]

الاحتجاج على الله به[2] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة مذهبا آخر من مذاهب أهل الجاهلية الأميين والكتابيين في مسألة القدر .

وهذا المذهب هو مذهب المحتجين على الله ـ تعالى ـ بقدره السابق ، فيزعمون أن ماهم فيه من الغواية والضلال ، إنما سببه القضاء والقدر ، فالله ـ تعالى ـ هو الذي ختم على قلوبهم بحيث لايصل إليها شيء من الهدى ، وهو الذي جعل عليها الأكنة ، وطبع عليها ، وهم لاحيلة لهم في ذلك ، بل هم مجبورون على ماهم فيه .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف ـ بزعمهم ـ يدعوهم إلى الهداية والرشاد ، وترك الغي والفساد ؟وكيف يعذبهم على ماليس لهم فيه حيلة؟ .

وهذه الحجة أول من احتج بها إبليس[3] حيث قال : ﴿ رب بما أغويتني ﴾ [الحجر : ٣٩] .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الثالثة والأربعون .

(٢) « به » ساقط من (أ) و (جـ) ، وفي (ب) و (هـ) : «الاحتجاج به على الله »

(٣) انظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين (٦٨) ، تفليس إبليس للعز بن عبدالسلام (٣٥) .

فهو نسب الغواية إلى الله ـ تعالى ـ محتجا ، ولم يعترف بذنبه .

وقد سار على نهج إبليس أتباعه من الجاهليين ، فقد أخبر ـ تعالى ـ عن أهل الكتاب أنهم قالوا : ﴿ قلوبنا غلف ﴾[النساء : ١٥٥] أي : لاتعي ماتقول ، ولاتفهمه .

وهو مذهب القرائين من اليهود(١).

كما أخبر ـ تعالى ـ أن الأميين قالوا : ﴿ قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ﴾ [فصلت : ٥]

فهم احتجوا على الله ـ تعالى ـ حينما لم يؤمنوا بكونه لم يفتح لهم طريق الهداية ، فيوفقهم إلى الفهم الذي يميزون به بين ماينفعهم ومايضرهم .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/ ٢١٢) .
والقراؤون : طائفة من طوائف اليهود ، ويسمون بالعنانيين ، نسبة إلى عنان بن داود، من أهم معتقداتهم : تصديقهم عيسى ﷺ في مواعظه وإشاراته ، وزعمهم أنه رجل صالح ، ولم يدع النبوة ، وأن اليهود ظلموه ، وينكرون الإنجيل .
انظر : الملل والنحل (١/ ٢١٥) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٢) ، إفحام اليهود (١٧٢) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (٢٧٨ ـ ٢٨٢) .

وعن عمران بن حصين[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه سأل النبي ﷺ أعُلم أهلُ الجنة من أهل النار ؟فقال ﷺ : « نعم » فقال : ففيم يعمل العاملون ؟ فقال : « كل ميسر لما خلق »[2].

وعن سُراقةَ بنِ مالك[3] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال لرسول الله ﷺ : بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، ففيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟ فقال ﷺ : « لا ، بل فيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير » ، قال : ففيم العمل ؟ فقال ﷺ : « اعملوا فكلٌ

= (١١٢/٧) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ـ (٢٠٣٩/٤ـ ٢٠٤٠)ح٢٦٤٧ .

(١) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي ، صحابي جليل ، أسلم في السنة السابعة ، وتوفي سنة ٥٢هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٢٨٧/٤ ـ ٢٩١) و (٩/٧ ـ ١٢) ، تاريخ خليفة (٨٦ ، ٢١٨) ، طبقات خليفة (١٠٦ ، ١٨٧) ، تهذيب الكمال (٣١٩/٢٢ ـ ٣٢١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب جف القلم على علم الله ـ (٢١٠/٧) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب كيفية الخلق الآدمي (٢٠٤١/٤) ح٢٦٤٩ .

(٣) هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، صحابي جليل ، أسلم قديما ، وبشره النبي ﷺ بسواري كسرى ،وتوفي في خلافة عثمان ، وقيل بعدها .
انظر : طبقات خليفة (٣٤) ، تاريخ خليفة (١٥٧) ، التاريخ الكبير للبخاري (٢٠٨/٤) ، تهذيب الكمال (٢١٤/١٠ ـ ٢١٥) .

قبلهم ﴾ [النحل : ٣٥] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ [يس : ٤٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ [الزخرف: ٢٠] .

ففي هذه الآيات احتجاج على الله ـ تعالى ـ بقدره السابق ، فقد أجازوا الشرك ، واستمروا عليه ، وامتنعوا من الإنفاق على من أمروا بالإنفاق عليه ، محتجين بذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذا الأمر ، فقد أمر ﷺ بالعمل ، ونهى عن الاتكال على ماسبق في علم الله ، وبين أن ذلك الاتكال لاينفع صاحبه عند الله ـ تعالى ـ وليس عذرا له ، وبين أن كل عامل سييسر لما خلق له ، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : كنا جلوسا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت به في الأرض ، فقال : « مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة » فقال رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ « فأما من أعطى واتقى ○وصدق بالحسنى ○ فسنيسره لليسرى ○ وأما من بخل واستغنى ○ وكذب بالحسنى ○ فسنيسره للعسرى ﴾[1] [الليل : ٥ ـ ١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ ـ =

وقال آخر[1]:

دعاني وسدالباب دوني فهل إلى

دخـــولـــي سبيـــل بينـــوالـــي قضيتـــي[2]

وقال آخر : « لي خمس بنات ، لاأخاف على إفسادهن غيره »[3].

ولما رأى أحد هؤلاء رجلا يفجر بامرأته ، بادر ليأخذه ، فهرب الرجل ، وأقبل على امرأته يضربها ، وهي تقول : « القضاء والقدر » فقال : ياعدوة الله أتزنين وتعتذرين بهذا ؟ فقالت : أوه ، تركت السنة ، وأخذت بمذهب ابن عباس ؟ فتنبه ، ورمى السوط من يده ، واعتذر إليها ، وقال : لولاك لضللت[4].

فهذه الفاجرة ترى أن عقيدة الجبر سنة البشر ، وأن مافعلته لايعدو كونه من ذلك ، فلذلك لاينبغي لزوجها ـ بزعمها ـ أن يلومها على ماجبرت

---

(١) هو شمس الدين السكاكيني ، كان ذميا يظهر الرفض ، وفي آخر حياته أبان عن عقيدته ، وأنه كان ذميا ، وألف كتابا انتصر فيه لدين اليهود والعقائد الفاسدة .
انظر : الوافي بالوفيات (٢/ ٢٦٧) ، البداية والنهاية (١٤/ ٨٧) .

(٢) ذكر هذا البيت الشاطبي في الإفادات والإنشادات (١٧٢) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤٥) ، وابن القيم في طريق الهجرتين (٨٣) ، والمقبلي في العلم الشامخ (١٨٨) .

(٣) ذكره ابن القيم في طريق الهجرتين (٨٣ ـ ٨٤) .

(٤) ذكره هذه القصة ابن القيم في طريق الهجرتين (٨٤) .

ميسرٌ»[1].

فهذه النصوص - وأمثالها كثير - تبين أنه لاحجة للعبد في القدر السابق ، كيف لا ، والله لم يعذر إبليس حينما احتج بذلك ، وهذا رد على أهل الجاهلية ومن تبعهم ممن احتج بسابق قدر الله .

وهذه الخصلة الجاهلية يمثلها اليوم طائفة الجبرية ، الذين يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله ، وأنه لاحيلة له فيها ، ولاقدرة ، ولااختيار، وأن الله - تعالى - يعاقبه على ماليس في مقدوره ، ولاطاقة له به ، فهو - بزعمهم - ظالم له[2]، وقد كثرت عباراتهم في هذا مابين شعر ونثر ، ومن ذلك قول أحدهم[3]:

ماحيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الرائي

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء[4]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمي - (٤/ ٢٠٤٠ - ٢٠٤١) الحديث رقم (٢٦٤٨) .

(٢) انظر : الملل والنحل (١/ ٨٥ - ٩٠) ، المواقف للإيجي (٤٢٨) ، لوامع الأنوار البهية (١/ ٨٩) ، القضاء والقدر في الإسلام د . فاروق الدسوقي (٢/ ١٢٩) .

(٣) لم أعثر على قائله .

(٤) ذكر هذا ابن القيم في طريق الهجرتين (٨٣) ، وفي شفاء العليل (٤) ، والمقبلي في العلم الشامخ (١٤٩) ولم ينسباه لأحد .

القيام به ، فإذا دعي بعض الناس إلى إقامة الفرائض ، واجتناب المناهي ، احتج بقدر الله ، وتعلل بذلك .

بل وجد في هذه العصور من يدافع عن إبليس ويزعم أن الله ـ تعالى ـ ظلمه ، وأنه أجبره على الحال التي هو فيها ، وأنه منعه التوبة، كما يزعم ذلك جلال العظم[1]، وتوفيق الحكيم[2].

فالمقصود بيان أن الاحتجاج على الله ـ تعالى ـ بقدره موجود في هذاالعصر ، كوجوده عند أهل الجاهلية ، بل إنه أعظم منه عند أهل الجاهلية ، وذلك أنه لم يكن في أهل الجاهلية ـ حسب علمي ـ من دافع عن إبليس ، بل إنهم يعدونه مصدر الشرور ، أما في هذا العصر ، فقد وجد من يدافع عن إبليس ، نعوذ بالله من أن نكون من جنده وحزبه.

بقي أن يقال : هل القدر السابق يصح أن يكون حجة أم لا؟وماحجة من أجاز ذلك ؟ .

---

(١) انظر : القضاء والقدر في الإسلام د . فاروق الدسوقي (١/٣٧ ـ ٣٩) ، صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبد الرحمن الميداني (٣٤٥ ، ٣٥٨) ، هوامش على كتاب نقد الفكر الديني (٦٨) .

(٢) انظر : القضاء والقدر في الإسلام (١/٢٧ ـ ٣٠) .
وتوفيق الحكيم أديب مصري خبيث ، ولد سنة ١٩٠٣م ، وتعلم في مصر وخارجها،وتوفي سنة ١٩٨٨م .
انظر : توفيق الحكيم د. إسماعيل أدهم و د. إبراهيم ناجي (٥٧ ـ ٩٠) ، الحكيم في حديثه مع الله ومدرسة المتمردين على الشريعة د . عبد العظيم المطعني .

عليه[1].

ويقول آخر[2] وهو يتغنى بمحاسن أمرد :

طرحوا اللحم للبزا ة علـــى ذروتـــي عـــدن
ثـم لامـوا البـزاة إذ خلعـــوا عنهـــم الـــرسـن
لـو أرادوا صـلاحنـا ستـــروا وجهـــك الحســـن

ويقول آخر ـ وهو الدكتور جلال العظم ـ : « إن إبليس كان مسيرا في جميع خطواته ،وفقا للقدر الذي كتبه الله عليه ؛ لأنه كان مجبورا بحكمته ، ومقهورا بمشيئته ، وأن الله خلق إبليس كما شاء ، ولو شاء لهداه إلى صراط مستقيم ؛ لأنه هو الذي يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء »[3]

وأخبارهم كثيرةجدا[4].

فالاحتجاج على الله ـ تعالى ـ بقدره السابق لإبطال شرائعه من البدع المستحدثة التي ليست من الإسلام في شيء .

ومما يؤسف عليه أنها منتشرة في العالم الإسلامي ، سواء كانت على مستوى الفرق أو الأفراد ؛ وذلك للتخلص من المطالبة بإقامة مافرض عليهم

---

(١) انظر : تعليق محب الدين الخطيب على هذه القصة في طريق الهجرتين (٨٤) .

(٢) هو الشبلي الصوفي ، والأبيات في ديوانه (١٥٠) .

(٣) هوامش على كتاب نقد الفكر الديني لمحمد حسين آل ياسين (٦٨) .

(٤) انظر في ذلك : طريق الهجرتين (٨٣ ـ ٨٦) ، معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (٢/٢٨٩ ـ ٢٩٢) .

وكذا[1] ؟

رابعا : أنه لو كان ا لقدر حجة ، للزم منه أن يكون إبليس ، وفرعون ، وقوم نوح ، وغيرهم من الكفار الذين أهلكهم الله بذنوبهم معذورين ، وهذا من الكفر الذي اتفقت عليه جميع الملل[2].

خامسا : أن هذا يلزم منه أن لايفرق بين أولياء الله وأعدائه ، وبين حزبه وحربه ، وذلك أن هؤلاء جميعهم سبقت لهم عند الله السوابق ، وكتب مقاديرهم قبل أن يخلقهم ، والله ـ تعالى ـ فرق بينهم[3].

وقد استدل من رأى أن القدر حجة للعاصي بما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : ياآدم أنت أبونا خيبتنا ، وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : ياموسى ، اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك بيده ، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى »[4].

قالوا : فآدم احتج بالقدر على المعصية ، وشهد الرسول ﷺ بأن الحجة

---

(١) انظر : المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١/ ١٨٥) ، نبذة في العقيدة الإسلامية له (٦٠) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٦٤) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب القدر ـ باب احتجاج آدم وموسى ـ (٧/ ٢١٤) ، ومسلم ـ كتاب القدر ـ باب حجاج آدم وموسى ـ (٤/ ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤)ح ٢٦٥٢

والجواب عن هذا ، أن القدر السابق لايصح أن يكون حجة لوجوه منها :

أولا : أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد ، وإما أن لايراه ، فإن كان القدر حجة للعبد ، فهو حجة لجميع الناس ، وحينئذ يلزم منه أن لاينكر على من يظلمه ، أو يشتمه ، وهم كاذبون في ذلك ، فالواحد منهم مايزال يذم هذا لظلمه ، ويبغض هذا لإفساده، ويعادي هذا لمخالفته له ، وهكذا .

ولو فعل الناس هذا - وهو ترك الإنكار على الظالم ونحوه - لهلك العالم ، فتبين أن قولهم فاسد في العقل ، كما أنه كفر في الشرع ، وأنهم كذابون مفترون في زعمهم أن القدر حجة للعبد(١)

ثانيا : أن هؤلاء المحتجين ، لايجعلون القدر حجة إلا في الأمور الأخروية ، أما أمورهم الدنيوية ، فإنهم لايحتجون به عليها ، بل الواحد منهم يطلب الكمال بما استطاع(٢) .

ثالثا : القدر سر مكتوم ، فالإنسان لايعلم ماقدر الله عليه حتى يقع المقدور ، وإقدام الإنسان على الشيء ، إنما هو باختياره ، فكيف يصح أن يقال - قبل وقوع الفعل - إن الله كتب علي كذا

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٦٣) .

(٢) انظر : نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن عثيمين (٦٠) .

الخامسة والأربعون[1]

معارضة[2] شرع الله به[3] .

في هذه المسألة التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ إشارة إلى الطائفة الثالثة من طوائف أهل الجاهلية في مسألة القدر .

وهذه الطائفة يقوم مذهبها على معارضة شرع الله بقدره ، أي : أنهم يدفعون أمر الله ونهيه بقضائه وقدره[4]، فهم يعترفون بالقضاء والقدر ، لكنهم يعطلون به الأمر والنهي[5]، لأنهم يزعمون أن القدر يوافق الأمر والنهي[6]، لأن الله ـ تعالى ـ قادر على أن يمنعهم مما يعملون ، وقادر على أن يصرفهم إلى مايريد منهم ، فلما لم يفعل ذلك دل على رضاه عنهم ، وعما يعملون[7]، فيقولون : كيف يأمر بالشيء وقد شاء منا خلافه ؟ وكيف

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الرابعة والأربعون .
(٢) في (أ) : « معارض » .
(٣) في « جـ » : « بقدره » .
(٤) انظر : طريق الهجرتين (٨٩) .
(٥) انظر : الرسالة التدمرية (٢٠٨) .
(٦) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/٢٥٦) .
(٧) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢/٤٤) ، محاسن التأويل للقاسمي (٦/٧٥٨) ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي الملحق بأضواء البيان =

له .

والجواب عن هذا ، أن آدم ﷺ لم يحتج بالقدر على الذنب ، وموسى ﷺ لم يلمه عليه ـ أيضا ـ .

أما آدم ، فإذا كان آحاد بنيه من المؤمنين لايحتجون بالقدر ، فكيف يحتج به هو ، وهو أعلم منهم بربه وذنبه ؟ لاريب أن ذلك باطل.

أما موسى ﷺ ، فهو أجل من أن يلوم أباه على ذنب قد تاب منه ، وتاب الله عليه ، وهو أعلم بأبيه وبذنبه .

وإنما كان اللوم من موسى على المصيبة التي أخرجت الأولاد من الجنة ، وكان الاحتجاج بالقدر من آدم على المصيبة ، لاعلى الخطيئة ، والقدر يحتج به على المصايب ، لاعلى المعايب[1] .

ولو سلمنا جدلا أن آدم احتج بالقدر على الذنب ، فإن احتجاجه به ، إنما كان بعد وقوعه ، لاقبله ، وذلك أن الاحتجاج بالقدر بعد وقوع الذنب ، ليس هو كالاحتجاج به قبله ، فإن الأول يجر إلى إبطال الشرائع ، والأوامر والنواهي ، أما الثاني ، فلا[2] .

فليس فيه حجة لأهل المعاصي ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

---

(١) انظر : رسالة الاحتجاج بالقدر لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦) ،منهاج السنة النبوية (٣/٧٨ ـ ٨٣) ، شفاء العليل (١٨) ، شرح الطحاوية (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) ، رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي بن يوسف (٢١ ـ ٢٣) .
(٢) انظر : شفاء العليل (١٨) .

الباطل[1]، وأخبر أن هذا ديدن الأمم قبلهم من المشركين ، مما يدل على أن هذا المذهب الباطل قديم .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾[الأعراف : ٢٨] .

فهم جعلوا عدم نقل الله ـ وهو القادر على كل شيء ـ لهم عما هم عليه دليلا على حسن فعالهم ، مما يعني محبته سبحانه له[2].

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾[يس : ٤٧] .

وذلك أن الجاهليين كانوا إذا أمروا بالإنفاق ، أجابوا بأن هؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق ، لو شاء الله لأغناهم ، ولأطعمهم من رزقه ، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم[3].

ومما يدل على ذلك[4] ـ أيضا ـ : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لو شاء

---

(١) انظر : شفاء العليل (١٢٦) .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٨٧) ، البحر المحيط (٤/ ٢٨٥) ، تفسير القرآن الحكيم (٨/ ١٧٦) .

(٣) انظر : معالم التنزيل (٤/ ١٤) ،التسهيل لعلوم التنزيل (٣ / ٣٥٩) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٧) ، تفسير أبي السعود (٤/ ٥٠٨) .

(٤) انظر : شفاء العليل (١٥) و (١٢٦) ، طريق الهجرتين (٨٧) ، مدارج السالكين (٢/ ١٩١) .

يكره منا شيئا شاء وقوعه ؟ ولو كرهه لم يمكنا منه وحال بيننا وبينه ، فعارضوا بذلك أمره ونهيه[1]، ويطعنون بذلك في الشرع والقدر معا .

وأصل بلاء هؤلاء عدم تفريقهم بين المشيئة والمحبة ، فهم يعتقدون أن كل ماشاءه الله ، فقد أحبه ورضيه[2] .

وقد دل كتاب الله على أن أهل الجاهلية على هذه الخصلة[3] ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾[الأنعام : ١٤٨].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولاآباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾[النحل : ٣٥] .

فقد أخبر ـ جل وعلا ـ في هاتين الآيتين عن مذهب المشركين في معارضة شرع الله بقدره ، وذلك حينما احتجوا بالمشيئة على ماهم عليه من

= (١٠/١٢٩) .

(١) انظر : شفاء العليل (١٢٦) .

(٢) انظر : شفاء العليل (١٢٦) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/٢٥٦) ، شفاء العليل (١٥) ، طريق الهجرتين (٨٧) ، مدارج السالكين (٢/١٩١) .

قال ـ تعالى ـ مبينا كذبهم : ﴿ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾[الزخرف : ٢٠] .

وأنكر ﷺ على من اعترض على شرع الله بقدره ، وبين أنه من الجدال المذموم ، فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلا ، فقال : « ألا تصليان » ، فقال علي : يارسول الله، أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله ﷺ ، ولم يرجع إليه شيئا ، ثم ضرب فخذه ، وهو يقول : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾[1] [الكهف :٥٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : « هذا الحديث نص في ذم من عارض الأمر بالقدر ، فإن قوله : أنفسنا بيد الله . . . الخ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التهجد ـ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ـ (٤٣/٢) ، وفي كتاب الاعتصام ـ باب ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ ـ (١٥٥/٨) ، وفي كتاب التوحيد ـ باب في المشيئة والإرادة ـ (١٩٠/٨) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب ماروي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ـ (٥٣٧/١ ـ ٥٣٨) ح٧٧٥ .

الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾ [الزخرف: ٢٠] .

فهم احتجوا على صحة ماهم عليه من عبادة الأصنام بكون الله ـ تعالى ـ مطلعا عليهم ، ولم ينقلهم عن ذلك ، مما يدل على محبته لذلك ؛ لأنه شاءه منهم[١] .

فهذه الآيات بينت كيف كان أهل الجاهلية يعارضون شرع الله ـ تعالى ـ بقدره .

وهذه الخصلة من خصال الأميين ، والكتابيين ، أما الأميون فإن آية الأنعام والنحل الأعراف والزخرف فيهم ، أما الكتابيون ، فيدل على وجودها فيهم آية « يس » على قول الحسن البصري ، فإنه ذكر أن هذه الآية نزلت في حق اليهود[٢].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، وذلك أن الله ـ تعالى ـ كذب هؤلاء المحتجين بهذه الحجة الواهية ، وبين بطلانها ببيان أنهم ليس لهم علم بما زعموا ، بل غاية ماعندهم التخرصات والظنون الكاذبة .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي (٢٥/٥٩) ، معالم التنزيل (٤/١٣٦) ، التسهيل لعلوم التنزيل (٤ /٤٧ـ ٤٨) ، تفسير الرازي (٢٧ /٢٠٥ـ ٢٠٦) ، الجامع لأحكام القرآن (١٦ /٧٣) ، البحر المحيط (٨ / ١٠) ، تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٦) ، تفسير أبي السعود (٥ /٨٠ ـ ٨١) ، روح المعاني (٢٥/ ٧٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٢٦٥) .

وجميع مافي الكون مراده ، فأي شيء أبغض منه ؟ »[1] .

فترك المأمور ، وفعل المحظور بموافقة المقدور هو عين العبودية لله عند المتصوفة[2]، بل هو عندهم حقيقة توحيد الربوبية[3].

وفي هذا يقول ابن إسرائيل[4]:

أصبحت منفعلا لما يختاره مني ففعلي كله الطاعات[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي »[6].

---

(١) شفاء العليل (١٥) .

(٢) انظر : منازل السائرين للهروي (٥٢) ، التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري (٤٧) ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة (٣٦ ـ ٤١) ، شرح حكم ابن عطاء الله لزروق (٣٥ ـ ٣٦) ، شرح حكم ابن عطاء الله للشرنوبي (٧) ، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٢٤٩) .

(٣) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٢٥٧) .

(٤) هو نجم الدين محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر الشيباني ، شاعرصوفي حلولي، ولد سنة ٦٠٣ هـ ، وتوفي سنة ٦٧٧ هـ .
انظر : البداية والنهاية (١٣/ ٢٦٦ ـ ٢٧٢) ، العبر في خبر من غبر (٣/ ٣٣٦) ، الوافي بالوفيات (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٥) ، فوات الوفيات (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٩) ، لسان الميزان (٥/ ١٩٥ ـ ١٩٧) .

(٥) ذكر هذا البيت ونسبه إليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٧) ، وذكره ابن القيم في شفاء العليل (٤ ، ١٥) ، وفي مدارج السالكين (٢/ ٢٠٣) ولم ينسبه لأحد، وعنه ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/ ٣٣٥) ، وذكره مرعي بن يوسف الكرمي في رفع الشبهة والغرر (٨) ولم ينسبه لأحد .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٥٦) .

استناد إلى القدر في ترك امتثال الأمر ، وهي في نفسها كلمة حق ، لكن لاتصلح لمعارضة الأمر،بل معارضة الأمر فيها من باب الجدل المذموم »[1]

وهذه الخصلة الجاهلية تتمثل اليوم في غلاة المتصوفة ، فإنهم يرون أن من الرضا بقضاء الله وقدره ، ومن التسليم له موافقة مايقدره الله ـ تعالى ـ وما يشاؤه ، وعدم الاعتراض والإنكار[2]، وأن العارف لاينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر[3]، وأنه لابد من ترك التدبير والاختيار مع الله.[4]

ويزعمون أن كل مافي الكون من معاصي وغيرها ، فهي محبوبة لله ، مرضية عنده[5] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أنه لام أحد هؤلاء الإباحية على محبته مايبغضه الله ـ عز وجل ـ ومايبغضه رسوله ﷺ ، فقال له الملوم : « المحبة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب ،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/ ٢٤٤) .

(٢) انظر : معراج التشوف إلى حقائق التصوف لابن عجيبة(٢٩ ، ٣٦) ، دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد الفشناوي (٧٧ ـ ٧٨) ، الصوفية بين الأمس واليوم (٩٤) .

(٣) انظر : معراج التشوف (٣٦) .

(٤) انظر : شفاء العليل (١٥) .

(٥) انظر : شفاء العليل (٤) ، طريق الهجرتين (٨٨ ـ ٨٩) ، مدارج السالكين (٢/ ٢٠٣)

السادسة والأربعون[1]

مسبة الدهر[2] ، كقولهم : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾[الجاثية : ٢٤] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية سبَّ الدهر .

والمراد بسب الدهر نسبة مايصيبهم من المكاره التي تنزل بهم إليه، وشتمه ؛ لاعتقادهم أنه الطارق بالنوائب ، فكانوا يقولون :أهلكنا الدهر،وأصابتنا قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر ، وبؤسا للدهر ، تبا له ، ونحو ذلك[3] .

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على وجود هذه الخصلة فيهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ .

ووجه الاستدلال منها ظاهر ، حيث إن الله ـ تعالى ـ أخبر أن أهل

---

(١) هذه المسألة ليست موجودة في (أ) .
(٢) في (ب) « نسبته إلى الدهر » ، وفي (هـ) « مسبته » .
(٣) انظر : سنن البيهقي ٣/٣٦٥) ، شرح السنة (٢/٣٧٥) ، غريب الحديث لأبي عبيد (٢/١٤٦) ، الفائق في غريب الحديث (١/٤١٩ ـ ٤٢٠) ، معالم السنن (٨/١١٨) ، شأن الدعاء للخطابي (١٠٨) ، فتح الباري (٨/٤٣٨) ، عمدة القاري (١٦/٩) .

وشبهة هؤلاء هي شبهة إخوانهم من أهل الجاهلية الأولى ، وهي اعتقادهم أن كل ماخلقه الله ـ تعالى ـ وشاءه ، وأراده ، محبوب له .

والجواب عن هذه الشبهة ببيان تقسيم الإرادة قسمين :

القسم الأول : إرادة كونية ، وهي التي بمعنى المشيئة ، وهذه الإرادة لاتستلزم محبة المراد ، ولاالرضا عنه[(١)]، فالله ـ تعالى ـ يريد الكفر كونا ، ولايرضاه شرعا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولايرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر : ٧] .

القسم الثاني : إرادة دينية شرعية ، وهذه تستلزم المحبة والرضا[(٢)]

وأهل البدع لم يفرقوا بين هذين النوعين ، ولم يعرفوا إلا النوع الأول ، وبالتفريق بينهما ـ كما فعل أهل السنة والجماعة ـ يزول الإشكال ، ولذلك لما لام شيخ الإسلام أحد الإباحية ، وزعم أن كل مافي الكون مراد لله ، أجابه شيخ الإسلام بقوله : « إذا كان قد سخط على أقوام ، ولعنهم، وغضب عليهم ، وذمهم ، فواليتهم أنت ، وأحببتهم ، وأحببت أفعالهم ، رضيتها ، تكون مواليا له أو معاديا ؟»[(٣)]فلم يحر بذلك جوابا .

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/١٨٨ ـ ١٨٩) ، شفاء العليل (٢٨٠) ، شرح الطحاوية (١/٧٩ ـ ٨٠) .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٨/١٨٨ ـ ١٨٩) ، شفاء العليل (٢٨٠) ، شرح الطحاوية (١/ ٨٠) .

(٣) شفاء العليل (٤)

أقلب الليل والنهار ، فإذا شئت قبضتهما »[1].

وعنه - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « قال الله - تعالى - : يؤذيني ابن آدم : يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار »[2].

كما أن أشعارهم تزخر بكثير من ذلك ، ومنه قول أعشى بكر :

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني ولاأرمي

يادهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ماليس تعقبنا ... يادهر ماأنصفتنا في الحكم[3]

ومنه قول الشاعر النصراني عمرو بن قميئة[4] :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - باب لاتسبوا الدهر - (٧/١١٥) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب النهي عن سب الدهر - (٤/١٧٦٢) ح٢٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - سورة الجاثية - باب ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ - (٦/٤١) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها - باب النهي عن سب الدهر - (٤/١٧٦٢) ح٢٢٤٦ .

(٣) ملحقات ديوان الأعشى (٢٥٨) ، غريب الحديث لأبي عبيد (٢/١٤٦) .

(٤) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعيد بن مالك التغلبي ، البكري ، الوائلي ، شاعر جاهلي ، ولد نحو سنة ١٨٠ق . هـ ، وتوفي نحو سنة ٨٥ق . هـ .
انظر : الأغاني (١٦/١٥٨) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/١١١) ، خزانة الأدب (٤/١٧٥) ، شعراء النصرانية للويس شيخو (٢٩٣) ، الأعلام (٥/٨٣) .

الجاهلية نسبوا إهلاكهم إلى الدهر ، وحيث نسبوه إلى الدهر ، فقد ذموه ، وسبوه[1].

يبين ذلك تفسير رسول الله ﷺ لهذه الآية ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه : ﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ﴾ فيسبون الدهر ، فقال الله ـ تبارك وتعالى ـ : يؤذيني ابن آدم : يسب الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار »[2].

فقد بين ﷺ في هذا الحديث أن نسبة الإهلاك إلى الدهر سب له.

وهذه الآية نزلت في قريش كما ذكر ذلك قتادة[3].

وقد دلت الأدلة على أن أهل الجاهلية كانوا يسبون الدهر ، وينسبون إليه الحوادث ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ ان رسول الله ﷺ قال : «قال الله ـ عز وجل ـ : يؤذيني ابن آدم ، يقول: ياخيبة الدهر ، فلايقولن أحدكم : ياخيبة الدهر ، فإني أنا الدهر ،

---

(١) انظر : شرح السنة (١٢/٥٧) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/١٥٢) عن أبي كريب ، وعن عمران بن كريب الكلاعي ، عن أبي روح ، كلاهما عن ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .
وهذا إسناد صحيح .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٥/ ٢١٥٣) .

ياعين مالك لاتبكين تسكابا

إذا راب دهر وكان الدهر ريابا[1]

وقول ابن أبي الحقيق اليهودي[2] :

دور عفت بقرى الخابور غيرها

بعدَ الأنيس سوافي الريحِ والمطرُ

إن تُمْسِ دارُكَ ممن كان ساكنُها

وحشا فذلك صِرف الدهرِ والغير[3]

وأشعارهم في ذلك كثيرة جدا ، ضربت المثال ببعضها ، وأضربت صفحا عن ذكر باقيها خشية الإطالة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة

= (٤/٢٧٩ ـ ٢٨١) .

(١) ديوان الخنساء (٧) .
وقولها : « تسكابا » أي : تصبيا . لسان العرب ، سكب ، (١/٤٦٩) . .

(٢) هو الربيع بن أبي الحقيق ، من يهود بني قريظة ، وكان رئيسا من رؤسائهم ، وقادهم في يوم بعاث ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم .
انظر : طبقات الشعراء لابن سلام (١٠٦ ـ ١٠٧) ، الأغاني (٢٢/١٢٨ ـ ١٣٠) .

(٣) ذكر هذا البيت أبو الفرج في الأغاني (٢٢/١٢٧) ، وياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/٣٣٥) .
وقرى الخابور التي جاء ذكرها في البيت ، بلدان واسعة من أرض الجزيرة ، تشمل قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان ، والخابور اسم نهر ، نسبت إليه هذه البلاد .
انظر : معجم البلدان (٢/٣٣٤ ـ ٣٣٥) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي (١/٤٤٤) ، معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري (١/٤٨١) .

رمتني بنات الدهر من حيث لاأرى

فكيف بمن يرمي وليس برام[1]

ومنه قول الشنفرى[2]:

بـزنـي الـدهـر وكـان عشـومـا   بـأبـي جـاره مـايـذل[3]

وقول قيس بن الخطيم[4]:

مـن يـك غـافـلا لـم يلـق بـؤسـا   ينـخ يـومـا بسـاحتـه القضـاء

تنـاولـه بنـات الـدهـر حتـى   تثلمـه كمـا انثلـم الإنـاء[5]

وقول الخنساء[6] في جاهليتها :

---

(١) ذكر هذا البيت أبو عبيد في غريب الحديث (٢/١٤٦) ، وابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/٣٧٧) .

(٢) هو عمرو بن مالك الأزدي ، القحطاني ، شاعر جاهلي ، توفي نحو سنة ٧٠ق . هـ

انظر : الأغاني (١/١٣٤ ـ ١٤٣) ، خزانة الأدب (٢/١٦ ـ ١٨) ، شرح شواهد الألفية للعيني (٢/١١٧) ، الأعلام (٥/٨٥) .

(٣) ذكر هذا البيت التبريزي في شرح ديوان الحماسة (٢/١٦١) ، والمرزوقي في شرح ديوان الحماسة (٢/٨٢٩) ، وابن عبد ربه في العقد الفريد (٣/٢٩٩) ، والسيوطي في الأشباه والنظائر (٢/١١٤) ، وذكره الدكتور إميل يعقوب جامع ديوان الشنفرى من ضمن ماينسب له ولغيره (٨٥) .

(٤) هو قيس بن ثابت ، والخطيم لقب ثابت بن عدي ، من الأوس ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام ، ولم يسلم .

انظر : طبقات ابن سعد (٨/٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٥) ديوان قيس بن الخطيم (١٥٦) .

(٦) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث الشريد ، والخنساء لقب لها ، صحابية جليلة ، اتفق أهل المعرفة بالشعر على أنه ليس ثمة أشعر منها في نساء العرب ، وتوفيت سنة ٢٤هـ .

انظر : الاستيعاب (٤/٢٨٧ ـ ٢٩٠) ، أسد الغابة (٧/٨٨ ـ ٩٠) ، الإصابة =

ويقول أحمد شوقي[1]:

نظـــر الـــدهـــر إلينـــا نظـــرة   سوت الشر فكانت نظرتين[2]

وقال :

مضـى الـدهـر بـابـن إمـام اليمـن   وأودى بزيـن شبـاب الـزمـن[3]

ويقول حافظ إبراهيم[4] :

دهاها الموت في الإلف المفدى

وكـدر صفـوهـا الـدهـر الخـؤون[5]

فهذا بعض مايدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله أعلم

---

(١) هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، شاعر مصري شهير ، كان يلقب بأمير الشعراء ، ولد سنة ١٢٨٥هـ ، له مؤلفات منها : الشوقيات ، دول العرب ، وتوفي سنة ١٣٥١هـ .
انظر : معجم المطبوعات (١١٥٨ ـ ١١٥٩) ، الأعلام (١/١٣٦ ـ ١٣٧) ، معجم المؤلفين (١/٢٤٦ ـ ٢٥٠) .

(٢) الشوقيات (٣/١٥٥) ضمن قصيدة يرثي بها أباه .

(٣) المرجع السابق (٣/١٦٩) ضمن قصيدة يرثي بها سيف بن يحيى إمام اليمن .

(٤) هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، شاعر مصر القومي ، ولد سنة ١٢٨٧، وله مؤلفات منها : ديوان حافظ إبراهم ، البؤساء ، وتوفي سنة ١٣٥١هـ .
انظر : معجم المطبوعات (٧٣٦) ، الأعلام (٦/٧٦) .

(٥) ديوان حافظ إبراهيم (٤٤٨) ضمن قصيدة يرثي بها عبدالحليم العلايلي .

فنهى عن سب الدهر ، كما في قوله ﷺ : « لا تسموا العنبَ الكَرْمَ ، ولا تقولوا : ياخيبةَ الدهر ، فإن الله هو الدهر »[1].

وقال ﷺ : « لاتسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر »[2].

وفيما سيق من الأدلة قبلُ دلالةٌ على ذلك ـ أيضاً ـ .

ومع أن هذه الخصلةَ خصلةٌ جاهليةٌ ، إلا أنها لاتزال موجودةً إلى عصرنا هذا ، فكثير من الشعراء جعلوا الدهر غرضا لهم في السب والشتم ، وإلقاء اللوم عليه ، والشواهد على ذلك كثيرة جدا ، وإليك بعضها :

يقول البارودي[3] :

يادهر فيم فجعتني بحليلة ... كانت خلاصة عدتي وعتادي

لو كان هذا الدهر يقبل فدية ... بالنفس عنك لكنت أول فادي[4]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأدب ـ باب لاتسبوا الدهر ـ (١١٥/٧) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الألفاظ ـ باب النهي عن سب الدهر ـ (١٧٦٣/٤) ، ح٢٢٤٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الألفاظ ـ باب النهي عن سب الدهر ـ (١٧٦٣/٤) ح ٢٢٤٦ .

(٣) هو محمود سامي بن حسن حسني البارودي ، شاعر مصري ، ولد سنة ١٢٥٥هـ ، وترقى في المناصب حتى صار وزيراً للأوقاف ، له مؤلفات منها : ديوان البارودي ، مختارات البارودي ، وتوفي سنة ١٣٢٢هـ .
انظر : تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان (٥٨٨/٢) ، في الأدب الحديث لعمر الدسوقي (٢١٢/١ ـ ٢٩٩) ، معجم المطبوعات لسركيس (٥١٤ ـ ٥١٥) ، الأعلام (١٧١/٧) ، معجم المؤلفين (١٦٥/١٢ـ ١٦٧) .

(٤) ديوان البارودي (٢٣٨/١ ـ ٢٤٠) ، ضمن قصيدة يرثي بها زوجه .

المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية

تأليف
شيخ الإسلام الإمام
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله
١١١٥ - ١٢٠٦هـ

درسها وحققها وشرحها
يوسف بن محمد السعيد

الجزء الثاني

دار المؤيد

أصـــل هـــذا الكتـــاب رسالـــة علميـــة

تقـدم بهـا المؤلـف الـى قسـم العقيـدة والمذاهـب المعاصـرة

بجامعـة الامـام محمد بن سعـود الاسلاميـة

باشـــراف فضيلـة الدكتـور محمد بـن ابراهيـم العجـــلان

ونـال بهـا درجـة الماجستيـر بتقديـر ممتـاز

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار المؤيد للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٠٢٥١٩٧

فاكس : ٤٠٢٢٦١٥

المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية

٢


بسم الله الرحمن الرحيم

السابعة والأربعون[1]

إضافة نعم[2] الله إلى غيره ، لقوله[3] : ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ [النحل : ٨٣] .

في هذه المسألة بيان لما درج عليه أهل الجاهلية الأميون والكتابيون من نسبة ما أنعم الله ـ تعالى ـ عليهم به إلى غيره ، وذلك إما لآلهتهم ، فيزعمون أن ماحصل لهم من الخصب والنعم إنما هو بسبب شفاعتها لهم، أو ينسبونها إلى أنفسهم ، فيزعمون أن ذلك نتاج عقولهم وقوتهم ، أوينسبونه إلى آبائهم ، وأن ذلك لم يكن لولاهم ، أو إلى الكواكب والأنواء ونحو ذلك .

فهذا كان ديدنا لهم .

وقد استدل الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن الله ـ تعالى ـ أخبر في هذه الآية الكريمة أن الجاهليين يعرفون أن ماعدد الله ـ تعالى ـ في هذه السورة (سورة النحل) من النعم ، أنها من عند الله ، وأن الله ـ تعالى ـ هو المنعم بذلك ،

---

(١) هذه المسألة ساقطة من (أ) .
(٢) في (هـ) « نعمة » .
(٣) في (جـ) و (د) و (هـ) « كقوله » .

ولكنهم ينكرون ذلك ، ويزعمون أنها من عند غيره .

قال مجاهد في المراد بالنعم في الآية : « هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها ، والسرابيل من الحديد والثياب ، تعرف هذا كفار قريش ، ثم تنكره ، بأن تقول : هذا كان لآبائنا فورثونا إياه »[١].

وقال عون بن عبد الله[٢]: « إنكارهم إياها أن يقول الرجل : لولا فلان ماكان كذا وكذا ، ولولا فلان ماأصبت كذا وكذا »[٣] .

وقال ابن قتيبة[٤]والفراء[٥] ـ رحمهما الله تعالى ـ : « يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا »[٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٥٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١٢٦) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله ، تابعي جليل ، عالم بالتفسير ، أدرك بعض الصحابة وروى عنهم ، وتوفي سنة بضع عشرة ومائة .
انظر : التاريخ الكبير (٧/١٣ ـ ١٤) ، الجرح والتعديل (٦/٣٨٤ ـ ٣٨٥) ، تهذيب الكمال (٢٢/٤٥٣ ـ ٤٦١) ، سير أعلام النبلاء (٥/١٠٣ ـ ١٠٥) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٥٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١٢٧) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) هو الإمام الكبير عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي ، ولد سنة ٢١٣هـ ، له مؤلفات منها تأويل مشكل القرآن ، المعارف ، وتوفي سنة ٢٧٦هـ .
انظر : الفهرست لابن النديم (٨٥ ـ ٨٦) ، تاريخ بغداد (١٠/١٧٠ ـ ١٧١) ، المنتظم (٥/١٠٢) .

(٥) هو الإمام اللغوي يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي ، أبو زكريا ، ولد سنة ١٤٤هـ، واشتغل بعلم العربية ، له مؤلفات منها معاني القرآن ، الوقف والابتداء ، وتوفي سنة ٢٠٧هـ .
انظر :الفهرست لابن النديم (٧٣ ـ ٧٤) ، تاريخ بغداد (١٤/١٤٩ ـ ١٥٥) ، الأنساب (٤/٣٥٣) .

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/١١٢) ، وانظر : زاد المسير (٤/٤٧٩) ، فقد عزاه إليهما .

ومما يدل على إضافة أهل الجاهلية نعم الله ـ تعالى ـ إلى غيره ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ۝ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ [الواقعة : ٨١ ـ ٨٢] .

فقد جاء في سبب النزول عن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية[1] على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكواكب »[2].

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : « مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « أصبح من الناس شاكر

---

(١) الحديبية : بضم الحاء ، وفتح الدال ، وكسر الباء ، وفتح الياء الخفيفة ، ويجوز تشديدها ، موضع بمكة ، بعضه في الحل ، وبعضه في الحرم ، وسميت ببئر فيها

انظر : معجم البلدان (٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠) ، مراصد الاطلاع (١/٣٨٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأذان ـ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ـ (١/٢٠٥) ، وفي كتاب الاستسقاء ـ باب قول الله تعالى :﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ ـ (٢/٢٣) ، وفي كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية ـ (٥/٦١ ـ ٦٢)، وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ـ (٨/١٩٩) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ـ (١/٨٣ ـ ٨٤)ح٧١ .

ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، فنزلت هذه الآية »[1] .

فبعض الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ قالوا هذه المقوله بناء على ماعتادوه في الجاهلية ، ولذلك حذرهم النبي ﷺ من ذلك .

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قول الله ـ عز وجل ـ حكاية عن قارون أنه قال ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص : ٧٨] .

أي : إنما أوتيته على علم عندي بوجوه المكاسب على أحد الأقوال في الآية[2] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، فأعطي لونا حسنا ، وجلدا حسنا ، قال : فأي المال أحب إليك ، قال : الإبل أوالبقر ـ شك الراوي ـ فأعطي ناقة عشراء[3] ، وقال : بارك الله لك فيها ، قال : فأتى الأقرع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب كفر من قال مطرنا بالنوء ـ (١/ ٨٤)ح٧٣ .

(٢) انظر : النكت والعيون (٤/ ٢٦٨) ، زاد المسير (٦/ ٢٤٢) .

(٣) العُشَراء : هي الحامل ، قريبة الولادة التي مضى عليها عشرة أوثمانية أشهر من طرق الفحل .
انظر :« عشر » العين (١ / ٢٤٧) ، لسان العرب (٤/ ٥٧٢) .

فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعرا حسنا ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ فقال : البقر أو الإبل - شك الراوي - ، فأعطي بقرة حاملا ، قال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأعمى ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلي بصري ، فأبصر به الناس ، فمسحه ، فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ، قال : الغنم ، فأعطي شاة والدا ، فأنتج هذا ، وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم .

قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد تقطعت بي الحبال في سفري ، فلابلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا ، فأعطاك الله - عز وجل - المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا ، فصيرك الله إلى ماكنت، قال : وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ماقال لهذا، ورد عليه مثل مارد عليه ، فقال : إن كنت كاذبا ، فصيرك الله إلى ماكنت ، قال : وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلابلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى ، فرد الله

إلي بصري ، فخذ ماشئت ، ودع ماشئت ، فوالله لاأجهدك اليوم بشيء أخذته لله ، فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك »[1].

فهذه النصوص دالة على ماكان من إضافة أهل الجاهلية نعم الله ـ تعالى ـ إلى غيره ، فهذا الأبرص والأقرع ، بدلا من أن يشكرا نعمة الله ـ تعالى ـ عليهما ، كما فعل صاحبهما الأعمى ، أضافا هذه النعمة إلى الآباء والأجداد ، وأنكرا أن يكون لله نعمة في ذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في ذلك ، فلم يضف ﷺ نعم الله ـ تعالى ـ لغيره ، بل اعترف بها لمسديها ، وهو الواجب عليه وعلى غيره ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومابكم من نعمة فمن الله ﴾ [النحل : ٥٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

وقد علَّم ﷺ أمّته من الأذكار المشتملة على الاعتراف بنعم الله ـ تعالى ـ مالايعد ولايحصى ، فمن ذلك أذكار النكاح والجماع ، وأذكار الأكل والشرب ، وأذكار النوم والاستيقاظ ، وأذكار دخول الخلاء والخروج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأنبياء ـ حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل ـ (١٤٦/٤) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الزهد والرقائق ـ (٤/ ٢٢٧٥ ـ ٢٢٧٦)ح ٢٩٦٤ .

منه ، ومايقال عند حصول الولد ، ونتاج الثمار ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب الأذكار[1]، وكلها فيها اعتراف بنعم الله - تعالى - له ، وشكر له عليها .

وإن مما يؤسف عليه أن هذه الخصلة - أعني إضافة نعم الله لغيره - موجودة في كثير ممن ينتمي إلى الإسلام ، فكم من نعمة أضيفت إلى الكواكب ، وكم من نعمة أضيفت إلى أصحاب القبور ، وكم من نعمة أضيفت إلى الأولياء والصالحين أومن يُزعم أنهم كذلك وأعظم من يقع فيها المتصوفة ، فإنهم يعتقدون أن الصالحين هم الذين تُحفظ بهم أقطار الأرض ، فهذا إمام الملاحدة ابن عربي الصوفي يزعم أن من الصالحين من يحفظ به المشرق ، ومنهم من يحفظ به المغرب ، ومنهم من يحفظ به الجنوب ، ومنهم من يحفظ به الشمال ، ومنهم من تحفظ به البروج[2] .

ولايُظن أن هذا الأمر قد عفا عليه الزمن ، ولم يعد أحد يقول به ، بل مازال المتصوفة على ذلك إلى يومنا هذا ، فهذا يوسف النبهاني[3] ،

---

(١) ومن هذه الكتب : عمل اليوم والليلة لابن السني ، وعمل اليوم والليلة للنسائي ، والأذكار للنووي ، والوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم .

(٢) انظر : الفتوحات المكية لابن عربي (٢/ ٢ - ١٥) .

(٣) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني ، صوفي حلولي ، خبيث المعتقد والدين ، ولد سنة ١٢٦٥هـ ، وأخذ عن متصوفة عصره ، وولي قضاء نابلس ، له مؤلفات منها شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، جامع كرامات الأولياء ، وقد توفي سنة ١٣٥٠هـ . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (٣/١٦١٢ - ١٦١٦) ، الأعلام (٢١٨/٨) ، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٧٥ - ٢٧٦) .

يشرح كلام ابن عربي ، ويختصره ، ويزيد عليه ، ويقرره[1].

وهذا البوصيري[2] يجعل الدنيا والآخرة من جود النبي ﷺ ، كما في قوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[3]

وهذا البيت ـ كغيره من باقي أبيات القصيدة ـ لازال الصوفية يرددونه في المناسبات كالموالد ونحوها .

كما أن منهم من يعتقد حينما يرزق بمولود ، أومال أن ذلك ببركة أهل القبور والصالحين .

قال الشيخ مبارك الميلي[4]: « كنت سنة أربع وأربعين ـ يعني بعد الألف والثلاثمائة ـ مع فقيه ميلي بمقهى ، فقص علينا رجل مصيبة أيس من السلامة منها ، ثم حصل له الفرج ، فعبر عن خطورتها قائل : لوما الناس الصالحين [هكذا] ، فقال له صاحبي ـ مرشدا أومنكتا ـ : وربي ، فأجابه

---

(١) انظر : جامع كرامات الأولياء (١/ ٦٨ ـ ٧٧) .

(٢) هو محمد بن سعيد بن حماد البوصيري ، صوفي مشرك في توحيد الربوبية ، ولد سنة ٦٠٨ هـ ، وكان من شعراء المتصوفة ، وله نظم كثير فيه غلو عظيم ، وقد هلك سنة ٦٩٦هـ .
انظر : فوات الوفيات (٣/ ٣٦٢ ـ ٣٦٩) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٤١٠) و (٣/ ١٠٥ ـ ١١٣) ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٥٧٠) .

(٣) هذا البيت من أبيات قصيدته المسماة بالبردة (١٣٣) .

(٤) هو الشيخ مبارك بن محمد الميلي ، الجزائري ، أمين مال جمعية العلماء المسلمين في الجزائر سابقا ، له مؤلفات منها : كتاب الجزائر ، رسالة الشرك ومظاهره ، وتوفي سنة ١٣٥٧هـ .
انظر : معجم المؤلفين (٥/ ١٧٥) .

ربي والناس الصالحين [هكذا] ، فقال له : وربي وحده ، فلم يحاوره ، وقال : هكذا سمعنا الناس يقولون »[1].

فقد أضاف هذا المسكين - جهلا منه - نعمة السلامة من هذه المصيبة إلى الناس الصالحين ، وحينما ذكر بربه ، أشركه به ، وحينما طلب منه نسبة هذه النعمة إلى الله - تعالى - وحده ، لم يحر بذلك جوابا ، وهذا مصداق قوله - تعالى - : ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ [الزمر : ٤٥] .

والحوادث في ذلك كثيرة[2] .

ومن إضافة نعم الله - تعالى - إلى غيره : « مايجري على ألسنة الكثير من نسبة حصول النعم واندفاع النقم إلى مجهودات الحكومات أوالأفراد أوتقدم العلم التجريبي ، فيقولون - مثلا - : تقدم الطب تغلب على الأمراض أوقضى عليها ، والمجهودات الفلانية تقضي على الجهل والفقر »[3] .

ومن ذلك : استسقاء بعضهم بالأنواء .

فهذه بعض صور وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان.

---

(١) رسالة الشرك ومظاهره للميلي (١٣٤ - ١٣٥) .
(٢) انظر : جامع كرامات الأولياء (١/٢١٦ ، ٢١٩) .
(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد د . صالح الفوزان (١/٩٥) .

الثامنة والأربعون[1]

الكفر بآيات الله[2] .

التاسعة والأربعون[3]

جحد بعضها .

يبين الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ بهاتين المسألتين موقف أهل الجاهلية من آيات الله .

والذي يظهر لي أنه أراد بالآيات هنا « آيات الأنبياء » ، وذلك لأن الآيات الشرعية أفردها بعدة مسائل .

وقد ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ أن لهم منها موقفين :

أحدهما : الكفر بها ، يعني كلها .

الثاني : الإيمان ببعضها ، وجحد بعضها .

فأما الأول فهوللأميين كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ۝ كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر ﴾[القمر: ٤١ ـ ٤٢] .

---

(١) رقم هذه المسالة في (أ) الخامسة والأربعون .

(٢) في (ب) « بآياته » .

(٣) رقم هذه المسألة في (أ) السادسة والأربعون .

وأخبر أنه قال لموسى ﷺ : ﴿ مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ [الأعراف :١٣٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴾ [آل عمران:١١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ﴾ [الأنفال:٥٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكنا هم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ [الأنفال :٥٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا ان كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ [الإسراء :٥٩] .

وقال ـ تعالى ـ في شأن قريش : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ○ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] ، فهم مع رؤيتهم هذه الآية العظيمة التي يعجز عن الإتيان بها البشر يكذبون ، ويتهمون رسول الله ﷺ بأنه ساحر .

وكذبوا النبي ﷺ لما أخبرهم بأنه قد أسري به إلى بيت المقدس وعرج به السماء ، وغير ذلك من الآيات .

وأما الثاني ـ وهو جحد بعضها ـ : فهذا وقع فيه الكتابيون ، فاليهود آمنوا بما جاء به موسى ﷺ من الآيات ، كانفلاق البحر ، والحجر ، لكنهم

كذبوا بما جاء به عيسى ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلاسحر مبين ﴾ [المائدة : ١١٠] .

ومن ذلك : تكذيبهم هم والنصارى بالآيات التي جاء بها محمد ﷺ ، فإن من لازم كفرهم به : كفرهم بما جاء به من الآيات .

والمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عبر هنا بالجحود ؛ ليبين أنهم في قرارة أنفسهم لايُكذبون ، وهذا هو الواقع ، ولذلك قال موسى ﷺ لفرعون لما أراه الآيات : ﴿ لقد علمت ماأنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ [الإسراء :١٠٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ [النمل :١٤] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية ، فإن من هديه الإيمان بآيات الله كلها ، فكما أنه آمن بآيات الله المتلوة كلها ، فقد آمن بآياته الكونية كلها ، ومنها « آيات الأنبياء » .

فهو ﷺ يتلو ما أخبر الله ـ تعالى ـ به من إعطائه بعض الآيات

لأنبيائه ، ويؤمن بها ، كناقة صالح ، وعصا موسى ، وفلق البحر له ، ومائدة عيسى ، وغير ذلك .

كما أنه ﷺ جاء بالآيات العظيمة الباهرة ، كانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وخروج الماء من بين أصابعه الشريفة ، وغير ذلك .

فإيمانه ﷺ بآيات ربه لايحتاج إلى أدلة عليها لمعرفة ذلك بالضرورة.

وهذه الخصلة الجاهلية ـ وهي الكفر بآيات الله ، وجحد بعضها ـ ماتزال موجودة .

فالكفر بها كلِّها ، موجود عند من ينكر وجود الخالق ـ تعالى ـ لأنه مامن شك أن من أنكر وجود الخالق ، فقد أنكر وجود مخلوقاته ، وقد سبق ذكر بعض الطوائف المنكرة وجوده(١).

أما جحد بعض آياته ، وهو جحد آيات الأنبياء ، فهو موجود عند بعض المنتسبين إلى الإسلام ، ومن هؤلاء أصحاب المدرسة العقلية(٢)، الذين يزعمون أن « العقل البشري قد نضج واكتمل ، وتم رقيه وتطوره ، فلم يعد يقبل المعجزات ، ولم يعد يذعن

---

(١) انظر : (٤٢٣ ـ ٤٢٦) من هذا البحث .

(٢) المدرسة العقلية الحديثة : مدرسة تقوم على اعتبار أن العقل هو المصدر الأول من مصادر المعرفة ، ومن ثم تنادي بإلغاء كل مايعارضه ، ولو كان من النصوص المتواترة ، وهي وريثة المعتزلة في هذا العصر .
انظر في شأنها : المدرسة العقلية الحديثة ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة بالرياض لناصر العقل ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د . فهد الرومي ، العقلانيون أفراخ المعتزلة لعلي حسن عبد الحميد .

لها »[1].

وأصحاب هذه المدرسة قد اختلفوا ، فمنهم من كفر بجميع معجزات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، ومنهم من كفر بمعجزات محمد ﷺ فقط[2] .

ومن الذين كفروا بآيات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ الطائفة القرآنية[3]، فإنهم ينكرون جميع المعجزات ، ماعدا معجزة القرآن[4] .

وقد اختلفوا كما اختلفت الطائفة التي قبلهم في معجزات الأنبياء قبل محمد ﷺ ، فمنهم من آمن بها ، ومنهم من جحدها أوتأولها[5] .

فهذه بعض المثل التي تدل على أن هاتين المسألتين موجودتان في هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) المدنية والإسلام لمحمد فريد وجدي (٧١) ، وانظر : تفسير المنار (١١/ ١٥٥)
(٢) مقدمة المراغي لكتاب حياة محمد لمحمد حسنين هيكل (١٣) وانظر : منهج المدرسة العقلية في التفسير (٥٥٦ ـ ٥٥٧) .
(٣) الطائفة القرآنية : طائفة نشأت في شبه القارة الهندية بعد الحرب العالمية الثانية ، ويقوم مذهبها على الكفر بسنة النبي ﷺ ، فهم يزعمون أنهم لايؤمنون بغير ماجاء في القرآن .
انظر في شأنها : القرآنيون وشبههم حول السنة د . خادم حسين إلهي بخش ، فتنة إنكار السنة النبوية في شبه القارة الهندية د . سمير إبراهيم ، زوابع في وجه السنة قديما وحديثا د . صلاح الدين مقبول (٧١ ـ ٧٦) ، دراسات في الحديث النبوي د . محمد مصطفى الأعظمي (٢٨ ـ ٢٩) .
(٤) انظر : القرآنيون وشبههم حول السنة (٣٠٧ ـ ٣٠٨) و (٣١٣ ـ ٣١٤) .
(٥) انظر : القرآنيون وشبههم حول السنة (٣١٣ ـ ٣١٤) .

الخمسون[1]

قولهم[2] : ماأنزل الله على بشر من شيء[3] .

يشير المؤلف - رحمه الله تعالى - إلى موقف أهل الجاهلية من التنزيل ، فيذكر أنهم أنكروا ماأنزل على رسله جملة وتفصيلا ، ولم يؤمنوا بكتبه ، ولابوحيه على الإطلاق .

يبين هذا أن ﴿ شيء ﴾ نكرة في سياق النفي ، وهي من صيغ العموم ، ودخلت عليها ﴿ من ﴾ التي هي نص في العموم ، فأفادت نكرانهم كل ماأنزل الله - تعالى - .

وقد كان الأميون من أهل الجاهلية يستبعدون أن يرسل الله - تعالى - رسولا من البشر[4] ، ويرون أنه لابد أن يكون من جنس مغاير لهم كالملائكة .

وأما الكتابيون ، فقد كان إنكارهم جحودا وعنادا ؛ لكونهم كانوا يقرون بكتب بعض أنبيائهم كموسى وداود[5] - عليهما السلام - .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السابعة والأربعون .
(٢) « قولهم » ساقط من (هـ) .
(٣) « من شيء » ساقط من (هـ) .
(٤) انظر : تفسير ابن كثير (١٥٧/٢) .
(٥) انظر : تفسير ابن جرير (٢٦٨/٧) ، تفسير ابن كثير (١٥٧/٢) .

ومما يدل على هذه الخصلة : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شيء ﴾ [الأنعام : ٩١]

وهذه الآية اختلف فيمن نزلت ، فذهب جماعة من أهل العلم ألى أنها نزلت في قريش ، كما قال ذلك ابن عباس[١] ومجاهد[٢]، واختاره ابن جرير[٣]، وابن كثير[٤].

وذهب جماعة إلى أنها نزلت في اليهود ، كما قال ابن عباس في الرواية الأخرى عنه[٥]، والسدي[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، ومحمد بن كعب القرظي[٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/٢٦٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٣/٢٩) .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (٧/٢٦٨) .

(٤) انظر : تفسير ابن جرير (٢/١٥٧) .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧ /٢٦٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧ /٢٦٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧ /٢٦٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧ /٢٦٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٩) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

ولاتعارض بين القولين ، فقد تكون الآية نزلت ردًّا على هؤلاء وهؤلاء .

ومن الأدلة على هذه الخصلة ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ○ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ○ قالوا ماأنتم إلابشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾[يس:١٣ ـ ١٥] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن نبيه نوح ﷺ أنه قال لقومه:﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا﴾ [الأعراف:٦٣] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن هود ﷺ أنه قال لقومه : ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾[الأعراف : ٦٩] .

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على كون أهل الجاهلية كانوا ينكرون ما أنزل الله ـ تعالى ـ على رسله من الوحي .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فإنه ﷺ آمن بجميع ماأنزل الله ـ تعالى ـ على أنبيائه ورسله.

قال ـ تعالى ـ : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة :٢٨٥] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ [العنكبوت :٤٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب

﴾[الشورى: ١٥] .

والأدلة على ذلك كثيرة جدا .

وبين ـ جل وعلا ـ عاقبة صنيع أولئك ، محذرا غيرهم من الوقوع فيما وقعوا فيه ، كما في قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ○ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ○ تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ○ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ [الملك : ٦ ـ ٩] .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى عصرنا هذا ، وذلك أن منكري وجود الله ـ تعالى ـ من أهل المذاهب المادية ينكرون ماأنزل من باب أولى(١).

كما أنه يدخل في هذه الخصلة عندي من ينكر علو الله ـ تعالى ـ واستواءه على عرشه ، كالأشاعرة(٢)؛ وذلك لأن الإنزال لايكون إلا من جهة العلو ، وإذا كان الله ـ تعالى عن قولهم ـ ليس في جهة العلو ، فكيف ينزل كلامه .

---

(١) انظر :(٤٢٣ ـ ٣٢٦) من هذا البحث .

(٢) انظر : أصول الدين للبغدادي (١١٣) ، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (٩٥ ـ ٩٦) و (١٠١ ـ ١٠٢) ، أساس التقديس (١٥٤) و (١٨٨) ، حاشية البيجوري على الجوهرة (٢٦) ، حاشية النضالي على كفاية العوام (٦٢) .

كما أنه يدخل فيها - أيضا - من زعم أن كلام الله - تعالى - مخلوق ، كما يدعي ذلك المعتزلة[1]، والإباضية[2]، وغيرهم ممن انتحل رأيهم هذا ، والله أعلم .

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (٥٢٨) ، المحيط بالتكليف (٣٣١) ، مقالات الإسلاميين (١/٢٦٧ - ٢٦٨) ، الفرق بين الفرق (١١٤) ، الملل والنحل (١/٤٥) ، العلم الشامخ (١٢٨) .

(٢) انظر : المسلك المحمود لسعيد التعاريت (١٥٣) ، الديانات لعامر الشامخي (٤) ، بهجة أنوار العقول للسالمي (١/٩١) ، الموجز لعبد الكافي الإباضي (٢/١٠٧ - ١١١) ، الإباضية د . صابر طعيمة (١٠٣) .

الحادية والخمسون[1]

قولهم في القرآن : هذا[2] قول البشر[3] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية أنهم يزعمون أن القرآن الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على نبيه محمد ﷺ ، ليس من عند الله ، ولامن كلامه ، إنما هو صنيعة البشر وأقوالهم : محمد ﷺ ، أو من يزعمون أنه يعلمه .

وهذه الخصلة كالتي قبلها ، فالأميون حملهم على هذا القول استبعادهم أن ينزل الله على أحد من البشر شيئا .

والكتابيون يعلمون أنه كلام الله ـ تعالى ـ أنزله على رسوله ﷺ وحيا ، لكنه الحجود والعناد والحسد ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة :١٤٦] .

ومن الأدلة على هذه الخصلة : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ۝ وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ۝ ومهدت له تمهيدا ۝ ثم يطمع أن أزيد ۝ كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ۝ سأرهقه صعودا ۝ إنه فكر وقدر ۝ فقتل كيف قدر ۝ ثم قتل كيف قدر ۝ ثم نظر ۝ ثم عبس وبسر

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الثامنة والأربعون .
(٢) في (أ) و (جـ) و (هـ) : « إن هذا » .
(٣) في (د) : « بشر » .

○ ثم أدبر واستكبر ○ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ○ إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر:١١ـ٢٥] .

وهذه الآية نزلت باتفاق المفسرين في الوليد بن المغيرة[١] حين دعا قريشا لأن يجمعوا رأيهم في محمد ، فرضوا بما يختاره لهم ، فتحير في اختيار الوصف المناسب ، حتى أزمع رأيه بالقول : إنه ساحر ، وإن ماجاء به سحر .

ومما يدل على هذه الخصلة ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل :١٠٣] .

وهذه الآية نزلت في قريش حين زعموا أن النبي ﷺ يعلمه القرآن رجل أعجمي اختلف المفسرون في اسمه[٢] ، ولاحاجة لتعيينه .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾ [النحل : ٢٤] .

وهذه الآية نزلت في أقوام من مشركي العرب ، كانوا يقعدون بطريق من أتى النبي ﷺ ، فإذا مروا ، وسألوهم ، فأخبروهم بما سمعوا من النبي ﷺ ، قالوا : أساطير الأولين ، قاله قتادة[٣] .

---

(١) انظر : محاسن التأويل (٢٣٨/١٦) .

(٢) انظر : الدر المنثور (١٣١/٤) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١١٦/٤) .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ○ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ [الفرقان : ٤ ـ ٥] .

قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الآية : « هذا قول مشركي العرب ، يقولون : إن هذا إلا إفك افتراه : هو الكذب ، وأعانه عليه : أي على حديثه هذا وأمره قوم آخرون ، وقالوا أساطير الأولين : كذب الأولين وأحاديثهم »[(١)] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ [الأحقاف : ١١] .

أي : كذب قديم ، مأثور عن الناس الأقدمين[(٢)] .

وهذه الخصلة ، وإن كان أكثر من صرح به الأميين ، ولم أجد نصا صريحا على أن أهل الكتاب قالوا بها ، إلا أنه يلزمهم ذلك ، وذلك أنه سبق في المسألة التي قبل هذه المسألة أنهم زعموا أن الله ـ تعالى ـ لم ينزل على رسله شيئا ، وإذا كان لم ينزل على الرسول شيء من الله ، لم يبق إلا أن يكون ماجاء به إما من عنده أو من عند مخلوق غيره .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فإن الله ـ تعالى ـ أبطل ادعاءهم ذلك ، وبين أن القرآن كلامه ، وأنه هو الذي أنزله .

ومما يدل على المخالفة أن المشركين لما زعموا أن القرآن مما تعلمه

---

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٦٢) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤/١٥٧) .

محمد ﷺ من الأعجمي الذي - بزعمهم - يعلمه ، أبطل الله ذلك بقوله : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ .

ولما ادعوا أن القرآن قد ائتفكه محمد ، وأعانه عليه آخرون ، وأنه من أساطير الأولين ، كذبهم الله - تعالى - بقوله : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾ [الفرقان : ١٢] فهو منزل من عند الله .

ولما ادعى الوليد بن المغيرة أن القرآن سحر ، توعده الله - تعالى - وعيدا شديدا ، كما قال - تعالى - : ﴿ سأصليه سقر ﴾[المدثر: ٢٦]

ورد الله - تعالى - على المشركين تخرصاتهم تلك بقوله : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ○ ومالاتبصرون ○ إنه لقول رسول كريم ○وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ○ ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ○ تنزيل من رب العالمين ○ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ○ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ [الحاقة : ٣٨- ٤٦] .

وقد تحداهم الله - تعالى - أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره ، وهم أهل الفصاحة ، وأئمة العربية ، وإذا كان قول بشر مثلهم فلم يعجزون ، كما قال - تعالى - : ﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ٢٣] .

وقد بين - جل وعلا - عجزهم عن ذلك بقوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[الإسراء : ٨٨] .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة عند بعض الفرق الإسلامية ،

وعند غيرها ، فالمعتزلة ومن أخذ بمذهبهم يزعمون أن القرآن ليس هو كلام الله ، الذي هو صفته ، إنما هو خلق من خلقه[1].

والأشاعرة يزعمون أن القرآن حكاية أوعبارة عن كلام الله ـ تعالى ـ وليس هو حقيقة كلامه ، وإنما عبر عنه الرسول الملكي أوالرسول البشري .[2]

كما أن من الرافضة من يزعم أنه ليس كل مابين دفتي مصحف المسلمين من كلام الله ـ تعالى ـ ، بل من التحريف الذي دخل عليه، وقد صنف أحدهم كتابا أسماه « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب »[3]

كما أن المستشرقين يزعمون أن القرآن ليس من كلام الله ـ تعالى ـ إنما هو مما جادت به عبقرية محمد ﷺ ، أو من الكتب قبله ، أو من القوانين الرومانية[4].

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (٥٢٨) ، المحيط بالتكليف (٣٣١) .

(٢) انظر : الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/٢٤٧) ، شرح جوهرة التوحيد (٩٥) .

(٣) انظر : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (١٧٧ ـ ٢١٤) .

(٤) انظر :آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د. عمر رضوان (١ /٢٣٩ـ ٤٠٤) ، الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء المسلمين ، مقال : المستشرقون والقرآن الكريم بقلم أنور الجندي (١٩٩ ـ ٢٠٩) ، ومقال : المستشرقون والقرآن الكريم بقلم محمد صدر الحسن الندوي (٣٧٤ ـ ٣٧٥) ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي (١٤٩ ـ ١٥٠) ، تاريخ العرب العام لسيديو (٦٢) ، افتراءات المستشرقين على الإسلام د . عبدالعظيم المطعني (١٣ـ ١٦) ، أضواء على الاستشراق والمستشرقين د . محمد دياب (١٧٨ ـ ١٧٩) ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ، مقال : القرآن والمستشرقون د . =

وقد نهج نهجهم بعض تلامذتهم من المنتمين إلى الإسلام ، الذين تأثروا بهم ، كطه حسين الذي يرى أنه قد يكون مافي الأخبار من قصص ، استقاها النبي ﷺ من البيئة التي عاش فيها ، خصوصا أنها كانت معروفة لدى كثير من العرب ، أو استقاها نتيجة لاتصاله بأهل الكتاب(١)

فالمقصود بيان أن هذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، سواء عند من يدعي الإسلام كالرافضة والمعتزلة ، أو عند الكفار الأصليين كالمستشرقين من اليهود والنصارى وغيرهم .

= التهامي النقرة (١/٢٦ ـ ٥٤) ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د . محمود زقزوق (٨٢ ـ ٩٤) الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل (٢٣ ـ ٣٩)

(١) انظر : في الأدب الجاهلي د . طه حسين (١٤٤ ـ ١٤٥) .

الثانية والخمسون[1]

القدح في حكمة الله ـ تعالى ـ .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية القدح في حكمة الله ـ تعالى ـ ، وهو الطعن فيها ، أو نفيها ، كاعتقادهم أنه ـ جل وعلا ـ يخلق لالحكمة ، ويأمر وينهى لالحكمة ، وكاعتقادهم أنه ـ تعالى ـ يساوي بين المختلفات ، ويفرق بين المتماثلات ، وأنه ـ تعالى ـ يديل أعداءه على أوليائه إدالة مستمره ، وكاعتراضهم على شرائعه ، وما أرسل به رسله وانبياءه ـ عليهم السلام ـ وغير ذلك .

وقد أوضح ـ تعالى ـ مذهبهم ذلك في كتابه الكريم ، فقال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ [صٓ : ٢٧] .

والباطل هنا : هو الذي لاحكمة فيه[2]، وهو الهزل واللعب والعبث[3]،

(١) هذه المسألة ليست موجودة في (أ) .

(٢) انظر : روح المعاني (٢٣/١٨٧) ، محاسن التأويل (١٤/ ١٦٤) .

(٣) انظر : زاد المسير (٧/ ١٢٥) ، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٩١) ، روح المعاني (٢٣/١٨٧) ، محاسن التأويل (١٤/ ١٦٤) .

والله ـ جل وعلا ـ بين أن أهل الجاهلية يعتقدون أنه ـ تعالى ـ ليس له حكمة في خلق السماوات والأرض ومابينهما ، وأنه إنما فعل ذلك من باب العبث واللهو[1].

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين ○ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾[الانبياء : ١٦ ـ ١٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

أي : أفحسبتم أنما خلقناكم بلا قصد ولاإرادة ولاحكمة لنا ، وأن خلقكم ليس إلا من قبيل العبث والباطل[2] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ [المدثر : ٣١] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « أي : يقولون : ماالحكمة في

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٢٣/ ١٥٢) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١٨/ ٦٣) ، معالم التنزيل (٣/ ٣٢٠) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٠) .

ذكر هذا ههنا »[1].

ومن الاعتراض على شرعه ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] .

فهم اعترضوا على حكمة الله ـ تعالى ـ التي اقتضت وضع النبوة فيمن يرونه ليس أهلا لها لكونه من الضعفاء ، ولم يضعها في أحد هذين الرجلين العظيمين في نظرهم .

ومن ذلك اعتراض اليهود على الله ـ تعالى ـ حينما أخبرهم نبيهم باصطفاء الله ـ تعالى ـ طالوت ملكا عليهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾[البقرة: ٢٤٧] فهم لم يسلموا الأمر ويقولوا : إن لله الحكمة في ذلك ، بل اعترضوا على ماأمروا به ، وأبوا الانقياد والطاعة .

ومن ذلك ـ أيضا ـ : أنه لما حولت القبلة إلى البيت الحرام ، لمز السفهاء وهم اليهود ـ كما هو أحد الأقوال في تفسير الآية[2] ـ دين الإسلام بذلك ، وقدحوا فيه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ سيقول السفهاء من الناس

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٤٥) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢/ ١ ـ ٣) ، زاد المسير (١/ ١٥٣) .

ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

ومن ذلك : أنه لما انتقلت النبوة من بني إسرائيل إلى ولد إسماعيل ﷺ اعترضوا على ذلك ، ولم يؤمنوا ويتبعوا .

ومن القدح في حكمة الله ـ تعالى ـ : ظن الكفار أن الله ـ تعالى ـ يجعل الغلبة لأعدائه ، والهزيمة لأوليائه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : « وقد فسر هذا الظن الذي لايليق بالله ، بأنه ـ سبحانه ـ لاينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وأنه يسلمه للقتل ، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولاحكمة له فيه ، ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ ، ويظهره على الدين كله »[١].

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ :﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم ﴾ [الفتح : ١٢] .

ومن ذلك اعتقاد بعض أهل الكتاب أن محمدا ﷺ كاذب مدع النبوة ، وهم مع ذلك يرون الله ـ جل وعلا ـ يمكن له في الأرض ، ويقضي به على من يزعمون أنهم أتباع الرسل : يسبي ذراريهم ونساءهم ، ويغنم أموالهم ،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/٢٢٨ ـ ٢٢٩) .

وغير ذلك ، ولايصيبه شيء ، ولايظهر كذبه للناس وانتفاكه[1].

ومن القدح في حكمته ـ تعالى ـ : اعتقاد أهل الجاهلية أن الله ـ تعالى ـ يساوي بين المختلفات ، ويفرق بين المتماثلات ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ [صّ : ٢٨] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ﴾ [الجاثية : ٢١] .

فقد جاء في سبب نزول هاتين الآيتين أن كفار قريش قالوا للمؤمنين : « لئن كان ماتقولون حقا ، لنفضلن عليكم في الآخرة ، كما فضلنا عليكم في الدنيا »[2].

قال ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ : « ساء ماظنوا وحكموا به ، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين »[3].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فإنه أثبت لربه الحكمة البالغة التي لاتبلغها أي حكمة ، كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) انظر : شرح الطحاوية (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٢) معالم التنزيل (٤/ ١٥٩) ، زاد المسير (٧/ ١٢٥) و (٧/ ٣٦١) لباب التأويل للخازن(٦/ ٥٤) .

(٣) تفسير ابن سعدي (٧/ ٢٧) .

﴿ حكمة بالغة ﴾ [القمر : ٥] .

وجاءت آيات كثيرة جدا مشتملة على اسم الله الحكيم ، والحكيم هو الذي أفعاله محكمة متقنة ، لاتفاوت فيها ولااضطراب ، والذي يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها[١] .

كما جاءت آيات عديدة مبينة أن الله ـ تعالى ـ لايفعل إلا لحكمة، وأنه تنزه عن الباطل والعبث ، كما في الآيات التي ذكرتها في الاستدلال .

كما جاءت آيات كثيرة مبينة أن الله ـ تعالى ـ لايساوي بين المختلفات ، ولايفرق بين المتماثلات .

كما جاءت ـ أيضا ـ آيات كثيرة مبينة أن شرعه ـ تعالى ـ مبني على حكمته ، كما في خاتمة آيات المواريث ، وآيات الصدقة ، والحدود وغيرها .

فالمقصود أن ماجاء به الرسول ﷺ كله مثبت حكمة الله ـ تعالى ـ ولايرضى بأن يُطعن فيها بأي وجه من الوجوه .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فإن من أهل هذا العصر من ينفي حكمة الله ـ تعالى ـ بالكلية ، ويزعم أنه يفعل بمحض المشيئة فقط ، وهؤلاء هم

---

(١) انظر : اشتقاق أسماء الله للزجاجي (٦٠) ، توضيح الكافية الشافية لابن سعدي (١١٩ ـ ١٢٠) .

الأشاعرة[1] .

ومن أهل هذا العصر - أيضا - من يطعن في حكمة الله بالطعن فيما قدره الرب - جل وعلا - وقضاه من الأمور الكونية أوالشرعية .

فمن الأول : قول محمد إقبال[2] وهو يخاطب ربه بلا أدب معه ولاحياء ولاخوف منه ، معترضا على قضائه وقدره وحكمته في إعطاء الكفار من زهرة الحياة الدنيا: « إن رحمتك وموهبتك على منازل غير المسلمين ، وأما المسلمون فهم وحدهم يبتلون ويمتحنون بالمصائب والآلام »[3].

وقوله : « ربنا لقد صرفت عنايتك عنا ، وأنعمت على غيرنا ، فإذا كان هذا من تقاليد الصداقة والكرم ، فالأحسن أن ترمي الكأس والزجاج بحائط

---

(1) انظر : غاية المرام في علم الكلام للآمدي (٢٢٤) ، نهاية الإقدام للشهرستاني (٣٩٧)، المواقف في علم الكلام (٣٣١ - ٣٣٢) ، كتاب الأربعين في أصول الدين (٢٤٩) ، نظم الفرائد في الخلاف بين الأشعرية والماتريدية لشيخ زاده (٢٧) ، الحكمة والتعليل في أفعال الله د . محمد ربيع المدخلي (٦٢ - ٦٣) .

(2) هو محمد إقبال نور محمد ، فيلسوف وشاعرهندي ، ولد سنة ١٢٩٤ هـ ، ودرس في الهند وإنجلترا وألمانيا ، وحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه ، له عقائد فاسدة، منها : القول بوحدة الوجود التي يذكر تلميذه سليم الجشتي أنه كان يعتقدها طوال حياته ، له مؤلفات منها : ديوان الأسرار والرموز ، ديوان رسالة المشرق ، توفي سنة ١٣٥٧هـ .
انظر : محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية لخليل الرحمن عبدالرحمن ، الشاعر الثائر محمد إقبال لنجيب الكيلاني (٨ - ٩) .

(3) محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية (١٨١) .

الحرم »[1].

وقوله : « إذا كانت النجوم تنجرف في سيرها ، فإن السماء لك ، وليست لي ، ولماذا أفكر في مصير العالم وأحزن له ؟ فإن العالم ملك لك وليس ملكا لي ، ولما كان الإنسان نورا وضياء لعالمك ، فانحطاطه وضياعه هل هو خسارة لك أولي ؟ »[2].

ففي هذه النصوص اعتراض واضح على حكمة الله ـ تعالى ـ ، ففي النص الأول والثاني اعترض على حكمة الله ـ تعالى ـ فيما يصيب المسلمين من المحن والبلاء والألم ، وماعليه الكفار من النعم الدنيوية، ثم ساءل ربه ـ وهو الذي لايسأل عما يفعل ـ هل فعل ذلك محاباة لهم ولأجل الصداقة معهم أم ماذا ؟ ثم تذمر مبديا يأسه من الله .

وفي النص الثالث اعترض على حكمة الله ـ تعالى ـ حينما رأى ماأصاب الناس من الانحطاطا والضياع ، ثم أبدى تأسفه لكونه أحزن نفسه فيما ليس له فيه مصلحة .

وهذه النصوص ذكر الأستاذ خليل الرحمن في كتابه « إقبال وموقفه من الحضارة الغربية » أن لها تأويلا ، وأن إقبالا ماقالها إلا تحسرا على العالم

---

(١) المصدر السابق ، نفس الصحيفة .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصحيفة .

الإسلامي ، وأنها قليلة في كلامه[1] ، إلا أن كل ماقاله مردود ، ولايعفي إقبالا من تبعتها ، أما كون هذه الكلمات له تأويل ، فإن الأصل أخذ الكلام على ظاهره ، وأما كونه قال ذلك تحسرا على مارأى من ضياع العالم الإسلامي ، فإنه أي ضياع أعظم من إساءة الأدب مع الله ـ تعالى ـ ، وهل هذا التحسر يجيز له أن يتفوه بهذه الكلمات ، وأما كونه قليلا ، فإن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم ﴾[التوبة : ٧٤] .

والاعتراض على حكمته ـ تعالى ـ مما شاع بين كثير من الناس من حيث يعلمون أو من حيث لايعلمون ، فتجدهم يعترضون عليها حينما يصاب أحد بمصيبة كمرض ، أوفقر ، أوغير ذلك ، فيقولون : هذا لايستحق هذا كله ، ماالذي فعله فلان حتى يصاب بهذا ؟ لِمَ لمْ تحل هذه المصيبة إلا بهذا المسكين ؟ ولِمَ لمْ تحل بالطغاة ؟ ونحو ذلك .

ومن الثاني ـ وهو الاعتراض على شرعه ـ الاعتراض عليه فيما شرعه من الحدود كالقطع والقتل والجلد والصلب ، والزعم بأن ذلك من الوحشية التي لاتناسب العصرالحاضر[2] ، وكأنهم لايعلمون أن الله ـ تعالى ـ الذي

---

(١) انظر : إقبال وموقفه من الحضارة الغربية (١٨٢) .

(٢) انظر : تحكيم الشريعة ودعاوى العالمانية د . صلاح الصاوي (١٨٣ ـ ١٨٩) .

شرع هذه الأمور كلها إنما شرعها بعلمه وحكمته .

وقد سخر بعضهم كحسين أمين من حكمة الله ـ تعالى ـ في ذلك، وأخذيردد قول أبي العلاء المعري[1] :

يد بخمس مئين من عسجد وديت

مابالها قطعت في ربع دينار

تناقض مالنا إلا السكوت له

وأن نعوذ بمولانا من النار[2]

ومن ذلك : الاعتراض عليه فيما شرعه من تفضيل الذكر على الأنثى في المواريث ، وجعل العصمة في يد الرجل ، وكذا القوامة ، وتعدد النسوة ، ولزوم الحشمة والحياء .

ومن مظاهر الطعن فيما شرعه : اعتقاد أهل البدع أن الله ـ تعالى ـ

---

(١) انظر : دليل المسلم الحزين لحسين أمين (٢١٣) .
والمعري هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، شاعر مشهور ، كان يرمى بالزندقة والتدين بدين البراهمة ، ولد سنة ٣٦٣هـ ، وله مؤلفات منها : رسالة الغفران ، لزوم مالايلزم ، سقط الزند ، وتوفي سنة ٤٤٩هـ .
انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤/٢٤٠ ـ ٢٤١) ، المنتظم لابن الجوزي (٤/١٤٨ ـ ١٨٨) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/١٠٧ ـ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٨/٢٣ ـ ٣٩) .

(٢) لزوم مالايلزم لأبي العلاء (١٤٩) ، وذكره ابن الجوزي في المنتظم (٨/١٨٦) ، وياقوت في معجم الأدباء (٢/١٦٨ ـ ١٦٩) ، والصفدي في الوافي بالوفيات (٧/١١٠) وفي نكت الهميان في أخبار العميان (١٠٧) ، والحافظ ابن كثير في البداية

أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتجسيم ، وأنه إنما رمز إلى الحق في ذلك برموز بعيدة ، وأشار إليها بإشارات ملغزة[١]

ومن الطعن في حكمته : الاعتقاد بأنه ـ تعالى ـ يساوي بين المختلفات ، ويفرق بين المتماثلات ، كما تزعم ذلك المرجئة ، حين ادعوا أنه لايضر مع الإيمان ذنب[٢] ؛ لأنهم جعلوا بهذا من أفنى عمره في طاعة الله ، كمن لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يرعو عن معصية مولاه، بل بارزه بالمعصية ، وجاهر بذلك كله[٣]، وكما يزعم ذلك من يكفر بالكبيرة كالخوارج ، حيث إنهم ساووا من عبدالله ـ تعالى ـ بيد أنه أقدم على فعل كبيرة من كبائر الذنوب بمن لم يؤمن بربه ولاخالقه أصلا[٤].

هذه بعض صور الطعن في حكمة الله الحكيم في هذا العصر ، والله المستعان على مايصفون .

---

(١) انظر : زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/ ٢٣١) .
(٢) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٩ ـ ١٤٦) ، التبصير في الدين (٩٧ ـ ٩٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٣٣) .
(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٨) ، التنبيه والرد (٥١) ، الملل والنحل (١/ ١١٤)، الفرق بين الفرق (٧٣) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٦) ، الملل والنحل للعراقي (٥٧) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (١٧) .
(٤) انظر : زاد المعاد (٣/ ٢٣٣) .

الثالثة والخمسون[1]

إعمال الحيل الخفية والظاهرة[2] في دفع ماجاءت به الرسل ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ [آل عمران : ٥٤] ، وقوله : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب[3] آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره[4] لعلهم يرجعون[5] ﴾ [آل عمران: ٧٢] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة ، أن أهل الجاهلية راموا القضاء على الحق الذي جاءت به الرسل ـ عليهم السلام ـ والتخلص منه ، ومن العمل به ، بكل مااستطاعوا من الوسائل ، فكل ماظنوا أنه سيحقق لهم ذلك فعلوه ، فتارة يعملون الحيل الظاهرة من القتل ، والإخراج من الديار ، والأسر ، والإيذاء بالقول والعمل ، كالتشنيع عليهم

(١) رقم هذه المسألة في (أ) التاسعة والأربعون .

(٢) في (أ) و (جـ) « الظاهرة والباطنة » وفي (ب) و (د) و (هـ) « الظاهرة والخفية » .

(٣) ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب ﴾ ساقطة من جميع النسخ حتى الأصل ماعدا (هـ) وقد أضفتها حتى يتم بها الاستدلال .

(٤) ﴿ واكفروا آخره ﴾ ساقط من (أ) و (ب) و (د) .

(٥) ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ ساقط من جميع النسخ حتى الأصل ماعدا (هـ) وقد أضفتها حتى يتم بها الاستدلال .

ودعوى أنهم كاذبون مفترون ، وغير ذلك .

وتارة يعملون الحيل الباطنة من التدبير لهم في الخفاء، والمكر بهم، ومخادعتهم ، وإظهار اتباعهم كذبا ونفاقا .

وقد وقع في هذه الخصلة الأميون والكتابيون على حد سواء، وزاد الكتابيون على الأميين التحايل على حدود الله - تعالى - ظنا منهم أنهم يتخلصون مما أمرت بهم رسلهم أو نهت عنه ، كما سيأتي ذكره في الأدلة - إن شاء الله تعالى - .

وقد استدل - رحمه الله تعالى - على هذه المسألة بقوله - تعالى - : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك أن المكر هو الاحتيال في الخفية[1]، والخديعة[2]، وإيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر[3]، وهو نوع من أنواع الحيل ، لأن من الحيل ماليس مكرا[4].

وهذه الآية جاءت مبينة موقف اليهود من نبي الله عيسى ، حيث دبروا مقتله ، وذلك بتمالئهم عليه ، ووشايتهم به عند ملك ذلك الزمان

---

(١) انظر : العين للخليل بن أحمد (٥/ ٣٧٠) ، تهذيب اللغة مادة «مكر » ، (١٠/ ٢٤٠) ، لسان العرب ، مادة «مكر » (٥/ ١٨٣) .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ، مادة « مكر » (٥/ ٣٤٥) ، المحكم مادة «مكر » (٧/ ٢٧) ، لسان العرب ، مادة « مكر » (٥/ ١٨٣) .

(٣) انظر : التعريفات (٢٤٥) .

(٤) انظر : الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (٢١٥) .

الذي كان كافرا ، إذ زعموا أنه يضل الناس ، ويصدهم عن طاعته ،ويفسد عليه رعاياه ، حتى استثاروا غضبه عليه فطلبه ليقتله[1].

وكل هذا قصدا منهم لدفع ماجاء به ـ عليه السلام ـ .

كما استدل ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية إخبار الله ـ تعالى ـ عن تواصي طائفة من أهل الكتاب بإظهار الإقرار بالحق أمام الناس أول النهار ، ثم الكفر به ، وإنكاره آخره ، توصلا بذلك إلى دفعه ، وهي مكيدة أرادوا بها التلبيس على الضعفاء من الناس ، حتى يقولوا : مارجع هؤلاء عنه إلا لنقص رأوه فيه ، فيرجعوا كما رجع أولئك[2]، فهم يحتالون بالنفاق ، وهذا من الحيل الخفية .

وقد دل كتاب الله ـ تعالى ـ على أن الجاهليين أعملوا الحيل الظاهرة والباطنة لدفع ماجاءت به الرسل .

ومن هذه الأدلة : قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن قوم نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ ومكروا مكرا كبارا ﴾[نوح : ٢٢]

---

(١) انظر : معالم التنزيل (١/٣٠٦ـ ٣٠٧) ، تفسير ابن كثير (١/٣٦٥) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١/٣٧٣) .

أي : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة ، وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة[1] وذلك بتسويلهم لأتباعهم أنهم على الحق والهدى[2]، وبافترائهم على الله ، وتكذيبهم رسله ، وبالتحريش على قتله[3].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولايصلحون ○ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ○ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون ○ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ [النمل : ٤٨ ـ ٥١] .

ففي هذه الآية إخبار من الله ـ تعالى ـ عن تعاهد قوم صالح على المكر به ، وذلك باغتياله ليلا ، على حين غفلة من الناس ، ثم إنكار علمهم بذلك إذا سألهم أولياء دمه[4].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ [الرعد:٤٢] .

أي : مكر الأقوام الذين قبل قريش برسلهم ، وأرادوا إخراجهم من ديارهم[5]، وهذا يعني أن المكر بالرسل موجود في كل الأمم الذين جاءتهم

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٢/٥٦٧ ـ ٥٦٨) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٢٧) .
(٣) انظر : معالم التنزيل (٤/٣٩٩) .
(٤) انظر : تفسير ابن جرير (١٩/١٧٣) ، معالم التنزيل (٣/٤٢٣ ـ ٤٢٤) ، تفسير ابن كثير (٣/٣٦٨ ـ ٣٦٩) .
(٥) انظر : تفسير ابن جرير (١٣/١٧٥) ، معالم التنزيل (٣/٢٤) ، تفسير ابن كثير =

الرسل .

وقوله - تعالى - في حق نبيه ﷺ حينما تشاورت قريش في أمره : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وقوله - تعالى - مخبرا عن المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ، ويبطنون الكفر : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴾ [البقرة : ١٤] .

وقوله - تعالى - : ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ○ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾ [آل عمران : ١١٩ - ١٢٠] .

فهم يظهرون المودة للمؤمنين ، ويبطنون خلاف ذلك[1].

وقوله - تعالى - مخبرا عنهم أيضا : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين

= (٥٢٢/٢) .
(١) انظر : تفسير ابن جرير (٦٥/٤ - ٦٦) ، تفسير ابن كثير (٣٩٩/١) .

لكاذبون ○ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ماكانوا يعملون ﴾ [المنافقون ١-٢] .

ومن الاحتيال على أحكام الله ، احتيال اليهود على اصطياد السمك ، حين حرم عليهم ذلك يوم السبت ، كما قال - تعالى - : ﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

فقد ذكر المفسرون في هذه الآية أن اليهود لما حرم الله - تعالى - عليهم اصطياد السمك يوم السبت احتالوا على ذلك فكانوا ينصبون الشباك يوم الجمعة ، فإذا جاء يوم السبت وخرجت الحيتان، دخلت في هذه الشبك ، فلم تستطع الخلاص منها ، فجاء اليهود يوم الأحد ، وأخذوا السمك ، وأكلوه[1].

ومن ذلك : احتيالهم على أكل الشحوم لما حرمت عليهم ، بإذابتها ، ثم أكل ثمنها ، كما قال النبي ﷺ : « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم ، فجملوها[2]،

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٩/ ٩٣ - ٩٧) .
(٢) أي : أذابوها ، واستخرجوا دهنها .
انظر : الفائق في غريب الحديث (١/ ٢٣٢) ، النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٩٨)

فباعوها »[1].

بل إن رسول الله ﷺ بين تهاونهم في هذا الأمر ، فقال : «لاترتكبوا ماارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»[2] .

وبما ذكر من الأدلة يتبين كيف احتال أهل الجاهلية على اختلاف أصنافهم على دفع ماجاء به رسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ مايبين عاقبة من فعل ذلك، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ﴾ ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [النساء : ١٤٢] .

والآيات في هذا كثيرة جدا .

وقال ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأنبياء ـ باب ماذكر عن بني إسرائيل ـ (٤/١٤٥) ، وفي كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة الأنعام ـ (٥/١٩٤) ، وفي كتاب البيوع ـ باب لايذاب شحم الميتة ولايباع ودكه ـ (٣/٤٠) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساقاة ـ باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ـ (٣/١٢٠٧ ـ ١٢٠٨) الحديث (١٥٨١ و ١٥٨٢) عن عدة من الصحابة بألفاظ متقاربة .

(٢) أخرجه ابن بطة في جزء الخلع وإبطال الحيل (ص ٤٧) ، وجود إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٣/١٢٣) ، وابن كثير في تفسيره (١/١٠٧) و (٢/٢٥٨) .

به »[1] .كما أن من هديه ﷺ تحريم الحيل التي يتوصل بها إلى الأمر المحرم ، كما في قوله ﷺ : « لاترتكبواماارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

فهذا نهي منه ﷺ عن التشبه باليهود في هذه الخصلة المقيتة .

ولعن ﷺ « المحلل والمحلل له»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجزية - باب إثم الغادر للبر والفاجر - (٤/ ٧١ - ٧٢) ، وفي كتاب الحيل - باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت - (٨/ ٦٢) ، وفي كتاب الفتن - باب إذا قال عند قوم شيئا ، ثم خرج فقال بخلافه - (٨/ ٩٩) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الجهاد - باب تحريم الغدر - (٣/ ٣٥٩ - ٣٦١) ح ١٧٣٥ ، ١٧٣٧، ١٧٣٨ بألفاظ متقاربة عن عدة من الصحابة .

(٢) جاء هذا في حديث أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب النكاح - باب ماجاء في المحلل والمحلل له - (٢/ ٤١٩) ح١١٢٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب النكاح - باب في الرجل يطلق امرأته ، فيتزوجها رجل ليحلها له - (٤/ ٢٩٥)، وعبد الرزاق في مصنفه - كتاب النكاح - باب في التحليل - (٦/ ٢٦٩)ح ١٠٧٩٣، وأحمد في مسنده (١/ ٤٤٨ ، ٤٥٠، ٤٥١ ، ٤٦٢) ،وأبو يعلى في مسنده (١/ ٤٦٨) ح٥٠٥٤ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٤٦)ح٩٨٧٨ ، والبغوي في شرح السنة - كتاب النكاح - باب نكاح المحلل - (٩/ ١٠٠ - ١٠١)ح٢٢٩٣ عن ابن مسعود .

قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وصحح إسناده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٥٩) .

وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له - (١/ ٦٢٣) ح١٩٣٦ ، والدارقطني في سننه - كتاب النكاح - باب في المهر - (٣/ ٢٥١) ، والحاكم في مستدركه - كتاب الطلاق - (٢/ ١٩٨ - ١٩٩) من حديث عقبة بن عامر وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

وأخرجه ابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له - (١/ ٦٢٢) ح١٩٣٥ عن ابن عباس .

والمحلل هو الذي ينكح المرأة ، لارغبة فيها ، إنما ليطلقها ، ليراجعها زوجها الذي بانت منه بينونة كبرى .

وبين ﷺ أن حكم الحاكم لايحل حراما ، فمن توصل إلى أخذ مال غيره بطرق فيها احتيال لم ينج من الوقوع في الحرام ، كما قال ﷺ : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وأقضي له على نحو ماأسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ، فلايأخذ ، فإنما أقطع له قطعة من النار»[1].

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٢٦٧) : « رجاله رجال الصحيح » .
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب النكاح - باب الرجل يطلق امرأته ، فيتزوجها رجل ليحلها له - (٤/١٩٦) ، وأحمد في مسنده (٢/٣٢٣) ، وابن أبي حاتم في العلل (١/٤١٣) ح١٢٣٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى - كتاب النكاح - باب ماجاء في نكاح المحلل - (٧/٢٠٨) من حديث أبي هريرة .
وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب النكاح - باب في التحليل - (٢/٥٦٢)ح(٢٠٧٦ - ٢٠٧٧) ، والترمذي في جامعه - كتاب النكاح - باب ماجاء في المحلل والمحلل له - (٢/٤١٨ - ٤١٩)ح١١١٩ ، وابن ماجه في سننه - كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له - (١/٦٢٢) ح١٩٣٥ وعبد الرزاق في مصنفه - كتاب النكاح - باب في التحليل - (٢/٢٦٩)ح١٠٧٩١ ، وأحمد في مسنده (١/ ٨٣ ، ٨٧، ١٠٥، ١٥٨ ، ١٥٩) ، والبزار في مسنده (٣/ ٦٢ - ٦٣) ح٨٢١ ، ٨٢٢ ، وأبو يعلى في مسنده (١/٣٢٣ - ٣٢٤) ح٤٠٢ ، والدارقطني في العلل (٣/١٥٣ - ١٥٦) ح٣٢٥ ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/١٥٩) ح١٠٧٣ عن علي ،قال الترمذي : « حديث معلول » .
وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه - كتاب النكاح - باب في التحليل - (٦/٢٦٩)ح١٠٧٩٠ عن عطاء مرسلا .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الشهادات - باب من أقام البينة بعد اليمين - (٢/١٦٢) وفي الحيل - باب منه - (٨/٦٢) وفي الأحكام - باب موعظة الإمام للخصوم - (٨/١١٢) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الأقضية - باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة - (٣/١٣٣٧ - ١٣٣٨) ح١٧١٣ .

ونهى ﷺ عن التحايل لتقليل الزكاة ، بتقليل نصابها ، وذلك بجمع ماافترق من الأموال ، وتفريق مااجتمع ، فقال ﷺ : « ولايجمع بين متفرق ، ولايفرق بين مجتمع خشية الصدقة»[1]

والأحاديث الدالة على منع الحيل كثيرة جدا .

فالمقصود بيان أن الإسلام منع من كل مايتخذ وسيلة لدفع ماجاء به رسول الله ﷺ .

وإعمال الحيل الظاهرة والباطنة موجود اليوم كما هو موجود عند أهل الجاهلية ، وله صور كثيرة ، منها :أن الدول التي تسمى بالكبرى لم تأل جهدا في المكر بالمسلمين ، فلم تدع بابا تظن أنه يصلح لذلك إلا طرقته ، فقد شنوا الحروب العسكرية ضد المسلمين ، وأبادوا خضراءهم في بلاد كثيرة ، وخلفوا من الدمار مالايكاد يوصف ، وهذا الأمر لايخفى، ومن أقرب الشواهد ماجرى في بلاد الأفغان ، ومايجري اليوم في بلاد البوسنة والهرسك ، وأريتيريا وفلسطين والصومال .

كما أنهم شنوا حربا فكرية ضد المسلمين ، فوجهوا إليهم الإذاعات المشكِّكَة ، وأرسلوا إليهم المنشورات التي فيها دعوة إلى باطلهم، وأقاموا الإرساليات في أكثر بلاد المسلمين ، واستولوا على وسائل التوجيه في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الحيل ـ باب في الزكاة وأن لايفرق بين مجتمع ، ولايجمع بين متفرق خشية الصدقة ـ (٥٩/٨ ـ ٦٠) .

أكثرها .

ولاريب أن هذا كله ، ليس وراءه إلادفع ماجاء به محمد ﷺ .

ومن صور ذلك : الدعوة إلى نشر المذاهب الباطلة ، والآراء الهدامة بين المسلمين ، وإشغالهم بها عن دينهم .

ومن صور ذلك : إلقاء الفتن بين المسلمين ، وإشعالها ، كي تتفرق صفوفهم ، ويفشلوا ، وتذهب ريحهم .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ التظاهر بمظهر الناصح للأمة نفاقا ، كما فعل اليهود سواء بسواء .

ومن صور ذلك : نشر العقائد الفاسدة ، والآراء الباطلة عن طريق بعض مايسمى بـ « الجماعات الدعوية » التي تنشر مايريد مؤسسوها من تلك العقائد والآراء بين الناس باسم الدعوة .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ تحليل ماحرم الله بتسميته بغير اسمه، كتسمية خلوة الأجنبي بالأجنبية حبا أبيض ، أوحبا بريئا .

وكتسمية الخمر بالأشربة الروحية ، أوالمنشطة ، أوالبيرة ، أوغير ذلك ، وكتسمية الربا بالحساب الجاري ،أوالربح البسيط ، وكتسمية بعض البيوع المحرمة بغير اسمها ، كتسمية بيع العينة[1] بالدينة ، والاحتيال عليها

---

(١) العينة : أحد البيوع المحرمة في الشريعة الإسلامية ، وهي بيع السلعة بثمن مؤجل ، ثم شراؤها بأقل منه نقدا .

بهذا الاسم[1] .

فهذه بعض صور التحايل في هذا العصر لدفع ماجاء به رسول الله ﷺ والتخلص منه ، نعوذ بالله من ذلك .

= انظر : المغني لابن قدامة (٤/١٩٣) ، روضة الطالبين (٣/٤١٦ ـ ٤١٧) ، مواهب الجليل شرح مختصر خليل للحطاب (٤/٤٠٤) ، البناية شرح الهداية للعيني (٦/٤١٥) ، المبسوط للسرخسي (١٤/٣٦) .

(١) انظر : كتاب بيع العينة مع دراسة مداينات الأسواق لمحمد الخضيري (٨٩ ـ ٩٠) .

الرابعة والخمسون(١)

الإقرار بالحق ليتوصلوا(٢) به(٣) إلى دفعه ، كما(٤) في الآية .

بعد أن ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن أهل الجاهلية كانوا يعملون الحيل الظاهرة والباطنة لدفع ماجاءت به الرسل ـ عليهم السلام ـ عَقَّب بذكر هذه المسألة المتعلقة بها ، وكأنه أراد بذلك بيان أهم وسائلهم لتحقيق ذلك الغرض المشين .

وهذه الوسيلة هي ادعاء الإيمان ، والدخول فيه أمام الناس ، لارغبة فيه ، ولاتصديقا لمن جاء به ، ثم الرجوع عنه ، وتركه ، قصدا منهم لتشكيك الناس فيه ، وصدهم عنه .

ودليل هذه المسألة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

فهم لم يؤمنوا حقيقة بمحمد ﷺ ، ولكنهم اتفقوا على إظهار الإيمان أول النهار ، وكأنهم قد دخلوا فيه عن اقتناع به ، ورغبة فيه ، ثم إظهار

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) : الخمسون .
(٢) في (أ) : « ليتوصل » .
(٣) « به » ليست في (أ) ، وفي (ب) و (د): « بذلك » .
(٤) في (ب) و (جـ) و (د) : « كما قال » .

الكفر آخر النهار ، كي يقول الناس :هؤلاء أهل كتاب ، لم يخرجوا منه إلا عن معرفة بحقيقته بعد دخولهم فيه ، فيصدوا الناس عنه ، ولهذا قالوا : ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ فالغاية من الدخول فيه ، الصد عنه ، والتشكيك فيه[1].

فالغرض من إيمانهم هو الصد عن سبيل الله .

وهذه حال أهل النفاق في عهد رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا يؤمنون بالله وبالرسول ﷺ ظاهرا ، ويكيدون له المكائد في الخفاء ، فكانوا ردءا للأعداء عليه وعلى أصحابه ، وكانوا عيونا لهم ، وكانوا يخذلون رسول الله ﷺ في أصعب المواقف ، كما فعل ابن أبي[2] في غزوة أحد حينما انخذل بثلث الناس لما أوشكت المعركة[3]، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ۝ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء

---

(١) انظر : تفسير عبدالرزاق (١/١٢٣) ، وابن أبي حاتم (٢/٣٣٦ ـ ٣٤٣) ، وابن جرير (٣/٣١١ ـ ٣١٣) ، معالم التنزيل (١/٣١٥) ، تفسير ابن كثير (١/٣٧٣) ، الدر المنثور (٢/٤٢ ـ ٤٣) .

(٢) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث الخزرجي ، وسلول التي يسمى بها جدته ، كان رأس النفاق في عهد رسول الله ﷺ ، هلك سنة تسع للهجرة ، وصلى عليه رسول الله ﷺ تطييبا لخاطر ابنه عبدالله ، فنهي عن الصلاة على المنافقين بعده .
انظر : العبر في خبر من غبر للذهبي (١/١٠) ، شذرات الذهب لابن العماد (١/١٣) ، تاريخ الخميس (٢/١٤٠) .

(٣) انظر : سيرة ابن إسحاق (٥٠٤) ، مختصر سيرة ابن إسحاق (٣/٦٤) ، المغازي للواقدي (١/٢١٩) ، تاريخ ابن جرير (٢/٥٠٤) ، جوامع السيرة لابن حزم (١٥٧) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر (١٤٦) ، الكامل لابن الأثير (٢/١٠٥) ، زاد المعاد (٣/١٩٤) ، البداية والنهاية (٤/١٦) .

ماكانوا يعملون ﴾ [المنافقون : ١ ـ ٢] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أوادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾ [آل عمران : ١٦٦ـ١٧٦] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا أن إظهارهم الإيمان والإقرار به إنما قصدهم منه الطعن فيه والصد عنه : ﴿ إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ○ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ○ لو خرجوا فيكم مازادوكم إلاخبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين ○ لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ○ ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتني ألافي الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ○ إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾ [التوبة : ٤٥ ـ ٥٠] .

ففي هذه الآيات الكريمات فضح للمنافقين ، وبيان لأغراضهم الدنيئة ، فقد ذكر الله ـ جل جلاله ـ أنهم استأذنوا رسوله ﷺ عن الخروج معه إلى الغزو مبدين أعذارا كلها كذب ، إنما الذي منعهم النفاق وحب

الدنيا ، بدليل أنهم لم يتأهبوا للغزو أصلا ، ولم يعدوا له عدته ، لأنهم قد بيتوا النية على عدم الخروج ، ثم ذكر أنهم لو خرجوا مع المؤمنين لكانوا سببا في ضعفهم ، لكون هؤلاء المنافقين جبناء ، ليسوا أهلا للحروب ، ولأسرعوا بإلقاء الفتنة بين المؤمنين ، ونشرها بينهم ، ثم ذكر - تعالى - أن حبهم لفتنة المؤمنين ليس وليد الساعة ، وإنما هو من أول مقدمه ﷺ المدينة ، حينما رموه مع اليهود عن قوس واحدة ، ثم ذكر - تعالى - محبتهم لما يصيب رسول الله ﷺ والمسلمين من الأذى ، وكرههم لما ينالهم من العزة والنصر[1]، وهذا شأنهم دائما .

وقال - تعالى - مبينا بغضهم للمؤمنين : ﴿ هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ [آل عمران : ١١٩].

وقال - تعالى - مبينا بعض مايحيكون من المؤآمرات ضد رسوله ﷺ والمسلمين : ﴿ ويقولون طاعة فإذا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب مايبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾[النساء :٨١] .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٠/١٤٣ - ١٥٠) ، معالم التنزيل (٢/٢٩٧ - ٢٩٩) ، تفسير القرطبي (٨/١٥٥ - ١٥٩) ، تفسير ابن كثير (٢/٣٦١ - ٣٦٣) ، الدر المنثور (٣/٢٤٧ - ٢٤٩) .

فهم إذا حضروا عند رسول الله ﷺ أظهروا الموافقة والطاعة ، فإذا خرجوا من عنده ، وتواروا عنه ، استسروا ليلا فيما بينهم ، وأظهروا مايبطنون من المخالفة والبغض لرسول الله ﷺ ودينه ، ودبروا المكائد له[1].

وقال ـ تعالى ـ مبينا مودتهم كفر المؤمنين[2] : ﴿فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لوتكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [النساء :٨٩] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا حرصهم على نصرة أعداء الإسلام ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم ﴾ [الحشر : ١١] .

والآيات والوقائع الدالة على هذه الخصلة كثيرة جدا .

وهذه الخصلة من خصال المنافقين وأهل الكتاب .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، كما تبين من الآيات السابقة ، فالله ـ تعالى ـ نعى على أهل الجاهلية فعلتهم تلك ، وأبان خسرانهم وضلالهم وقبح صنيعهم ، وذكر أنهم أعظم الكفار عذابا يوم القيامة، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن المنافقين في

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/٥٢٨ ـ ٥٢٩) .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (١/٥٣٣) .

الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾[النساء :١٤٥] .

ولاريب أن هذا يعني التحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه .

ومازال هذه الخصلة موجودة إلى عصرنا هذا ، ولها صور ، منها :

إظهار الانتصار للإسلام وأهله ، أوللدعوة ، ثم إظهار الخذلان بعد ذلك ، وإلقاء الوهن في قلوب المسلمين ، وتثبيطهم ، قصدا إلى دفع الحق[1]

ومن ذلك : ادعاء كثير ممن ينتمي إلى الإسلامِ الإسلامَ ، وهو مع ذلك ينخر فيه بإلقاء الشبه والتلبيس على الناس ، وإضعاف الحمية الدينية في القلوب .

ومن ذلك : مايقوم به بعض الحاقدين على الإسلام وأهله من إعلان دخوله في الإسلام ، ثم بعد ذلك يعلن ردته عنه ، وأنه وجد فيه كذا وكذا ، رغبة في الصد عنه .

ومن ذلك : صور النفاق المعاصرة ، وهي كثيرة جدا ، وموجودة لدى أكثر الفرق المنتمية للإسلام وغير الإسلام .

ومن ذلك : ذكر بعض الملاحدة شيئا من محاسن الإسلام ؛ حتى يستميلوا به السذج من عوام المسلمين وشبه العوام ، وإلقاء الشبه على بعضها .

---

(١) انظر : مكايد يهودية عبر التاريخ لعبد الرحمن الميداني (٥٣ ـ ٥٤) ، الإسلام في مواجهة التحديات د . محمد رأفت سعيد (٧٦) .

ولو اطلعنا على تأريخ الفتن التي ظهرت في الإسلام إلى يومنا هذا ـ سواء كانت عقدية أم سياسية أم غير ذلك ـ فإننا لانكاد نجد واحدة منها خالية من الأثر الخارجي[1] .

ولاريب أن الذين تسببوا في قيامها ، لم يصرحوا بالعداء ، وإنما لبسوا جلود الضأن من اللين ، حتى دسوا السم في الدسم ، ونشروا فسادهم بين المسلمين ، فكان نتيجة ذلك ظهور الفرق والأحزاب والبدع والخرافات والقتال بين المسلمين ، والله المستعان .

(١) انظر صور ذلك في : ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ لعبد الرحمن الميداني (٢/٥٣٩ ـ ٦٨٦) .

الخامسة والخمسون[1]

التعصب للمذهب[2] ، كقوله[3] فيها[4] : ﴿ ولاتؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ [آل عمران : ٧٣] .

الكلام على هذه المسألة ، مضى مع الكلام على مسألة عدم قبول أهل الجاهلية الحق إذا كان مع غيرهم .

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الحادية والخمسون .
(٢) في (ب) « مذهب » .
(٣) في (ب) « لقوله » .
(٤) « فيها » ساقط من (أ) و (هـ) .

السادسة والخمسون[1]

تسمية اتباع الإسلام شركا[2] ، كما ذكر[3] في قوله : ﴿ ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب[4] والحكم[5] والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله[6] ﴾ الآيتين [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة حيلة أخرى من حيل أهل الجاهلية التي يعملونها لدفع ماجاءت به الرسل ، وهذه الحيلة هي قلب الحقائق تنفيرا للناس منها ، كما ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هنا ، حيث إنهم سموا الإسلام الذي هو نقيض الشرك بالشرك ، وسموا أتباعه مشركين .

ودليل هذه المسألة ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ○ ولايأمركم أن

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثانية والخمسون .
(٢) « شركا » ساقطة من (أ) و (ب) .
(٣) « ذكر » ساقطة من (أ) ، وفي (هـ) : « ذكر الله » .
(٤) لم يذكر من الآية في (أ) إلا إلى هنا .
(٥) في (ب) : « والحكمة » وهو خطأ .
(٦) في (هـ) زيادة ﴿ ولكن كونوا ربانيين ﴾ .

تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .

ووجه الاستدلال من هاتين الآيتين أن الله ـ تعالى ـ رد على اليهود والنصارى ، الذين حينما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ، زعموا أنه إنما دعاهم إلى عبادة نفسه ، فبين أنه لم يكن ليدعوهم إلى الكفر بعد الإسلام.

وسبب نزول هذه الآية الكريمة أن أبارافع[1] القرظي ، قال للنبي ﷺ حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ، ودعاهم إلى السلام : « أتريد يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم » فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : « أوذاك تريد منا يامحمد ، وإليه تدعونا » فقال رسول الله ﷺ : «معاذ الله أن نعبد غير الله ، أونأمر بعبادة غيره ، مابذلك بعثني ، ولابذلك أمرني » فنزلت هذه الآية[2].

وقال قتادة في سبب نزول قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ○ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ [الزخرف : ٥٧ ـ ٥٨] : « لما ذكر عيسى ابن مريم ، جزعت قريش ، وقالوا : يامحمد ماذكرك عيسى بن مريم ؟مايريد محمد أن نصنع به إلا كما صنعت النصارى بعيسى بن

(١) في تفسير ابن أبي حاتم «أن أبا نافع » وفي غيره من المصادر « رافع » .
(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في مختصر ابن هشام (١/ ٥٥٤) ، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٢٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٤٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

مريم ؑ[1]

ومن ذلك تسميتهم الدين الحق بالضلال ، كما قال ـ تعالى ـ حكاية عن قوم نوح أنهم قالوا :﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾[الأعراف :٦٠] ، وقول قريش : ﴿ إن هؤلاء لضالون ﴾ [المطففين : ٣٢] .

وتسميتهم الإسلام بالسفه ، كما قال قوم عاد لنبيهم هود ﷺ ﴿ إنا لنراك في سفاهة ﴾[الأعراف : ٦٦] .

وتسميتهم إياه بالسحر ، كما قال ـ تعالى ـ حكاية عن فرعون وآله ﴿ماهذا إلاسحر مفترى وماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾[القصص :٣٦] .

وتسميتهم إياه بالصبأ ، كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في المسألة التاسعة والخمسين .

فالمقصود أن أهل الجاهلية كانوا يقلبون الحقائق ، رغبة منهم في صد الناس عن الحق والطريق المستقيم .

وهذه المسألة من مسائل الأميين والكتابيين ، كما تبين ذلك من الأدلة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٩٨/٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٠/٦) وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .

والمعنى أنه لم يكن رسول الله ﷺ ليأمر بالكفر بعد الإيمان ، كيف وهو لم يبعث إلا لمحو الكفر والشرك وسحقهما ، وتقرير عبادة الله وحده لاشريك له ، وفي هذا أبلغ رد على أهل الجاهلية الذين زعموا أنه جاء بالشرك.

وهذه المسألة من المسائل التي ماتزال موجودة ، فبعض القبوريين من المتصوفة يسمي التوحيد شركا ، كما صرح بذلك أحد أئمتهم ، وهو العفيف التلمساني[1]، حيث ذكر أن القرآن كله مملوء شركا[2].

كما أن أحد أئمة الضلال والبدع في هذا العصر - وهو الكوثري - يصرح كثيرا بتسمية الإسلام بالشرك والوثنية والكفر[3] .

كما أن أهل التعطيل والإلحاد في أسماء الله - تعالى - وصفاته ،

---

(١) هو سليمان بن علي بن عبدالله العابدي التلمساني ، أبو الربيع ، صوفي حلولي،ولد سنة ٦١٠ كفره بعض علماء عصره ؛ لرقة دينه ، له مؤلفات منها : شرح فصوص الحكم ، شرح المواقف للنفري ، وقد توفي سنة ٦٩٠هـ .
انظر : البداية والنهاية (٣٠٩/١٣) ، فوات الوفيات (٢/ ٧٢ - ٧٦) ، النجوم الزاهرة (٢٩/٨ - ٣١) ، الدليل الشافي على المنهل الصافي (٣١٩/١) .

(٢) انظر : مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١٩/١) .

(٣) انظر على سبيل المثال : مقالات الكوثري جمع أحمد خيري (٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠١، ٣٠٦) ، تبديد الظلام المخيم على نونية ابن القيم (٤١ ، ١٥٤) ، تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقي (٤٠٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤) ، تعليقه على تبيين كذب المفتري (١٨) ، وسمى في تأنيبه (٢٩) كتاب التوحيد لابن خزيمة « كتاب الشرك ».

يسمون إثبات الصفات تجسيما ، وتشبيها ، وحشوا[1] .

والقدرية يسمون إثبات القدر جبرا[2] .

والرافضة يسمون حب الصحابة وموالاتهم نصبا[3] .

وأهل البدع يسمون السير على السنة بدعة[4] .

وأهل الكفر والفساد يسمون الحكم بما أنزل الله قسوة ووحشية وتخلفا .

فالمقصود أن هذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، وقد رأينا وجودها على غرار ماذكره المؤلف - رحمه الله تعالى - عند العفيف التلمساني والكوثري ، ورأينا مايلحق بها عند طوائف أهل البدع والضلال ، والله المستعان .

---

(١) انظر : أصل السنة واعتقاد الدين لأبي حاتم الرازي (٤١) ، الرد على أهل الأهواء لأبي زرعة الرازي (٦٩) ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٥٥) ، عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (١٠٥) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٧٩/٢) ، العلو للذهبي (١٣٩) .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) انظر : المصادر السابقة .

(٤) انظر : السلفية مرحلة زمنية مباركة لامذهب إسلامي د . محمد البوطي .

السابعة والخمسون[1]

تحريف الكلم عن مواضعه .

تقدم الكلام عن هذه المسألة ضمن شرح المسألة السادسةوالعشرين ، وهي مسألة تحريف كتاب الله من بعد ماعقلوه وهم يعلمون .

والفرق بين هذه المسألة وتلك ، أن هذه أعم ، حيث إنها تشمل كتاب الله وغيره ، ولكني أدرجتها ضمن الكلام على تلك المسألة لتقاربها ؛ ولأن تحريف الكتاب أهم من غيره ، والله أعلم .

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثالثة والخمسون .

الثامنة والخمسون[1]

لي الألسنة بالكتاب .

يبين المؤلف رحمه الله بهذه المسألة خصلة من خصال أهل الكتاب ، وهي لي ألسنتهم بكتاب الله ـ تعالى ـ الذي جاء على ألسنة أنبيائهم عليهم السلام .

ولي الألسنة بالكتاب نوع من أنواع التحريف ، ومعناه فتلها بقراءته ، بحيث إنهم كانوا يميلونها عن المنزل إلى المحرف ، ويتلون بها ماحرفوا ، فإذا قرأ القارىء منهم التوراة ، ووصل إلى الكلمة الحق فيها ، حرف لسانه عنها ، ونطق بكلمة أخرى غير حق[2] ، فاللي أخص من التحريف ؛ لأن التحريف يشمل ماكان بالكتب وما كان باللسان ، أما اللي ، فهو باللسان .

واللي نوعان : لي لفظي ، ولي معنوي ، كالتحريف ، فاللي اللفظي مايكون بتغيير ألفاظه ، كالحركة الإعرابية ونحو ذلك ، كما سبق بيانه في

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الرابعة والخمسون ، ولاتوجد في (جـ) .

(٢) انظر : بحر العلوم (١/ ٢٧٩) ، زاد المسير (١/ ٤١٢) ، الكشاف (١/ ١٩٧) ، تفسير الرازي (٧/ ١١٨) ، البحر المحيط (٢/ ٥٠٢) ، تفسير النسفي (١/ ١٦٥) ، أنوار التنزيل (١/ ١٦٨) ، تفسير أبي السعود (١/ ٥٠٤) ، تفسير الخازن (١/ ٣٧١) ، الفتوحات الإلهية (١/ ٢٩٠) ، روح المعاني (٣/ ٢٠٥) ، حاشية الصاوي على الجلالين (١/ ١٦٤) ، تفسير القرآن الحكيم (٣/ ٣٤٤) .

التحريف ، واللي المعنوي يكون بتأوله على غير تأويله .

وقد دل كتاب الله ـ تعالى ـ على أن أهل الجاهلية قد وقعوا في ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران :٧٨] .

فقراءتهم للباطل هو اللي ، قال الفخر الرازي[١]: « المراد قراءة ذلك الكتاب الباطل ، وهو الذي ذكره الله ـ تعالى ـ في قوله : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾[البقرة :٧٩] »[٢].

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قصتهم في مسألة رجم الزاني، وتغييرهم صفة النبي محمد ﷺ لما سألتهم قريش عنه، فإن في كلا القصتين تلفظا باللسان خلافا لما هو من الحق الموجود عندهم في كتابهم .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، وذلك أن الله ـ تعالى ـ توعد من فعل ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾ ، وذم ـ أيضا ـ من

---

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي ، فقيه ، مفسر ، متكلم ، صاحب حيرة في دينه ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ، واشتغل بعلم الكلام والسحر ، له مؤلفات منها : التفسير الكبير ، المطالب العالية ، وقد توفي سنة ٦٠٦هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٥٠٠ ـ ٥٠١) ، التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧) ، طبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٣٣ ـ ٤٠) ، ذيل الروضتين لأبي شامة (٦٨) .
(٢) تفسير الرازي (٧/ ١٨٨) .

فعل ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة بصور منها : دعوة أهل البدع إلى بدعهم عن طريق المناظرات والخطب والمحاضرات والندوات والأشرطة ، ودعوى أن ذلك من عند الله .

ومنها الكذب على الله ـ تعالى ـ وعلى رسوله ﷺ ، كالتحديث بالموضوع من الأحاديث .

ومنها مايجري من بعض الكهان وأشباههم ممن يزعمون أنهم يرقون بالرقى الشرعية من تمتمات بغير القرآن ودعوى أنها منه ، وهذا موجود[1].

ومنها قراءة بعض من لاخلاق له شيئا من غير القرآن بالكيفية التي يقرأ بها القرآن ، إيهاما أن المقروء منه[2].

فهذه بعض الصور التي تبين أن هذه الخصلة لاتزال موجودة إلى عصرنا هذا ، والله المستعان .

---

(١) انظر : فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز (٥/ ٤١٩) .
(٢) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٣/ ٣٤٥) .

التاسعة والخمسون(١)

تلقيب أهل الهدى(٢) بالصباة(٣) والحشوية(٤).

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة طريقة أخرى من طرق أهل الجاهلية الأميين والكتابيين التي يصدون بها الناس عن سبيل الله .

وهذه الطريقة هي طريق السخرية بأهل الحق ، والاستهزاء بهم ، وعيبهم ، وتنقصهم ، ولمزهم ، ونبزهم بالألقاب البذيئة والغريبة التي ينفرون بها الناس ، ويجعلونهم تشمئز نفوسهم منهم .

وقد مثل ـ رحمه الله تعالى ـ لهذه المسألة بمثالين : أحدهما من

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الخامسة والخمسون ، وفي (جـ) الثامنة والخمسون .

(٢) في (هـ) « الكتاب » .

(٣) في (ب) : « الصابئة » .
والصباة : جمع صابى ، كقضاة جمع قاض .

(٤) الحشوية : بفتح الشين وسكونها على الاختلاف في اشتقاقها ، فمن ذهب إلى انها مأخوذة من الحشا ،فتح ، ومن ذهب إلى أنها مأخوذة من الحشو ، سكن ، وأول من تلفظ بهذا اللفظ عمرو ابن عبيد ، فقد زعم أن ابن عمر كان حشويا ، وقد اختلف المتكلمون في المراد به ، إلا أنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ليس فيه مايدل على شخص معين ، ولامقالة معينة ، فلا يدرى من هم هؤلاء » بيد أنه غالب مايطلقه أهل البدع على أهل السنة والجماعة.
انظر : الملل والنحل (١/٩٦ ـ ٩٩) ، المواقف (٤٢٩) ، منهاج السنة النبوية (٢/٥٢٠ ـ ٥٢٢) ، وتعليق الدكتور محمد رشاد سالم عليه ، شذرات الذهب (١/٢١١) .

الألفاظ القديمة ، وهو « الصباة » .

والثاني من الألفاظ التي قال بها أهل البدع المنتمون إلى الإسلام ، وهو« الحشوية » .

ورمي أهل الهدى بالألقاب البذيئة قد كثرت الأدلة فيها جدا .

قال ـ تعالى ـ مخبرا عن قوم نوح ﷺ : ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ [القمر : ٩] ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ [الأعراف : ٦٠] .

وقال قوم هود لنبيهم ﷺ : ﴿ إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ [الأعراف : ٦٦] .

وقال فرعون اللعين مشنعا على موسى الكليم : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ [الشعراء : ٢٧] .

ولما جاء محمد بن عبدالله ﷺ قومه بالهدى ودين الحق قالوا : ﴿معلم مجنون ﴾ [الدخان : ١٤] ، وقالوا : ﴿ شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ [الطور : ٣٠] ، وقالوا : شاعر ، كاهن ، ساحر ، صابيء[١] ، كما جاء في الأثر أن عمه أبا لهب[٢] كان يسير خلفه وهو يدعو الناس إلى

---

(١) جاء هذا في قصة إسلام أبي ذر عند البخاري في صحيحه ـ كتاب المناقب ـ باب قصة زمزم ـ (١٥٨/٤ ـ ١٥٩) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل أبي ذر ـ (١٩١٩/٤ـ ١٩٢٢) ح٢٤٧٣ .

(٢) هو عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم ، عم رسول الله ﷺ ، وعدوه الألد ، أخزاه الله ـ تعالى ـ بسورة تتلى فيه إلى يوم القيامة ، توفي بعد غزوة بدر بقليل ولم يشهدها .
انظر : مختصر سيرة ابن إسحاق (١٠٨/١ ، ٣٥٤ ـ ٣٥٥) المنمق في أخبار قريش (٣٨٦ ، ٤٢٣) ، جمهرة أنساب العرب (١٤ ، ١٥، ٧٢) .

الله ، ويقول : « إنه صابىء كذاب »[1].

وكانوا إذا أسلم أحد قالوا : صبأ ، كما في قصة إسلام عمر[2] وأبي ذر، وكانوا يسمونهم السفهاء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ [البقرة : ١٣] ، والضلال ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ [المطففين : ٣٢] ، وكانوا يصفونهم بالشر والجهل ، كما في قصة إسلام عبدالله بن سلام حين قال اليهود « بل شرنا وابن شرنا ، وجاهلنا وابن جاهلنا »وغير ذلك من الألفاظ التي ينبزونهم بها .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فحرم التنابز بالألقاب والتعاير بها ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [الحجرات : ١١] .

فإذا كان الله ـ تعالى ـ حرم التنابز بالألقاب الذي ليس من ورائه سوى إهانة المنبوز ، وليس يهدف من ورائه دفع الحق ، فإن تحريم من يقصد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٢) و (٤/ ٣٤١) .
(٢) أخرجها البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب إسلام عمر ـ (٤/ ٢٤٢) .

بذلك دفع الحق من باب أولى ، وعقوبة صاحبه أشد وأنكى .

وقال ـ جل وعلا ـ : ﴿ ولاتطع كل حلاف مهين ○ هماز مشاء بنميم﴾ [القلم : ١٠ ـ ١١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ [الهمزة : ١] .

كما أن الله ـ جل وعلا ـ قد عاب على الجاهليين تصرفهم ذلك ، مما يعني قبحه ، ومن ثم التحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه .

وهذه الخصلة من الخصال التي لاتزال موجودة ، فإن أهل البدع ممن ينتسبون إلى الإسلام لايزالون ينبزون أهل السنة والجماعة بالألفاظ الشنيعة المكذوبة عليهم ، ومنها : الحشوية ، والمجسمة ، والنواصب ، والنوابت، والمجبرة ، والغثاء[(١)]، والغثر[(٢)]، والجهلة ، والسخفاء ، والغافلون ، وضعفاء العقول ، والمجانين ، والحمير ، وغير ذلك[(٣)].

---

(١) الغثاء : مايحمله السيل من القش ، ويطلق على أراذل الناس وسقطهم، وهذا مراد أهل البدع .

انظر : لسان العرب « غثا » (١٥/ ١١٥ ـ ١١٦) .

(٢) الغثر : جمع أغثر ، وهم سفلة الناس .

انظر : لسان العرب « غثر » (٥/ ٧) .

(٣) انظر : أصل السنة واعتقاد الدين (٤١) ، الرد على أهل الأهواء (٦٩) ، تأويل مختلف الحديث (٥٥) ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٠٥)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ١٧٩) ، العلو للذهبي (١٣٩) ، تبديد الظلام المخيم على نونية ابن القيم (١٥ ، ٥٥ ، ١٢٢) ، الجواب الفائق على مبدل الحقائق للشيخ عبدالله بن جبرين (٩ ، ٢٢) ، مقدمة السقاف لكتاب دفع شبه التشبيه (٥٦ ، ٥٨ ، ٧٤) .

والقبوريون الغلاة يسمون من ينهاهم عن قبورياتهم وبدعهم مبغضا لرسول الله ﷺ والصالحين .

ونفاة الصفات يسمون من أثبتها مشركا ، مجسما .

والعلمانيون يسمون من يطبق حدود الله في أرضه بين خلقه رجعيا .

نسأل الله السلامة والعافية .

الستون[1]

افتراء الكذب على الله .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية : افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ .

ومعنى افترائه عليه : أي اختلاقه ، وائتفاكه[2]، وذلك بنسبة باطلهم إليه ـ جل وعلا ـ ، والقول عليه بغير علم .

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم بذلك في كتابه الكريم ، فبين أن أهل الكتاب افتروا عليه بعبادتهم غيره ، كما قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار ﴾ [المائدة: ٧٢] .

وبزعمهم أنه اتخذ ولدا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

وبأنه وعدهم بأنهم لن يعذبوا إلا بقدر الأيام التي عبدوا فيها العجل ،

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السادسة والخمسون ، وفي (جـ) التاسعة والخمسون .
(٢) انظر : لسان العرب « فرا » (١٥/ ١٥٤) .

كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٣ ـ ٢٤] .

وبأنه لن يدخل الجنة إلا من كان على مثل ماهم عليه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : ١١١] .

وبأنهم أبناء الله وأحباؤه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة : ١٨] .

وبتزكيتهم أنفسهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولايظلمون فتيلا ○ انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا ﴾[النساء : ٤٩ ـ ٥٠] .

وبزعمهم أن الله ـ تعالى ـ أباح لهم أكل أموال من سواهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تامنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تامنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

وبزعمهم أن الله ـ تعالى ـ شرع لهم التمسك بالتوراة دائما ، وإنكارهم نسخ

شريعتهم[1]، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ۝ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ [آل عمران : ٩٣ ـ ٩٤] .

ويقولهم على الله ـ تعالى ـ بغير علم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران :٧٥ و ٧٨] .

كما بين ـ جل وعلا ـ أن الأميين قد افتروا عليه الكذب في كثير من الأمور ، ومن أشنعها عبادتهم غيره ، كما قال ـ جل وعلا ـ مخبرا عن أهل الكهف أنهم قالوا : ﴿ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾[الكهف : ١٥] .

والمعنى أن قومنا الذين عبدوا غير الله ـ تعالى ـ لم يكن لهم دليل وحجة على مافعلوا ، بل هم ظالمون ، كاذبون ، مفترون على الله في ذلك[2].

وقال شعيب ﷺ لقومه الذين طالبوه بالعودة إلى الشرك : ﴿ قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ﴾ [الأعراف:٨٩] .

أي : إن رجعنا إلى دينكم وملتكم فقد أعظمنا الفرية على الله

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ٣٨٢) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١٥/ ٢٠٨) ، معالم التنزيل (٣/ ١٥٣) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٧٥) .

ـ تعالى ـ باتخاذ غيره معبودا[1].

ومما افتراه أهل الجاهلية على الله ـ تعالى ـ : ماابتدعه عمرو بن لحي الخزاعي من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون ﴾[المائدة : ١٠٣] .

أي : ماشرع الله ـ تعالى ـ هذه الأشياء ، ولاهي عنده قربة ، ولكن المشركين افتروا ذلك ، وجعلوه شرعا لهم وقربة ، فأحلوا من هذه الأنعام ماأحلوا ، وحرموا منها ماحرموا ، وأضافوا ذلك كله إليه ـ تعالى ـ[2] .

ومثل هذه الآية قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ○ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ○ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين ﴾ [الانعام : ١٣٨ ـ ١٤٠] .

وقال ـ تعالى ـ ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾[النحل : ٥٦] .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١/٦) ، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٣) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٧/ ٩٣) ، تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٩) .

وكانوا يزعمون أن ماهم عليه ، إنما هو من دين الله ، ومما رضيه لهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون ﴾ [الأعراف :٢٨] .

ومن ذلك قولهم على الله ـ تعالى ـ بغير علم ، كما في الآية السابقة .

فهذا بعض مايدل على أن أهل الجاهلية كانوا يفترون الكذب على الله .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فقد حذر الله ـ تعالى ـ من افتراء الكذب عليه ، فقال : ﴿ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ○ متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ [النحل : ١١٦ ـ ١١٧] .

وبين خطورة الافتراء عليه بقوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوكذب بآياته إنه لايفلح الظالمون ﴾ [الأنعام :٢١] ، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ﴾ [يونس :٦٠] .

وحكم على من يفتري عليه الكذب بعدم الإيمان ، فقال : ﴿إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم

الكاذبون ﴾[النحل: ١٠٥] .

وحرم القول عليه بغير علم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالاتعلمون ﴾ [الأعراف :٣٣] .

وبين ﷺ عظم خطر الكذب عليه ، فقال : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال ﷺ : « لاتكذبوا علي،فإنه من كذب علي،فإنه يلج في النار ».

فهذا بعض مما يدل على مخالفته ﷺ لأهل الجاهلية في هذه المسألة .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور عديدة تدل عليها،ومن أعظم صورها : مايجري اليوم من عبادة غير الله ـ تعالى ـ من الأولياء والصالحين وغيرهم باسم الدين ، بمعنى أنهم يدعون أن ذلك من الإسلام ، وأنه ليس إلامجرد علامة على محبة الصالحين واحترامهم وتسمية ذلك توسلا .

ومنها : نفي أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته ، وتعطيلها ، والإلحاد فيها ، ووصفه ـ جل وعلا ـ بصفات النقص.

ومنها التعبد بما لم يشرعه الله ـ تعالى ـ كالتعبد بكشف العورات[1]، والمكاء والتصدية ، وبترك زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق .

ومنها التقول على النبي ﷺ بوضع الأحاديث عليه ، أوورواية مايعلم

كذبه .

ومنها القول على الله ـ تعالى ـ بغير علم ،في أسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته وما يجب له ، ومايجوز عليه ، ومايمتنع ، والقول بأن هذا حلال وهذا حرام بغير علم ، والتصدر للافتاء في دين الله ـ تعالى ـ بغير علم .

وبالجملة فإن كل قول على الله ـ تعالى ـ بغير علم ، فهو افتراء للكذب عليه.

فهذه بعض الصور الموجودة اليوم التي تدل على وجود هذه الخصلة ، والله المستعان .

الحادية والستون[1]

التكذيب بالحق

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية الأميين منهم والكتابيين ، التكذيب بالحق ، وهو عدم الإيمان به وتصديقه ، وذلك ان كل ماجاء من عند الله ـ تعالى ـ من وجوب توحيده ، وتصديق أنبيائه ورسله ، والإيمان بوعده ووعيده ، وتصديق أخباره ، فقد كذب به أهل الجاهلية ، وأبوا إلاخلافه ، وآمنوا بالباطل ، واتبعوه ، ولاريب أن من كذب بالحق فقد آمن بالباطل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فماذا بعد الحق إلاالضلال ﴾[يونس : ٣٢] .

وقد دل كتاب الله ـ تعالى ـ على تكذيب أهل الجاهلية بالحق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ [قَ :٥] .

وكلمة « الحق » لها في القرآن عدة معان بحسب ورودها[2]، وسأذكر بعض مايراد بها ، وكيف كذب به أهل الجاهلية .

لقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه الحق ، كما قال : ﴿ وأن الله هو الحق المبين ﴾ [النور : ٢٥] ، وكما قال أعلم الخلق به ﷺ « أنت

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السابعة والخمسون ، ولاتوجد هذه المسألة في (جـ) .
(٢) انظر : كلمة الحق في القرآن الكريم لمحمد الراوي (١/ ٢٠) .

الحق »[1]، وقد كذب بوجوده الدهرية الذين قالوا : ﴿ ماهي إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤] ، وعبد غيره آخرون ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل ﴾ [الحج : ٦٢] ، وعطله من أسمائه وصفاته آخرون ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ بل ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ .

ووعد الله ـ جل وعلا ـ حق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين ﴾ [الاحقاف:١٧] ، وكما قال ﷺ : « ووعدك حق » ، وقد كذب بوعده أهل الجاهلية ، كما في الآية السابقة ، وقد وعد الله ـ تعالى ـ بالنصرة على أعدائه ، فآمن المؤمنون بذلك ، وكذب به المنافقون ، كما حكى الله عنهم في سياق ذكر غزوة الأحزاب ﴿ ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ [الأحزاب : ١٢] .

والجنة حق ، كما قال ﷺ : « والجنة حق » ، وقد كذب بها أهل الجاهلية.

والنار حق ، كما قال ﷺ : « والنار حق » ، وقد كذب بها أهل الجاهلية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ هذه النار التي كنتم بها

---

(١) هذا جزء من حديث سيأتي تخريجه بتمامه بعد قليل ـ إن شاء الله تعالى ـ .

تكذبون ﴾ [الطور : ١٤] .

والنبيون حق ، كما قال ﷺ : « والنبيون حق » وقد كذبهم أهل الجاهلية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ﴾ [آل عمران : ١٨٤] .

ومحمد ﷺ حق ، كما قال ﷺ : «ومحمد حق » وقد كذبه أهل الجاهلية ، كما في الآية السابقة .

والساعة حق ، كما قال ﷺ : « والساعة حق » وقد كذب بها أهل الجاهلية، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ﴾[سبأ : ٣] .

ولقاء الله ـ تعالى ـ حق ، كما قال النبي ﷺ : «ولقاؤك حق » وقد كذبوا به، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ [الجاثية : ٣٤] .

وقول الله حق ، كما قال النبي ﷺ : « وقولك الحق » وقد كذب به أهل الجاهلية ، فأنكروا ماأنزل الله ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكذب به قومك وهو الحق ﴾ [الأنعام :٦٦] فهذه بعض الأمثلة الدالة على تكذيب أهل الجاهلية بالحق، ولم أقصد الحصر ؛ لأن هذه الكلمة ـ كما سبق ذكره ـ لها عدة معان ، فأردت الاقتصار على بعضها ، وقد رتبتها على ماجاء في حديث ابن عباس[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التهجد ـ باب في التهجد في الليل ـ (٢/ ٤١) ـ =

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإنه ﷺ آمن بالحق ، وكفر بالباطل ، كما في دعائه ﷺ إذا قام من الليل متهجدا : « اللهم لك الحمد ، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ، ولك الحمد ، أنت ملك السماوات والأرض ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق » .

ومعلوم أن النبي ﷺ آمن بكل ماجاء من عند الله على مراد الله ، وهو حق لاريب فيه .

والتكذيب بالحق مايزال موجودا إلى يومنا هذا بصوره التي كان عليها في الجاهلية ، ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة مقارنة بما عليه أهل الجاهلية، فمنها التكذيب بوجود الله ـ تعالى ـ ، وعبادة غيره معه ، وتعطيل أسمائه وصفاته ، فهذه الأمور ـ كما سبق ـ قد وقع فيها أهل الجاهلية ، ووقع فيها أهل هذا العصر.

= ٤٢) ، وفي كتاب الدعوات ـ باب الدعاء إذا انتبه من النوم ـ (١٤٨/٧) ، وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ـ (١٩٨/٨) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ـ (٥٣٢/١ ـ ٥٣٤) ح٧٦٩ .

الثانية والستون[١]

كونهم إذا غلبوا [بالحجة][٢] فزعوا إلى الشكوى[٣] للملوك[٤] ، كما قالوا[٥] :﴿ أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض[٦] ﴾[الأعراف: ١٢٧] .

[رميهم إياهم بالرغبة عن دين الملك][٧]

الثالثة والستون[٨]

رميهم إياهم[٩] بالفساد في الأرض[١٠] ، كما في الآية[١١] .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثامنة والخمسون ، وفي (جـ) الستون .
(٢) مابين المعكوفتين ليس موجودا في الأصل ، وهو موجود في بقية النسخ ، وأضفته ليستقيم به الكلام.
(٣) في (أ) « بالشكوى » ، وفي (ب) : « شكوة » .
(٤) في (ب) « للملك » .
(٥) في (أ) و (جـ) و (د) « قالوا » .
(٦) في (أ) زيادة ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ .
(٧) هذه المسالة موجودة في (أ) برقم تسعة وخمسين ، وفي (هـ) برقم ثلاثة وستين ، وليست موجودة في بقية النسخ .
(٨) رقم هذه المسألة في (أ) الستون ، وفي (جـ) الحادية والستون .
(٩) « إياهم » ليست في (أ) .
(١٠) « في الأرض » ليس في (أ) .
(١١) في (أ) « كما في آخر الآية » .

الرابعة والستون[1]

رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما في الآية .

[رميهم إياهم بانتقاص دين الملك ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ ، وكما قال : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم ﴾][2] .

الخامسة والستون[3]

رميهم إياهم بتبديل الدين ، [كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو ان يظهر في الأرض الفساد[4] ﴾][5] [غافر :٢٦] .

السادسة والستون[6]

رميهم إياهم بانتقاص الملك ، كقولهم : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ .

---

(١) رقم هذه المسألة في (هـ) الخامسة والستون .

(٢) هذه المسألة موجودة في (أ) برقم إحدى وستين ، وليست في بقية النسخ .

(٣) رقم هذه المسألة في (هـ) السادسة والستون .

(٤) ﴿ أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ ليس في (ب) ، و (هـ) .

(٥) لم تذكر الآية في الأصل ، وذكرت في بقية النسخ ، وأضفتها للفائدة .

(٦) رقم هذه المسألة في (هـ) الثامنة والستون .

[رميهم إياهم بطلب العلو ، كقوله : ﴿ وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾][1] [يونس:٧٨] .

في هذه المسائل التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بعض من وسائل أهل الجاهلية التي يصدون بها الناس عن اتباع الحق والهدى الذي جاء من عند الله .

ومن هذه الوسائل : الدعوة إلى المناظرة والمجادلة ، وذلك أنهم حينما يظنون أنهم سينتصرون بما معهم من الباطل يجنحون إلى المناظرة علنا أمام الناس، فإذا غلبوا بالحجة والبرهان ، وانقطعت حججهم ، وعرف الناس الحق من الباطل لم يقتنعوا بهذا ، ويسلموا ، بل يسلكون طريقا أخرى ، وهي الفزع بالشكوى إلى الحكام وللملأ منهم ؛ لإيغار صدورهم على أهل الحق ، وتأليبهم عليهم ، كي يبطشوا بهم ، فيشرعون في رميهم بما يظنون انه يحقق مرادهم ، فتارة يرمونهم بالفساد في الأرض ، بمعنى أنهم يريدون أن يفسدوا على الناس معايشهم ، ويسفكوا دماءهم ، ويفعلوا كل مافيه فساد الأرض .

وتارة يرمونهم بكونهم يريدون أن يصدوا الناس عما رضيه له حكامهم من الأديان والآلهة ، وذلك باتهامهم بانتقاصها وعيبها ، وأنهم يريدون أن

---

(١) هذه المسألة موجود في (أ) برقم اثنين وستين ، وفي (هـ) برقم سبع وستين ، وليست موجودة في بقية النسخ .

يبدلوا دين عامة الناس ، وذلك بصرفهم إلى ماجاؤا به من الأديان والمعتقدات ، واتهامهم أنهم ماأرادوا بذلك سوى انتقاص الملك ، وذلك بتسفيه رأيه .

وتارة يرمونهم بكونهم يريدون الظهور على الناس والرفعة ، والتعالي على غيرهم ، كما يفعل الظلمة من الملوك وغيرهم .

فهم يرمون أهل الحق بذلك ؛ قصدا منهم لدفع ماجاؤا به .

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على المسألة الأولى بقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن آل فرعون أنهم قالوا له: ﴿ أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك أن موسى ﷺ لما خصم فرعون وآله بانتصاره على السحرة ، وآمن الناس به ، فزع آل فرعون إليه يحرضونه على موسى وقومه ، ويغرونه بالانتقام منهم[1] ، ويخوفونه بفساد مملكته إن هو ترك موسى ، ولم يقتله.

واستدل على المسألة الثانية بالآية نفسها .

ووجه الاستدلال منها ظاهر ، إذ إن موسى لما انتصر على سحرة فرعون ، واستبان للناس الحق ، وآمن به من آمن ، اتهموه بإرادة الفساد في الأرض .

---

(١) انظر : زاد المسير (٣/٢٤٣) ، تفسير الرازي (١٤/٢٢٠) ، البحر المحيط (٤/٣٦٧) .

والفساد في الأرض فسر بأمرين :

أحدهما : الغلبة عليها ، وقتل أبناء فرعون ، واستحياء نسائهم ، كما فعلوا ببني إسرائيل[1] .

ثانيهما : الإفساد فيها بإفساد خدم فرعون وأتباعه عليه ، وذلك بدعاء الناس إلى مخالفته ، وترك عبادته[2] .

واستدل على المسألة الثالثة بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن آل فرعون أنهم قالوا : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك : أن موسى ﷺ لما ترك عبادة ماكان يعبده فرعون، اتهموه بأنه ماأراد بذلك الاتنقص معبوداتهم ، فالترك عندهم من قبل موسى ، فسروه بالاستخفاف بها وتنقصها .

واستدل على مسألة الرمي بتنقص دين الملك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك : أنهم عدوا ترك موسى عبادة فرعون وآلهته انتقاصا لدين فرعون وهو الملك ؛ لأن دينهم عبادة فرعون .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ حكاية عن فرعون أنه قال : ﴿ إني أخاف

---

(١) انظر :النكت والعيون : ٢٤٨/٢) ، زاد المسير (٢٤٣/٣) ، البحر المحيط (٣٦٧/٤) .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢٤/٩) ، معالم التنزيل (١٨٩/٢) ، النكت والعيون (٢٤٨/٢) ، زاد المسير (٢٤٣/٣) ، تفسير الرازي (٢١٩/١٤) ، البحر المحيط (٣٦٧/٤) ، تفسير البيضاوي (٣٦٤/١) .

أن يبدل دينكم ﴾ .

ووجه الاستدلال منه : أنه لما كان دين الملك ـ عندهم ـ لايجوز المساس به ، ورأوا أن موسى لم يدن به ، بل دان بدين الله ـ عز وجل ـ اعتقدوا أنه لم يفعل ذلك إلاالينتقص دين فرعون .

واستدل على مسألة الرمي بتبديل الدين بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ .

ووجه الاستدلال منها ظاهر ، حيث إنهم عدوا ترك موسى دين فرعون وقومه تبديلا للدين الذي يدين به الملك والناس في مملكته .

واستدل على المسألة السادسة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ .

ووجه الاستدلال منها : أنهم عدوا ترك موسى دين فرعون ومايعبد انتقاصا له ، وأنه يتوسل بذلك إلى أخذ الملك منه[1] .

واستدل على مسألة الرمي بطلب العلو في الأرض بقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن فرعون أنه قال لموسى وهارون : ﴿ أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك : أن فرعون وقومه لما جاءهم موسى بالبينات من ربهم ، اتهموه بأنه يريد أن تكون له الطاعة والسلطان في الأرض .

---

(١) انظر : تفسير الرازي (١٤/٢١٩) .

قال مجاهد في قوله - تعالى - : ﴿ وتكون لكما الكبرياء في الأرض ﴾ : « العظمة والملك والسلطان »[1] .

وقال الضحاك : « الطاعة »[2]

وكما وقع هذا من آل فرعون ، فإنه قد وقع من قبلهم من قوم نوح ﷺ ، فإنه لما دعاهم إلى الله - عز وجل - ، قال أشراف قومه : ﴿ ماهذا إلابشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ [المؤمنون : ٣٤] .

قال ابن جرير في الآية : « يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعا ، وأنتم له تبع »[3] ، فزعم هؤلاء الملأ أنه أراد بذلك العلو في الأرض ، والظهور فيها .

وقالوا : ﴿ لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

كما أن إبراهيم ﷺ لما دعا قومه إلى الله ، وحجهم بالآيات الدالة على توحيده ، وبيّنَ عَجْزَ آلهتِهِم ، فَزِعوا بالشكوى ، وألّبوا الناسَ عليه ، وزعموا أنه أراد بذلك انتقاص الملك ودينه وآلهته، كما قال - تعالى -:﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ○ قالوا

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٤٧/١١) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٣) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره)١٤٧/١١) .
(٣) تفسير ابن جرير (١٦/١٨) ، وانظر : معالم التنزيل (٣٠٧/٣) ، تفسير ابن كثير (٢٤٣/٣ - ٢٤٤).

سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ۝ قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ۝ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ۝ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ۝ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ۝ ثم نكسواعلى رؤوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ۝ قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئا ولايضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلاتعقلون ۝ قالوا حَرِّقُوه وانصروا آلهَتَكم إن كنتم فاعلين﴾[الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٨]

كما أن اليهود عاملوا عيسى بن مريم ﷺ بهذه المعاملة ، فإنه لما ظهرت آثار نبوته ، ومعجزاته ، ولم يستطع اليهود ردها بالحجة والبرهان ، فزعوا إلى ملك ذلك الزمان ، وزعموا أنه ﷺ يضل الناس ، ويصدهم عن طاعته ، ويفسد عليه رعاياه ، حتى هم الملك بقتله[١] .

كما وقع مثل هذا في قصة أصحاب الأخدود التي ذكرها الله في كتابه ، وذلك أن الغلام المؤمن لما قطع حجة القوم الكافرين بالبراهين الدالة على توحيد الله ، وآمن الناس بالله وحده ، وتركوا دين الملك ، فزع أعوانه يشكون إليه ، ويخبرونه أنه وقع الأمر الذي كان يخشاه ، فشرع الملك في تعذيب المؤمين والانتقام منهم[٢] ؛ لكونهم غيروا دينه ، وتركوه

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٥) .

(٢) أخرج قصة أصحاب الأخدود مسلم في صحيحه ـ كتاب الزهد والرقائق ـ باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والغلام ـ (٤/ ٢٢٩٩ ـ ٢٣٠١) ح٣٠٠٥ .

وآلهته ، ولم يتابعوه على ذلك ، وهذا يعد ـ عندهم ـ خروجا على الطاعة، وانتقاصا للملك ودينه وآلهته ، وتبديلا للدين .

وقد جرى مثل هذا للمسلمين ، فإن قريشا حين غلبهم النبي ﷺ بالحجة فزعوا بالشكوى إلى عمه ابي طالب ، واتهموه بسب آلهتهم ، وتنقصها ، كما جاء عن ابن عباس أنه قال : « مرض أبوطالب ، فأتته قريش ، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، وعند رأسه مقعد رجل ، فقام أبوجهل فقعد فيه ، فقالوا : إن ابن اخيك يقع في آلهتنا ، قال : ماشأن قومك يشكونك ؟ قال : ياعم ، أريدهم على كلمة واحدة ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدي العجم إليهم الجزية ، قال : ماهي ؟ قال: لاإله إلاالله ، فقالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا ، فنزل : ﴿ صَ ○ والقرآن ذي الذكر ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾ »[1] [صَ : ١ ـ ٥] .

كما رموه ﷺ بأنه يعيب دينهم ، ويسفه أحلامهم ، كما اتهموه بإفساد ذات البين وتفريق الجماعة ، كما جاء ذلك عن عبد الله بن عمرو حيث قال : « حضرتهم ـ يعني قريشا ـ وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : مارأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ سورة ص ـ (٦ / ٤٤٢) ح٢٥٨٣، والترمذي في سننه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سور ص ـ (٥ / ٣٦٥) ح٣٢٣٢ ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٤٥٥)ح٢٥٨٣ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة ص ـ (٢/ ٤٣٢) ، والطبري في تفسيره (٢٣/ ١٢٥) ، والواحدي في أسباب النزول (٣٦٦) مع اختلاف بينهم في ألفاظه . قال الترمذي : « حسن صحيح » ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا . . . »[1] .

ولما هاجر الصحابة إلى الحبشة ، فزعت قريش بالشكوى إلى ملكها ، وحرضوه عليهم ، وزعموا أنهم يقولون في عيسى ﷺ قولا عظيما ، وعابوهم بمفارقة دين الآباء ، وبكونهم لم يدخلوا في دين الملك[2] ، فهم ـ بزعمهم ـ متنقصون دين آبائهم ودين الملك .

ومن خلال ماذكر يتبين أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أوكتابيين حين ينقطعون عن مقارعة الحجة بمثلها يفزعون بالشكاوي إلى الملوك ، ويكيلون الاتهامات التي يقصدون من ورائها دفع الحق .

وقد خالف هدي رسل الله ـ عليهم السلام ـ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد كانت مجادلاتهم ليست إلا لإظهار الحق ، ولذلك كانوا يقرون بما مع غيرهم من الحق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلابالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾[العنكبوت:٤٦] .

كما أنه ـ جل وعلا ـ أمرنا بالعدل مع من نحب ومن نكره ، ومن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/٢١٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٧٥) .

(٢) أخرج قصة بعث أهل مكة إلى النجاشي من يحرضه على المسلمين أحمد في مسنده (١/٢٠١ ـ ٢٠٣) و (٥/٢٩٠ ـ ٢٩١) ، وابن إسحاق في السيرة التي رواها يونس ابن بكير (١٩٤ ـ ١٩٧) ، وانظر : البداية والنهاية (٢/٧٦ ـ ٨٢) ، الكامل في التاريخ (٢/٥٤ ـ ٥٦) .

ذلك العدل مع الخصوم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة : ٨] ، وليس من العدل الاستعداء على الخصم بالحكام ، أوالكذب عليهم ، واتهامهم مما هم منه براء .

كما أن الله ـ تعالى ـ رد على الذين يتهمون المصلحين بالفساد في الأرض بقوله مخبرا عن شعيب ﷺ وهو يجيب قومه حين اتهموه بذلك ﴿ إن أريد إلاالإصلاح مااستطعت ﴾[هود:٨٨] ، وبين ـ جل وعلا ـ أن الذين يدعون إلى الكفر هم المفسدون في الحقيقة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ○ ألاإنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ﴾ [البقرة : ١١ ـ ١٢] .

كما أن من مظاهر المخالفة نهي المسلمين عن سوء الظن بإخوانهم ، فهذا رسول الله ﷺ ينكر على أسامة بن زيد قتله رجلا لما شهد شهادة الحق ، وكان أسامة يظن أنه متعوذ بها ، خلافا للجاهليين الذين يظنون أن كل من دعا إلى إصلاح وخير ، فهو لم يقصد حقيقته ، وإنما يقصد ماوراءه من الرفعة والعلو ، وغير ذلك .

وقد ورث أهل الجاهلية أقوام في عصرنا هذا ، فأهل البدع حينما يدعون إلى الكف عن بدعهم والرجوع إلى سنة نبيهم ﷺ ، وتنقطع حجتهم تراهم يفزعون إلى السلاطين ، ويدعون أن أولئك المصلحين يسبونهم ، ويسبون دينهم وآلهتهم ، ويتهمونهم بكونهم يريدون صرف الناس عن الحق

الذي هم عليه ـ كما يزعمون ـ إلى باطلهم وبدعتهم الجديدة التي لايعرفها الآباء والأجداد[1] .

---

(١) انظر : هذه هي الصوفيه (٩ ـ ١٠) ، تحذير العباد من اتخاذ الأنداد لمصطفى عبداللطيف درويش (٦٠ ـ ٦١) .

السابعة والستون[1]

دعواهم[2] العمل بما عندهم من الحق ، كقولهم : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ﴾ [البقرة : ٩١] مع تركهم إياه .

يبين المؤلف - رحمه الله تعالى - بهذه المسألة ، أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين زعمهم كذبا وزورا امتثالهم بالعمل بما عندهم من الحق ، فهم يزعمون أنهم يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم ، وأنهم يلتزمون بذلك ، ويحققونه ، بيد أن هذه دعوى كاذبة ؛ لأن حالهم تدل على خلاف مادعوا ، فالحق الذي عندهم لم يعملوا به ، بل خالفوه أعظم مخالفة .

وقد استدل - رحمه الله تعالى - على ادعائهم ذلك ، وبيان كذبهم بقوله - تعالى - : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا ﴾ .

ووجه الاستدلال من الآية : دعوى اليهود أنهم مؤمنون بما أنزل عليهم في كتابهم ، وعلى ألسنة رسلهم .

ودليل كذب هذه الدعوى قوله - تعالى - في تتمة الآية : ﴿ ويكفرون بماوراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ﴾ ، فلو كانوا صادقين في دعواهم تلك لآمنوا بكل ماجاء من عند الله ؛ لأنهم مأمورون بذلك في كتابهم .

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الثالثة والستون وفي (هـ) التاسعة والستون .
(٢) في (هـ) « هواهم » .

وشواهد كذبهم في هذه الدعوى كثيرة ، منها أن الدين الذي جاء به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ليس فيه شرك ، بل هو التوحيد الخالص ، ومع ذلك فكثير من اليهود مشركون بالله ـ تعالى ـ .

ومنها أنهم مأمورون بالإيمان بكل ماجاء من عند الله ، ومع ذلك لم يمتثلوا،بل آمنوا بما تهواه أنفسهم ، وكذبوا بما تأباه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بمالاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة:٨٧] .

ومنها أنهم مأمورون بالإيمان بجميع الرسل ، ومع ذلك لم يؤمنوا بهم كلهم، بل فرقوا بين الرسل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ [النساء :١٠٢] .

ومنها استحلالهم ماحرم الله ، وتحريم ماأحل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٣٠] .

ومنها تركهم العمل بما في كتابهم من الأحكام ، كتركهم العمل بالرجم في الزنا ، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، إلى غير ذلك من مخالفاتهم لما بين أيديهم من الحق الذي يزعمون أنهم يؤمنون به ، وينقادون إليه .

وقد شارك أهل الكتاب في هذه الخصلة المنافقون الذين يزعمون

الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وهم كاذبون في ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ومآأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ○ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾[النساء :٦٠ ـ ٦١] .

فهؤلاء المنافقون يزعمون أنهم يؤمنون بما جاء من عند الله ، وهم مع ذلك لايرضون بالتحاكم إليه .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وماأولئك بالمؤمنين ﴾ [النور : ٤٧] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فقد طالب بتصديق القول بالعمل ، وإلاعد ذلك كذبا .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون ○ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ﴾ [الصف :٢ ـ ٣] .

وبين ـ جل وعلا ـ أن المؤمن هو الذي إذا دعي إلى الله ورسوله أجاب ، ولم يتلكأ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كُلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا﴾[البقرة :٢٨٥] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾[النور: ٥١].

ولما كان هذا دين المنافقين حذر الله ـ تعالى ـ المؤمنين من الوقوع فيه ، وذلك حينما فضحهم في الآيات السابقة في الاستدلال ، وبين نفاقهم وكذبهم ومخادعتهم .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور منها : أن اليهود والنصارى يزعمون أنهم يعملون بما أنزل عليهم ، بدليل بقائهم على اليهودية والنصرانية ، ولوكانوا صادقين في زعمهم لتبعوا من وجدوه مأمورا باتباعه في كتبهم .

ومنها أن أهل البدع كلهم على اختلاف بدعهم وتفرقها يجمعهم دعوى واحدة، وهي دعوى اتباعهم النبي ﷺ ، واقتدائهم به ، مع أنهم مظهرون ترك العمل بما جاء به ﷺ

ومنها أن كثيرا ممن ينتمي إلى الإسلام اليوم يزعمون أنهم قائمون بماوجب عليهم ، مع أنهم لايعلمون مايجب عليهم فضلا عن العمل به .

فهذه بعض الصور التي تدل على أن هذه الخصلة ماتزال موجودة ، والله أعلم .

الثامنة والستون[١]

الزيادة في العبادة[٢] ، كفعلهم يوم عاشوراء .

التاسعة والستون[٣]

نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفة[٤]

يشير المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهاتين المسألتين إلى نوعين من أنواع البدع التي وقع فيها أهل الجاهلية ، وهذا النوعان هما :

البدعة الفعلية التي منها التعبد بما لم يشرعه الله ، أوالزيادة على ماشرعه .

البدعة التركية ، التي منها التعبد بترك ماشرعه الله[٥].

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) الرابعة والستون ، وفي (هـ) السبعون .
(٢) « في العبادة » ليست في (أ) .
(٣) رقم هذه المسألة في (أ) السادسة والستون ، وفي (هـ) الحادية والسبعون .
(٤) في (جـ) « بعرفات » .
(٥) انظر : الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٢ ـ ٤٥) ، الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ (٥١ ـ ٥٣) ، البدعة د . عزت عطية (٣٥٧ ـ ٣٥٨) ، تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين ومافي البدع من الأخطار د . صالح السحيمي (٩٧ ـ ٩٩) ، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (١/ ٢٩٨ ـ ٣٠٠) .

وهذان النوعان كان لأهل الجاهلية القدح المعلى فيهما ، حيث كانوا يبتدعون في دين الله مالم يأذن به ، وينتقصون منه ماوجب عليهم العمل به .

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ مثالا على الزيادة في العبادة بقوله : «كفعلهم يوم عاشوراء » .

ولعل مراده بهذا ، اتخاذ اليهود ذلك اليوم عيدا ، وهو لم يشرع لهم اتخاذه، كما جاء في الحديث أن أهل خيبر كانوا يصومون يوم عاشوراء ، يتخذونه عيدا ، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم[1]، فقال رسول الله ﷺ : « فصوموه أنتم »[2].

فالزيادة في العبادة هو باتخاذهم إياه عيدا ، لابصيامه ، لأنهم في صيامه متبعون لشريعة موسى[3].

وأما ماجاء من صيام قريش يوم عاشوراء ، فلعله من بقايا شرع سابق[4]؛ لأن رسول الله ﷺ صامه

---

(١) الشارة : الهيئة واللباس الحسن الجميل .
انظر :الفائق في غريب الحديث (٢ /٢٦٧) ، النهاية في غريب الحديث (٢/٥٠٨)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب صوم يوم عاشوراء ـ (٢/٧٩٦)ح١١٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب صوم يوم عاشوراء ـ (٢/٢٥١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الصيام ـ باب صوم يوم عاشوراء ـ (٢/٧٩٥ ـ ٧٩٦) ح١١٣٠ .

(٤) انظر : فتح الباري (٤/٢٩١) .

معهم[1].

ومثل للنقص من العبادة بترك قريش الوقوف بعرفة ، وذلك لأنهم كانوا يقرون بأنه من شعائر حج إبراهيم ﷺ الذي يزعمون أنه يتبعونه ، ومع ذلك سول لهم الشيطان تركه حتى يعرف الناس - بزعمهم - حقهم ؛ لأنهم أهل الحرم وولاته.

ومما يدل على الزيادة في العبادة : قوله - تعالى - موبخا لهم ومقرعا : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ [الشورى :٢١] .

والمعنى أنهم لايتبعون ماشرع الله من الدين القويم ، بل يتبعون مابتدعه لهم شياطين الإنس والجن ، مما لم يبح ابتداعه من الاعتقادات والأحكام ، والعبادات الباطلة[2].

ومنها : ماشرعوه لأنفسهم من الأعياد المكانية كاتخاذهم القبور أعيادا ، أوالأعياد الزمانية كيوم عاشوراء .

ومنها : مابتدعه عمرو بن لحي الخزاعي من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الصيام - باب صوم يوم عاشوراء - (٢/ ٢٥٠) ، ومسلم في صحيحه - كتاب الصيام - باب صوم يوم عاشوراء - (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٣)ح١١٢٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢٥/ ٢١) ، بحر العلوم (٣/ ١٩٤ - ١٩٥) ، البحر المحيط (٧/ ٥١٥) ، تفسير ابن كثير (٤/ ١١٢) .

ومنها : التعبد بالمكاء والتصدية، والتعبد بكشف العورات، والتعبد بالصمت ، كما قال أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما رأى امرأة حجت مصمتة: « هذا من عمل الجاهلية »[1].

ومنها : الرهبانية التي ابتدعها النصارى ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلاابتغاء رضوان الله ﴾ [الحديد : ٢٧] .

ومن النقص فيها : ماوقع من أهل الجاهلية من تركهم عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل إلى الله وماكان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴾ [الأنعام :١٢٦] .

ومنها : ترك من لم يكن من الحمس ستر العورات حال الطواف بالبيت العتيق.

ومنها : انعزال الرهبان في الصوامع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومثلهم الأحبار في الملة اليهودية الذين تركوا ذلك .

فهذه بعض الأمثلة الدالة على زيادة أهل الجاهلية في دين الله مالم يأذن به ، ونقصهم مما شرعه .

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب أيام الجاهلية ـ (٤/ ٢٣٤) .

أمر الله تعالى ـ بالاتباع ، ونهى عن الابتداع ، وأخبر أن كل عمل خالف ماعليه الرسول ﷺ فهو باطل ، مردود على صاحبه .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ [الاحزاب :٢١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [الأحزاب :٣٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف :١١٠] .

وقال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »(١)، وقال ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »(٢)، وقال ﷺ : « من رغب عن سنتي فليس مني »(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلح ـ باب إذا اصطلحوا على صلح جور ـ (٣/١٦٧) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الامور ـ (٢/١٣٤٣ـ ١٣٤٤) ح١٧١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الاعتصام بالسنة ـ باب إذا اجتهد العامل أوالحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود ـ (٨/١٥٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ـ (٢/١٣٤٣)ح١٧١٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب الترغيب في النكاح ـ (٦/١١٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ، واشتغال من عجز عن المؤنة بالصوم ـ (٢/١١٢٠)ح١٤٠١ .

فمن لم يكن عمله موافقا لما جاء به الرسول ﷺ فهو مردود .

وهاتان المسألتان من المسائل الجاهلية التي ماتزال موجودة في عصرنا هذا ، ومنتشرة انتشارا كبيرا .

ومن أمثلة ذلك التعبد بالشرك واتخاذ الأنداد، والتعبد بالسماع والرقص والغناء، والزيادة على ماشرعه - تعالى - من الصلوات ، كصلاة الألفية ، وهي صلاة النصف من شعبان ، حيث يصلي أحدهم مائة ركعة ، يقرأفي كل ركعة الفاتحة والصمد عشرمرات[١]، وصلاة ليلة المعراج[٢]، وغيرها من الصلوات كثير .

ومنها : الزيادة على ما شرعه - تعالى - وشرعه رسوله ﷺ من كيفية الصلاة على النبي ﷺ ، ومن ذلك صلاة الفاتح لما أغلق[٣]، وهي من صلوات الطريقة التجانية، وصلوات الرفاعي[٤] ، وغيرها كثير جدا[٥].

ومنها : الزيادة على ماشرع في الأذان ، كزيادة « سيدنا » في الشهادة[٦].

---

(١) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (٣٢ - ٣٣) ، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٣٥) ، السنن والمبتدعات لمحمد الشقيري (١٤٤) .

(٢) انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث (٣٨) ، السنن والمبتدعات (١٤٠) .

(٣) انظر : الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني (٧٠) ، كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس (١٤٠ - ١٤١) .

(٤) انظر : الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار (١٨٦) .

(٥) انظر : المرجع السابق (١٧٨ - ١٩٦) ، كنوز الأسرار في الصلاة والسلام على النبي المختار لعبدالله الهاروشي .

(٦) انظر : إصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي (١٣٨) ، تحذير المسلمين عن =

ومنها : الزيادة على ماشرع من الأذكار ، وكيفيتها ، ومن أمثلة ذلك مايسميه الصوفية بـ « قراءة اللطيفة » وهي النداء بـ «يالطيف » ١١٦٤٨٧ مرة، والقراءة الصمدية ، حيث يتلونها ١٠٠٠مرة[١]، ومنها مايسمونه بالأحزاب ، وكذا اجتماعهم على هذه الأذكار ، وقولهم إياها بصوت واحد، وفي أوقات محددة ، إلى غير ذلك من بدعهم فيها[٢].

ومنها : التعبد بأعياد ليست من الإسلام في شيء ، كعيد المولد النبوي[٣]، وأعياد موالد من يعظمونهم[٤].

ومنها : مايكون من البدع في يوم عاشوراء من صلاة وأذكار مخصوصة ، واغتسال واكتحال وادهان وخضاب وبخور وتعطش وتحزن ودعاء ، وغير ذلك[٥].

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، استقصى طرفا منها بعض أهل العلم ، وبعض الباحثين ، وبقي غير ماذكروه كثير جدا ، وماذكرته ليس إلا مجرد أمثلة قليلة

= الابتداع والبدع في الدين لأحمد بن حجر آل بوطامي (٢٢٦ ـ ٢٢٧) .

(١) انظر : العهود الوفية لمحمد التابعي الشاذلي (٨٣ ـ ٨٤) .

(٢) انظر : جواهر المعاني (١/ ٢٤٤) ، مناهل الرشاد في الأجوبة عن أسئلة أهل تشاد (١ـ ١٣) ، تحفة السالكين في تعريف طريق رب العالمين لمحمود المغربي (٢١) ، كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس (١١٣ ـ ١٤٦) .

(٣) انظر : الإبداع (٢٥١) ، السنن والمبتدعات (١٣٨) ، تنبيه أولي الأبصار (٢٢٨ ـ ٢٥١) .

(٤) انظر : الإبداع (٢٥١) .

(٥) انظر : ردع الأنام من محدثات عاشر المحرم الحرام لمحمد عطاء الله حنيف (٢٧) .

جدا[1].

ومن النقص في العبادة : مايزعمه المتصوفة من دعوى سقوط التكاليف عن العارفين ، وجواز استغنائهم بالعلم اللدني[2] عن الوحي[3].

ومن ذلك ـ أيضا ـ : تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، خاصة على المشايخ والسادة[4].

ومنه ـ أيضا ـ : تركهم سماع القرآن والحديث والأذكار الشرعية ، والاستعاضة عنها بالسماع ومابتدعوه من أوراد[5].

ومنه ـ أيضا ـ : ترك الروافض المسح على الخفين[6]، وغير ذلك من بدع النقص من العبادات .

فهذه الأمثلة تدل دلالة واضحة على أن هذه الخصلة ماتزال موجودة في عصرنا هذا ، والله حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) من الكتب التي تحدثت عن البدع : البدع والنهي عنها لابن وضاح ، الحوادث والبدع للطرطوشي ، الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة المقدسي ، الاعتصام للشاطبي ، الأمربالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ، الإبداع في مضار الحوادث والابتداع لعلي محفوظ ، السنن والمبتدعات لمحمد الشقيري ، البدعة د . عزت عطية ، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ، علم أصول البدع لعلي حسن عبدالحميد .

(٢) العلم اللدني : هو العلم الذي لاواسطة فيه بين النفس ، وبين الله .
انظر : الرسالة اللدنية لأبي حامد الغزالي (١١٢) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٧٤) .

(٤) انظر : إغاثة اللهفان (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) .

(٥) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها (٢/ ٥٧) .

(٦) انظر : شرح الطحاوية (٢/ ٥٥١) .

السبعون [1]

تركهم الواجب ورعا .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية تعبدهم بترك ماأوجب الله ـ تعالى ـ عليهم ، وهذا الترك يعتبرونه ورعا وزهدا ، وزيادة في التعبد .

وهذه الخصلة من خصال الجاهليتين .

فأما الأميون ، فإنهم كانوا يدعون الواجب عليهم من ستر عوراتهم حال الطواف ؛ حتى لايتعبدوا الله ـ تعالى ـ بثياب قد عصوه فيها ، فكان أحدهم يطوف بالبيت ـ مع أن ستر العورة واجب عليهم ؛ لأنه من شعائر دين إبراهيم ﷺ ـ وهو عريان[2] .

وأما الكتابيون ، فكانوا يتركون بعضا مما أوجب الله ـ تعالى ـ عليهم تعبدا ، كتركهم طهارة الحدث والخبث ، فلا يوجبون غسل جنابة ولاوضوءًا ، ولايوجبون اجتناب شيء من الخبائث في صلواتهم ، لاعذرة ولابولا ولاغير ذلك من الخبائث ، وكامتناعهم من الختان[3] .

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل وفي (هـ) الثانية والسبعون ، وفي (أ) الخامسة والستون .

(٢) انظر : شرح المسألة الخامسة والثلاثين ، وهي مسألة التعبد بكشف العورات .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : « . . . فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ، ولاالوضوء للصلاة ، ولااجتناب النجاسات في الصلاة ، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات ، حتى يقال في فضل الراهب : له أربعون سنة مامس الماء ، ولهذا تركوا الختان مع أنه شرع إبراهيم الخليل ﷺ وأتباعه »[1] .

وقد خالفهم رسول الله ﷺ في هذه الخصلة ، وأبان أن من ابتدع بدعة ، أو أحدث أمرا ، فإنه مردود عليه ، كما في قوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » ، وقوله ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أي مردود عليه ، غير مقبول منه .

ولاريب أن ترك الواجبات ورعا ، تعبد باطل ، وذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يوجب هذه الواجبات ، وهو يأذن بأن يعبد بتركها ، إذ لو كان الأمر كذلك ، لم يكن ثمة داع لإيجابها .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومنا هذا عند طائفة من طوائف المتصوفة ، وهي الطائفة الملامتية التي سميت بهذا الاسم لكونها تفعل ماتلام عليه ؛ زعما من معتنقيها بأن هذا عين الإخلاص لله ـ تعالى ـ .

فهذه الطائفة تترك ماأوجب الله عليها ، وتفعل ماحرم عليها[2] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٦/١) .
(٢) انظر : أصول الملامتية لأبي عبد الرحمن السلمي (٧٧) ، شرح العقيدة الطحاوية (=

ولذلك كثر في الصوفية الفسق ، والتحلل من الشريعة ، وظهر عندهم مايسمى بإسقاط التكاليف عن الولي إذا بلغ مرتبة عالية في الولاية[1] .

وهذه الطائفة ماتزال موجودة ، وبدأ الغلاة منهم ينشرون هذا الرأي الهالك بين بعض الجهال من المسلمين[2] .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة دعوة المتصوفة إلى كتمان العلم؛ خوفا من الرياء والظهور .

وفي هذا يقول قائلهم :

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل

لاعلم عندي وكن بالجهل مستترا[3]

فهم يدعون أتباعهم للاستتار بالجهل ؛ وعدم نشر العلم ، حتى لايقعوا في محذور آخر .

ولكن أي محذور أعظم من كتمان العلم لمحتاج إليه ؟

ومن ذلك عزوف بعض الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ خشية من الرياء ، ولاريب أن هذا كله من تلبيس الشيطان ، وتثبيطه للعبد عن القيام بما وجب عليه .

= ٢/ ٧٧١) ، الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد النيال (١٢٧ ـ ١٢٩) .

(١) انظر : تعليقات الدكتور عبد الحليم محمود على المنقذ من الضلال (٢٤٣ ـ ٢٦٦) التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث د . مصطفى حلمي (٣١ ـ ٣٣) .

(٢) انظر : الموسوعة الميسرة (٣٤٩) .

(٣) هذا البيت لابن عطاء الله السكندري في كتابه :التوفيق إلى آداب الطريق (١٢) .

الحادية والسبعون[1]

تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .

الثانية والسبعون[2]

تعبدهم بترك زينة الله .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن مما ابتدعه أهل الجاهلية ، الأميون والكتابيون واعتقدوه دينا يدينون به ، تعبدهم بالتشديد على النفس، ومنعها مما تصبو إليه مما أباح الله ـ تعالى ـ ، وذلك بتحريم ماأحل الله لهم من الطيبات من الرزق ومن زينته التي أخرجها لهم على أنفسهم .

والطيبات من الرزق هي الحلال ، ويدخل تحته كل حلال يستلذ ويستطاب من المآكل والمشارب والمناكح وغيرها[3].

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل وفي (هـ) الثالثة والسبعون ، وفي (أ) السابعة والستون .

(٢) رقم هذه المسألة في الأصل ، وفي (هـ) الرابعة والسبعون ، وفي (أ) الثامنة والستون .

(٣) انظر : النكت والعيون (٢/٢١٩) ، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٧٨٢) ، زاد المسير (٣/٨٩) ، تفسير القرطبي (٧/١٩٢) ، تفسير الرازي (١٤/٦٧) ، البحر =

وزينة الله كل مايتجمل به من الثياب والحلي وتنظيف البدن ونحو ذلك[1].

وقدكان أهل الجاهلية يرون أن من الديانة تركها ، والزهد فيها ، وتحريمها على النفس .

ومما يدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الاعراف :٣٢] .

وهذا إنكار منه ـ جل وعلا ـ عليهم في فعلهم ذلك[2].

قال ابن عباس في تفسير الآية : « كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها »[3]

وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ : «هو ماحرم أهل الجاهلية عليهم في أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي »[4]

وقال ابن زيد : « كان قوم يحرمون من الشاة لبنها ولحمها وسمنها ، فأنزل الله ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾

= المحيط (٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) ، تفسير أبي السعود (٢/ ٢٣٩) ، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢٠٠) .

(١) انظر : المراجع السابقة .

(٢) انظر : أضواء البيان (٢/ ٢٩٨) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨١) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

والزينة : الثياب »[1]

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾[المائدة :١٠٣] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ [الأنعام : ١٣٩] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾[يونس :٥٩] .

وقوله ـ تعالى ـ في شأن النصارى : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلاابتغاء رضوان الله ﴾ [الحديد :٢٧] .

وقال ﷺ : « لاتشددوا على أنفسكم ؛ فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم ؛ فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع[2]والديارات[3]، رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم »[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ١٦٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨١) وزاد نسبته إلى أبي الشيخ .

(٢) الصوامع : جمع صومعة ، وهي منارة الراهب من النصارى .
انظر :لسان العرب ، مادة « صمع » (٨/ ٢٠٨) .

(٣) الديارات : جمع دَير ، وهو صومعة الراهب .
انظر : أساس البلاغة (١٣٩) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الادب ـ باب في الحسد ـ (٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) ح٤٩٠٤ ، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) ح (٣٦٩٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٦) وقال : « ورجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن =

وقد كان من أهل الجاهلية من يتعبد بترك النساء ، كما هي حال رهبان النصارى ، كما جاء عن قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال : « ذكر لنا أنهم ـ يعني النصارى ـ رفضوا النساء ، واتخذوا الصوامع »[1].

وقد كان من أهل الجاهلية من يترك الائتقاط ، وسلأ السمن[2] إذا كانوا حرما، ومنه من كان يمتنع من أكل أي طعام يجيئون به معهم من الحل إلى الحرم ، ومنهم من يمتنع من دخول بيوت الشعر إذا كان محرما، ولايستظل ـ إن استظل ـ إلا في بيوت من أدم »[3].

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فقد نهى الله ـ تعالى ـ عن تحريم زينته التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، كما قال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾[المائدة :٨٧] .

وأنكر ـ جل وعلا ـ على من فعل ذلك ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ .

= عبدالرحمن بن أبي العميا، وهو ثقة » .

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٦/ ١٧٨) .

(٢) أي : طبخه ، وإذابة زبده .
انظر : لسان العرب ، مادة « سلأ » (١/ ٩٥) .

(٣) انظر : أخبار مكة للأزرقي (١٧٤ ـ ١٧٩) ، المنمق في أخبار قريش (١٢٧ ـ ١٢٩) ، سيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير (٨٠ ـ ٨٢) ، الروض الأنف (١/ ٢٣٢) ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/ ٦٧ ـ ٧٠) .

وأمر ـ تعالى ـ عباده المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ [المؤمنون: ٥١] ، وقال: ﴿ ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

فهدي المرسلين الأكل من الطيبات ، وهو هدي المؤمنين ؛ لأنهم يستنون بهم .

ولما أراد بعض الصحابة أن يتركوا بعضا مما أحل الله لهم ، اجتهادا منهم ، اشتد نكير المصطفى ﷺ عليهم ، كما في الحديث عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لاأتزوج النساء ، وقال بعضهم : لاآكل اللحم ، وقال بعضهم : لاأنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « مابال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصلي،وأنام ، وأصوم ، وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ».

وقال ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال »[1].

فالإسلام ليس فيه تحجير على النفس ، وليس فيه تعذيب لها ، وتضييق عليها ، فلاتبتل فيه ولارهبانية ، بل فيه السماحة والسهولة واليسر ، فلله الحمد والمنة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر ـ (١/ ٩٣) ح٩١ .

وهاتان المسألتان من مسائل الجاهلية التي لاتزال موجودة في عصرنا هذا ، وخاصة عند المتصوفة ، وذلك أنهم يعتبرون تحريم زينة الله والطيبات من الرزق من أخلاقهم الفاضلة ، ولذلك يعزفون عنها ، ولايرونها - بزعمهم - شيئا - ، بل يرون عدم رؤيتها شيئا هو الزهد[1].

وفي هذا يقول الشعراني[2]: « ومن أخلاقهم - أي المتصوفة - : عدم لبس الثياب المحررات ، وعدم نكاح المنعمات ، والسراري الناعمات ، وعد ركوبهم الخيل المسومة ، ولايرون ذلك مباحا ؛ إيثارا للتقشف »[3].

فكلام الشعراني هذا ، يدل على أنهم لايتركونها فقط ، مع اعتقاد حلها ، بل يتركونها اعتقادا منهم حرمتها .

وهم يزعمون أنهم منسوبون إلى لبس الصوف ، كناية عن رغبتهم في خشونة العيش والملبس ، والإعراض عن الدنيا ، وزهدهم فيما تدعو إليه النفس من الملبوس الناعم والمأكول الحسن[4].

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤/ ٢١٢) .

(٢) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني ، أحد غلاة المتصوفة ، وزنادقتهم ، ولد سنة ٨٩٨ هـ ، ، له مؤلفات منها : الأخلاق المتبولية ، والطبقات الكبرى ، وقد توفي سنة ٩٧٣هـ .
انظر : شذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٣٧٢ - ٣٧٤) ، الكواكب السائرة (٣/ ١٧٦)، ديوان الإسلام للغزي (٣/ ١٦٧ - ١٧٧) الأعلام (٤/ ١٨٠ - ١٨١) .

(٣) الأخلاق المتبولية له (٢/ ٢٨١) .

(٤) انظر : اللمع للطوسي (٤٠) ، كشف المحجوب للهجويري (١/ ١٢٧) ، التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (٢٩) ، عوارف المعارف (٥٩ - ٦١) ، تعليق د . محمود عبدالحليم على المنقذ من الضلال للغزالي (١٥٨ - ١٥٩) .

كما أنهم يشترطون في خلواتهم البدعية الجوع والسهر[1]، فلايستلذون بطعام ولافراش .

وقد مضى في مسألة سابقة ، وهي مسألة التعبد بكشف العورات أن مما يتعبد به الصوفية كشف عوراتهم ، وإبداءها للناس ، وهذا يعني ترك زينة الله التي أخرج لعباده .

كما أن هذه الخصلة توجد ـ وياللأسف ـ في أناس ليسوا ـ ولله الحمد ـ من التصوف في شيء ، ولكنهم راموا الزهد . فأخطؤا الطريق ، فكان منهم من حرم ركوب السيارات ، ومنهم من حرم ركوب الطائرات ، ومنهم من حرم الكهرباء ، وغير ذلك[2].

وبهذا يتبين أن هذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة في هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) انظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعراني (٦٨) .
(٢) انظر : الغلو في حياة المسلمين المعاصرة لعبدالرحمن اللويحق (٤٠٣) .

الثالثة والسبعون[1]

دعاؤهم[2] الناس إلى الضلال بغير علم .

الرابعة والسبعون[3]

دعاؤهم[4] إياهم إلى الكفر مع العلم .

يبين الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ في هاتين المسألتين حال دعاة أهل الجاهلية، وإلى أي شيء يدعون ، فذكر أنهم أحد رجلين :

جاهل ، يدعو بغير علم ، ودعوته إلى الضلال ، فمبلغ علمه تقليد الآباء والشيوخ ، والتعصب الأعمى لطريقتهم ، وإعمال ظنونه وتخرصاته وهواه ، والقول على الله بغير علم ، فهو ضال عن الطريق المستقيم ، لايدري أين هو ؟ ومضل غيره بدعوته إياهم إلى مايريد .

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل وفي (هـ) الخامسة والسبعون ، وفي (أ) التاسعة والستون .
(٢) في (جـ) « دعواهم » .
(٣) رقم هذه المسألة في الأصل وفي (هـ) السادسة والسبعون ، وفي (أ) السبعون ، وفي (ب) و (جـ) و (د) الخامسة والسبعون .
(٤) في (جـ) « دعواهم » .

وهذا أليق بحال النصارى والأميين ، فإنهم قد ضلوا عن معرفة الحق، وأضلوا غيرهم بما زينوه لهم .

والآخر عالم بما مع غيره من الحق ، عالم أنه هو نفسه على الباطل ، لكنه مع ذلك لايقبل مامع غيره من الحق ، ولايرجع إليه ، ودعوته إلى الكفر ، فهو يصد الناس عن الحق الذي يعلم أنه يجب عليه اتباعه ، ويجب أن يدعوهم إليه .

وهذا أليق بحال اليهود ، فإنهم يعلمون الحق ، لكنهم غيروا وبدلوا ، وكتموا ، وصدوا الناس عن الهدى والطريق المستقيم ، ودعوهم إلى الكفر والعناد وهاتان الخصلتان ، وإن كانت كل واحدة منهما أليق بطائفة من الطوائف إلا أنه لايمنع أن يكون في كل منهما مااتصفت به الأخرى ، فاليهود في بعضهم من الجهل كما في النصارى ، والنصارى عند بعضهم من العلم كما عند بعض اليهود، إلا أن هذه أخص بالجهل ، وتلك أخص بالعناد مع العلم .

وقد بين الله ـ تعالى ـ في كتابه الكريم أن أهل الجاهلية قد دعوا إلى الضلالة بغير علم ، كما قال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ ومالكم ألا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم إلا ماضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ [الأنعام :١١٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ○ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب

السعير ﴾ [الحج : ٣ ـ ٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ○ ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾ [الحج :٨ ـ ٩] .

قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ : « نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث»[1]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ﴾[لقمان : ٦] .

والمعنى أنهم يفعلون ذلك ليصدوا الناس عن دين الإسلام بغير حجة عندهم[2] .

فهذه الآيات دلت دلالة صريحة على كون أهل الجاهلية يدعون الناس إلى الضلال بغير علم .

ومما يدل على أنهم دعوا الناس إلى الكفر مع العلم قوله ـ تعالى ـ موبخا اليهود : ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾[آل عمران: ٧١] .

فهم حينما لبسوا الحق بالباطل ، ودعوا الناس إلى ذلك ، لم يكن عن جهل، بل عن علم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣٤٦/٤) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٦٣/٢١) ، بحر العلوم (١٩/٣) ، النكت والعيون (٣٢٩/٤) ، معالم التنزيل (٣/ ٤٩٠) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ .

ففي هذه الآية الكريمة إخبار من الله ـ تعالى ـ عن تمني اليهود كفر المؤمنين، ورجوعهم عن إيمانهم ، مع أنهم يعلمون أن ماعليه المؤمنون هو الحق، لكن الحامل على ذلك هو الحسد(١).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ومااالله بغافل عما تعملون ﴾ [آل عمران : ٩٩] .

فقد دلت هذه الآية على أن اليهود كانوا يدعون الناس إلى الكفر مع العلم به، ولذلك عنف الله ـ تعالى ـ عليهم إضلالهم الناس عن طريقه ومحجته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه ، وهم شهداء على أن ماجاء به محمد ﷺ هو الحق ، لمجيء ذلك في كتبهم ، ووقوفهم عليه ، وشهادتهم بذلك(٢).

وقد دعا اليهود إلى الكفر بمحمد ﷺ ، مع كونهم يعلمون صدقه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فالله ـ جل

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٤٨٩/١) ، بحر العلوم (١٤٩/١) ، معالم التنزيل (١٠٥/١) ، تفسير ابن كثير (١٥٣/١) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢٢/٤) ، تفسير ابن كثير (٣٨٧/١) .

وعلا ـ توعد من أضل الناس بغير علم ، وأبان أنه ليس أحد أظلم منه بقوله : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ○ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون ﴾[النحل : ٢٤ ـ ٢٥] .

فمن دعا الناس إلى ضلالة أوكفر بعلم أوبغير علم ، فقد تحمل أوزارهم إلى يوم الدين .

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا المعنى بقوله : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لاينقص ذلك من آثامهم شيئا »[١].

وقوله ﷺ : « من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعمل بها بعده ، كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولاينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولاينقص من أوزارهم شيء»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب من سن سنة حسنة اوسيئة ، ومن دعا إلى هدى أوضلالة ـ (٤/ ٢٠٦٠)ح٢٦٧٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب من سن في الإسلام سنة حسنة أوسيئة، ومن دعا إلى هدى أوضلالة ـ (٤/ ٢٠٥٩ ـ ٢٠٦٠)ح٢٦٧٣.

وأبان أن الخصال التي ينبغي أن يسلكها الداعي بقوله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ [يوسف :١٠٨] .

وهذه الصفات هي أن يكون الداعي إنما يدعو إلى الله ، وإلى عبادته وحده وطاعته ، لايدعو إلى شرك ، ولاإلى نفسه ، ولاغير ذلك ، وأن تكون دعوته عن علم بما يدعو ، ولمن يدعو ، فلايدعو بجهل وتقليد وظنون .

ولأجل هذا حث الرب ـ جل وعلا ـ على التفقه في الدين ، فقال ـ عز من قائل عليما ـ : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

فالإسلام حذر من مغبة الوقوع في هاتين الخصلتين تحذيرا بليغا ، وأبان السبل الصحيحة التي ينبغي أن يسير عليها الدعاة في دعوتهم .

وهاتان المسألتان من المسائل التي لاتزال موجودة ، وذلك أن الذين يدعون الناس إلى الكفر مع العلم كثير ، فالمستشرقون ـ مثلا ـ يعلمون علما يقينا أن محمدا ﷺ صادق ، وأنه تجب إجابته ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبياء من قبله قد بشروا به ، يعلمون هذا من خلال مادرسوا من علوم الشريعة الإسلامية التي أرادوا الطعن فيها ، ومع ذلك يحملون لواء الكذب ، ويدعون الناس إلى خلاف مايستيقنون .

كما أن كثيرا من علماء السوء قد وقفوا حجر عثرة أمام الناس ودينهم، بحكم ثقة الناس فيهم ، فتجدهم يضلون الناس بما يصدرون من آراء هدامة،

وأفكار خبيثة ، وفتاوى جائرة يحادون بها الله ورسوله ﷺ ، مع علمهم أن ذلك غير صحيح ، ولايجوز ، أوعلى الأقل إيهام الجهال بظهورهم أمامهم في بعض المحافل والأماكن التي لاترضي الله ورسوله ، كالمشاركة في نذر النذور للأموات ، وعبادتهم من دون الله ، وغير ذلك .

بل إن بعضهم بلغت به الجرأة على الله ـ تعالى ـ أن يزعم أن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس من الإسلام في شيء ، ولم يدع إلى ذلك الأنبياء(١)، وبلغت بآخر إلى إباحة الانتقال بين الأديان السماوية(٢)، ودعا آخر إلى إنشاء مجمع للأديان كي يظهر تعانقها وتآخيها(٣).

ومن صور دعوة الناس إلى الضلال بغير علم : دعوة كثير من الجهلة المقلدة إلى ماكان عليه آباؤهم وسادتهم من البدع والخرافات ، وهذه حال كثير من أهل البدع ، بل حال أكثرهم ؛ لأنهم وجدوا آباءهم على أمة فهم على آثارهم يهرعون.

وبسبب هذا الصنف استمرت البدع في العالم الإسلامي ، وانتشرت ، وتعصب كل أهل مذهب لمذهبهم ، وأنكروا ماعداه ، وغدت السنن بدعا ، والبدع سننا ، واختلط الحق بالباطل ، فلم يعد كثير ممن يعيش بين أولئك

---

(١) انظر : الحكم وقضية تكفير المسلم لسالم البهنساوي (٢٥ ـ ٢٨) .
(٢) انظر : الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول لأحمد بن مالك (١٢) ، العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون لعلي بن حسن بن عبدالحميد (٦٩)
(٣) انظر : الإخاء الديني ومجمع الاديان وموقف الإسلام منها د . محمد البهي ، مجلة التوحيد المصرية ، عدد (٦٠) من السنة التاسعة ١٤٠١هـ (ص٢٤ ـ ٢٦) .

أن يميز بينهما .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ قول كثير من الناس على الله بغير علم ، سواء كان القول عليه في أسمائه وصفاته ، أو في ربوبيته وإلهيته ، أو في التحليل والتحريم.

وقد أفسد هذا النوع كثيرا من الخلق ، وصدوا عن سبيل الله ، وهم لايقلون شناعة عن الصنف الذي قبلهم .

فهذه بعض الصور التي تدل على أن هاتين الخصلتين الجاهليتين لاتزالان باقيتين ، والله المستعان .

الخامسة والسبعون[1]

المكر الكبار[2] ، كفعل قوم نوح .

مضى الكلام مستوفى عن هذه المسألة ضمن الكلام على مسألة إعمال الحيل الظاهرة والباطنة لدفع ماجاءت به الرسل .

والفرق بين هاتين المسألتين أن تلك أعم من هذه ، فكل مكر حيلة ، وليس كل حيلة مكرا ، كما سبق بيان ذلك .

ولما كان الكلام قد مضى عليها ، اكتفيت به عن إعادته هنا ، والله أعلم .

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل ، وفي (هـ) السابعة والسبعون ، وفي (أ) الحادية والسبعون .

(٢) في (د) « الكبارى » .

السادسة والسبعون[1]

أن أئمتهم إما عالم[2] فاجر ، وإما[3] عابد جاهل ، كما[4] في قوله : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ﴾ إلى قوله[5] : ﴿ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلاأماني[6] ﴾[7] [البقرة : ٧٥ ـ ٧٨] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة حال المقتدى بهم في الجاهلية ، فيذكر أنهم أحد رجلين :

إما عالم فاجر ، لايعمل بما يعلم ، بغيته بعلمه تحصيل الجاه والسمعة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله .

وإما عابد جاهل ، يتعبد بالجهل والبدع والخرافات والظنون ، ليس عنده أثارة من علم .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه الخصلة بقوله ـ تعالى ـ :

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل ، وفي (هـ) الثامنة والسبعون ، وفي (أ) الثانية والسبعون .
(٢) في (ب) « أن عالمهم »
(٣) « وإما » ساقط من (أ) .
(٤) « كما » ساقط من (أ) .
(٥) في (أ) « الآية » .
(٦) ﴿ لايعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ ساقط من (ب) و (جـ) و (د) و (هـ) .
(٧) تتمة الآية ساقط من (أ) .

﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ○ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلاتعقلون ○ أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون ○ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلايظنون ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآيات أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قسم اليهود فيها قسمين :

القسم الأول :العلماء الفجار ، وهؤلاء هم الذين ذكرهم بقوله : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون ﴾ ، فأفاد قوله : ﴿ وهم يعلمون ﴾ أن الذين قاموا بالتحريف هم العلماء[1]، ولافجور أعظم من التعدي على كلام الله ، والاستطالة عليه بالتحريف .

القسم الثاني : الجهال ، وهؤلاء هم الذين وصفهم بقوله : ﴿ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلايظنون ﴾ ، أي : لايعلمون من الكتاب سوى مجرد التلاوة ، أما معناه فلايعلمونه[2].

قال ابن عباس في قوله : ﴿ ومنهم أميون لايعلمون الكتاب ﴾ : «

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١١٥) .
(٢) انظر : بحر العلوم (١/ ١٣١) ، معالم التنزيل (١/ ٨٨) ، تفسير ابن كثير (١/ ١١٧).

لايدرون مافيه»[1]، وبنحوه قال أبوالعالية[2]وقتادة[3].

وقال مجاهد : « أناس من أهل الكتاب لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئا ، وكانوا يتكلمون بالظن بغير مافي كتاب الله ، ويقولون هو من الكتاب »[4].

وقال قتادة : « إنما هم أمثال البهائم ، لايعلمون شيئا »[5].

ومما يدل على هذه الخصلة ـ أيضا ـ ماوصف الله به علماء اليهود في غير ماآية من كتابه بالكفر به ـ جل وعلا ـ وبرسله وآياته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ﴾ .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلابحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

كما وصفهم بالتحريف والكتمان ولبس الحق بالباطل ، كما قال ـ

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٧٤) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٤٦) .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٤٦) .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٤٧) .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٣٧٤) .

تعالى ـ : ﴿ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ [آل عمران : ٧١] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [النساء : ٤٦] ، وقال : ﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾[المائدة : ٤١] .

كما وصفهم بأكل أموال الناس بالباطل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾[التوبة : ٤٣] ، وقال : ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ [المائدة: ٤٢] .

كما وصفهم بالمسارعة في الإثم والعدوان ، فقال : ﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون ﴾ [المائدة : ٦٢] .

كما وصفهم بقسوة القلب والفسق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد : ١٦] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أوأشد قسوة ﴾ [البقرة : ٧٤] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾ [المائدة : ٥٩] .

كما وصفهم الله ـ جل وعلا ـ بالعصيان وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [المائدة:٧٨] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ﴾ [النساء : ٤٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿

إلى غير ذلك من الصفات التي تبين فجورهم وفسقهم [١].

وقال ـ تعالى ـ مبينا جهل أئمة أهل الجاهلية : ﴿ أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وقد سبق في المسألة الرابعة ، وهي مسألة التقليد ، أن دين أهل الجاهلية مبني على التقليد ، والتقليد ـ كما سبق ـ ليس بعلم ، بل هو الجهل .

ولما كان حجة أهل الجاهلية فيما هم عليه تقليد الآباء والسادة ، رد الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك ببيان حال المقلَّدين ، فهؤلاء الذين تقلدونهم ليسوا على علم بل هم جهال مثلكم ، والواجب أن تتبعوا من عنده العلم .

---

(١) انظر بتوسع : أخلاق بني إسرائيل وأثرها في حياتهم المعاصرة لوفاء صادق ، بنوإسرائيل في القرآن والسنة د . محمد سيد طنطاوي (٣٨٥ ـ ٥١٦) ، اليهود في القرآن الكريم ، لمحمد عزة دروزة (١ ـ ١٠٨) .

كما سبق - أيضا - في مسألة دعوة أهل الجاهلية إلى الضلال بغير علم ذكر الأدلة على ذلك ، وأنه لايفعل ذلك إلا الجهال، ولاريب أن من دعا الناس إلى أمر فاستجيب له ، فقد اتخذ إماما ، وأهل الجاهلية فعلوا ذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد حذر الله - تعالى - من اتخاذ علماء السوء أئمة ، كما سبق في مسألة اتخاذ فسقة العلماء والعباد أئمة، وحذر ﷺ من اتخاذ الجهال أئمة ، فقال : « إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا، وأضلوا »[1].

فالجهال لايجوز اتخاذهم أئمة ، وهم لايجوز لهم أن يتصدوا لذلك ، فلربما ضلوا وأضلوا ، وهم لايشعرون .

وهذه المسألة من المسائل التي سرت في الأمة الإسلامية ، ولها مظاهر متعددة ، منها : ماوقع فيه محرفو كتاب الله - تعالى - لفظا أومعنى[2] كالرافضة والمعتزلة والجهمية ومن سار على نهجهم ، وذلك لأن الله - تعالى - عاب على اليهود والنصارى تحريفهم ذلك ، ومقتهم به ، وعده فجورا ، بل من أعظم الفجور ، وهؤلاء ومن انتحل مذاهبهم من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم - (١/ ٣٣ - ٣٥)، ومسلم في صحيحه - كتاب العلم - باب رفع العلم وقبضه ، وظهور الفتن في آخر الزمان - (٤/ ٢٠٥٨ - ٢٠٥٩) ح٢٦٧٣ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ السلام ابن تيمية (١٤/ ٧١) .

المتأخرين فعلوا مافعل أولئك .

ومن ذلك : مايشاهد من فسق بعض العلماء ، وخروجهم عن المنهج الذي ينبغي أن يتحلوا به ، وهو العمل بالعلم ، ولكن ـ وياللأسف ـ وجد من هذا الصنف كثير ، فترى كثيرا منهم يجاهر بفعل المعاصي ، ويتمطى بذلك ، ولايستحيي من الله ولامن خلقه ، ومن أعظم ذلك ترك ماأوجب الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخاصة في أعظم الأمور على الإطلاق ، وهو أمر التوحيد ، فقد وجد من علماء السوء من يشارك القبوريين في قبورياتهم ، ويحسن لهم فعله ، ويبارك لهمذلك[١]، كما أن من هؤلاء من لاتكاد تعلم أمسلم هو أم لا؟ وذلك بسبب مايُرى من تشبهه بالكفار في الزي وحلق اللحية ، وشرب الدخان، وحضور أماكن اللهو والمجون وغير ذلك ، إضافة إلى تركه ماأوجب الله من حضور الجمع والجماعات وغير ذلك .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ : مايقوم به مدعو العبادة من المتصوفة من أكل أموال الناس بالباطل ، عن طريق مايسمى بصناديق النذور في مساجد المشركين من القبوريين[٢].

ومنها : أن غالب أئمة المتصوفة فسقة ضلال فجرة ، يستحلون ماحرم الله ، ويحرمون ماأحل الله .

---

(١) انظر : مجلة التوحيد المصرية ، العدد (٨) من عام ١٣٩٩هـ (ص ٤٥) .
(٢) انظر : مجلة التوحيد المصرية العدد (٦) من عام ١٤٠٦هـ ، (ص١ ـ ٤) .

ومنها : أن أئمة الرافضة أعظم هذه الأمة فجورا وانحرافا وزندقة .

ومنها تصدي كثير من الجهال للفتيا والقول في دين الله ، وهذا أمر لايخفى، فإن الإنسان ليجد في كثير من الأحايين من اتخذه قومه وأهل بلده إماما لهم ومرجعا في أمور دينهم ، وهو لايحسن قراءة أم الكتاب ، ومن أعظم الناس وقوعا في هذا الأمر المتصوفة ، فإن أئمتهم جهال ضلال ، ومع ذلك اتخذوهم قدوة لايصدرون إلا عن رأيهم ، ولايعملون إلابما يأمرونهم به ، بل إن من هؤلاء من أعجبه علمه ومارآه ، فأحب أن ينشر ذلك بين الناس ، فألف في ذلك الكتب، ونشرها بين الأنام[1].

ومن ذلك : تصدر بعض قياديي الجماعات للفتيا ، مع جهلهم ، والأخذ بزمام الأمور ، واعتقاد أتباعهم فيهم ، واتخاذهم أئمة ، بل وربما تُعُصب لهم ، ولم يُقبل قول غيرهم ، ولاشك أن هذا فساد كبير ، فينبغي العدول عنه وتركه .

فهذه بعض الصور التي تدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر .

---

(١) ومن هذه الكتب : كتاب مناهل الرشاد في أجوبة مسائل أهل تشاد ، فإن القارىء لهذا الكتاب ليجد العجب العجاب من الجرأة على دين الله ، وانظر ماسطرته يراع الفاجر الخبيث عبدالوهاب الشعراني في الأخلاق المتبولية ، ومن قبل كتب الزنديق ابن عربي وغيرهم من مؤلفي المتصوفة .

السابعة والسبعون[1]

دعواهم أنهم أولياء الله[2] من دون الناس .

في هذه المسألة بيان لدعوى من دعاوى أهل الجاهلية الكاذبة ، وهذه الدعوى هي زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس ، أي أنه اختصهم بالولاية دون غيرهم من الناس ، فهم أحبابه ، فهو ـ تعالى ـ يحبهم ، ويحبونه ، وهم الناجون وحدهم دون غيرهم ؛لأن أولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه[3] ، وأهل الجاهلية يزعمون هذا مع أنهم معرضون عن دينه وشرعه .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين .

ومما يدل على وجود هذه الخصلة عند أهل الجاهلية قوله ـ تعالى ـ رادا على اليهود ادعاءهم ذلك ، ومبينا كذبهم : ﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ○ ولايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ [الجمعة:٦ـ٧] .

وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند

---

(١) هذه المسألة ساقطة من (جـ) و (د) ، ورقمها في الأصل التاسعة والسبعون ، وفي (أ) الثالثة والسبعون .
(٢) لفظ الجلالة ساقط من (أ) .
(٣) انظر : جامع العلوم والحكم (٣١٥) .

الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾[البقرة :٩٥]

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ [المائدة :١٨][١].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى ﴾ [البقرة :١١١][٢].

وكانت قريش في جاهليتها تزعم أنها أهل الله ، وهم على شركهم ، وذلك لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت[٣]، وقد رد الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك بقوله : ﴿ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاالمتقون ﴾[٤] الأنفال : ٣٤] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فبين ـ فيما أوحي إليه ـ أن الولاية ليست بالتمني ، ولابالادعاء ، وإنما تكون بتحقيق شروطها ، وقد بينها الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣] .

---

(١) انظر استشهاد شيخ الإسلام بهذه الآية على هذه المسالة في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٣) .
(٢) انظر استشهاده ـ ايضا ـ بهذه الآية في المرجع السابق .
(٣) انظر : المرجع السابق .
(٤) انظر : تفسير ابن جرير (٩/ ٢٣٩) ، قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (٢٣٩).

فالإيمان والتقوى شرطا الولاية ، ومعلوم أن أهل الجاهلية لم يأتوا بواحد منهما ، فضلا عن كليهما .

وقال ـ تعالى ـ آمرا نبيه ﷺ أن يقول : ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ [الأعراف :١٩٦] .

وقد تأول النبي ﷺ ذلك ، فقال : « إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، وإنما وليي الله وصالح المؤمنين »[١].

وقد نهى الله ـ تعالى ـ عن تزكية النفس ، فقال : ﴿ فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢] .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة ، وخاصة عند المتصوفة ، فإن كثيرا من مشايخه يزعمون أنهم أولياء الله[٢]، وأن أصحابهم هم الصفوة من خلق الله[٣]، وأصبح كل واحد من مشايخ الطرق يزعم أنه خاتم الأولياء ، كما زعم ذلك ابن عربي[٤]،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأدب ـ باب يبل الرحم ببلالها ـ (٧/٧٣) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم ـ (١/١٩٧) الحديث رقم (٢١٥) .

(٢) انظر : اللمع للطوسي (١٩) ، إيقاظ الهمم (٢٧٢) ، الإبريز من كلام الدباغ (٣٠) ، جواهر المعاني (١/ ١٣٠ ـ ١٣١) ، رماح حزب الرحيم (٢/١٤٣) ، الدرة الخريدة (١/٥١) ، جامع كرامات الأولياء (١/٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٠) ، الصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين (١٦٨ ـ ١٨٥) ، شبهات التصوف لعمر قريشي (١٠٢ ـ ١٠٩) ، أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي ، لعبد الرحمن دمشقية (٢٠٤ ـ ٢٠٧) .

(٣) انظر : اللمع (١٩) .

(٤) انظر : الفتوحات المكية(١/٢٤٥) .

والتجاني[1]، كما يزعمون أن أقدامهم على رقبة كل ولي[2]، إلى غير ذلك من ادعاءاتهم الكاذبة[3] .

كما أنه مضى[4] أن كل طائفة تزعم أنها على الحق ، وهذا يعني أنها مستحقة لولاية الله ، وأن غيرها على الباطل ، وهذا يعني عدم استحقاقه لذلك .

---

(١) انظر : الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني (١٧) ، الدرة الخريدة (١/ ٢٥ - ٣٢) .

(٢) انظر : الفتح الرباني (١٥) .

(٣) انظر في مبحث الولاية عند المتصوفة :الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام لعبد الكريم الخطيب (١٧٦ - ١٨٢) ، أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي (٩٠ - ١٠٦) .

(٤) انظر : (ص٢٩٣ - ٢٩٤) .

الثامنة والسبعون[1]

دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه ، فطالبهم بقوله[2] : ﴿ قل[3] إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله[4] ﴾ [آل عمران : ٣١] .

يريد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الخصلة بيان دعوى من دعاوى أهل الجاهلية الباطلة ، وهي زعمهم محبة الله ، أي : أنهم محبون لله ، وهم يتركون شرعه ، فلايستجيبون لما يأمرهم به ، ولاينتهون عما نهاهم عنه ، وهذا عين التناقض، حيث إن المحبة لاتتم إلا بموالاة المحبوب بموافقته في حب مايحب ، وبغض مايبغض[5] ، ومن لم يكن كذلك، فهو كاذب ، كما قال الإمام الشافعي :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[6]

---

(١) هذه المسألة ليست في القسم الموجود من (هـ) ، ورقمها في الأصل الثمانون ، وفي (أ) و (ب) و (جـ) و (د) الرابعة والسبعون ،

(٢) في بقية النسخ « فطالبهم الله بقوله » .

(٣) ﴿ قل ﴾ ساقط من (جـ)

(٤) ﴿ فاتبعون يحببكم الله ﴾ ساقط من (أ) و (جـ) و (د) ، وأشير إليها بلفظ « الآية » .

(٥) انظر : العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٩) .

(٦) ديوان الإمام الشافعي ، جمع محمد الزعبي (٥٨) .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في علامات المحبة : « ومن علاماتها الانقياد لأمر المحبوب ، وإيثاره على مراد المحب ، بل يتحد مراد المحب والمحبوب . . . وهذا الاتحاد علامة المحبة الصادقة ، بحيث يكون مراد الحبيب والمحب واحدا ، فليس بمحب صادق من له إرادة تخالف إرادة محبوبه منه »[1].

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه الخصلة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن الله ـ تعالى ـ طالب من ادعى محبته بدليل يصدق دعواه تلك ، وهذا الدليل هو طاعته باتباع نبيه ﷺ .

وهذه الآية نزلت في اليهود والنصارى والمشركين ، الذين زعموا أنهم يحبون الله حبا شديدا ، مع أنهم لم ينقادوا لشرعه[2].

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : « هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي ، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله »[3]

ومن الأدلة على هذه الخصلة أن اليهود والنصارى يزعمون أنهم

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (٢٧٣) .
(٢) انظر : بحر العلوم (١/ ٢٦١) ، أسباب النزول للواحدي (١٠٣ ـ ١٠٤) ، زاد المسير (١/ ٣٧٣) .
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨) .

يؤمنون بالله، ومامن أحد يؤمن بالله ، إلاوهو يدعي محبته[1]، مما يعني أنهم يدعون حبه ، وقد أكد ذلك الآية التي ذكرها المؤلف .

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ ماذكرته في المسألة السابقة من الأدلة على ادعاء الكتابيين والأميين ولاية الله ، ووجه الاستدلال من تلك الأدلة على هذه المسالة ، أنهم لم يكونوا يستحقون ولاية الله ، لو لم يكونوا يحبونه .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ﴾ حيث لم يكتف بالدعوى ، بل طالب بتحقيق ذلك بالاتباع .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فهذه صفات المحبين ، وليست صفاتهم الادعاء ، بل الإيمان والعمل، فهم أحبوا ، وصدقوا ، حيث قدموا دليلا واضحا على ذلك ، وهو التضحية بأعز مايملكون ، وهو النفس ، فهم يجاهدون في سبيل محبوبهم ، ولايخافون فيه لومة لائم .

وقد بين الله ـ تعالى ـ كما في الحديث القدسي ماتنال به محبته ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن

---

(١) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٣/ ٢٨٤) .

الله قال : من عادى لي وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن استعاذني لأعيذنه . . . الحديث »[1].

فهذا الحديث يبين أن المحبة لاتنال بالتمني ، وإنما تنال بامتثال أوامر المحبوب ، وهو الله ـ جل وعلا ـ فمن كان صادقا في دعوى المحبة ، فليصدق في الامتثال .

ودعوى محبة الله ـ تعالى ـ مع ترك شرعه ، وإعلان التمرد عليه ، وإظهار الفجور في هذا العصر كثير ، فلاتكاد تجد أحدا إلا وهو يدعي محبته ، بيد أنك إذا رأيت أعماله ، رأيت تناقضا كبيرا.

وهذه الخصلة مع وجود ادعائها لدى كثير من الناس ، إلا أن الذين لهم القدح المعلى في ذلك الادعاء الكاذب هم المتصوفة ، فإن كلامهم في محبة الله ، ودعاويهم في ذلك كثير جدا[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الرقاق ـ باب التواضع ـ (٧/ ١٩٠) .

(٢) انظر : عوارف المعارف (٤٥٤ ـ ٤٦٥) ، علم القلوب (٢٧٠ ـ ٢٧٢) ، قوت القلوب (٢/ ٥٧ ـ ٩٥) ، إحياء علوم الدين (٤/ ٣١١ ـ ٣٢٥) ، المنقذ من الضلال (٢٠٤ ـ ٢٠٧) ، التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي (١٢٨ ـ ١٣٠) ، إيقاظ الهمم بشرح الحكم (٦٢٢ ـ ٦٢٧) ، حكم ابن عطاء الله بشرح الشرنوبي (١٢١ ـ ١٢٢) ، حياة القلوب وكيفية الوصول إلى المحبوب للأموي (٢/ ١٨١ ـ ١٩٧) ، ابن الفارض عميد الحب الإلهي لمعروف زريق (١٩ ـ ٢٤)

بل بلغ بهم الأمر إلى دعوى أنهم يعشقون الله[1] ـ تعالى ـ، بل بلغت بهم الحال إلى الزعم بأن غاية محبته ـ تعالى ـ الاتحاد به ، كما ادعى ذلك إمامهم ومقدمهم ابن عربي الملحد[2].

ومع كثرة كلامهم في محبة الله ـ تعالى ـ ، فإن أفعالهم تكذب ذلك كله .

بيان ذلك أنهم أرادوا الوصول إلى الله من غير الطريق التي رسمها ، وهي طريق الإيمان والتقوى ، فتقربوا إلى الله بمالم يشرعه من البدع والشرك وغير ذلك، في حين أنهم قصروا في فعل الواجب عليهم فعله ، كدعواهم سقوط التكاليف عن الولي .

وقد مر معنا في هذا البحث عدة مسائل مما وقع فيه أهل الجاهلية ، ووافقهم عليه المتصوفة ، كالتعبد بكشف العورات ، والتعبد بالمكاء والتصدية ، والتعبد بالشرك، والتعبد بترك زينة الله والطيبات من الرزق ، وغير ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : « وصار في بعض المتصوفة من يطلب تحريكها [يعني المحبة] بأنواع من سماع الحديث

---

(١) انظر :جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢ / ٢٤٢) ، هذه هي الصوفية (٣١ ـ ٣٢) ، الصوفية في نظر الإسلام (٢٠٢ ـ ٢٣٤) ، النقشبندية (١٠٤ ـ ١٠٨) ، الصوفية الوجه الآخر د . محمد جميل غازي (٤٢ ـ ٤٣) ، الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف ياعباد الله لأحمد القطعاني (٢٨٨) .

(٢) انظر : الفتوحات المكية (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٦) ، أضواء على التصوف (٣٢٥ ـ ٣٣٨) .

كالتغبير[1] ، وسماع المكاء والتصدية ، فيسمعون من الأقوال والأشعار مافيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب مافيه من الحب ، بحيث يصلح لمحب الأوثان والصلبان والإخوان والأوطان والمردان والنسوان ، كما يصلح لمحب الرحمن ، ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والإمكان والخلان ، وربما اشترطوا له الشيخ الذي يحرس من الشيطان ، ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه إلى أنواع من المعاصي، بل إلى أنواع من الفسوق ، بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح ، بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد، مما هو من أعظم أنواع الفساد ، وينتج لهم ذلك من الأحوال بحسبه ، كما تنتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها . . . فلو كان هذا مما يؤمر به ، ويستحب ، وتصلح به القلوب للمعبود المحبوب ، لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه »[2]

فالمقصود بيان كذبهم في هذه الدعوى ، والله أعلم .

---

(١) التغبير « مايقرأ بالتطريب من الشعر في ذكر الله ـ تعالى ـ » .
تهذيب اللغة « غبر » (٨/ ١٢٢) .
وقيل : هو الضرب بقضيب ونحوه على مخدة من جلد حتى يطير غبارها .
الاستقامة (١/ ٣٠٦) .

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ، ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ٧٦ ـ ٧٧) .

التاسعة والسبعون[١]

تمنيهم الأماني الكاذبة[٢] ، كقولهم[٣] : ﴿ لن[٤] تمسنا النار إلاأياما معدودة ﴾[البقرة:٨٠] ، وقولهم : ﴿ لن يدخل الجنة إلامن كان هودا أونصارى ﴾[البقرة :١١١] .

في هذه المسألة بيان لدعوى أخرى من دعاوى أهل الجاهلية الكاذبة ، وهي زعمهم أنه سيحصل لهم ماتمنوه من الأماني .

والأماني : جمع أمنية ، وهي مايقدره الإنسان في نفسه ، ويصوره فيها ، ويشتهي حصوله[٥]، كأن يتصور أنه يثاب ، أويفعل كذا وكذا ، فهي نوع من الشهوة والإرادة والمحبة[٦].

وأهل الجاهلية الكتابيون والأميون ، يزعمون أن ماتشتهيه أنفسهم من الجنة والسعادة ، ومايحبونه ، حاصل لهم لامحالة ، كيف لا وهم أولياء

(١) رقم هذه المسألة في الأصل الحادية والثمانون ، وفي (أ) الخامسة والسبعون ، وفي (ب) و (د) التاسعة والسبعون ، وفي (جـ) الثامنة والسبعون .
(٢) في (أ) « الكاذبة الباطلة » ، وعند قوله : « الكاذبة » تنتهي المخطوطة (هـ) .
(٣) في (أ) و (ب) « كقوله » ، وفي (جـ) « كقوله لهم » .
(٤) في (ب) ﴿ وقالوا ﴾ .
(٥) انظر : لسان العرب ، مادة « منى » (١٥/ ٢٢٤) ، المفردات في غريب القرآن (٤٧٥ ـ ٤٧٦) .
(٦) انظر : تفسير الخازن (١/ ٦٠١) ، الفتوحات الإلهية (١/ ٣٢٧) .

الله من دون الناس ؟ وكيف لا وهم أحباؤه ؟آ .

فهم يقطعون بحصول ذلك ، وليس معنى تمنيهم الأماني أنهم يرجون حصولها ، وهي كاذبة لكونها لم تستند على دليل ولابرهان ، بل على محض الكذب ، ؛إذ كيف يزعمون ذلك وهم أبعد مايكونون عنها ؟ ! .

وقد استدل الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ـ تعالى ـ إخبارا عن اليهود أنهم قالوا: ﴿ لن تمسنا النار إلاأياما معدودة ﴾ .

وهذه أمنيتهم ؛ حيث زعموا أنهم إن دخلوا النار ، فلن يكون دخولهم فيها إلابمقدار الأيام التي عبدوا فيها العجل ، ثم يخرجون منها ، ويخلفهم غيرهم(١).

وهذه الآية كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلاأياما معدودات ﴾ [آل عمران : ٢٤] .

وقد بين ـ تعالى ـ كذبهم في ذلك بقوله : ﴿ قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالاتعلمون ﴾ [البقرة:٨٠] .

وبينت الآية الأخرى أن قولهم هذا محض افتراء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون ﴾ [آل عمران : ٢٤] .

قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ : « غرهم قولهم : ﴿ لن تمسنا النار إلاأياما معدودات ﴾ »(٢).

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٢١٩/٣) ، تفسير ابن كثير (١١٨/١) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٩/٣) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤/٢) =

وقال ابن كثير : « أي ثبتهم على دينهم الباطل ماخدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لاتمسهم بذنوبهم إلا أياما معدودات ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم ، واختلقوه ، ولم ينزل به الله سلطانا »[1].

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن اليهود والنصارى زعموا أنه لن يدخل الجنة غيرهم، فاليهود يزعمون أنه لن يدخلها غير اليهود ، والنصارى يزعمون أنه لن يدخلها غير النصارى ، وقد سماها الله ـ تعالى ـ أماني ، كما قال : ﴿ تلك أمانيهم ﴾ .

وبين ـ جل وعلا ـ كذبها حينما طالبهم بالبرهان ، وأنى لهم ذلك ، وهذه المطالبة للتعجيز ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾.

قال ابن جرير : « يقول الله لنبيه محمد ﷺ : يامحمد، قل للزاعمين أن الجنة لايدخلها إلا من كان هودا أونصارى ، دون غيرهم من سائر البشر : هاتوا برهانكم على ماتزعمون من ذلك ، فنسلم لكم دعواكم ، إن كنتم في دعواكم أن الجنة لايدخلها إلا من كان هودا أونصارى محقين »[2].

= وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٥٦) .

(٢) تفسير ابن جرير (١/٤٩٢) .

ومن الأدلة على تمنيهم الأماني الكاذبة قوله ـ تعالى ـ مكذبا لهم : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾[البقرة : ٩٤] .

وقوله ـ تعالى ـ :مخبرا عن اليهود ﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولايظلمون فتيلا ﴾ [النساء : ٤٩] .

وهذه الآية نزلت في اليهود ، حيث كانوا يقدمون صبيانهم للصلاة بهم، ويزعمون أنه لاخطايا لهم ، ولاذنوب ، وأنهم سيشفعون لهم عند الله، ذكر ذلك ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣].

وجاء عن الحسن البصري[٤]، وقتادة[٥]، وعبد الرحمن بن زيد[٦] ـ رحمهم الله تعالى ـ في المزكين أنفسهم أنهم اليهود والنصارى حين قالوا : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة :١٨] ، وحين قالوا : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى﴾.

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ليس بأمانيكم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٢٧) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٢٧) .
(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ١٦٤) ، وابن جرير في تفسيره (٥/ ١٢٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٢٦) .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ١٢٧) .

ولاأماني أهل الكتاب ﴾ [النساء : ١٢٣] .

قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ : « قالت العرب : لانبعث ، ولانحاسب ، وقالت اليهود والنصارى : ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أونصارى ﴾ ، وقالوا : ﴿ لن تمسنا النار إلاأياما معدودات ﴾ ، فأنزل الله ﴿ ليس بأمانيكم ولاأماني أهل الكتاب ﴾ »(١).

وقوله ـ تعالى ـ عن اليهود : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

قال قتادة : « فخلف من بعدهم خلف سوء ، ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ، أورثهم الله الكتاب ، وعهد إليهم ، ويقولون : يغفر لنا، أماني تمنوها على الله ، وغرة يغترون بها »(٢).

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ [الجمعة : ٦] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن ذي الجنتين أنه قال : ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ [الكهف : ٣٦] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن الوحيد من قريش أنه قال : ﴿ لأوتين مالا

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة النساء (١٣٧٦/٤)ح٦٩٢ ، وابن جرير في تفسيره (٢٩٠/٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٢٥/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وأبوالشيخ كما في الدر المنثور (١٣٩/٣).

وولدا﴾ [مريم : ٧٧] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن أهل القرى : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ﴾ [سبأ : ٣٥] .

فهذه الأدلة تدل على ماكان أهل الجاهلية يتمنونه من الأماني الكاذبة .

ولذا لما كان الأمر بهذه المثابة من الخطورة ، قطع الله ـ تعالى ـ على أهل الأماني أمانيهم بقوله : ﴿ ليس بأمانيكم ولاأماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا ○ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا ﴾ [النساء : ١٢٣ ـ ١٢٤] .

فبين أن المعيار ليس بالأماني ، وإنما بالعمل الصالح .

قال ابن كثير : « والمعنى في هذه الآية ، أن الدين ليس بالتحلي ولابالتمني، ولكن ماوقر في القلب ، وصدقته الأعمال ، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولاكل من قال : إنه على الحق ، سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان »[1].

وقال ﷺ : « الكَيِّسُ من دان نفسَه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله »[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٥٧) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة ـ باب منه ـ (٤/٦٣٨)ح٢٤٥٩ ، وقال : « حديث حسن » ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر التوبة ـ (٢/١٤٢٣)ح ٤٢٦٠ ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٥٣)ح١١٢٢ ، وأحمد في =

ولما قال أحد الصحابة لرسول الله ﷺ : « أسألك مرافقتك في الجنة» أرشده النبي ﷺ إلى الطريق الموصل إليها ، فلم يكله إلى أمانيه فقط ، بل دله على ماهو نافع له ولغيره ، فقال : « أعني على نفسك بكثرة السجود»[1]، فلم يقل له ﷺ : امكث على أمانيك ، فلك ماتمنيت .

كما أن الله ـ تعالى ـ نهى عن تزكية النفس ورؤيتها ، فقال : ﴿ فلاتزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ [النجم : ٣٢] على حين أنه رغب في تزكيتها من الذنوب والمعاصي ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس :٩].

هكذا خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه

= مسنده (٤/٢٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٧/٢٨١)ح٧١٤١) ، وفي المعجم الصغير (٢/٣٦) ، وفي مسند الشاميين (١/٢٦٦ ـ ٢٦٧) ح٤٦٣ و(٢/٣٥٤) ح٤٨٥، وابن عدي في الكامل (٢/٤٧٢) ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الإيمان ـ (١/٥٧) وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه » وقال الذهبي : « قلت : لاوالله ، أبو بكر واه » وأخرجه الحاكم في المستدرك أيضا في كتاب التوبة (٤/٢٥١) وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/٢٦٧) و (٨/١٧٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١/١٤٠ ـ ١٤١)ح١٨٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الجنائز ـ باب ماينبغي للمسلم أن يستعمله من قصر الأمل ، والاستعداد للموت ، فإن الأمر قريب ـ (٣/٣٦٩) وفي الآداب ـ باب من قصر الأمل ، وبادر العمل ، قبل بلوغ الأجل ـ (٤٩٩ ـ ٥٠٠)ح١١٣٠ ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢/٥٠) ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الرقاق ـ باب الاجتناب عن الشهوات ـ (١٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩)ح ٤١١٦ و ٤١١٧ كلهم من حديث شداد بن أوس .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب فضل السجود والحث عليه ـ (١/٣٥٣)ح٤٨٩ .

الخصلة، فبين الهديين بون شاسع .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها عدة مظاهر ، منها : مايزعمه المرجئة من كونه لايضر مع الإيمان ذنب ، وأن العمل ليس داخلا في مسمى الإيمان ، وأن إيمان المتقين كإيمان الفجار ، لافرق بينهم في ذلك[1].

ووجه دخولهم في هذه الخصلة بهذا القول ، أنهم يتركون العمل ، ويفعلون المعاصي ، ويتمنون على الله الأماني الكاذبة بدعوى أنهم سيدخلون الجنة ، ولايعذبون ، وإن لم يعملوا ، وإن بارزوا الله بالعداء .

ولذلك عد العلماء قوله ﷺ : « والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله » ردا عليهم[2].

ومن مظاهر ذلك: ماتدعيه كل طائفة من طوائف التصوف من الأماني الكاذبة لها ولأتباعها ، فمثلا ، يزعم التجانيون أن الله ـ تعالى ـ خصهم بخصائص دون غيرهم ، وهذه الخصائص كما جاءت في كتبهم : « الأولى: أن جده ﷺ ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام ، والثانية : أن يخفف الله عنهم سكرات الموت ، والثالثة : لايرون في قبورهم

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/١٣٩) ، الفرق بين الفرق (٢٠٢) ، التبصير في الدين (٩٧) ، اعتقادات فرق المسلمين وفرق المشركين (٧٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٣٣) ، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/٣٠١) .

(٢) انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٧/٤٤) و (٨/٤٢٨)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني (٢/١٧٨) .

إلامايسرهم، والرابعة : أن يؤمنهم الله من جميع أنواع عذابه ، والخامسة : أن يغفر الله لهم جميع ذنوبهم ، ماتقدم منها وماتأخر ، والسادسة : أن يؤدي الله عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله ، لامن حسناتهم، والسابعة : أن لايحاسبهم الله ، ولايناقشهم ، ولايسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة ، والثامنة : أن يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة ، والتاسعة: أن يجيزهم الله على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة ، والعاشرة : أن يسقيهم الله من حوضه ﷺ ، والحادية عشرة : أن يدخلهم الله الجنة بغير حساب ولاعقاب ، في أول الزمرة الأولى ، والثانية عشرة : أن يجعلهم الله مستقرين في الجنة ، في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن . . . والثالثة عشرة : أن النبي ﷺ يحب كل من كان محبا له ،والرابعة عشرة : أن محبه لايموت حتى يكون وليا . . . والخامسة عشرة : أن أبوي آخذ ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولاعقاب »[1].

ويزعم الشاذليون[2] ـ وهو مثال آخر ـ أن الله اختصهم بخصائص ليست

---

(١) رماح حزب الرحيم (٢/٤٧ ـ ٥٠) .

(٢) الشاذلية : إحدى الطرق الصوفية المنتشر في العالم الإسلامي ، وهي تنسب إلى أبي الحسن علي ابن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي ، نسبة إلى شاذلة مدينة بالمغرب الأقصى ، المتوفى سنة٦٥٦هـ لهم بدع خطيرة ، منها : اعتقادهم أن الأولياء يعلمون الغيب ، وأن لأرواح الموتى قدرة على تصريف الكون .
انظر : معاهد التحقيق في رد المنكرين على أهل الطريق لمحمود الوفائي ، الطرق الصوفية في مصر د .عامر النجار (١٢٤ ـ ١٥٤) ، الكشف عن حقيقة الصوفية (٣٥٨ =

لأحد غيرهم ، وهذه الخصائص هي ـ كما جاءت في كتبهم أيضا ـ : « الأولى : أنهم مختارون من اللوح المحفوظ . . . الرابعة: أنهم مأمونون من السلب . . . السابعة : أن الولي لاتكتمل ولايته إلا إذا ختم بالطريقة الشاذلية »[1].

كما يزعمون أن النار محرمة عليهم ، وعلى من يزور ضريح شيخهم[2].

ومن ذلك ادعاء بعض المتصوفة ،أنهم إن لم يدخلوا الجنة بأعمالهم ، فسيدخلونها ؛ لأن الخالق اختار أجسادهم محلا لعلمه[3].

وقد سبق أن كل طائفة من طوائف التصوف تزعم الولاية لها ولشيخها، ولاريب أن هذا من الأماني الكاذبة .

كما أن كل طائفة من طوائف المبتدعه تزعم أنها هي التي على الحق ، أما غيرها فعلى الباطل ، وهذا يعني أنها تزعم النجاة ، وهو من الأماني الكاذبة[4].

ومن الأماني الكاذبة ادعاء الروافض أن من كان في قلبه حب لعلي ،

= ـ ٣٥٩) ، دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير (٢٣٥ ـ ٢٤٩) ، الصوفية في نظر الإسلام (٥٤٥ ـ ٥٥١) .

(١) معاهد التحقيق في الرد على المنكرين على اهل الطريق (٧٩) .
(٢) انظر : مجلة التوحيد المصرية ، العدد (٨) من عام ١٤٠٦ هـ (ص ٣) .
(٣) انظر : مجلة التوحيد المصرية ، العدد (٨) من عام ١٣٩٩هـ ، (ص ٨) ، والعدد (٩) من عام ١٤٠٦هـ (ص ٤٦ ـ ٤٨) .
(٤) انظر : شرح المسألة الرابعة والثلاثين .

دخل الجنة وإن كان يهوديا أونصرانيا[1].

ومن ذلك جزمهم بحصول النجاة لهم يوم القيامة[2].

هذه بعض مظاهر وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان.

(١) انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية (٣١٣) .
(٢) انظر : منهاج السنة النبوية (٣/ ٤٨٥) .

الثمانون[1]

اتخاذ قبور أنبيائهم[2] وصالحيهم[3] مساجد .

الحادية والثمانون[4]

اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد ، كما ذكر عن عمر .

في هاتين المسألتين ومايليهما من مسائل تفصيل لما أجمله المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ من قبل ، وذلك في مسألة الغلو في الصالحين.

فذكر هنا أن من جملة غلو أهل الجاهلية في العلماء والصالحين اتخاذ المساجد على قبورهم ، واتخاذ آثارهم ـ وهي الأماكن التي كانوا يتتابونها للجلوس فيها ، أوالنوم ، أوقضاء الحاجات ونحو ذلك ـ مساجد .

والمراد باتخاذها مساجد ، أنهم يصيرونها أماكن للعبادة ، يرتادونها من أجل ذلك ، وإن لم يبنوا عليها مسجدا ؛ إذ ليس من شرطه البناء ؛ لأن كل موضع قصدت فيه العبادة يسمى مسجدا ، بل كل موضع يصلى فيه

(١) في الأصل الثانية والثمانون ، وفي(أ) السادسة والسبعون .
(٢) في (أ) و (ب) « الأنبياء » .
(٣) « وصالحيهم » ساقط من (أ) و (ب) .
(٤) في الأصل : الثالثة والثمانون ، وهي ساقطة من (أ) .

يسمى مسجدا، وإن لم يكن ثمة بناء[1]، أو أن المراد باتخاذها مساجد ، أنهم يستقبلونها بالصلاة والدعاء[2]، أوأن المراد أنهم يصلون عليها، بمعنى السجود عليها[3].

وقد دل على وجود هاتين الخصلتين كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ ، ومن الأدلة على ذلك ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ [الكهف : ٢١] .

وهذه الآية قد نوزع في الاستدلال بها ؛ وذلك للاختلاف في القائلين، هل هم مسلمون أم كفار ؟ قولان لأهل العلم ، حكاهما ابن جرير[4]، ونقلهما عنه ابن كثير[5]، وتوقفا في ذلك .

ولعل الأظهر أن القائلين كفار مذمومون بقولهم هذا ، وذلك لأمرين :

أحدهما : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أويعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا ﴾ .

فلو كانوا مؤمنين لما كان ثمة تخوف من ملتهم ، فدل على أنهم كفار .

ثانيهما : ماسيأتي بعد قليل من ذكر لعن النبي ﷺ من فعل ذلك ،

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٧١) ، كتاب التوحيد للمؤلف (٦١) .
(٢) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (١/ ١٢١) ، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني (٢١ ـ ٢٢) .
(٣) انظر : المرجعين السابقين .
(٤) انظر : تفسير ابن جرير (١٥/ ٢٢٥) .
(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٣/ ٧٩) .

وذمه اليهود والنصارى لأجل ذلك ، ولو كان جائزا ، ولم يكونوا كفارا لما لعنهم ﷺ .

ومما يدل على وجود هذه الخصلة في أهل الجاهلية ماجاء عن أم المؤمنين عائشة[1] وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنهما قالا : « لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق يطرح خميصة[2] على وجهه ، فإذا اغتم بها ، كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا[3].

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا

---

(١) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، زوج رسول الله ﷺ ، وأحب نسائه إليه ، وهي التي تزوجها بكرا بين نسائه ، تزوجها ﷺ وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع ، وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وتوفيت سنة ٥٧ هـ ، وصلى عليها أبوهريرة .
انظر : طبقات ابن سعد (٥٨/٨ ـ ٨١) ، تاريخ خليفة (٢٢٥) ، تهذيب الكمال (٢٢٧/٣٥ ـ ٢٣٦)

(٢) الخميصة : ثوب خز ، أو صوف معلم ، وقيل : لاتسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة .
انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (٢٢٦/١ ـ ٢٢٧) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٣٠٨/١) ، النهاية في غريب الحديث (٨١/٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد ـ (١١٠/١ ـ ١١١) ، وباب الصلاة في البيعة (١١٢/١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ـ (٣٧٧/١) ح٥٣٠ .

قبور أنبيائهم مساجد » لولا ذلك لأبرز قبره[1]، غير أنه خَشي ، أوخُشي أن يتخذ مسجدا[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « قاتل الله اليهود ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[3].

وعن عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن أم حبيبة[4]، وأم سلمة[5]، ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ ، فقال ﷺ : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تيك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم

---

(١) أي : لكشف قبره ، ولم يتخذ عليه حائل ، والمراد لدفن خارج منزله ﷺ .
انظر : فتح الباري (٣/٢٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب ماجاء في قبر النبي ﷺ ـ (٢/١٠٦) ، ومسلم ـ كتاب المساجد ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧) ح٥٠٠ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب ـ (١/١١٢ ـ ١١٣) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧)ح٥٣٠ .

(٤) هي رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، أم المؤمنين ، زوج النبي ﷺ ، تزجها بعد عبدالله بن جحش الذي هاجر معها إلى الحبشة ، وتنصر هناك ، ومات نصرانيا ، وتوفيت سنة ٤٤ وقيل : ٥٩ .
انظر : طبقات ابن سعد (٨/٩٦ ـ ١٠٠) ، تاريخ خليفة (٧٩ ، ٨٦) ، تهذيب الكمال (٣٥/١٧٥ ـ ١٧٦) .

(٥) هي هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية ، أم المؤمنين ، زوج النبي ﷺ ، تزوجها ﷺ بعد وقعة بدر ، وكانت قبل تحت أبي سلمة ، وتوفيت زمن يزيد بن معاوية .
انظر : طبقات ابن سعد (٨/٨٦ ـ ٩٦) ، طبقات خليفة (٣٣٤) ، تهذيب الكمال (٣٥/٣١٧ ـ ٣٢٠) .

القيامة »[1].

وعن جندب[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ : « سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبابكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلاتتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك »[3].

ومن الأدلة على اتخاذ الآثار مساجد ماأشار إليه المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله : « كما ذكر عن عمر » أي من النهي عن ذلك ، ونص القصة أن المعرور بن سويد[4] قال : خرجنا مع عمر في حجة ، فقرأ بنا في الفجر ﴿

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الصلاة ـ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ـ (١/ ١١٠ ـ ١١١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . ـ (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦)ح٥٢٨ .

(٢) هو جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي ، صحابي جليل ، شهد عدة مشاهد مع النبي ﷺ ، وروى عنه ، وتوفي سنة ٧٠هـ .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ٣٥) ، تهذيب الكمال للمزي (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٩) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن بناء المساجد على القبور . . . ـ (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨)ح٥٣٢ .

(٤) هو المعرور بن سويد الأسدي ، أبو أمية الكوفي ، تابعي ، أدرك بعض الصحابة ، وروى عنهم وتوفي سنة بضع وعشرين ، وله مائة وعشرون عاما .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ١١٨) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٧٤) .

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ [الفيل : ١] و ﴿ لإيلاف قريش ﴾ [قريش : ١] ، فلما قضى حجه ، ورجع ، والناس يبتدرون ، فقال : « ماهذا » ؟ فقالوا : مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ ، فقال : « هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا ، من عرضت له منكم الصلاة ، فليصل، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة ، فلايصل فيه »(١)

ومن الأدلة على ذلك ـ أيضا ـ : ماجاء في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا ﴾ [نوح: ٢٣] ، فقد سبق(٢)أن هذه اسماء رجال صالحين من قوم نوح ، وأن الشيطان أوحى إلى قومهم أن ينصبوا صورا في مجالسهم ؛ كي يذكروهم فيزدادوا في الطاعة ، حتى نسي العلم ، فعُبدوا من دون الله .

وهاتان المسألتان ـ كما تبين من النصوص السابقة ـ من خصال الأميين والكتابيين .

وقد علم من الأحاديث السابقة وجه مخالفته ﷺ لأهل الجاهلية في هاتين الخصلتين ، فإنه لعن من فعل ذلك ، ونهى أمته عن ذلك ، وشدد

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الصلاة ـ باب في الصلاة عند قبر النبي ﷺ وإتيانه ـ (٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧) ، وعبد الرزاق في مصنفه ـ كتاب الصلاة ـ باب مايقرأفي الصبح في السفر ـ (١/١٨١ ـ ١١٩) الحديث رقم (٢٧٣٤) ، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٤١ ـ ٤٢) ، وسعيد بن منصور في سننه كما في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٧٤٤) ، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة (١٠٢) .

(٢) انظر : شرح المسألة الأولى .

فيه ، وأبدى وأعاد .

ولاتزال هاتان المسألتان موجودتين ، فإن كثيرا من بلدان العالم الإسلامي اليوم ، قل أن تجدها سالمة من هذا الأمر ، فما أكثر المساجد المبنية على القبور، وماأكثر ماينفق عليها من الأموال ، ويوقف عليها من الأوقاف ، ويعين لها من الموظفين والخدم ، حتى غدا بعضها في نفوس المبتدعة كأنه الحرمان الشريفان .

وأعظم من يعنى بهذا الأمر طائفتان ، هما : الرافضة والصوفية .

والرافضة أصل البلاء في هذا الأمر ، فهم أول من بنى المساجد على القبور[1]، وعظمها تعظيما فاق تعظيم اليهود والنصارى ، وعدوا كل مكان فيه قبر من قبورهم المزعومة حرما[2]، وجعلوا لها مناسك يهلون بها ، وشروطا على من أراد زيارتها الالتزام بها[3]، ويروون في ذلك الروايات الباطلة ، والمكذوبة على الأئمة ـ رحمهم الله ـ وهم يعدون هذا من مفاخرهم ، وفي هذا يقول محمد رضا المظفر[4]: « مما امتازت به الإمامية، العناية بزيارة القبور : قبور الأئمة ، وتشييدها ، وإقامة العمارات الضخمة

---

(١) انظر : كتاب التوحيد للمؤلف (٦٢) .
(٢) انظر : مسألة التقريب بين اهل السنة والشيعة د . ناصر القفاري (١/ ٣٠١) .
(٣) انظر : مفاتيح الجنان لعباس القمي .
(٤) هو محمد رضا بن محمد بن عبدالله بن أحمد ، من آل المظفر ، من أئمة الرافضة المتأخرين ، ولد سنة ١٣٢٢هـ ، له مؤلفات في المذهب الرافضي ، منها : عقائد الشيعة ، أصول الفقه .
انظر : الأعلام (٦/ ١٢٧) .

عليها ، ولأجلها يضحون بكل غال ورخيص عن إيمان وطيب نفس»[١].

ويقول هاشم عثمان : « أحب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، وفاق الشيعة غيرهم في محبتهم لهم ، وقد دفعتهم هذه المحبة إلى تكريمهم ، وتخليد ذكراهم العطرة بطريقين . . . الثاني : بالعمران والبنيان ، بناء المقامات والمشاهد على قبورهم الشريفة ، وأنفقوا في سبيلها الأموال الطائلة ، وتفننوا في بنائها وزخرفتها وتزيينها ، حتى أصبحت هذه المشاهد روائع معمارية ، لامثيل لها في أية بقعة من بقاع الأرض ، ومنذ قديم الزمان ، وإلى اليوم ، وهذه المشاهد تجتذب ملايين الناس في كل عام للزيارة والتبرك »[٢]

ومن عنايتهم بها : تأليف الكتب فيها ، لتحديد أماكنها ، وتاريخ تشييدها ، وعدد مرات ترميمها ، ومن زارها من الكبار ، ومن حلت به المصيبة حين أنكر فضلها. . .الخ[٣].

ومن طريق هذه الفرقة الضالة انتشر هذا الداء الفتاك في العالم الإسلامي ، فالمتصوفة ـ كما سبق ـ لهم عناية ببناء المساجد على القبور ، وجعل الأوقاف عليها ، وتعظيمها ، والصلاة عندها ، وتحري الدعاء

---

(١) عقائد الإمامية له (٩٢ ـ ٩٣) .

(٢) مشاهد ومزارات ومقامات آل البيت في سورية لهاشم عثمان (٧ ـ ٨) .

(٣) انظر على سبيل المثال : بحار الأنوار المجلد ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، مشاهد العترة الطاهرة لعبد الرزاق أكمونة الحسيني ، مراقد المعارف في تعيين مراقد العلويين لمحمد حرز الدين ، موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي ، مدينة الحسين لمحمد آل كيدار .

عندها، وسؤال الحاجات منها ، والذبح عندها ، ولها ، والنذر لها ، وغير ذلك .

ومساجدهم كثيرة جدا ، يصعب حصرها ، وهي لاتخفى على كثير من الناس[١]، ولهم كالرافضة مناسك وأدعية لمن يريدالزيارة[٢] .

وقد عمت بهذه القبور البلوى ، وتابع فيها أهلها أهل الجاهلية حذو القذة بالقذة ، نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) من الكتب التي ألفت في جواز البناء على القبور : كتاب إحياء المقبور من أدلة استحباب البناء على القبور لأبي الفيض أحمد الصديق الغماري ، اتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة لعبد الله بن الصديق الغماري (٨٧ ـ ٩٤) .
وانظر لمعرفة بعض المساجد المبنية على القبور والآثار:
كتاب الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي ، الكواكب السيارة لشمس الدين الزيات ، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركات لأبي الحسين نور الدين علي بن أحمد السخاوي ، الإشارات إلى معرفة الزيارات لأبي الحسين الهروي ، مشاهد ومقامات ومزارات آل البيت في سورية ، العتبات المقدسة في الكوفة لمحمد سعيد الطريحي ، مساجد مصر واولياؤها الصالحون د . سعاد محمد ، القباب في العمارات الإسلامية د. محمد صالح لمعي .

(٢) انظر : العهود الوفية في السلسلة اليوسفية الحبشية لمحمد التابعي بن محمد الشاذلي.

الثانية والثمانون[1]

اتخاذ السرج على[2] القبور .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من جملة الغلو في القبور وساكنيها عند أهل الجاهلية ، أنهم كانوا يوقدون عندها السرج ؛ لإضاءتها ، وتهيئة للعبادة عندها[3] .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين .

ومما يدل عليها حديث ابن عباس : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج »[4] .

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل الرابعة والثمانون ، وفي (أ) السابعة والسبعون .

(٢) في (ب) و (د) « عند » .

(٣) انظر : حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى (٤/ ٩٥) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب في زيارة النساء القبور ـ (٣/ ٥٥٨)ح٣٢٣٦ ، والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب الجنائز ـ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ـ (١/ ٦٥٧)ح٢١٧٠ ، وفي المجتبى ـ كتاب الجنائز ـ باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ـ (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) ، والترمذي في جامعه ـ أبواب الصلوات ـ باب ماجاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجد ـ (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧) ح٣٢٠ ، والطيالسي في مسنده (٣٥٧) ح٢٧٣٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب من كره زيارة القبور ـ (٣/ ٣٤٤) ، وأحمد في مسنده (١/ ٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧) ، وابن حبان في صحيحه ، كما في الموارد ـ كتاب الجنائز ـ باب زيارة القبور ـ (٢٠٠) ح٧٨٨ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٤٨)ح ١٢٧٢٥ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الجنائز ـ (١/ ٣٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الجنائز ـ باب ماورد في نهي النساء عن زيارة القبور ـ (٤/ ٧٨) ، =

قال بعض أهل العلم : « هم اليهود »[1].

قلت : وكذلك النصارى والأميون ، فاللفظ أعم من أن يخص به طائفة بعينها، بدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾[الكهف : ٢١] .وقوله ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ».

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فلعن المتخذين عليها السرج ، كما في الحديث المتقدم ، كما أنهلعن المتخذين قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وذم المزخرفين لها ، المزينين لها ، الغالين فيها ، ولاريب أن اتخاذ السرج عليها من الغلو فيها .

ثم إن من مقاصد شريعته ﷺ مايدل على مخالفته لهم في هذه الخصلة، وذلك لكونه تضييعا للمال بلافائدة[2]، وإفراطا في تعظيم القبور

= والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٧٠ ـ ٧١) ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الصلاة ـ باب كراهية أن يتخذ القبر مسجدا ـ (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧) ح٥١٠ .
وقد حسن هذا الحديث الترمذي في جامعه ، والبغوي ، والسيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (١١٣) ، وأحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي ، وصححه في شرح المسند (١/ ٣٢٣) ، وقال الحاكم : « أبو صالح [أحد رواة الحديث] هذا ليس بالسمان المحتج به ، إنما هو باذان ، ولم يحتج به الشيخان ، لكنه حديث متداول بين الأئمة ، ووجدت له متابعا من حديث سفيان الثوري في متن الحديث ، فخرجته » قال الذهبي : « أبو صالح هو باذان ، ولم يحتجا به »

(١) انظر : مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٧) .

(٢) انظر : المغني لابن قدامة (٢/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٦٦)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٣٥٣) ، حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى (٤/ ٩٥) ، تحفة الأحوذي للمباركفوري (٢/ ٢٦٧) .

أشبه بتعظيم الأصنام[1]، وتشبها بالمجوس[2] واليهود[3] والنصارى .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ويمثلها ـ كما في المسألة السابقة ـ القبوريون من الرافضة والمتصوفة ، فهم الذين يعنون بهذا عناية عظيمة .

وإن المشاهد لتلك القبور ليرى العجب العجاب ، حيث يرى ماينفق عليها من الأموال الضخمة لأجل تنويرها وإضاءتها ، ولقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ـ تعالى ـ أنه رأى من وسائل الإنارة التي على قبور الروافض مايكفي لتنوير مدينة عظيمة[4]، وكل هذا محادة لله ولرسوله .

وحيث علم في المسألة السابقة أن بناء المساجد على القبور منتشر انتشارا كبيرا في العالم الإسلامي ، فإن إيقاد السرج عليها كذلك ، بل لوقيل: إنه من لازمها عند هؤلاء المبتدعة لم يبعد ، والله أعلم .

---

(١) انظر : المغني (٢/٣٨٨) ، شرح منتهى الإرادات (١/٣٥٣) ، الكوكب الدري شرح جامع الترمذي للكاندهلوي (١/٣١٦ ـ ٣١٧) ، تحفة الأحوذي (٢/٢٦٧) .
(٢) انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٦٦) .
(٣) انظر : الكوكب الدري (٢/٣١٧) .
(٤) انظر : السنة والشيعة أو الرافضة والوهابية (٦٢) .

الثالثة والثمانون[1]

اتخاذها أعيادا .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من غلو أهل الجاهلية في قبور الأنبياء والصالحين ، جعلها أعيادا .

والمراد أنهم يقصدونها للاجتماع فيها،ويتنابونها للعبادة عندها[2].

والأدلة على هذه المسالة كثيرة جدا ، سبق ذكر بعضها في مسألة اتخاذ القبور مساجد .

ووجه الاستدلال منها على هذه المسالة ، أن اتخاذها مساجد يعني أنهم يقصدونها للعبادة عندها ، وهذا هو العيد .

وقد خالف رسول الله ﷺ أهل الجاهلية في هذا الأمر ، فقد علمنا في المسألة السابقة شدة نهيه ﷺ عن ذلك ، ولعنه من فعل ذلك .

كما أنه صرح بالنهي عن اتخاذ قبره عيدا ، فقال ﷺ : « لاتجعلوا بيوتكم قبورا ، ولاتجعلوا قبري عيدا ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم »[3]

---

(١) في الأصل الرابعة والثمانون ، وفي (أ) الثامنة والسبعون .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٦٠) ، إغاثة اللهفان (١/ ١٩٠) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب المناسك ـ باب زيارة القبور ـ (٢/ ٥٣٤)ح٢٠٤٢ ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦٧) ، والبيهقي في حياة الأنبياء (١٢) ، وأبو نعيم في =

وقال ﷺ : « لاتتخذوا قبري عيدا ، ولابيوتكم قبورا ، وصلوا علي ، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم »[1].

فإذا كان هذا النهي عن اتخاذ قبره ﷺ عيدا ، وهو أفضل قبر على وجه الأرض ، فماالظن بغيره من القبور ؟ .

لاريب أنها أولى بالنهي منه[2].

أما عن وجود هذه الخصلة في عصرنا هذا ، فهي موجودة بلا ريب ، وقد تبين لنا ذلك حين الكلام على مسألة اتخاذ القبور مساجد ؛ لأن اتخاذ القبور مساجد يعني اتخاذها أعيادا ، والله أعلم .

= الحلية (٦/ ٢٨٣) ، كلهم من حديث أبي هريرة .
وصححه النووي في الأذكار (٩٣) ، وحسن إسناده شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢/ ٦٥٤)، والسخاوي في القول البديع (١٥٥) والمؤلف في كتاب التوحيد (٦٦) .

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٨٦) ، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) ، والخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/ ٥٣) ، من حديث علي بن الحسين .
وقد حسن إسناده السخاوي في القول البديع (١٥٥) .
وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب السلام على قبر النبي ﷺ (٣/ ٥٧٧) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب من كره زيارة القبور ـ (٣/ ٣٤٥) ، وسعيد بن منصور في سننه كما في اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٦) من حديث الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مرسلا .
وأخرجه سعيد بن منصور في سننه كما في الاقتضاء (٢/ ٦٥٦) ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب من كره زيارة القبور ـ (٣/ ٣٤٥) ، من حديث أبي سعيد مولى المهري مرسلا .
قال شيخ الإسلام في الاقتضاء (٢/ ٦٥٧) بعد أن ذكر هذين الحديثين : « فهذان المرسلان من هذين الوجهين ، يدلان على ثبوت الحديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله به ، وذلك يقتضي ثبوته عنده » وانظر : إغاثة اللهفان (١/ ١٩٢) .

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٧) .

الرابعة والثمانون[١]

الذبح عندها[٢] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة عادة من عادات أهل الجاهلية ، وهي الذبح عند القبور ، وهي التي يسمونها العقيرة .

وذلك أنه كان إذا مات فيهم الميت ، وخاصة ذوي الوجاهة منهم والشرف ، نحروا على قبره بعيرا أوبقرة أوشاة ، ويعللون ذلك بأنهم يجارونه على فعله ؛ لأنه كان يعقرها في حياته للأضياف ، فهم يعقرونها عند قبره لتأكلها السباع والطير ، فيكون مطعما في مماته ، كما كان مطعما في حياته[٣].

ومن يؤمن بالبعث والنشور منهم كان يعتقد أنه إذا عقرت عند الميت دابته ، جاء يوم القيامة وهو يركبها ، وإلا جاء يوم القيامة راجلا[٤].

وكان بعضهم يفعل ذلك لاعتقاده أن الإبل تأكل عظام المتى إذا بليت، فهم يثأرون لهم منها ، أولأن الإبل أنفس أموالهم ، فكانوا يريدون بذلك

---

(١) في الأصل السادسة والثمانون ، وفي (أ) التاسعة والسبعون .
(٢) في (ب) و (د) « عند القبور » .
(٣) انظر : معالم السنن (٤/ ٣٤٠) ، شرح السنة (٥/ ٤٦١) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٧١) ، بلوغ الأرب للألوسي (٢/ ٣١٠) .
(٤) انظر : معالم السنن (٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) .

أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة ، أوأنهم كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميت ، كما كانوا يذبحون للأصنام[1].

وعندي أنه لاتعارض بين ذلك كله ، فلكل قبيلة من قبائل العرب عاداتها ومعتقداتها ، فقد تكون قبيلة تذبح للميت كما تذبح للأصنام ، وأخرى ثأرا له من الإبل . . . الخ .

ولعل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أراد بهذه المسألة الذبح للقبور تعظيما لها، كما تعظم الأصنام ، لأنها من المسائل المشهورة في عصره ، والتي قام بمحاربتها .

ومما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا يذبحون عند القبور : قول النبي ﷺ : « لاعقر في الإسلام »[2] قال عبدالرزاق[3] الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ مفسرا هذا الحديث : « وكانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة »[4].

---

(١) انظر : بلوغ الأرب (٢/ ٣١٠ ـ ٣١١) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب كراهة الذبح عند القبر ـ (٣/ ٥٥٠)ح (٣٢٢٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه ـ كتاب الجنائز ـ باب الصبر والبكاء والنياحة ـ (٣/ ٥٦٠) ، وأحمد في مسنده (٣/ ١٩٧) ، والبيهقي في سننه ـ كتاب الجنائز ـ باب كراهية الذبح عند القبرـ (٤/ ٥٧) ، وابن حبان في صحيحه ، كما في موارد الظمآن ـ كتاب الجنائز ـ باب الخامشة وجهها وغير ذلك ـ (١٨٩)ح ٧٣٨ ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الجنائز ـ باب الطعام لأهل الميت ـ (٥/ ٤٦١) .

(٣) هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبوبكر الصنعاني ، الإمام الحافظ الثقة ، ولد سنة ١٢٦هـ له : المصنف في السنن والآثار ، والتفسير ، وتوفي سنة ٢١١ هـ .

(٤) ذكر قول عبدالرزاق هذا من سبق ذكرهم في تخريج الحديث ، ماعدا مصنفه ، فلم =

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ ماجاء في أشعارهم ، ومن ذلك قول جريبة الفقعسي[1]، يدعو على ابنه إن هو لم يعقر على قبره :

فإن أنت لم تعقر عليَّ مَطيَّتي ... فلاقام في مال لك الدهرَحالبُ[2]

وقول حسان بن ثابت في الجاهلية :

نَفَرَتْ قَلوصي من حِجارة حَرَّةٍ ... بُنِيَتْ على طَلْق اليدين وَهُوبِ

لاتنفري ياناقُ منه فإنه ... شِرِّيب خمر مُسْعِرٌ لحروب

لولاالسِّفار وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتها تَحْبو على العرقوب[3]

وهذه الخصلة لاأعلم لها وجودا عند الكتابيين ، ولم أجدها سوى عند الأميين ، وعدم العلم ليس علما بالعدم ، والله أعلم .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فأبطل ماكانوا يعتقدونه من الذبح لغير الله ، سواء كانت للقبور أولغيرها ، وحرم ذلك أعظم تحريم ، ودعا إلى النسك له ـ جل وعلا ـ .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل

= يذكر فيه ، وكذا مسند الإمام احمد .

(١) هو جريبة بن الأشيم بن عمرو بن وهب بن ديان الفقعسي ، كان أحد شعراء الجاهلية وشياطينهم ، ثم أسلم ـ رضي الله تعالى عنه ـ ، لم أجد من ذكر له رواية ، ولم أعرف تاريخ وفاته .
انظر : الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر (١/ ٢٦١) .

(٢) ذكر هذا البيت الجاحظ في كتاب الحيوان (٦/ ٤٥٣) ، والألوسي في بلوغ الأرب (٢/ ٣٠٨) .

(٣) لم أجد في ديوان حسان (٣٢)سوى البيت الأخير ، وقد ذكر الألوسي في بلوغ الأرب (٢/ ١٢٥) الأبيات كلها .

لغير الله به ﴾ [المائدة : ٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت ﴾ [الأنعام :١٦٢ـ ١٦٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .

ولعن من ذبح لغير الله ، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله »(١).

كما أبطل اعتقادهم في العقيرة : فقال ﷺ : « لاعقر في الإسلام » .

فالمقصود أنه ﷺ أبطل الذبح عند القبور لأي غرض كان ، كما أبطل الإهلال لغير الله .

وهذه الخصلة الجاهلية ماتزال موجودة إلى يومناهذا(٢)، فكثير من جهال هذا العصر يتقربون بذبح الشاء والبقر والإبل على القبور ، وفي المزارات ، اعتقادا منهم أن هؤلاء المقبورين من الأولياء والصالحين يقبلون ذبائحهم ، ويجازونهم عليها ، أويعتقدون أن الذبح في هذه الأماكن ـ وإن كانت لله تعالى ـ لها خاصية عن غيرها ، أويزعمون أنهم ماأرادوا بهذا الذبح إلالتوزيعه على فقراء أهل حي ذاك الضريح ونحوه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الأضاحي ـ باب تحريم الذبح لغير الله ـ (١٥٦٥/٣)ح١٩١٨ من حديث علي بن أبي طالب .

(٢) انظر : تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لمحمد رشيد رضا (٧٠٢/١) ، الإبداع في مضار الابتداع (٢٢٦) ، الخضر وآثاره بين الحقيقة والخيال لأحمد الحصين ، حقيقة الإيمان د . عمر عبدالعزيز (١٩٨/١) .

(٣) انظر : حقيقة الإيمان (١٩٨/١) .

والقول الفصل في هذا أن ذبح أكثر هؤلاء عند القبور ، إنما قصدهم بذلك التقرب إلى المقبورين وعبادتهم من دون الله ـ تعالى ـ ، يدل على ذلك أمور منها:

أولا : أنهم يضيفون النسيكة إلى صاحب القبر ، فيقولون : « هذه نسيكة سيدي فلان»

ثانيا : أنهم يفعلونها عند القبر وفي جواره ، ولايرضون لها مكانا آخر.

ثالثا : أنهم لو نهوا عن فعل ذلك عند القبر ، لم يرضوا ، وربما رموا الناهي بالعظائم .

رابعا : أنه لو أصابتهم حسنة إثر الذبح ، لنسبوها إلى سر المذبوح له، ولقوي اعتقادهم فيه ، وتعويلهم عليه .

خامسا : أنهم لو تركوها ، فأصابتهم سيئة ، لنادوا بالويل والثبور على تقصيرهم ، وتفريطهم في جنب ذلك المقبور[1].

ومن العجب أن يصرف للذبح عند القبور أموال عظيمة جدا ـ تفوق حد التصور، في حين يحرم منها من هم بحاجة إليها من الأحياء[2].

ولاريب أن فعل الجاهليين في هذا العصر خطير ، وإثم كبير ، كيف لا وهو شرك مخرج من ملة الإسلام إلى ملة الكفر ، نسأل الله العافية

---

(١) انظر : رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (٢٥٧) .
(٢) انظر : المرجع السابق (٢٦٠) .

والسلامة .

وإن من دواعي العجب أن ينبري أناس للدفاع عن مثل هذه الأمور المكفرة ، فيتعللوا تعلالات كاذبة ، حيث يزعمون أن هذا الفعل من المستحبات المستحسنات، وليس من المكفرات ، وذلك لما يحصل فيه - بزعمهم - من التزاور ، ومواساة الفقراء ، والزعم بأنها داخلة في النذر الذي يقصد به إهداء ثوابه للميت .

والجواب عن هذه التعللات العليلة ، بل الهالكة ، كما أفاد ذلك ممن ابتلي بها في بلده ، حتى خبرها ، وعرف مقاصد أهلها ، من وجوه :

الوجه الأول : أن دعوى التزاور مرفوضة ، وذلك لما يحصل مما هو معلوم عند القبور من ترك الجمع والجماعات ، ومن أعظم مواطن التزاور المساجد .

الوجه الثاني : أن كثيرا من الفقراء والايتام مقهورون عنها ، لايستطيعون الوصول إليها .

الوجه الثالث : أن الذبح عند القبور ، لايقصد به سوى التقرب لصاحب القبر ، وهذا عين المحادة لله ورسوله ﷺ[(١)] .

وبهذا يبطل مازعمه الذابون عن المشركين .

ومن مشابهة أهل الجاهلية في هذه الخصلة : مايقع في بعض البلاد من الذبح عند النعش التي عليه الجنازة ، أو الذبح تحت عتبة الباب حال

---

(١) انظر : المرجع السابق (٢٥٩) .

خروج الجنازة ، أو الذبح عند القبر حال وصولها ، تباهيا وتفاخرا ورياء[1].

(١) انظر : تقاليد يجب أن تزول لبعض علماء الأزهر (٤٤ ـ ٤٥) ، الإبداع في مضار الابتداع (٢٢٦) .

الخامسة والثمانون[1]

التبرك بآثار المعظمين ، كدار الندوة[2] .

السادسة والثمانون[3]

افتخار من كانت تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم : « بعت مكرمة قريش » .

يشير المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بهاتين المسألتين إلى ماكان عليه أهل الجاهلية من الغلو في آثار معظميهم ، فقد ذكر من مظاهر ذلك الغلو : التبرك بها .

والمراد بالتبرك بها : التيامن بها[4] ، وطلب حصول الخير بالقرب منها ، وملابستها[5] .

---

(١) في الأصل السابعة والثمانون ، وفي (أ) الثمانون ، وفي (ب) السادسة والثمانون.
(٢) في (جـ) « كدار ابن حزم لعبث مكرمة قريش » .
(٣) في الأصل الثامنة والثمانون ، وفي (أ) الحادية والثمانون ، وفي (ب) الخامسة والثمانون ، وهذه المسألة ساقطة من (جـ) .
(٤) انظر : لسان العرب « برك » (١٣/٤٥٨) .
(٥) انظر : التبرك د . ناصر الجديع (٣٩) .

وقد كان أهل الجاهلية يتبركون بآثار معظميهم ، ويرجون حصول الخير منها ومن قربها ، وكانوا ـ كما ذكر المؤلف ـ يفتخرون بها ، فمن كانت تحت يده ، فقد حاز بذلك مالم يحزه غيره .

والذي يظهر لي أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أراد بالآثار هنا: آثار الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ، المكانية ، وآثارغيرهم مكانية كانت أوغيرها ، إذ لامزية لهم على غيرهم ، وليس ثمة دليل يدل على ذلك، وأما آثار الأنبياء ـ غير المكانية ـ فإنه جائز[1]

وقد مثل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بدار الندوة .

ودار الندوة : دار بناها قصي بن كلاب[2] ، وكانت قريش تأتمر فيها، حيث كانوا يتيامنون بأمره « فما تنكح امرأة ، ولايتزوج رجل من قريش ، ومايتشاورون في أمر نزل بهم ، ولايعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم ، إلا في داره ، يعقد لهم بعض ولده ، وماتدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها من درعها ، ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها ، فكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته ، كالدين

(١) انظر : المرجع السابق (٢٤٣ ـ ٢٥١) .
(٢) قصي بن كلاب : هو زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، جد جاهلي لقريش ، وكان يسمى مجمعا ؛ لكونه جمع قريشا بعد تفرقها ، وكان حكيما عاقلا ، يقال : إنه لم يعبد الأصنام ، وكان يأنف منها .
انظر : جمهرة النسب للكلبي (٢٥ ـ ٢٦) ، المنمق في أخبار قريش (٢٨ ـ ٢٩) .

المتبع »[1] .

واستدل على افتخارهم بذلك بقول عبد الله بن الزبير[2] لحكيم ابن حزام[3] لما ابتاع منه معاوية[4] - رضي الله تعالى عنهم - دار الندوة بمائة ألف درهم[5] فقد سماها عبد الله بن الزبير - رضي الله تعالى عنه - « مكرمة قريش » مما يدل على عظم شأن من كانت تحت يده في الجاهلية ، ولايعني قول ابن الزبير هذا أنه - رضي الله عنه - يعدها مفخرة بعد مجيء

---

(١) مختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام (١/١٢٥) ، وانظر : تاريخ مكة للأزرقي (٢/٢٥٢ - ٢٥٣) ، أخبار مكة للفاكهي (٣/٣١٠ - ٣١١) ، المنمق (٣٢ - ٣٤) ، جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار (١/٣٥٤) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي ، أول مولود ولد في الإسلام من قريش ، حيث ولد في السنة الأولى من الهجرة بالمدينة ، وهو صحابي جليل، توفي سنة ٧٣هـ .
انظر : نسب قريش (٢٣٧) ، طبقات خليفة (١٣ ، ٢٣٢) ، تهذيب الكمال (١٤/٥٠٨ - ٥١١) .

(٣) هو حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي ، صحابي جليل ، أسلم عام الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه حسن إسلامه بعد ، وهو أول من ولد في الكعبة ، وتوفي وعمره ١٢٠عاما ، سنة ٦٠هـ .
انظر : طبقات خليفة (١٣) ، جمهرة نسب قريش (١/٣٥٣ - ٣٥٦) ، تهذيب الكمال (٧/١٧٠ - ١٩٢) .

(٤) هو أمير المؤمنين ، وخالهم ، معاوية بن أبي سفيان حرب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، أسلم عام الفتح ، وهو أول ملوك المسلمين ، وأحد كتاب الوحي للرسول ﷺ ، توفي سنة ٦٠هـ وقيل : ٥٩ ، وعمره ٨٢سنة .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/٤٠٦ - ٤٠٧) ، طبقات خليفة (١٣٩ ، ٢٩٧) ، تهذيب الكمال (٢٨/١٧٦ - ١٧٩) .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/١٨٦) ح٣٠٧٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٨٤) : « رواه الطبراني بإسنادين : أحدهما حسن » .

الإسلام، فهو أجل من أن يحيي مآثر الجاهلية ، ويعظمها ، وإنما لعله يعني ماكانت تعده قريش مكرمة.

ومما يدل على تبرك أهل الجاهلية بآثار المعظمين ؛ ماسبق من ذكر قصة عبادة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وما سبق من ذكر قصة عبادة اللات ، والعكوف على قبره .

وكذلك ماسبق من اتخاذ اليهود والنصارى آثار أنبيائهم مساجد وهذه الخصلة من خصال الكتابيين والأميين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإنه ﷺ نهى عن الغلو ، وحذر منه ، وبين عاقبة الغلاة، وكيف أنهم هلكوا بسبب ذلك[١] .

ولاريب أن التبرك بآثار المعظمين من الغلو فيهم .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة عند الغلاة : عبدة الأولياء والصالحين ، فإنهم سلكوا مسلك أهل الجاهلية قبلهم في هذا الأمر ، فلم يحيدوا عنه قيد أنملة .

فقد اتخذوا آثار معظميهم مساجد ، وبنوا عليها ، وطلبوا منها البركة، وجاوروها ، واستشفوا بها ، وحنكوا أطفالهم بتربتها ، ووضعوا تربتها في أكفانموتاهم[٢] ، وافتخروا بذلك ، وعدوه مزية لهم ، يحمدون عليها .

---

(١) راجع : شرح المسألة الثالثة عشرة .

(٢) انظر : وفاء الوفاء للسمهودي (١/٦٩ ـ ١١٦) ، التبرك د . الجديع (٤٢٦ ـ =

ومن مظاهر التبرك بهم « مايحدث في بعض احتفالات موالد الصالحين عند تغيير عمامة الولي الخاصة ، حيث يسعى الحضور للحصول على قطع من هذه العمامة تبركا بها ، مع استعدادهم لسداد أي مبلغ يطلب منهم »[1].

ومن ذلك التبرك بما انفصل منهم كالشعر والريق وقلامة الظفر ، ونحو ذلك[2] .

وهذا أكثر مايوجد عند المتصوفة والرافضة ، والله المستعان .

= ٤٦٠) ، التبرك لعلي الأحمدي (١٥٦ ـ ١٧٠) .

(١) التبرك د. الجديع (٣٨٣) .

(٢) انظر : التبرك د . الجديع (٣٨٢) .

السابعة والثمانون(١)

الفخر بالأحساب .

يبين الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ واحدة من أربع خصال جاهلية ، أخبر النبي ﷺ بأن أمته واقعة فيها ، وهذه الخصلة هي الفخر بالأحساب .

والأحساب : جمع حسب ، وهو الشرف في الأصل ، ومايعده الناس من مآثر آبائهم ومفاخرهم(٢).

والمراد بالفخر بالأحساب ، التعاظم ، والتفاخر ، والتكبر على الناس بعد مناقب الآباء ومآثرهم(٣).

وأول من افتخر بحسبه وأصله إبليس ، فهو للمفتخرين أسوة ، حيث قال متكبرا ومتعاظما ، لما أمره ربه بالسجود لآدم ﷺ: ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ [الأعراف : ١٢] .

وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك من خصال أهل الجاهلية ، كما جاء عن

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل التسعون ، وفي (أ) الثانية والثمانون .

(٢) انظر : مادة « حسب » تهذيب اللغة (٣٢٨/٤ ـ ٣٣٠) ، معجم مقاييس اللغة (٥٩/٢) ، الصحاح (١١٠/١) ، أساس البلاغة (٨٢) المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (١١٤ـ ١١٥) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢١٢/١) ، النهاية في غريب الحديث (٣٨١/١) ، لسان العرب (٣١٠/١)

(٣) انظر : فتح المجيد (٢٦١) ، فتح الملهم في شرح صحيح مسلم لشبير العثماني (٤٨٠/١) .

أبي مالك الأشعري[1] ـ رضي الله تعالى ـ أنه قال : قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية ، لايتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالأنواء ، والنياحة على الميت »[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « إن الله قد أذهب عنكم عبية[3] أهل الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم من فحم جهنم، أوليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن »[4].

وقال ﷺ : « انتسب رجلان على عهد موسى ، فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان، حتى عد تسعة منهم ، فمن أنت لاأم لك ؟ فقال : أنا فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى ، أن قل لهذين المنتسبين : أما أنت

---

(١) هو الحارث بن أبي الحارث ، وقيل : عبيد ، وقيل : عبيد الله ، وقيل غير ذلك ، صحابي جليل توفي في خلافة عمر بن الخطاب .
انظر : طبقات خليفة (٣٠٤) ، تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب التشديد في النياحة ـ (٢/ ٦٤٤) ح(٩٣٤) .

(٣) العبية : بكسر العين وضمها : الكبر .
انظر : الفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٦١) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٦٩) .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب التفاخر بالأحساب ـ (٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) ح ٥١١٦ ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٦١ ، ٥٤٢) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الشهادات ـ باب شهادة أهل العصبية ـ (١٠/ ٢٣٢) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦/ ١٨٨) ، وأبونعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٦٠ ـ ٦١) .

أيها المنتسب إلى تسعة في النار ، فأنت عاشرهم ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما في الجنة »[1].

وكان أهل الجاهلية يعقدون مايسمونه بالمنافرات ، وهي مجالس تعقد يتبارى فيها الرجلان بذكر مآثرهم ، ومآثر آبائهم وأجدادهم ، وهذه كثيرة في العرب جدا[2].

وليس الفخر بالأحساب مقصورا على الأميين فقط ، بل شاركهم فيه الكتابيون، فهذا السموأل اليهودي[3] يفتخر قائلا :

علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول
فنحن كما المزن مافي نصابنا كهام ولافينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولاينكرون القول حين نقول
وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وجهول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول[4]

وقوله :

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند (٥/١٢٨) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٢٨) : « ورجاله رجال الصحيح ، غير يزيد بن زياد ، وهو ثقة » .

(٢) انظر : الديباج لأبي عبيدة عمرو بن المثنى (٨٨ ـ ٩٨) ، خزانة الأدب (٣ / ٤٩٢ ـ ٤٩٤) ، بلوغ الأرب (١/٢٨٧ ـ ٣٤٤) .

(٣) هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي ، شاعر من يهود خيبر ، توفي حوالي سنة ٦٥ ق . هـ .
انظر : طبقات الشعراء لابن سلام (١٠٦) ، الأعلام (٣/١٤٠) .

(٤) ديوان السموأل (١٣ ـ ١٤) .

وبيت قد بنيت بغير طين ولاخشب ومجد قد أتيت

وقول كعب بن الأشرف اليهودي[1] :

رب خال لو أبصرته سبط المشية أباء أنف

لين الجانب في أقربيه وعلى الأعداء سم كالزعف[2]

وقول المتلمس النصراني[3]:

ياحار إني لمن قوم أولي حسب

لايجهلون إذا طاش الضغابيس[4]

والأشعار في ذلك كثيرة جدا ، ولو أردنا أن نذكرها كلها لبلغت المجلدات الكبار ، لكن يكفي أن يعلم أنه لاتكاد قصيدة من القصائد في ذلك الوقت تخلو من الفخر بالأحساب .

---

(١) هو كعب بن الأشرف الطائي ، اليهودي ، أبو ليلى ، شبب بنساء النبي ﷺ ، وآذاه، فأذن بقتله ، فقتله محمد بن مسلمة ومن معه من الأنصار سنة ثلاث للهجرة .
انظر : صحيح البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب قتل كعب بن الأشرف ـ (٥/ ٢٥ ـ ٢٦) ، معجم الشعراء للمرزباني (٢٠٧) ، الروض الأنف (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٧) .

(٢) ذكر هذه الأبيات المرزباني في معجم الشعراء (٢٠٧) ، وابن سلام في طبقات الشعراء (١٠٧) ، والسهيلي في الروض الأنف (٢/ ١٢٥) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (٢/ ٥٣) .

(٣) هو جرير بن عبدالمسيح الضبعي ، شاعر جاهلي نصراني ، توفي نحو سنة ٥٠ق. هـ

انظر : الشعر والشعراء (١/ ١٧٩ ـ ١٨٤) ، خزانة الأدب (٣/ ٧٣) ، الأعلام (٢/ ١٩) .

(٤) ديوان شعر المتلمس الضبعي ، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي (٩٥) .
والضغابيس جمع ضغبوس ، وهو الرجل الضعيف المهين .
انظر : « ضغبس » لسان العرب (٦/ ١٢٠) .

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فبين أنه لافرق بين الناس إلا بمقدار مافيهم من التقوى ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الناس إناخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[الحجرات : ١٢]

ونهى رسول الله ﷺ عن تقليد أهل الجاهلية في ذلك ، وأبان أن تيك الخصلة من خصالهم الذميمة المقيتة ، كما تبين ذلك من الأحاديث سالفة الذكر .

وهذه الخصلة لايزال لها وجود وانتشار بين كثير من المسلمين ، وكثير منهم لايشعر بأنه واقع فيها ؛لأنها ـ وياللأسف ـ صارت من المألوفات عندهم .

فما أكثر ماسمع الناس من يتغنى بأمجاده وأمجاد آبائه ، ويتعالى بها عليهم ، بل ماأكثر ماسمع الناس من يتمدح بفعل آباء لايعرف عنهم سوى الفجور والطغيان، وأشد الناس وقوعا فيه هم المتصوفة ، مدعو الولاية والصلاح ، فإن لهم قدما راسخة في ذلك ، فتجد أحدهم يفتخر بكونه من أبناء الولي الصالح ، المتضلع في العلوم فلان ابن فلان[1] ، ويتعالى على الناس بذلك ، ويأمل منهم أن ينزلوه المنزلة التي يصبو إليها ، وتتوق نفسه لها ، وما علم المسكين أن ذلك لاينفعه شيئا ، بل ضره أقرب من نفعه ،

(١) انظر : صلح الإخوان (ص١) ، الكنز الثري في مناقب الجعفري لعبد الغني الجعفري.

لمخالفته الصريحة للنصوص الصريحة .

ومن ذلك : افتخار القوميين بقوميتهم وجنسهم، وعد مناقبها ، والتعالي بها على من سواهم ، فالقوميون العرب يفتخرون بقوميتهم ، والقوميون الفرس يفتخرون بقوميتهم الفارسية . . . وهكذا كل قومية[1] .

فالمقصود أن هذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، ووجودها يعرفه الخاص والعام ، والله أعلم .

---

(١) انظر في افتخار كل جنس بجنسه : ساعات بين الكتب للعقاد ، ضمن المجموعة الكاملة له (٦٧٣/٢٦ ـ ٦٧٨) .

الثامنة والثمانون[1]

الطعن في الأنساب .

هذه هي الخصلة الثانية من خصال أهل الجاهلية التي أخبر الرسول ﷺ بوجودها في هذه الأمة ، وهذه الخصلة هي الطعن في الأنساب .

والمراد بالطعن في الأنساب : الوقوع فيها بالعيب والنقص ، فيطعن في أنساب الآخرين ، وذلك بذكرها بذم ونحوه ، كأن يقول ـ بغير علم ـ هذا ليس من آل فلان ، أو آل فلان ليس نسبهم جيدا[2].

وهذه الخصلة من الأمور التي كانت مستشرية في الجاهلية ، فقد كانوا يلهجون بها كثيرا ، وكانت في كثير من الأحايين سببا في إذكاء نار الفتنة بينهم .

وقد دل على أن هذه الخصلة من خصالهم قوله ﷺ : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية . . . والطعن في الأنساب ».

وقول النبي ﷺ لما عير أبو ذر أحد الصحابة بأمه : « إنك امرؤ فيك

---

(١) في الأصل الحادية والتسعون ، وفي (أ) الثالثة والثمانون ، وفي (جـ) التاسعة والثمانون .

(٢) انظر : إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري (٣/ ١٨٣) ، فتح الباري (٧/ ١٩٧)، فتح المجيد (٢٦١) ، إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد للشيخ حمد بن عتيق (٩٥) ، فتح الملهم (١/ ٤٨٠) .

جاهلية ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : « وفيه ـ أي في هذا الحديث ـ أن التعيير بالأنساب من أخلاق أهل الجاهلية »[1].

ولما غضبت قريش على النبي ﷺ حين خالف دينها ، أخذت تنسبه إلى رجل من أجداده غامضي الذكر ، كما هي عادتهم في ذلك[2]، فكانوا يدعونه بابن أبي كبشة[3].

كما أن ماورد عن العرب من الشعر يدل على تأصلها فيهم ، فقد حفظت لنا كتب الأدب والتواريخ كثيرا من ذلك .

ومنه قول عائذ المخزومي[4]يهجو الحارث بن أسد[5]:

إني امرؤ من ذرى فهر إذا نسبوا إذا أنت من ثمد ياحار منسوب

تنازع المجد قوما لست مدركهم ماخود الرأل أوماجنت النيب[6]

كما أن الكتابيين قد وقعوا في أشد ذلك كله وأقبحه ، ألا وهو الطعن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٠) .

(٢) انظر : فتح الباري (١/ ٥٣) .

(٣) انظر : صحيح البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ (١/ ٤) .

(٤) هو عائذ بن عبدالله بن عمرو المخزومي ، أحد فرسان قريش في الجاهلية .
انظر : المنمق في أخبار قريش (١٠٠ ـ ١٠١) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١٤٤) .

(٥) هو الحارث بن أسد بن عبدالعزى القرشي ، قيل : إن له صحبة .
انظر : المنمق (١٠٠) ، جمرة أنساب العرب (١١٧) ، الإصابة (١/ ٢٧٢) .

(٦) ذكر هذين البيتين ضمن قصةٍ ابنُ حبيب في المنمق في أخبار قريش (١٠٠ ـ ١٠١) .

في نسب المسيح ابن مريم ﷺ ، فإنهم يعلمون من كتبهم أنه ابن مريم ، وإليها ينتسب بيد أنهم أبو إلا أن يزعموا أنه ابن بغي ـ برأه الله مما قالوا ـ.

وقد نهى الإسلام عن الطعن في الأنساب ، وحرم ذلك ، وأبان أنه من خصال أهل الجاهلية المذمومة .

ومع ذلك لايزال كثير من الناس يطعنون في أنساب غيرهم ، ويتنقصونها ، ويرون دونيتهم في المنزلة ، وكأنهم أنسوا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[الحجرات : ١٣] .

وإن من صور هذا الطعن الطعن في نسب الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ ، بكونه من بني تميم ، التي يزعمون أنها شر القبائل ، وأن رسول الله ﷺ حذر منها ، وذمها[١] ، وذلك حينما يريدون الطعن في دعوته السنية السلفية .

وهذا كله جهل وكذب .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ مايجري من بعض الناس في بلادنا هذه ـ وياللأسف ـ من التفريق بين مايسمى بالقبيلي[٢] والخضيري[٣] ، بل إن

---

(١) انظر : صاروخ الغارة ليوسف التجاني (١٣) .

(٢) القبيلي : هو الذي له قبيلة معروفة ينتمي إليها ، كقحطاني ، وسبيعي ، وتميمي ، وقرشي ، وما أشبه ذلك .
مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز (٥ / ١٤٦) .

(٣) الخضيري : هو الذي ليس له قبيلة معروفة ينتمي إليها ، لكنه عربي ، ولسانه عربي ، ومن العرب ، وعاش بينهم ، ولو كانت جماعته معروفة .
وهذه لاتعرف غالبا سوى في نجد .

ممايؤسف عليه أن يقع هذا حتى من بعض المتسبين إلى العلم ، فتجدهم لايناكحونهم ، ويرونهم دونهم في المنزلة ، بل ربما يصفهم بعض الناس بصفات لاتليق .

ولاريب أن هذا أمر محرم ، مخالف للنصوص الشرعية ، فينبغي العدول عنه وتركه[1] .

= انظر : المرجع السابق .

وانظر في وقوع ذلك : الجاهلية الجديدة وآثارها النكدة على المسلمين د . ناصر العقل (٧٤) .

(١) نكاح القبيلي من الخضيري وكذا العكس ، لابأس به ، ومرد ذلك إلى المرأة ووليها والزوج ، فمن قبل بذلك فالحمد لله ، ومن لم يقبل ، فلايعنف عليه ؛ لأن وقوع مثل ذلك قد يجر المرء إلى خلافات لاتحمد عقباها ، لكن لاينبغي ترك ذلك على سبيل الاحتقار والازدراء .

التاسعة والثمانون[1]

الاستسقاء بالأنوار .

هذه هي الخصلة الثالثة من الخصال التي أخبر رسول الله ﷺ أن أمته لاتتركها، وهي مسألة الاستسقاء بالأنواء .

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم الذي يكون به المطر[2].

ومعنى الاستسقاء بالأنواء : إضافة المطر ، ونسبته إلى النوء ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يعتقدون عند سقوط نجم وطلوع آخر ، أنه لابد أن يكون عند ذلك مطر ورياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك ، إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ[3].

وقد دلت الأدلة على أن هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية ، فعن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) في الأصل الحادية والتسعون ، وفي (أ) الرابعة والثمانون ، وفي (جـ) الثامنة والثمانون .

(٢) انظر : مادة « نوأ » الصحاح (١ /٧٩) ، تهذيب اللغة (١٥/٥٣٦ـ ٥٣٩) ، غريب الحديث لأبي عبيد (٤/٢١١) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٣٩) .

(٣) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (١/٣٢١) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٤٠) ، التمهيد لابن عبد البر (١٦/٢٨٧) ، شرح السنة للبغوي (٤/٤٢٠ ـ ٤٢١) ، النهاية في غريب الحديث (٥/١٢٢) ، فتح الباري (٢/٦٠٨) ، تيسير العزيز الحميد (٤٥١) ، فتح المجيد (٢٦٢) .

« أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركن . . . والاستسقاء بالأنواء».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أربع لايدعها الناس من أمر الجاهلية : النياحة ، والتعاير في الأحساب ، وقولهم : سقينا بنوء كذا ، والعدوى ، جرب بعير ، فأجرب مائة بعير ، فمن أجرب الأول ؟ »[1].

وعنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « ثلاث من عمل أهل الجاهلية ، لايتركهن أهل الإسلام : النياحة ، والاستسقاء بالأنواء ، وكذا »[2]

وكان أهل الجاهلية يذكرون ذلك في قصائدهم ، فمن ذلك قول زهيربن أبي سلمى:

وغيث من الوسمي حو تلاعه

وجادته من نوء السماك هواطله[3]

وقول عدي بن زيد[4]:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٣١) و (٢/ ٤٥٥ ، ٤٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٢) وابن حبان في صحيحه ـ كما في الموارد ـ (٧٣٩) إلا أنه قال : « والتعاير » بدل « وكذا » .

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٨٩) .

(٤) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي ، التميمي ، شاعر جاهلي نصراني ، له ديوان شعر مطبوع ، توفي نحو سنة ٣٥ ق . هـ .
انظر : الأغاني (٢/ ٩٧ ـ ١٥٦) خزانة الأدب (١/ ١٨٤ ـ ١٨٦) ، شعراء النصرانية (٤٣٩) ، الأعلام (٤/ ٢٢٠) .

في خريف سقاه نوء من الدل   وتدلى ولم يواز العراقا[1]

وقول حسان في الجاهلية :

ويثــرب تعلــم أنــا بهــا إذا   أقحــط القطــرَ نــوآنهــا[2]

وهذه الخصلة ـ كما رأيت ـ من خصال الأميين والكتابيين ، وذلك لأن عديًا ، وزهيرًا نصرانيان .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في ذلك ، فحذر ﷺ من الوقوع في ذلك ، وأبان للناس خطورته ، وأمرهم بإسناد ذلك إلى الله ـ عز وجل ـ .

عن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف ، أقبل على الناس ، فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب ، ومن قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب » .

ففي هذا الحديث تحذير من الوقوع في ذلك ، وذلك حينما ذكر أن قول ذلك كفر ، كما أن فيه إرشادا للناس لما ينبغي أن يعتقدوه ويقولوه في

---

(١) ذكر هذا البيت ابن عبد البر في التمهيد (١٦/٢٨٨) .

(٢) ديوان حسان بن ثابت (٢٥٤) ، وذكره الجوهري في الصحاح (١/٧٩) ، وابن منظور في لسان العرب (١/١٧٥) ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ (١/٤٠٩) .

مثل هذه الحالات .

كما أن الله ـ تعالى ـ نعى على من قال ذلك بقوله : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

قال ابن عباس : ﴿ رزقكم ﴾ شكركم[١] .

وهذه الآية نزلت ردا على من قال : « مطرنا بنوء كذا وكذا ».

كما أن إضافة هذا العمل للجاهلية ـ كما سبق في الأحاديث ـ يعني التحذير منه .

وإنه مع هذا البيان الواضح ، والإرشاد العظيم ، لايزال كثير من الناس يعتقدون اعتقاد أهل الجاهلية في ذلك[٢] .

ومن مظاهر ذلك : مايزعمه بعض الفلكيين ـ ويتابعهم عليه بعض الإعلاميين ـ من نسبة المطر إلى بعض الكواكب ، أو إلى بعض الظواهر الطبيعية ، كالمنخفضات الجوية ، أو المناخ ونحوه[٣] .

ومن مظاهر ذلك ـ أيضا ـ : مبادرة بعض العوام بالقول بأنه دخل الليلة النجم الفلاني ، أوطلع النجم الفلاني ، حينما تهب ريح أويقع مطر . وهذا أمر ملحوظ .

كما أنه لو لم نعلم بوجود ذلك بالمشاهدة والسماع ، لعلمنا بوجودها

---

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الاستسقاء ـ باب ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ـ (٢ / ٢٣) .

(٢) انظر : الإسلام وتقاليد الجاهلية لآدم الألوري (٨١) .

(٣) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (١ / ٩٤) .

بخبر الصادق ﷺ ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : « ثلاث لايزلن في أمتي حتى تقوم الساعة : النياحة ، والمفاخرة في الأنساب ، والأنواء »[1] .

وقول القائل : مطرنا بنوء كذا وكذا ، يحتمل أمورا :

أحدهما : أن يعتقد أن المنزل هو النجم وحده ، أو أنه شريك لله - تعالى - في ذلك فهذا كفر أكبر بالاتفاق[2] .

ثانيها : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم على وجه التسبب ، فهو يعتقد أن الله - تعالى - هو المنزل للمطر الخالق له ، بيد أنه - سبحانه - أجرى العادة بوجود المطر عند ذلك النجم .

وهذا النوع منهم من ذهب إلى حرمته[3] ، ومنهم من ذهب إلى إباحته[4] ، والراجح أنه محرم ، لأمور منها :

أولا : أن هذا هو الذي كان يزعمه المشركون ، ونهى رسول الله ﷺ عنه، ذلك أنهم لم يكونوا يعتقدون النوع الأول[5] ، بدليل قوله - تعالى - :

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ١٧ - ١٨) ح٣٩١٢ ، ٣٩١٣ ، والبزار في مسنده - كما في كشف الأستار - (١/ ٣٧٨) ، وابن عبد البر في التمهيد (١٦/ ٢٩٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢) وقال : « ورجاله ثقات » ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٣/ ٣٠٥) ورمز له بالحسن.

(٢) انظر : الأم للشافعي (١ / ٢٨٨) ، التمهيد لابن عبد البر (١٦ / ٢٨٦) ، شرح مسلم للنووي (٢/ ٦٠) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٢٩) ، المبدع شرح المقنع لابن مفلح (٢/ ٢١٢) ، فتح الباري (٢/ ٦٠٨) ، تيسير العزيز الحميد (٤٥١) .

(٣) انظر : فتح الباري (٢/ ٦٠٨) ، تيسير العزيز الحميد (٤٥٥) .

(٤) انظر : التمهيد (١٦/ ٢٨٦) ، تيسير العزيز الحميد (٤٥٥) .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد (٤٥٥) .

﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

ثانيًا : أن في النهي عنه حماية لجناب التوحيد ، وسدا لذرائع الشرك[١] .

ثالثها : أن يقول ذلك ، ويقصد أنه مطر في وقت كذا وكذا .

وهذا فيه خلاف ، فمنهم من ذهب إلى كراهته[٢] ، ومنهم من ذهب إلى أنه لاكراهة فيه[٣] .

ولعل الأظهر : الكراهية ، وذلك تأدبا مع قول رسول الله ﷺ ، ولكونها كلمة مترددة بين الكفر وغيره ، ولكونه شعارا من شعارات أهل الجاهلية ، ولئلا يساء بالقائل الظن[٤] ، والأولى كما قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ أن يقول : « مطرنا في وقت كذا »[٥] ونحوها من العبارات البعيدة عما يوهم الشرك، وسوء الأدب ، والله أعلم.

---

(١) انظر : المرجع السابق ، نفس الصحيفة .
(٢) انظر : الأم (١ / ٢٨٨) ، شرح مسلم للنووي (٢/ ٦١) ، المبدع (٢/ ٢١٢) فقد حكى ابن مفلح الكراهية عن الآمدي من الحنابلة .
(٣) انظر : شرح السنة (٤ / ٤٢١) ، شرح مسلم (٢/ ٦١) ، المبدع (٢/ ٢١٢) .
(٤) انظر : شرح مسلم (٢/ ٦١) .
(٥) الأم (١/ ٢٨٨) .

التسعون[1]

النياحة[2] .

هذه هي الخصلة الرابعة من الخصال التي أخبر النبي ﷺ أنها من خصال الجاهلية ، وأن أمته لن تتركها .

وهذه الخصلة هي النياحة .

والمراد بها : النياحة على الميت ، وهي الاجتماع للحزن[3] ، ورفع الصوت بالندب ، وتعديد النائحة بصوتها محاسن الميت[4]، وعمل أمور تظهر التسخط كضرب الوجوه ، وحثي التراب على الرؤوس ، وشق الجيوب، ونحو ذلك[5].

وقد كانت النياحة من الأمور المألوفة عند أهل الجاهلية ، فقد كان النساء يقفن متقابلات ، يضربن خدودهن ، ويخمشن وجوههن ، ويحثين التراب على رؤوسهن ، ويحلقن شعورهن ، كل ذلك تحزنا على

---

(١) في الأصل الثالثة والتسعون ، وفي (أ) الخامسة والثمانون .
(٢) في (ب) « الناحية » .
(٣) انظر : لسان العرب ، « نوح » (٦٢٧/٢) ، تاج العروس (٣٤٣/٢) .
(٤) انظر : المجموع شرح المهذب (٣٠٧/٥) ، الكبائر للذهبي (١٨٤) ، فتح المجيد (٢٦٢) .
(٥) انظر : عارضة الأحوذي لابن العربي (٢٢١/٤) ، هذيل في جاهليتها وإسلامها د.عبد الجواد الطيب (١٣٦ ـ ١٣٧) .

ميتهن[1].

وقد دلت النصوص على أن هذه من خصال أهل الجاهلية ، كما في حديث أبي مالك الأشعري : « أربع من الجاهلية لايتركن . . . والنياحة على الميت »وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال : « خلال من خلال الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالأنواء»[2].

والنصوص الدالة على هذه الخصلة كثيرة جدا ، مضى بعضها .

وقد جاء في أشعارهم مايدل على تأصل هذه الخصلة فيهم ، ومحبتهم لها ، حتى إن بعضهم كان يوصي بها ، ومن ذلك قول الربيع بن زياد[3]:

من كان مسرورا بمقتل مالك

فليأت ساحتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه

يلطمن أوجههن بالأسحار

---

(١) انظر : عارضة الأحوذي (٤/٢٢١) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب القسامة في الجاهلية ـ (٤/٢٣٨) .
(٣) هو الربيع بن زياد بن عبدالله بن سفيان العبسي ، من شعراء العرب في الجاهلية ودهاتهم ، كان نديما للنعمان بن المنذر ، فطرده بعد أن أفسد بينهما لبيد بن ربيعة ، توفي سنة ٣٠ق . هـ .
انظر : الأغاني (١٦/١٩) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (٣/٢٤) ، الأعلام (٣/١٤) .

قد كن يخبأن الوجوه تسترا

فاليوم قد أبرزن للنظار

يضربن وجوههن على فتى

عف الشمائل طيب الأخبار[1]

وقول طرفة بن العبد[2] موصيا بالنياحة عليه بعد مهلكه :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله

وشقي علي الجيب ياأم معبد[3]

وقول سعية بن غريض[4]:

ياليت شعري حين أندب هالكا

ماذا ترثيني به أنواحي

---

(١) أورد هذه الأبيات المرزوقي في شرح حماسة أبي تمام (٢/ ٩٩٥ ـ ٩٩٦) .

(٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ، أبو عمرو ، من فحول الشعراء في الجاهلية ، قتل وهو ابن عشرين سنة .
انظر : الشعر والشعراء (١/ ١٨٥ ـ ١٩٦) ، طبقات الشعراء (٥٨) ، سمط اللآلي (٣١٩) .

(٣) هذا البيت أحد أبيات معلقته المشهورة .
انظر : ديوان طرفة (٢٩) ، شرح المعلقات للزوزني (٥٥) ، شرح القصائد المشهورات لابن النحاس (١/ ٩٢) ، شرح القصائد العشر للتبريزي (١٢١) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد (٣٣٨)

(٤) هو شعبة ، ويقال : سعية بن غريض بن عادياء الأزدي ، أخو السموأل بن عاديا ، ويقال : بل ابنه ، شاعر يهودي مكثر ، من يهود خيبر .
انظر : الأغاني (٢٢/ ١٢٢ ـ ١٢٥) ، المؤتلف والمختلف للآمدي (٢١١) ، نشوة الطرب (٢/ ٨١٨) .

أيقلن لاتبعد فرية كربة

فرجتها بيسارة وسماح[1]

وغير ذلك من أشعارهم .

وهذه الخصلة من خصال الجاهليتين ، أما الأميون فظاهر ، وأما الكتابيون فلأن طرفة نصراني ، وشعبة يهودي .

وقد خالف هدي النبي ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فنهى عن النياحة ، وشدد في أمرها ، حتى كان من ضمن مابايع عليه النساء عدم النياحة ، كما جاء عن أم عطية[2] ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت : « بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿أن لايشركن بالله شيئا﴾[الممتحنة: ١٢] ، ونهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة يدها ، فقالت : أسعدتني فلانة ، أريد أن أجزيها ، فما قال لها النبي ﷺ شيئا ، فانطلقت ، ورجعت ، فبايعها النبي ﷺ »[3].

كما تبرأ ﷺ من النائحة فقال : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »[4].

---

(١) طبقات الشعراء (١٠٨) .

(٢) هي نسيبة بنت كعب ، ويقال : بنت الحارث الأنصارية ، صحابية جليلة ، روى عنها : أنس بن مالك ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهما .
انظر :الاستيعاب (٤ /٤٥٣ـ ٤٥٤) ،أسد الغابة (٧ / ٢٨٠) ، تهذيب الكمال (٣٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ الممتحنة ـ (٦/ ٦١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب ليس منا من ضرب الخدود ـ =

وبين ﷺ جزاء النائحة يوم القيامة ، فقال في حديث أبي مالك الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ : « والنائحة إذا لم تب قبل موتها ، تقام يوم القيامة ، وعليها سربال[1] من قطران[2] »[3].

كما بين ﷺ أن الميت يعذب بنياحة أهله عليه ، كما في حديث المغيرة[4] ـ مرفوعا ـ : « من نيح عليه ، يعذب بما نيح عليه »[5].

وعن ابن عمر أنه ﷺ قال : « الميت يعذب في قبره بما نيح عليه»[6].

قال أهل العلم : وذلك إذا كان من سنته ، أما إذا لم يكن من سنته

= (٢/ ٨٣) .

(١) السربال : القميص ، وقد يطلق على اللدرع .
انظر : النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٥٧) .

(٢) القطران : عصير الأبهل والأرز ، يطبخ فيتحلب منه ، ثم تطلى به الإبل . وقيل : إنها جعلت من القطران ؛ لأنه يبالغ في إشعال النار في الجلود .
انظر : لسان العرب ، «قطر » (٥/ ١٠٥) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب التشديد في النياحة ـ (٢/ ٦٤٤)ح٩٣٤ .

(٤) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، صحابي جليل ، صحب رسول الله ﷺ ، وروى عنه ، وتوفي سنة ٥٠ هـ ، زمن أمير المؤمنين معاوية .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦) ، طبقات خليفة (٥٣) ، تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٦٩ ـ ٣٧٦) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب مايكره من النياحة على الميت ـ (٢/ ٨١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ـ (٢/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤) ، ح٩٣٣ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب مايكره من النياحة على الميت ـ (٢/ ٨١ ـ ٨٢)، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الجنائز ـ باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ـ (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) ح٩٢٧

ذلك فلا، وهذا اختيار البخاري[1] في صحيحه ، حيث بوب على ذلك ، فقال : « باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله إذا كان النوح من سنته . . . فإذا لم يكن من سنته ، فهو كما قالت عائشة : ولاتزر وازرة وزر أخرى »[2].

فالإسلام خالف ماكان عليه أهل الجاهلية من إظهار التسخط والجزع ، وأرشد إلى مايعود على الناس بالنفع العميم ، والخير العظيم .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وبشر الصابرين ○ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ○ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[البقرة: ١٥٥ـ١٥٧] .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، وأعظم من تتمثل فيهم الرافضة ، وذلك في ذكرى العزاء الحسيني يوم عاشوراء ، فلهم في ذلك حماقات عجيبة ، منها : ضرب أنفسهم بالسياط ، وشق جباههم بالسيوف والسكاكين، ولطمها بالأكف ، وشق الجيوب ، وتنظيم المسيرات، وكتابة اللافتات السوداء المعبرة عن عميق حزنهم ، ومنها : ترك الأعمال من بيع وشراء وتعلم وتعليم ، وغير ذلك .

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، الجعفي مولاهم ، البخاري ، أبو عبد الله ، أمير المؤمنين في الحديث ، وأحد أئمة أهل السنة والجماعة ، ولد سنة ١٩٤هـ، وطلب علم الحديث، وبرع فيه ، له : الصحيح ، وخلق أفعال العباد ، وغيرهما ، وتوفي سنة٢٥٦هـ .
انظر : تاريخ بغداد (٢/ ٤ ـ ٣٦) ، تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٣٠ ـ ٤٦٧) .

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٧٩) .

وفي هذا يقول عبد الله نعمة ـ وهو من الرافضة المعاصرين ـ : « ومن هذه العادات السيئة ، ضرب الرؤوس بالسيوف وجرحها ، وإسالة الدماء ، وضرب الظهور بالسلاسل ضربا مبرحا . . . ونحن لاننسى ثورة العامة ، ومعهم بعض المشايخ على محسن الأمين العاملي حين أفتى بحرمة التمثيل (الشبيه) في عاشوراء ، وحرمة ضرب الظهور بالسلاسل ، وجرح الرؤوس بالسيوف ، ووضع رسالة في ذلك أسماها « التنزيه لأعمال الشبيه»، لاننسى هذا الذي حدث عندنا في جبل عامل وفي العراق ، فقد فُسق ، وشتموه على المنابر ، وقدحوا فيه أعظم القدح في خطاباتهم ومقالاتهم وشعرهم ، ووضعت في الرد والطعن عليه رسائل عديدة »[١]

وهذا أمر معروف من حالهم ومشتهر .

ومن مظاهر وجود هذه الخصلة ـ عندي ـ : مايكون عند موت الملوك والرؤساء مما يسمى بإعلان الحداد الرسمي مدة كذا وكذا يوما تتعطل فيها مصالح المسلمين ، وتنكس فيها الأعلام .

ومنها : مايكون من الوقوف مدة معينة مع الصمت ؛ حزنا على ميت من الأموات .

ومنها : مايسمى بإحياء ذكرى الجندي المجهول ، حيث يوقف على قبر مجهول مكلل

(١) روح التشيع لعبد الله نعمة (٤٩٩ ـ ٥٠٠) ، وانظر وصفا دقيقا لما يجري في ذلك اليوم في : الشيعة والتصحيح د . موسى الموسوي (٩٧ ـ ١٠٢) .

بالزهور[١] .

ومنها : مايسمى بذكرى الأربعين للميت ، أوالذكرى السنوية ، حيث تعاد الأحزان ، ويستدعى فيها النوائح ، وتعطل الأعمال[٢] .

ومنها : مايجري من كثير من المسلمين حين يموت لهم ميت من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ورفع الصوت بالبكاء ، والتكلم بكلمات الكفر ، والتسخط على القدر ، وصبغ الوجه والأيدي بالسواد ونحوه ، وظهور النساء متبرجات ، بل ربما مكشوفات العورة[٣] .

ومن ذلك مايكون من اجتماع في بيت الميت ، ومبيت من ليس منهم عندهم، وإقامة السرداقات للعزاء[٤] ، فإن هذا مما هو موجود ، وقد عده الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ نياحة[٥]

فهذه بعض الصور الدالة على أن هذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة، والله أعلم.

---

(١) انظر : الحقوق المتعلقة بالميت وبدع الجنائز لمحمد علي أبو العباس (١٢٤) .
(٢) انظر :المصدر السابق (١٢٢) .
(٣) انظر : الإبداع في مضار الابتداع (٢٣٤) .
(٤) انظر : االمصدر السابق (١٢١) .
(٥) انظر المغني لابن قدامة (٢ / ٤١٣) .

الحادية والتسعون[1]

أن أجل فضائلهم البغي ، فذكر[2] الله فيه ماذكر[3] .

البغي : التعدي والاستطالة على الناس .

يقال : فلان يبغي على الناس ، إذا ظلمهم ، وطلب أذاهم[4].

والمراد أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، التفاخر بالظلم والاستطالة على الناس ، والتعدي عليهم ، فهم يعتبرون ذلك فضيلة يمتازون بها على غيرهم .

واليهود ـ قبحهم الله تعالى ـ أعظم الناس وقوعا في هذا الأمر ، فإنهم افتخروا ـ بزعمهم ـ بقتلهم نبي الله عيسى ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ○ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﴾ [النساء:١٥٦ ـ ١٥٧] ، فهم يفتخرون بكونهم قتلوه ، وهو نبي من الأنبياء.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

---

(١) في الأصل : الرابعة والتسعون، وفي (أ) السادسة والثمانون، وهي ساقطة من (جـ) .
(٢) في (أ) « وقد » .
(٣) في (ب) « ماذكر الله فيه » .
(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة «بغى » (١/ ٢٧٢) ، الصحاح « بغى » (٦/ ٢٢٨١) ، لسان العرب « بغا » (١٤/ ٧٨) ، تاج العروس « بغى » (١٠/ ٣٩) .

النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾[البقرة : ٦١] .

فهم دائما يحبون العلو في الأرض ، والإفساد فيها .

ولما بلغت أموال قارون مابلغت ، نصحه المحبون له الخير ، بأن لايبغي الفساد في الأرض ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين ○ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين ﴾[القصص : ٧٦ ـ ٧٧] .

لكن محبته البغي والفخر منعته من قبول النصيحة ، بل زاد في ذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [القصص:٧٨] .

ومثل قارون فرعون الذي كان يفتخر بذلك ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنه: ﴿ سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

وقد أخبر النبي ﷺ أن البغي كان داء الأمم قبلنا ، فقال : « إنه سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا : يانبي الله ، وماداء الأمم ؟ قال : « الأشر ، والبطر، والتكاثر ، والتنافس في الدنيا ، والتباغض ، والتحاسد ، حتى يكون البغي ، ثم يكون الهرج[١]»[٢].

---

(١) الهرج : كثرة القتل والاختلاط .
انظر : غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٤٩٥) ، النهاية في غريب الحديث (٥/٢٥٧) .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم البغي (٤٩ ـ ٥٠) بسند حسن .

وكان العرب في جاهليتهم يرون ذلك عزا وشرفا ، كما قال عمرو بن كلثوم:

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدأ ظالمينا[1]

وصور الشاعر زهير بن أبي سلمى حالهم في ذلك تصويرا دقيقا في معلقته ، حيث يقول :

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه

يهدم ومن لايظلم الناس يظلم[2]

وقد ذكر ابن أبي الدنيا[3] - رحمه الله تعالى - في كتابه « ذم البغي » جملة من أخبارهم في ذلك .

ولما كان البغي بهذه الخطورة ، فإن الآيات الكريمة ، والأحاديث عن المصطفى ﷺ ، قد كثرت في النهي عنه ، وبيان عواقبه الوخيمة .

---

(١) البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم ، وقد ذكرها أبو زيد في الجمهرة (٢٩٨ ـ ٢٩٩) ، والتبريزي في شرح المعلقات (٢٨٨) ، وابن النحاس في شرح المعلقات (٢/ ١٢٤).

(٢) هذا البيت أحد أبيات معلقته ، وهو في ديوانه (١٠٩) ، وفي الجمهرة (١٧٤) ، وفي شرح التبريزي (١٥١) ، وابن النحاس (١/ ١٢٤) ، والزوزني (٧١) .

(٣) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي ، ولد سنة ٢٠٨ هـ ، وأخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وسعيد بن سليمان الواسطي ، وعنه : ابن ماجه ، والحافظ ابن عقدة ، وغيرهما له مؤلفات منها : الصمت ، والعيال ، وذم البغي ، وتوفي سنة ٢٨١هـ .
انظر : الجرح والتعديل (٥/ ١٦٣) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٨٩ ـ ٩١) ، تهذيب الكمال (١٦/ ٧٢ ـ ٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٧) .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾ [الأعراف :٣٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾ [النحل :٩٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ○ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾[الشورى : ٤١ ـ ٤٢] .

وقال ﷺ : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لايفخر أحد على أحد ، ولايبغي أحد على أحد »[١]

وقال ﷺ : « مامن ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه في العقوبة في الدنيا ، مع مايدخر في الآخرة من قطيعة الرحم والبغي »[٢] فالبغي محرم في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها ـ باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ـ (٢١٩٨/٤)ح٢٨٦٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ـ باب عقوبة قاطع الرحم ـ (٣٦) ، وأبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب النهي عن البغي ـ (٢٠٨/٥) ح٤٩٠٢ ، والترمذي في جامعه ـ كتاب صفة القيامة ـ باب ـ (٦٦٤/٤ ـ ٦٦٥) ح٢٥١١ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الزهد ـ باب البغي ـ (١٤٠٨/٢) ح٤٢١١ ، وابن المبارك في الزهد ـ باب النية مع قلة العمل وسلامة القلب ـ (٢٥٢) ح٧٢٤ ، وفي كتاب البر والصلة ـ باب (٢٥٢)ح٧٢٤ ، وفي كتاب البر والصلة ـ باب صلة الرحم وقطيعتها وماجاء في ذلك ـ (١٥٠)ح١٣٥ ، والطيالسي في مسنده (١١٨) ح٨٨٠ ، وأحمد في مسنده (٣٨/٥) ، وابن أبي الدنيا في ذم البغي (٤٧ ـ ٤٨) ، وابن حبان في صحيحه (الموارد) كتاب البر والصلة ـ باب صلة الرحم وقطعها ـ (٥٠٠)ح٢٠٣٩ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب التفسير ـ سورة النحل ـ (٣٥٦/٢) ، وقال : « صحيح =

لايجوز منه شيء بحال من الأحوال ، وهذا من نعم الله التي لاتعد ولاتحصى .

ومسألة البغي على الناس والاستطالة عليهم من المسائل التي لايزال لها وجود إلى يومنا هذا ، وقد شابه فيها كثير من أهل عصرنا أهل الجاهلية .

فالدول لايزال القوي منها يأكل الضعيف ، ويستولي على خيراته ، ويتسلط عليه ، وينهب أمواله .

وشاهد هذا مايجري في عدد من البلاد كبلاد المقدس الشريف ، والأفغان ، وبلاد البوسنة الهرسك ، وماأحداث الخليج عنا ببعيدة .

كما أن بغي الجماعات والأحزاب بعضها على بعض ظاهر ، ومن ذلك ماهو واقع اليوم بين الفرقاء في أفغانستان والصومال وغيرها من البلاد .

ومن ذلك مايكون من بغي بعض القبائل في بعض البلاد على بعض ، وكذلك بغي الأسر على بعض .

ومن ذلك مايكون من بغي بعض الأفراد على بعض حين استضعافه .

ومن ذلك فعل أهل الحرابة من قطع الطريق وترويع الناس ، وإخافة السبيل .

ومن ذلك وضع المتفجرات ونحوها في بلاد المسلمين .

= الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الشهادات ـ باب الشهادة لأهل العصبية ـ (١٠/ ٢٣٤) ، والبغوي في شرح السنة ـ باب ثواب صلة الرحم ومن قطعها ـ (١٣/ ٢٦) .

الثانية والتسعون[1]

أن أجل[2] فضائلهم الفخر[3] فنهي عنه ، ولو بحق[4] .

الفخر : التمدح بالخصال ، وعد المآثر ، ونشر المناقب ، والتعاظم على الناس ، والتكبر عليهم[5].

وقد كان أهل الجاهلية ـ سواء كانوا أميين أوكتابيين ـ يعدون الافتخار على الناس من المآثر التي يتمدحون بها ، فقد كانوا ـ كما سبق[6]ـ يعقدون مايسمونه المنافرات ، ويجعلون لها حكاما يحكمون بين المتنافرين .

وكان الفخر عندهم يقوم عادة على ذكر كثرة الأموال والأولاد وأفراد القبيلة ، والكرم والجود ، وكثرة الحروب ، وشن الغارات ، والنصر والغلبة ، والقوة والبأس ، والخيل والإبل ، ومنازلة الملوك والرؤساء ، وكثرة الغنائم ، والأحساب والأنساب ، والعفة ، والعتق ، وأصالة الرأي ،

---

(١) في الأصل الرابعة والتسعون ، وفي (أ) السابعة والثمانون .
(٢) في (أ) « من أجل » .
(٣) في (د) زيادة كلمة « أيضا » بعد قوله « فضائلهم » .
(٤) « ولو بحق » ليست في (أ) ، وفي (جـ) « ولو بحق فنهي عنه » .
(٥) انظر : مادة « فخر » معجم مقاييس اللغة (٤/٤٨٠) ، تهذيب اللغة (٧/٣٥٧ ـ ٣٥٨) ، المحكم (٥/١٠٦) ، جمهرة اللغة (٢/٢١١) ، الصحاح (٢/٧٩٧) ، المشوف المعلم (٢/٥٩٣) ، تاج العروس (٣/٤٦٥ ـ ٤٦٦)
(٦) انظر : شرح المسألة السابعة والثمانين .

وسداد القول ، وبعد النظر ، وإغاثة اللهفات ، والفصاحة والبيان والشعر ، وغير ذلك[1].

وقد دلت النصوص الكثيرة على افتخار أهل الجاهلية ، وتعاظمهم على الناس، بل وأثر ذلك على عدم قبولهم الحق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ [فصلت : ١٤]

فهم افتخروا على غيرهم بقوتهم ، وأبوا أن يقبلوا ماجاءت به رسل الله من الهدى ودين الحق ، اعتمادا على قوتهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن فرعون أنه قال : ﴿ ياقوم اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلاتبصرون ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن ذي الجنتين أنه قال : ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ [الكهف : ٣٤] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا أن الافتخار بكثرة الأموال والأولاد سبيل الجاهليين في كل أمة : ﴿ وما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاقال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ○ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ﴾ [سبأ: ٣٤ ـ ٣٥].

---

(١) انظر : في تأريخ الأدب الجاهلي د . علي الجندي (٣٦٤) .

وقال ـ تعالى ـ مبينا افتخار اليهود ، ورادا عليهم : ﴿ إن الله لايحب من كان مختالا فخورا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ افتخار اليهود بكونهم من ذرية الأنبياء.

وقد مضى ذكر بعض النصوص الدالة على افتخار أهل الجاهلية الكتابيين والأميين بأحسابهم وأنسابهم.

وواقع أهل الجاهلية شاهد على ذلك ، فقصائدهم لاتكاد تخلوا من ذلك[١] .

وقد بين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن الإسلام نهى عن الفخر، ولو كان بحق ، فكيف إذا كان بغير حق ؟ .

وهذا وجه المخالفة في هذه المسألة .

فمن الأدلة على النهي عن الفخر ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ○ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ [الإسراء : ٣٧ ـ ٣٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ والله لايحب كل مختال فخور ﴾[الحديد: ٢٣] .

وقال ﷺ : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ، حتى لايفخر أحد على أحد ، ولايبغي أحد على أحد » .

---

(١) انظر : في تأريخ الأدب الجاهلي (٣٦٤) وانظر على سبيل المثال : أشعار عنترة ، والحارث بن حلزة اليشكري ، وعبيد بن الأبرص ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة .

ولما بين ﷺ بعضا مما اختص به ، دفع مايوهم أنه أراد بذلك الفخر، فقال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ، ولافخر ، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ، ولافخر ، وأنا أول شافع وأوّل مُشَفَّعٍ ، ولافخر ، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ، ولافخر »(١) .

والنصوص الدالة على مقت هذه الخصلة ، والنهي عنها كثيرة جدا، مضى بعضها في مسألة الفخر بالأحساب .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فقد علمنا قبل أن هناك من يفتخر بحسبه وجنسه على الناس .

كما أن هناك من يفتخر بصناعته ـ كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في مسألة الافتخار بالصنائع ، ومنهم من يفتخر بشهاداته الدراسية ، حتى بلغ الأمر بأحد هؤلاء أنه كان يلقب نفسه بـ « الدكاترة » وهكذا تبقى هذه الخصلة ، والله المستعان .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب المناقب ـ باب في فضل النبي ﷺ ـ (٥/ ٥٨٧) ح ٣٦١٥ ، وقال : « حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه ـ كتاب الزهد ـ باب ذكر الشفاعة ـ (٢/ ١٤٤٠) ح ٤٣٠٨ من حديث أبي سعيد .
وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١ ، ٢٨٢، ٢٩٥، ٢٩٦) من حديث ابن عباس .
وأخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٤٤) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ٣٩٧) من حديث أنس ابن مالك .

الثالثة والتسعون[1]

أن[2] تعصب الإنسان لطائفته على الحق والباطل أمر لابد منه عندهم[3] ، فذكر الله[4] فيه ماذكر[5] .

يعني المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة بيان ماكان عليه أهل الجاهلية من العصبية المذمومة ، وذلك بالانتصار للطائفة التي ينتمي إليها الشخص ، سواء كانت ظالمة أومظلومة ، وسواء كانت على الحق أو على الباطل .

وكان أهل الجاهلية ـ كما سيأتي بعد قليل ـ يتمدحون بهذه الخصلة ، ويعدونها من مفاخرهم .

وعلى هذه الخصلة كان الأميون والكتابيون .

فإن اليهود بالمدينة كانوا ثلاث طوائف : بنو قينقاع ، وبنو

---

(١) في الأصل السادسة والتسعون ، وفي (أ) الثامنة والثمانون .
(٢) « أ » ليست في (أ) .
(٣) في (أ) « أمر عندهم لابد منه » .
(٤) لفظ الجلالة ساقط من (ب) .
(٥) « فيه ماذكر » ساقط من (أ) ، ونص المسألة في (جـ) هكذا : « أن الذي لابد منه ـ عندهم ـ تعصب الإنسان لطائفته ، ونصر من هو منها ظالما أومظلوما ، فأنزل الله في ذلك ماأنزل » .

النضير، وبنو قريظة ، فكان بنو قينقاع حلفاء للخزرج ، وبنو النضير وقريظة حلفاء للأوس ، فإذا نشبت بينهم الحروب ، قتل كل واحد من هؤلاء من لم يكن من حلفائهم ، وإن كانوا على دينهم ، مع أن هذا محرم بنص التوراة[1].

والمقصود من هذا بيان أن اليهود - وهم أهل كتاب - كانوا يدخلون في الأحلاف الجاهلية ، التي تعني الانتصار لأهل الحلف ، وإن كانوا ظالمين .

ومما يدل على أن هذه الخصلة من خصال أهل الجاهلية : ماجاء عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن النبي ﷺ قال : « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة ، فمات ، فميتته جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية[2]، ويغضب لعصبية ، أويدعو إلى عصبية ، أوينصر عصبية ، فقتل ، فقتلته جاهلية »[3].

وعن جندب بن عبدالله - رضي الله تعالى - أن النبي ﷺ قال : «

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٢١) .

(٢) عمية : بضم العين وكسرها ، لغتان ، والميم مكسورة مشددة ، والياء مشددة ، وهو الأمر الأعمى الذي لايستبين وجهه .
انظر : غريب الحديث لابن الجوزي (٢ /١٢٧ - ١٢٨) ، النهاية في غريب الحديث (٣ /٣٠٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة - (٣/ ١٤٧٦ - ١٤٧٧)ح١٨٤٨ .

من قتل تحت راية عمية ، يدعو عصبية ، أوينصر عصبية ، فقتلته جاهلية »[(١)].

وعن جابر ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « كنا في غزاة، فكسع[(٢)] رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : ياللأنصار ، وقال المهاجري : ياللمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « مابال دعوى الجاهلية » قالوا : يارسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال ﷺ :« دعوها ، فإنها منتة »[(٣)].

فقد سمى رسول الله ﷺ هذا التداعي دعوى الجاهلية[(٤)].

وكان أهل الجاهلية يقولون : « انصر أخاك ظالما أومظلوما »[(٥)]،

---

(١) أخرجه مسلم في ـ كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ...ـ (١٤٧٨/٣) ح١٨٥٠ .

(٢) كسع : أي ضرب دبره بيده أورجله أوسيفه أوغير ذلك .
انظر : النهاية في غريب الحديث (١٧٣/٤) ، شرح النووي على مسلم (١٣٧/١٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ سورة المنافقين ـ باب قوله : ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ (٦/ ٦٥ ـ ٦٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة والأدب ـ باب نصر الأخ ظالما أومظلوما ـ (١٨٩٨/٤ ـ ١٩٩٩)ح٢٥٨٤ .

(٤) انظر : شرح مسلم للنووي (١٣٧/١٦) .

(٥) هذا مثل من أمثال العرب ، اول من قاله جندب بن العنبر بن تميم .
انظر : المستقصى في الأمثال للزمخشري (٣٩٢/١) ، جمهرة الأمثال للعسكري (٥٨/١) ، الفاخر للمفضل الضبي (١٤٧) ، مجمع الأمثال للميداني (٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) ، فصل المقال للبكري (٢١٥) ، تمثال الأمثال لأبي المحاسن الشيبي =

ويعنون به ظاهره ، لاماجاء به الإسلام من منعه من الظلم[1].

وفي هذا يقول الأسلع[2]:

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم

على القوم لم أنصر أخي حين يظلم[3]

ويقول النابغة الذبياني[4]:

حدبت علي بطون ضبة كلها

إن ظـالمـا منهـم وإن مظلـومـا[5]

والمعنى أنهم أشفقوا عليه ، فهم ينصرونه في الحالين ، سواء كان ظالما أومظلوما ، ولم يقصد أنهم يكفونه عن الظلم[6] .

فالتعصب للطائفة لابد منه عندهم ، كما رأيت من خلال النصوص

= (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

(١) انظر : فتح الباري (٥/١١٨) ، إرشاد الساري (٤/٢٥٦) ، فتح المبدي للشرقاوي (٢/٢٣٦) .

(٢) هو الأسلع بن عبدالله بن ناشب بن زيد النمامي ، سعى في الصلح بين قومه عبس وذبيان ، ورهن أولاده الثلاثة في قصة طويلة ذكرها صاحب الأغاني .
انظر : الأغاني (١٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

(٣) ذكر هذا البيت الشيبي في تمثال الأمثال (١/ ٣٢٥) .

(٤) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، شاعر جاهلي فحل ، وكان ممن يَعرض عليه الشعراءُ شعرَهم في سوق عكاظ .
انظر : الشعر والشعراء (١/١٥٧ ـ ١٧٣) ، طبقات الشعراء (٤١ ـ ٤٢) ، الأغاني (١١/٣ ـ ٤١)

(٥) ديوان النابغة (٩٥) ، المستقصى في الأمثال (١/ ٣٩٢) .

(٦) انظر : المستقصى في الأمثال (١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣) .

النبوية ، ومن خلال كلامهم ـ أيضا ـ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فأمر بالعدل حتى مع العدو ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ولايجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ [المائدة : ٢] .

أي : لايحملكنم بغض هؤلاء الذين صدوكم عن الوصول إلى المسجد الحرام، أن تعتدوا حكم الله فيهم ، فتقتصوا منهم ظلما وعدوانا ، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في حق كل أحد(١) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة:٨] أي : ليكن من أخلاقكم وصفاتكم ـ أيها المؤمنون ـ الشهادة بالعدل في الأولياء والأعداء ، فلاتجوروا في أحكامكم ، ولاتحملنكم العداوة لقوم على ترك العدل فيهم(٢).

وخير ـ تعالى ـ نبيه ﷺ بين ترك الحكم بين اليهود ، وبين الحكم بالعدل بينهم ، إن هم تحاكموا إليه ، فقال : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ [المائدة : ٤٢] .

وأمر ـ تعالى ـ : بالعدل في الحكم بين الطائفتين المتخاصمتين ،

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٦٦/٦) ، تفسير ابن كثير (٦/٢) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١٤١/٦) ، معالم التنزيل (١٨/٢) ، تفسير ابن كثير (٣١/٢) .

فقال: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات :٩] .

وحذر ﷺ من التعصب الأعمى ، وبين خطره ، وسماه دعوى جاهلية، كما سبق في الأحاديث آنفا ، وأمر بنصر الظالم والمظلوم ، وبين كيفية نصر كل ، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « انصر أخاك ظالما أومظلوما » قالوا : يارسول الله ، هذا ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما؟ فقال ﷺ : « تأخذ فوق يديه»[1]

ووصف النبي ﷺ الذي ينصر قومه تعصبا بوصف شنيع ، ينبيء عن شناعة فعله ، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال : « من نصر قومه على غير الحق ، فهو كالبعير الذي ردي ، فهو ينزع بذنبه »[2].

فالإسلام حرم العصبية والظلم ، وأوجب العدل .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب المظالم ـ باب أعن أخاك ظالما أومظلوما ـ (٩٨/٣) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأدب ـ باب في العصبية ـ (٣٤١/٥) ، وأحمد في مسنده (٤٠١/١) ، وابن حبان في صحيحه ، كما في موارد الظمآن ـ كتاب القضاء ـ باب فيمن يعين على الباطل ـ (٢٩٠ ـ ٢٩١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الشهادات ـ باب شهادة أهل العصبية ـ (٢٣٤/١٠) ، وأبو نعيم في الحلية (١٠٢/٧) .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور منها :

التعصب على أساس الجنس والعرق والقومية[1] ، وهذا النوع لايزال موجودا،فإن كل قومية من القوميات تنتصر لقوميتها أيما انتصار، وتعينها على الظلم والعدوان ، وتحتقر ماعداها من القوميات،فالأوربيون ـ مثلا ـ يعدون أنفسهم أهل الفضل والحضارة والعلم والأدب ، وأنهم خلقوا لذلك، أما الآخرون فما خلقوا إلاليموتوا[2]، والألمان يرون أن غيرهم من الشعوب لابد من سحقه ، وإزالته من الوجود نهائيا ، وهذا ماسبب قيام الحرب العالمية الأولى[3].

والصهاينة اليهود يرون أنهم شعب الله المختار ، الذي يجب أن يبقى، ويتولى قيادةَ العالم ، وأزمَّةُ الأمور ينبغي أن تكون بيده ، وأما من عداهم فيجب أن يموت ، ولاأحقية له في الوجود والحياة ، وأنهم ليسوا إلا كقطيع من غنم ، وبذلك صرحوا في بروتوكولاتهم[4] .

والقوميون العرب ينصرون من كان من العرب مسلما كان أوكافرا،

---

(١) انظر : الإسلام والتميز العنصري لصلاح الدين الأيوبي (٤٢) .
(٢) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي (١٩٨) .
(٣) انظر : القومية في نظر الإسلام لمحمد باشميل (٢٥ ـ ٢٨) .
(٤) انظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة التونسي (٢٣٩) ، مؤامرة الصهيونية على العالم مع ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون لأحمد عبد الغفور عطار (٩) ، التعصب الصهيوني د . مبروك محمد عبد السميع مصطفى (٨ ـ ٤٠) ، همجية التعاليم الصهيونية لبولس حنا سعيد (١١) .

ظالما أو مظلوما على من لم يكن من العرب ، وإن كان من المسلمين[1].

ومن صور التعصب للطائفة : التعصب للوطن دون ماعداه ، فينصر من كان من أهل وطنه ، وإن كان ظالما أوكافرا على من لم يكن منه وإن كان مظلوما أومسلما .

ومن ذلك : التعصب للقبيلة ، ونصر من كان منها على غيره ، وإن كان ظالما، وهذا منتشر بين قبائل البادية في بلاد عدة ، وأخبارهم معروفة لدى كثير من الناس .

ومن صور ذلك: تعصب الحلف لمن كان منضويا تحت لوائه ، ونصره على من لم يكن كذلك ، وإن كان ظالما ، وذلك كالأحلاف الدولية كحلف وارسو[2]، وحلف الناتو[3] ، وغيرها ، فهذه الأحلاف

---

(١) انظر : المرجع السابق (٦٣ ـ ٦٨) ، العرب والإسلام لأبي الحسن الندوي (١٠٩ ـ ١٢٩)

(٢) حلف وارسو : حلف شيوعي ، أنشيء عام ١٩٥٥م بقيادة الاتحاد السوفيتي ، لمواجهة سياسة الأحلاف الغربية ، ويشترك فيه عدة دول أوربية منها المجر وبولندا ، وتشيكو سلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية .
انظر : الوجيز في تاريخ العالم المعاصر لحسان الحلاق (١١١ ـ ١١٢) ، الموسوعة العربية الميسرة (١٧١٧) .

(٣) حلف الناتو أو حلف الأطلسي ، حلف رأسمالي ، أنشيء عام ١٩٤٩م ، بقيادة أمريكا ، وتشترك فيه عدة دول أوربية غربية منها فرنسا وبريطانيا وألمانيا . وقد أنشيء لمواجهة سياسة السوفيت .
انظر : الوجيز في تاريخ العالم المعاصر (٥٦) ، الموسوعة العربية الميسرة (١٧٦١) .

تقوم على نصر من كان منضويا تحت لوائها على من لم يكن كذلك .

ومن ذلك : التعصب للحزب الذي ينتمي إليه ، ونصر من كان تحت لوائه ، وخذلان من لم يكن من المنتمين إليه ، ومحاربته ، بل وربما القضاء عليه[1] .

ألا ترى مايجري اليوم في بلاد الأفغان ، ومايجري في بلاد الصومال من تعصب كل فرد من أفراد الحزب لحزبه ؟ .

كما أن هذا الأمر يوجد حتى فيما يسمى بـ « الجماعات الإسلامية الدعوية » فإنه يلحظ عليها التعصب الكامل للجماعة ، ومعاداة من لم يكن من المنتمين إليها[2]، مع أن هدف هذه الجماعات ـ كما يزعمون ـ واحد ، وهو الانتصار لأمة محمد ﷺ ودينه .

وإذا كان الأمر كما يزعمون ، فلماذا هذا التعصب الأعمى ؟ أبذلك أمر رسول الله ﷺ الدعاة ؟ أم على الله يفترون ؟ .

ومن مظاهر ذلك : التعصب على أساس اللون ، كما هو واقع اليوم في أمريكا، وجنوب أفريقيا ، حيث إن السود في تلك البلاد ـ مع أنهم الأكثرية في جنوب أفريقيا ، والقلة من البيض ـ محرومون من أكثر مايحتاجونه ويريدونه ، وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء ومقت ، بل بلغ الأمر بتلك الأقلية إلى قتلهم في بعض الأحيان .

---

(١) انظر : القومية بين النظرية والتطبيق لمصطفى محمد طحان (٢٤١ ـ ٢٥٠) .
(٢) انظر : حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (١٤٦ ـ ١٤٧) .

فهذه بعض مظاهر وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان .

الرابعة والتسعون[1]

أن من[2] دينهم أخذ الرجل بجريمة[3] غيره ، فأنزل الله ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الإسراء : ١٥] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية ، مؤاخذة الإنسان بما اقترفه غيره . بمعنى أنهم يحملونه تبعات غيره ، فإذا جنى جان على أحد ، لم يكتفوا بمؤاخذة الجاني فقط ، بل يطلبون الثأر ، ويقتلون غير القاتل ، ويصيبون غير الجاني ، بل ربما قتلوا بالقتيل الواحد ثلاثة أوأربعة أوغير ذلك ممن ليسوا جناة ممن يرونهم أكفاء للقتيل ، ويسمون هذا « الثأر المنيم[4] » ، وربما قتلوا الحميم بحميمه[5].

ولما كانت هذه الخصلة فيهم ، فإن الإسلام أبطلها ، كما في الآية التي ذكرها المؤلف ، وهي قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

---

(١) في الأصل السابعة والتسعون ، وفي (أ) التاسعة والثمانون .

(٢) « من » ساقطة من جميع النسخ .

(٣) « بجريمة » ساقطة من (ب) وفي (أ) « بجريرة » .

(٤) الثأر المنيم : هو الثأر الذي فيه وفاء لطلبة الرجل .
انظر : مادة « نوم » لسان العرب (٥٩٧/١٢) .

(٥) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٧٣) ، تفسير ابن جرير (٨٢/١٥ ـ ٨٣) ، معالم التنزيل (١١٣/٣) .

فهذه الآية نزلت ردا على العرب في الجاهلية لفعلهم ذلك(١).

ووجه الاستشهاد منها أن الله ـ تعالى ـ نفى أن يتحمل أحد وزر أحد، فكل نفس لاتؤاخذ إلابما عملت .

وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية ، كما في حديث أبي رمثة(٢) ـ رضي الله تعالى عنه ـ : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ ، ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي : « ابنك هذا » ؟ قال : إي ، ورب الكعبة ، قال : « حقا » ؟ قال: أشهد به ، قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا من ثبت شبهي في أبي، ومن حلف أبي علي، ثم قال : « أما إنه لايجني عليك ، ولاتجني عليه ، وقرأ رسول الله ﷺ ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴾ »(٣).

ومما يدل على وجود هذه الخصلة في أهل الجاهلية ، ماجاء عن أبي

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٧٣) ، تفسير القرطبي (٧/ ١٥٥) ، فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٨٦) .

(٢) هو أبو رمثة البلوي ، ويقال : التيمي ، من تيم الرباب ، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه كثيرا ، فقيل : رفاعة بن يثربي ، وقيل : يثربي بن رفاعة ، وقيل غير ذلك ، صحابي جليل ، روى عنه : إياد بن لقيط ، وثابت بن أبي منقذ .
انظر : الكنى والأسماء للدولابي (١/ ٢٩) ، الاستيعاب (٤/ ٧٢) ، أسد الغابة (٦/ ١١١ ـ ١١٢) ، تهذيب الكمال (٣٣/ ٣١٦ ـ ٣١٧) ، الكاشف في أسماء الرجال للذهبي (٣/ ٢٩٦) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الديات ـ باب لايؤاخذ أحد بجريرة أخيه أوأبيه ـ (٤/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) ح٤٤٩٥ ، والنسائي في سننه ـ كتاب الجنايات ـ باب هل يؤخذ أحد بجريرة غيره ـ (٨/ ٥٣) ح٤٨٣٢ ، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) و (٤/ ١٦٣) ،وابن أبي عاصم في كتاب الديات ـ باب لاتجني نفس إلا عليها ، لايؤاخذ أحد بجناية غيره ـ (٩٤)ح٣٤٨ ، ٣٤٩ ، والدولابي في الكنى (١/ ٢٩) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٦/ ١١١ـ ١١٢)

هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن خزاعة[1] قتلوا رجلا من بني ليث[2] عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ . . . الحديث »[3].

وعن طارق المحاربي[4] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رجلا قال : يارسول الله ، هؤلاء بنو ثعلبة[5] ، الذين قتلوا قتلانا في الجاهلية ، فخذ لنا بثأرنا ، فرفع يديه ، حتى رأيت بياض إبطيه ، وهو يقول : « لاتجني أم على ولدها » مرتين[6].

---

(١) خزاعة : قبيلة معروفة من قبائل العرب ، وهم بنو لحي بن عامر بن قمعة بن الياس ابن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان ، كانت تقطن مكة ، وكان لها ولاية البيت حتى باعها أبوغسان من قصي بن كلاب بزق من خمر .
انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٤٦٧ ، ٤٨٠) ، نهاية الأرب للقلقشندي (٢٢٨) .

(٢) بنو ليث : بطن من بطون بكر بن عبد مناة بن كنانة .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٤٦٥) ، نهاية الأرب (٣٦٧) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب العلم ـ باب كتابة العلم ـ (١/٣٦) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الحج ـ باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ـ (٢/٨٨٩) ح١٣٥٥ .

(٤) هو طارق بن عبد الله المحاربي الكوفي ، صحابي جليل ، روى عنه : أبوصخر جامع بن شداد المحاربي ، وربعي بن حراش .
انظر : طبقات ابن سعد (٦/ ٤٢ ـ ٤٣) ، التاريخ الكبير (٤/ ٣٥٢) ، الجرح والتعديل (٤/ ٤٨٥) .

(٥) بنو ثعلبة : بطن من ذبيان العدنانية ، وهم بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
انظر : جمهرة أنساب العرب (٤٨١) ، نهاية الأرب (١٨٣) .

(٦) أخرجه النسائي في سننه ـ كتاب الجنايات ـ باب هل يؤخذ أحد بجريرة غيره ـ (٨/ ٥٥)ح٤٨٣٩ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الديات ـ باب لايجني أحد على احد ـ (٢/ ٨٩٠) ح٢٦٧٠ ، وابن سعد في الطبقات (٦/ ٤٢ ـ ٤٣) .
قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/٣٤٧) : « هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم =

وعن أسامة بن شريك[1] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « لاتجني نفس على أخرى »[2].

وعن الخشخاش العنبري[3] ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : أتيت النبي ﷺ ، ومعي ابني ، فقال : « لاتجني عليه ، ولايجني عليك »[4].

وعن عمرو بن الأحوص[5] ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : سمعت النبي

= ثقات » .

(١) هو أسامة بن شريك الثعلبي الذبياني ، له صحبة ، روى عنه : زياد بن علاقة ، وابن الأقمر .
انظر : أسد الغابة (١/ ٨١ ـ ٨٢) ، الاستيعاب (١/ ٣٦) ، تهذيب الكمال (٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ كتاب الديات ـ باب لاجني أحد على غيره ـ (٢/ ٨٩٠)ح٢٦٧٢ .
قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣٤٨) : « هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، وأبو العوام ، اسمه عمران بن داور ، وإن ضعفه النسائي ، فقد وثقه الجمهور » .

(٣) هو الخشخاش بن جناب بن الحارث التميمي العنبري ، صحابي جليل ، روى عنه ابن ابنه حصين بن أبي الحر .
انظر : تاريخ ابن معين (٢/ ١٤٨) ، التاريخ الكبير (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) ، الإكمال لابن ماكولا(٣/ ١٤٦) .

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الديات ـ باب لايجني أحد على غيره ـ (٢/ ٨٩٠) ح٢٦٧١ ، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٤) و (٥/ ٨١) ، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٤٧) ، وابن أبي عاصم في الديات ـ باب لاتجني نفس إلا عليها ، لايؤاخذ أحد بجناية غيره ـ (٩٣) ح٣٤٦ ، ٣٤٧ ، والطبراني في الكبير (٤/ ٢١٧) ، وأبونعيم في أخبار أصبهان (٣/ ٣٥٧) .
قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣٤٨) : « ورجال إسناده كلهم ثقات » ، وقال ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٨٠) : « إسناده لابأس به » ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٧٢٢) .

(٥) هو عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كلاب الجشمي ، أبوسليمان ، صحابي جليل ، =

ﷺ يقول في حجة الوداع : « ألا لايجني جان إلا على نفسه ، لايجني والد على ولده ولامولود على والده »[1].

ففيما مضى من الأحاديث إخبار منه ﷺ ببطلان ماعليه أهل الجاهلية في هذا الأمر[2]

ومما يدل على ذلك من أشعارهم قول ابن مضرس[3]، وقد قتل خاله بأخيه :

بكت جزعا أمي رميلة أن رأت دما من أخيها بالمهند باقيا

فقلت لها : لاتجزعي إن طارقا

خليلي الذي كان الخليل المصافيا

وماكنت لو أعطيت ألفي نجيبة وأولادها لغوا وستين راعيا

= شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع ، روى عنه ابنه سليمان .
انظر : الجرح والتعديل (٦/ ٢٢٠) ، الاستيعاب (٢/ ٥١٦) ، أسد الغابة (٤/ ١٨٩) .

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب التفسير ـ باب ومن سورة التوبة ـ (٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)ح ٣٠٨٧ ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الديات ـ باب لايجني أحد على أحد ـ (٢/ ٨٩٠) ح٢٦٦٩ ، والبيهقي في سننه الكبرى ـ كتاب الجنايات ـ باب إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ـ (٨/ ٢٧) ، وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٨٩) .

(٢) انظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٧٧٣) ، حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى (٨/ ٥٣)

(٣) هو توبة بن المضرس بن عبدالله بن عباد بن الحارث بن سعد بن حزام التميمي ، يعرف بالخنوت ، وهو الذي يمنعه الغيظ أوالبكاء عن الكلام ، وسبب هذه التسمية جزعه على مقتل أخويه ، وهو شاعر جاهلي .
انظر : المؤتلف والمختلف للآمدي (٨٤ ـ ٨٥) .

لأقبلها من طارق دون أن أرى

دما من بني حصن على السيف جاريا

وماكان في عوف قتيل علمته ليوفيني من طارق غير خاليا[١]

وقول الأعشى :

لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا لنقتلن مثله منكم فنمتثل[٢]

فلم يقل : لنقتلن القاتل ، بل لابد من عميد يكافيء عميدهم المقتول، وإن لم يكن هو القاتل .

وقول سعية بن غريض اليهودي :

إن يقتلوك فقد قتلت خيارهم والمرء أكرم مايكون قتيلا[٣]

وقول الآخر :

هم قتلوا منكم بظنة واحد ثمانية ثم استمروا فأرتعوا[٤]

أي : اتهموكم بقتل رجل منهم ، فقتلوا منكم ثمانية به[٥] .

كما أن لهذه المسألة وجها آخر عند أهل الكتاب سواء كانوا هودا أونصارى ، وهو تحميل الأبناء خطايا الآباء ، فاليهود كما في كتابهم

---

(١) ذكر هذه الأبيات ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٧٣) وأبو تمام في كتاب الوحشيات (٨٢) ، وأبو العلاء المعري في رسالة الغفران (٥٤٦) .

(٢) ديوان الأعشى الكبير (١٣٥) .

(٣) ذكر هذا البيت ابن سعيد الأندلسي في نشوة الطرب (٢/ ٨٢٠) .

(٤) ذكر هذا البيت ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (٧٤) وفي المعاني الكبير (١٠٢١) ولم يعزه لأحد.

(٥) انظر : تأويل مشكل القرآن (٧٤) .

يفتقدون إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء إلى الجيل الرابع ، وإليك ماجاء في كتابهم .

تقول التوراة المحرفة : « الرب إله رحيم ، ورؤوف بطيء الغضب ، وكثير الإحسان والوفاء ، حافظ الإحسان إلى ألوف ، غافر الإثم والمعصية والخطيئة ، ولكنه يبريء إبراء ، مفتقد إثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع »[1].

والنصارى يزعمون أن البشر كلهم يحمل وزرا من خطيئة آدم ﷺ ، وأن الرب ـ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ـ أنزل ابنه وحيده ؛ ليفتدي البشر من هذه الخطيئة الكبرى ، فذبحه على الصليب من أجل الكفارة[2].

فهم يحملون الأبناء خطيئة الآباء ، وهم لاذنب لهم .

وهذه الخصلة كما رأيت من الأدلة من خصال الجاهليتين .

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذا الأمر ، فبين أن كل نفس تتحمل ماجنت ، ولاأحد يتحمل جرم غيره .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ماكتسبت ﴾[البقرة : ٢٨٦] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كل نفس بما كسبت

---

(١) أسفار العهد القديم ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع والثلاثون ـ الفقرة (٦ ـ ٧)
(٢) انظر : اليهودية والمسيحية د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي (٤٣١ ـ ٤٣٢) ، الإسلام والأديان د.مصطفى حلمي (٢٢٠) ، محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة (١٢٥ ـ ١٢٦) ، الغفران بين االإسلام والمسيحية د. إبراهيم خليل احمد (١٠٦ ـ ١١٠) و (١١٣ ـ ١٢٠) ، ماهي النصرانية لمحمد تقي العثماني (٧٦ ـ ٩٠) .

رهينة ﴾ [المدثر :٣٨] .

وقد أبطل ـ تعالى ـ ماكان عليه أهل الجاهلية من قتل غير القاتل بقوله: ﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلايسرف في القتل ﴾ [الإسراء :٣٣] ، والإسراف في القتل : أن يمثل بالقاتل ، أويقتص من غيره(١).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾[البقرة:١٧٨] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالاذن والسن يالسن والجروح قصاص ﴾ [المائدة: ٤٥] .

فتشريع القصاص ، قطع لدابر هذه الخصلة الجاهلية الجائرة .

وقد علمنا تحريم الإسلام مما ذكر خلال الاستدلال ، من أقوال الرسول ﷺ، وإبطاله ذلك .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فمعلوم أن اليهود والنصارى لايزالون موجودين ، ومن معتقدهم مسالة الخطيئة والكفارة .

وهذا على الوجه الثاني للمسألة .

أما على الوجه الأول ، فلاتزال موجودة كذلك .

ومن مظاهر ذلك : مايجري بين بعض القبائل والأسر ، وخاصة

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٥/ ٨١ ـ ٨٣) ، معالم التنزيل (٣/ ١١٣) ، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠) .

الأعراب ، من قتل غير القاتل ، والاعتداء عليه ، إذا كان من أوليائه ، فهم مطلوبون للقتل ، ومعرضون لأخذ الثار منهم[1] ، بل ربما قتلوا من ليس من أولياء القاتل ، وذلك إذا كان يمت لهم بصلة ، كالعمال الذين يعملون لديهم ، والمدرسين الذين يقومون بالتدريس في مدارسهم ، وأصدقائهم ونحو ذلك ، والأخبار في ذلك كثيرة جدا .

فهذه الخصلة لاتزال موجودة ، والله - تعالى - أعلم .

---

(١) انظر : من القيم والآداب البدوية لأحمد العبادي (١٥٣) ، نظم العرب القبلية المعاصرة د . محمد سلام زناتي (٣٠٧/١) ، الثأر بين القديم والحديث د. رفعت وطواط (٩٢) .
وانظر بحث مسألة الثأر في : مجلة الشرق السورية ، عدد (٦) يونيو ١٩٢٠م (ص ٤٦٠) ، مجلة المأثورات الشعبية ، عدد (٢٢) ربيع الأول ١٤١١هـ (ص ٥٨) .

الخامسة والتسعون[١]

تعيير الرجل بما في غيره[٢] ، فقال : « أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية »[٣] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة خصلة من خصال أهل الجاهلية ، وهي نبز الرجل ، والقدح فيه بما ليس فيه ، ولادخل له فيه ، بل هو في غيره .

وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كثيرا ، فتارة يعيرون الرجل بحقارة نسبه، والاستخفاف به ، وتارة بالطعن في حسبه ، وتارة بالطعن في مهنة آبائه وأجداده ، وتارة بالطعن فيه من جهة لون بشرة أهله كالسواد القاني ونحو ذلك .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة بقوله ﷺ لأبي ذر لما عير رجلا بأمه قائلا له : « يابن السوداء » : « أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية » .

ووجه الاستدلال من هذا الحديث ، إضافة هذا العمل لأهل الجاهلية،

(١) في الأصل الثامنة والتسعون ، وفي (أ) التسعون .
(٢) في (أ) « بأمه » .
(٣) وفي (أ) زيادة « أوقال جهالة » .

مما يدل على أنه من خصالهم[1]، وإنكار الرسول ﷺ على أبي ذر ذلك ، يدل على قبحه .

وهذه الخصلة موجودة في أهل الجاهلية الأميين والكتابيين ، وقد مضى - ولله الحمد - الكلام على هذه المسألة مفصلا في مسالة الطعن في الأنساب .

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٢٠) .

المسألة السادسة والتسعون[1]

الافتخار بولاية البيت ، فذمهم بقوله[2] : ﴿ مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ [المؤمنون :٦٧] .

في هذه المسألة بيان لخصلة من خصال أهل الجاهلية الأميين ، وخاصة قريشٌ ، وهذه الخصلة هي تعاظمهم على الناس بولاية البيت الحرام، وسقاية الحاج ، واعتقاد أنهم بذلك أفضل من غيرهم ، وأن لهم أعظم الحقوق على الناس ، فيستكبرون لذلك ، بل إنهم بسبب ذلك كانوا يعتقدون أنهم أولياء الله من دون الناس[3] ، وهم مع ذلك على الشرك .

وقد استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ على ذم الله ـ تعالى ـ لهم بقوله : ﴿ مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ .

وقد اختلف في مرجع الضمير في ﴿ به ﴾ إلا أن الذي عليه الجمهور من المفسرين ، أنه يعود إلى الحرم ، وإن لم يتقدم له ذكر ؛ لشهرته في ذلك[4] .

---

(١) في الأصل التاسعة والتسعون ، وفي (أ) الحادية والتسعون .
(٢) في (ب) و (جـ) و (د) « فذمهم الله بقوله » ، وفي (أ) « فذكر الله » .
(٣) انظر : مختصر سيرة ابن إسحاق لابن هشام (٢/٥٤٧) ، تفسير البغوي (٣/٣١٣) ، تفسير القرطبي (١٢/١٣٦) .
(٤) انظر :تفسير البغوي (٣/٣١٣) ، تفسير القرطبي (١٢/١٣٦) .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ ذم قريشا على ذلك ، والدليل على أن هذه الآية ذم لهم مجيئها في سياق آيات التوبيخ لهم والذم .

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : « إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية ، فقال مستكبرين بالبيت ، يقولون : نحن أهله سامرا ، قال : كانوا يتكبرون ، ويسمرون ، ولايعمرونه ، ويهجرونه »[1].

ومن الأدلة على افتخارهم بولاية البيت ، وتعاظمهم به على الناس : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [التوبة : ١٩] .

فهذه الآية الكريمة ، جاءت ردا منه ـ تعالى ـ على قريش اعتقادهم ذلك ، وذلك انه لما أسر العباس بن عبدالمطلب[2] ـ رضي الله تعالى عنه ـ يوم بدر ، وكان إذ ذاك كافرا ، قال : « لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ سورة المؤمنون ـ (٦/٤١٢)ح١١٣٥١ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة المؤمنون ـ (٢/٣٩٤) ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

(٢) هو العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، عم رسول الله ﷺ ، ولد قبله بثلاث سنين ، وأسلم بعد بدر .وتوفي سنة ٣٢ ، وقيل : ٣٣، وقيل : ٣٤هـ .

انظر : طبقات ابن سعد (٤/٥ ـ ٣٣) ، تاريخ خليفة (٨٦، ١٣٨، ١٦٨) ، تهذيب الكمال (١٤/٢٢٥ ـ ٢٣٠) .

والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي الحاج، ونفك العاني » فأنزل الله هذه الآية[1] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال في الآية : « وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، فكانوا يفخرون بالحرم ، ويستكبرون من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر الله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ يعني أنهم كانوا يستكبرون بالحرم »[2].

ومن مظاهر افتخار قريش بالبيت اعتقادهم أنهم بسبب ذلك أولياء الله.

ومن مظاهر افتخارهم ـ أيضا ـ تركهم مايجب عليهم ؛ لئلا تسقط مهابتهم أمام الناس ، إذا عظموا شيئا غير الحرم ، كتركهم الوقوف بعرفات، فإنهم تركوا الوقوف بعرفات ؛ خشية منهم أن يراهم الناس معظمين شيئا من الحل ، فيستخفوا بحرمهم[3].

وقد كذبهم الله ـ تعالى ـ وبين أن ولايتهم للبيت لاتغني عنهم شيئا ماداموا مقيمين على شركهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/٦٧) ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣/٢١٨) .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/٢٨١) .
(٣) انظر : شرح المسألة السبعين ، والحادية والسبعين .

لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين ○ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ○ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ○خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجرعظيم ﴾ [التوبة :١٩ـ ٢١] .

وبين أنهم من الصداد عن المسجد الحرام ، وليسوا من العمار ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله﴾ [البقرة :٢١٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ﴾ [الفتح : ٢٥] .

وبين أنهم ليسوا أولياءه في الحقيقة ، ولايستحقون ولاية الله بذلك ، بل هم مستوجبون للعذاب ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ [الأنفال : ٣٤] .

فالمقصود أن مجرد الاعتماد على صدانة البيت ، والافتخار بذلك ، مع ترك شرع رب البيت لاينفع صاحبه ، كما هي الحال في ولاية البيت قبل الولاية السعودية ، فقد كان من قبلهم من الأشراف ومن سلاطين آل عثمان يفتخرون بولاية البيت ويتعاظمون به على الناس ، وهم تاركون شرعه، معرضون عنه ، فالشرك في البلد الحرام معلن به تتبناه الدولة ، والبدع

والخرافات قائمة ومنتشرة ، حتى قضي عليها في العهد السعودي .

ومثل ذلك : ادعاء الرئاسة والشرف على الناس ، والافتخار عليهم بسبب الرئاسة على المشاهد والقبور ونحوها[1] .

والله ـ تعالى ـ أعلم .

---

(١) انظر : شرح مسائل الجاهلية (١٣٨) .

السابعة والتسعون[1]

افتخارهم[2] بأنهم[3] من[4] ذرية الأنبياء ، فأتى[5] بقوله: ﴿تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم[6]﴾الآية [البقرة : ١٤٣] .

لقد كان أهل الجاهلية الأميون ـ وأعني بهم قريشا ـ والكتابيون ، يتعاظمون على الناس بكونهم من ذرية أنبياء الله، ويعتمدون على ذلك في ترك العمل بما أنزل الله ؛ ظنا منهم أن ذلك نافع لهم ، وأنهم بقرابة النسب حازوا مالم يحزه غيرهم .

ولاريب أن هذا من الأماني الكاذبة ، والادعاءات الباطلة ، فإن صلاح الآباء لاينفع الأبناء إذا لم يستتبعه صلاحهم .

وقد بين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن الله أبطل دعواهم هذه بقوله: ﴿ تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا

(١) في الأصل المائة ، وفي (أ) الثانية والتسعون .
(٢) في بقية النسخ « الافتخار » .
(٣) في بقية النسخ « بكونهم » .
(٤) « من » ساقطة من (جـ) و (د) .
(٥) في (ب) « فأتاهم » .
(٦) ﴿ لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ﴾ ساقط من الأصل ، و (ب) و(د) ، وسقط من (أ) ﴿ ولكم ماكسبتم ﴾ ، وهو موجود في (جـ) ، وقد أضفتها كي يتضح بها الاستدلال .

يعملون ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن الله ـ تعالى ـ بين أن هؤلاء الأنبياء الذين يفتخر بهم اليهود والنصارى ، ويزعمون أن لهم النجاة بهم،قد مضوا إلى ربهم ، لاينفعهم عند الله إلاماقدموا من صالح أعمالهم ، ولاينفع هؤلاء المفتخرين إلاصالح أعمالهم ، ولايضرهم إلاسيئها ، فينبغي لهم ترك الاتكال على الآباء والأجداد ، فإن لكل ماكسب ، وعليه مااكتسب[1].

ومما يدل على اعتمادهم على مجرد الأنساب ، مع ترك العمل : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [المائدة :١٨] .

وقد كذبهم الله ـ تعالى ـ في تمام الآية بقوله : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ .

وكانت قريش تفتخر على الناس بكونهم من ذرية إبراهيم ﷺ، ويتعاظمون عليهم بذلك ، فكانوا يقولون : « نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمة ، وولاة البيت ، وقطان مكة وسكانها »[2].

وقد أبطل الإسلام هذه الخصلة ، وأبان أنه لاينفع الإنسان إلاماقدم من عمل صالح ، كما في الآية التي ذكرها المؤلف ، وكما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ﴾ [النجم : ٣٩] وغيرها من الآيات التي

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٥٧٦) .
(٢) المنمق في أخبار قريش (١٢٧) .

تجعل مناط الثواب والعقاب عمل العامل نفسه ، وليس غيره .

وأبان ـ جل وعلا ـ انقطاع وشائج الصلات في اليوم الآخر ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون ﴾ [المؤمنون :١٠١] .

كما أبان ـ تعالى ـ أن عهده لاينال الظالمين ولو كان من ذرية إبراهيم ﷺ ، فقال : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة : ١٢٤] .

كما أن في قصة نوح ﷺ وابنه قطعا لهذه التعلقات الواهية ، فقد قال نوح ﷺ : ﴿ رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ [هود : ٤٥] ، فجاءت الإجابة من الله ـ تعالى ـ: ﴿ يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلاتسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [هود : ٤٦] .

كما أن إبراهيم ﷺ لم ينفع أباه صلاحُه ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ [التوبة :١١٤] .

كما أن نوحا ولوطا لم ينفعا زوجيهما ، بل قال الله ـ تعالى ـ لهما : ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم : ١٠] .

وهذا المصطفى ﷺ حرص أشد الحرص على هداية عمه أبي طالب ، لكن لما لم يستجب لم ينتفع بقرابته منه ، وكان من أصحاب الجحيم .

وقد أوضح النبي ﷺ أن قرابته لاتغني من الله شيئا ، وأن على الإنسان أن يجتهد في عبادة ربه ، ولايتكل على الأنساب ، فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قام حين أنزل عليه قوله - تعالى - : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الحجر:٢١٤] فقال : « يامعشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لاأغني عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبدالمطلب ، لاأغني عنك من الله شيئا، وياصفية عمةرسول الله[١]، لاأغني عنك من الله شيئا ، ويافاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ماشئت ، لاأغني عنك من الله شيئا »[٢].

فهذا الحديث يقطع على المعتمدين على الأنساب والأحساب في النجاة يوم القيامة اعتمادهم ، فقد أمر ﷺ أقاربه باشتراء أنفسهم ، وذلك بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له وحده لاشريك له ، وطاعته فيما أمر به ، والانتهاء عما زجر عنه[٣].

فكون الإنسان من ذرية الأنبياء ، أو من قرابتهم لاينفعه ذلك شيئا،

(١) هي صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ، القرشية ، عمة رسول الله ﷺ ، وأم الزبير بن العوام ، روى عنها ابنها الزبير ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .
انظر : طبقات ابن سعد (٨/ ٤١ - ٤٢) ، الثقات لابن حبان (٣/ ١٩٧) ، تاريخ الصحابة له (١٣٩)
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوصايا - باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب - (٣/ ١٩٠ - ١٩١) ،وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ - (١/ ١٩٢- ١٩٣)ح ٢٠٦.
(٣) انظر : فتح المجيد (١٤٧) .

مادام مقيما على ترك طاعتهم ، ومصرا على إظهار مخالفتهم .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، وخاصة عند المتصوفة والرافضة ، فلا تكاد تجد طريقة من الطرق الصوفية ، أوشيخا من مشايخها إلا وذلك الزعم موجود لديهم ، فهم يدعون دائما أنهم من نسل فاطمة بنت النبي ﷺ[1]، فالرفاعية[2]، والشاذلية[3]والبكتاشية[4]، والأحمدية[5]

(١) انظر : دراسات في التصوف (٢١٥) ، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (٣٥٨ ، ٣٥٩) ، مجلة التوحيد المصرية ، عدد (٧) من عام ١٣٩٩هـ (ص ٨) .

(٢) انظر : الصحيفة النادرة لأحمد الرفاعي (٥) ، دراسات في التصوف (٢١٥) ، الرفاعية (٣٣ ـ ٣٩) الكشف عن حقيقة الصوفية (٣٥٦) .

(٣) انظر : أبوالحسن الشاذلي ، عصره وتاريخه وعلومه د . علي سالم عمار (١ / ٣٠) ،الطرق الصوفية في مصر (١٢٤) ، الكشف عن حقيقة الصوفية (٣٥٨ ـ ٣٥٩) .

(٤) البكتاشية : طريقة صوفية تنسب إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري، المولود سنة ٦٤٦ ، لهم بدع كثيرة منها : ادعاء أن شيخهم يعلم الغيب ، ومنها الغلو في الأنبياء والصالحين ، وتشريع مالم يأذن به الله .
انظر : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبدالخالق (٤٠٩ ـ ٤٢٢)، الصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين (٥٥١ـ ٥٥٢) ، ابن سبعين لسميح الزين (٩٥) ، دائرة المعارف الإسلامية (٤/٣٧ ـ ٤٠) .
وانظر في ادعائهم الانتساب للنبي ﷺ : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (٤٠٩).

(٥) الأحمدية :وتسمى البدوية ، إحدى الطرق الصوفية التي لاتزال موجودة إلى الآن ، وهي تنسب إلى أحمد البدوي ، وهو صوفي خبيث ، تارك للجمع والجماعات ، وقد افتتن به خلق كثير ، ولايزال معبودا في كثير من بلاد المسلمين ، وله مشهد في بلاد مصر .
وقد ولد سنة ٥٩٦ ، وتوفي سنة ٦٧٥هـ .
انظر : الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٥٨ ـ ١٦٣) جامع كرامات الأولياء (١/٥١٢ـ ٥١٧) ، الطرق الصوفية في مصر د . عامر النجار (١٠٢ ـ ١٢٣) .
وانظر في ادعاء كونه من ولد فاطمة بنت النبي ﷺ : المراجع السابقة ، والكشف عن =

والدسوقية[1]، والتجانية[2]، والختمية[3] ، والسنوسية[4]، وغيرها من الطرقكما أن هناك طوائف أخرى تزعم ذلك الزعم ، كالبابية[5] .

(١) حقيقة الصوفية (٣٥٩) ، السيد أحمد البدوي د . عبد الحليم محمود (٤٣) الدسوقية : طريقة صوفية ، ترجع في أصولها إلى الطريقة الشاذلية ، وهي تنسب إلى إبراهيم بن أبي المجد عبدالعزيز الدسوقي ، من أهالي دسوق محلة بمصر ، ولد سنة ٦٣٣هـ ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ ، لهم بدع كثيرة منها : زعمهم أن الإنس والجن دانوا لشيخهم ، وزعمهم ـ كغيرهم من المتصوفة ـ أن شيخهم يعلم الغيب ، والغلو في الصالحين .

انظر : الدر المنثور لمحمد أحمد شحاتة (٧ـ ٩) ، لواقح الأنوار للشعراني (٢٢١/١ ـ ٢٤٥) ، الخطط الجديدة التوفيقية لعلي باشا مبارك (٧/١١) ، الطرق الصوفية في مصر (١٥٥ ـ ١٧١) ، دائرة المعارف الإسلامية (٢٣٧/٩ ـ ٢٣٨) .

وانظر في ادعائهم الانتساب إلى النبي ﷺ : المراجع السابقة .

(٢) انظر : جواهر المعاني (٣٠/١ ـ ٣١) .

(٣) الختمية : طريقة صوفية متأخرة ، سميت بذلك نسبة إلى مؤسسها الختم محمد عثمان الميرغني المولود سنة ١٢٠٨هـ ، والهالك سنة ١٢٦٨ هـ .

لهم بدع كثيرة منها القول بوحدة الوجود ، والفناء في ذات الرسول ﷺ ، والاستمداد منه .

انظر : طائفة الختمية د . أحمد جلي .

وانظر في ادعاء الانتساب إلى النبي ﷺ : المرجع السابق (١٣) ، مجموعة النفحات الربانية المشتملة على سبع رسائل ميرغنية (ص ٣٩) ، مناقب شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة لمحمد سر الختم الميرغني (٥٦ ـ ٥٨) ، الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية لأحمد بن أحمد بن إدريس الرباطي (١١٧ ـ ١٢٢) .

(٤) السنوسية : طريقة صوفية تنسب إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي المولود سنة ١٢٠٢هـ ، والمتوفى سنة ١٢٧٢هـ ، وهي من أعدل الطرق الصوفية ، مع أن لهم طامات كبرى ، كدعوى الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة، والغلو في الصالحين.

انظر : حاضر العالم الإسلامي لوثورب ستورداد (٣٩٨/٢ ـ ٤٠٧) و (٣٩٦/٤ ـ ٤٠٨) ، تيارات الفكر الإسلامي د . محمد عمارة (٢٦١ ـ ٢٧٠) ، نماذج من حركات الجهاد الإسلامية الحديثة لصفوت منصور (٥٧ ـ ٦٤) ، الصوفية في نظر الإسلام (٥٦٢ ـ ٥٦٣) ، ابن سبعين (١١٢) .

(٥) انظر : أضواء على البابية والبهائية والقاديانية (١١) ، حقيقة البابية والبهائية (٥٧).

وما أجمل ماقاله أحدهم : « وإذا أحببت أن تعلم كثرة ذلك ، فابحث عنه في نسب كل زنديق وملحد »[١] .

ومن ذلك : الافتخار على الناس بالانتساب إلى الصالحين من غير متابعة لهم في صلاحهم ، وإنما الاعتماد عليهم في الانتساب إليهم[٢] .

(١) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة لسليمان الخراشي (٢٣٥) .
(٢) انظر : شرح مسائل الجاهلية (١٣٩ ـ ١٤٠)

الثامنة والتسعون(١)

الافتخار(٢) بالصنائع ، كفعل أهل(٣) الرحلتين على(٤) أهل الحرث .

يعني الإمام - رحمه الله تعالى - أن من خصال أهل الجاهلية ، التعاظم بالمهن والأعمال والحرف على من ليس مثلهم في حرفهم ، واحتقار أهلها ، ورؤيتهم دونهم في المنزلة .

ومثل لذلك بافتخار قريش ، وهم أهل الرحلتين : رحلة الشتاء والصيف ، التي جاء الامتنان بها عليهم في القرآن الكريم ، كما قال - تعالى - : ﴿ لإيلاف قريش ○ ائلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ [قريش : ١ - ٢] على أهل الزراعة والحرث ؛ لأن العرب كانوا يكرهون الزراعة ، ويرونها ذلا(٥).

والافتخار بالصنائع قديم ، وكان سببا في منع أقوام من قبول الحق ،

---

(١) في الأصل : الحادية بعد المائة ، وفي (أ) : الثالثة والتسعون ، وهي ساقطة من (ب) .

(٢) في (أ) : « افتخارهم » .

(٣) « أهل » ساقطة من (أ) و (د) .

(٤) في (أ) : « أعني » .

(٥) انظر : الهجاء والهجاؤون د . محمد محمد حسين (٨٥) ، الشعر الجاهلي د . يحيى الجبوري (٧٨ - ٧٩) ، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي د . زهدي صبري الخواجا (١٨٦) ، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام لمحمد الحمد (٢٩ - ٣١) .

كما في قصة نوح ﷺ حين قال له قومه : ﴿ مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ [هود : ٢٨] ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء :١١١] .

والأرذلون : الحاكة ونحوهم ـ كما سبق بيانه ـ .

وقال ـ تعالى ـ مبينا افتخار قارون بالتجارة ، وجمع الأموال ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين ○ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين ○ قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون ○ فخرج على قومه في زينته ﴾ [القصص : ٧٦ ـ ٧٨] .

كما أن صاحب الجنتين افتخر على صاحبه المؤمن بزراعته وأمواله ، وظنها دليل رضى الله عنه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ○ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ○ وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ [الكهف : ٣٢ ـ ٣٤] .

وكان اليهود يفتخرون على الأميين بالعلم وصناعته ، حتى استحلوا أموالهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده

إليك ومنه من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلامادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

وقد كان العرب في جاهليتهم يحتقرون بعض المهن كالزراعة ، والصياغة ، كما قال الأعشى وهو يعير إيادًا[١] بكونهم أهل زرع :

لسنا كمن جعلتْ إيادٌ دارها تكريتَ تنتظر حَبَّها أن يُحصَدا

قومًا يعالِجُ قُمَّلاً أبناؤهم وسلاسلا أُجُدا وبابا مُوصَدا[٢]

كما أنه ينفي عن نفسه في قصيدة أخرى أن يكون من أهل الزراعة ، فيقول :

ذريني لك الويلات آتي الفوانيا

متى كنت زراعا أسوق السوانيا[٣]

ويعير عمرو بنُ كلثوم النعمانَ بنَ المنذر[٤] بأمه التي كانت من أسرة

---

(١) إياد : بطن من بطون مزيقيا ، من الأزد القحطانية ، وهم بنو إياد بن سود بن الحجر بن عمران بن مزيقيا .
انظر : نهاية الأرب للقلقشندي (٩٥ ـ ٩٦) .
كما يطلق « إياد » ويراد به حي من أحياء معد بن عدنان ، وهم بنو إياد بن نزار .
انظر : نهاية الأرب (٩٦) .
ولم أستبن أيهم عنى الأعشى .

(٢) ديوان الأعشى (٥٤) ، وانظر : الهجاء والهجاؤون في الجاهلية (٨٥) ، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي (١٨٨) .

(٣) ديوان الأعشى (١٩٨) ، وانظر : الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي (١٨٨) .

(٤) هو النعمان بن عمرو بن المنذر الغساني ، أبوقابوس ، أحد ملوك الغساسنة ، غضب عليه كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، فقتله .
انظر : تاريخ ابن جرير (٣١٦/١) ، تاريخ سني ملوك الأرض لحمزة الأصبهاني =

تمتهن الصياغة ، فيقول :

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زلفة والأمنا خالا وأعجزنا أبا
وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله
يصوغ القروط والشنوف بيثربا(١)

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين ، أما الأميون فتبين ذلك مما ذكره المؤلف ، وأما الكتابيون فبافتخار اليهود ، ولأن عمرو بن كلثوم نصراني .

وقد نهى الإسلام عن التفاخر ولو كان بحق ، وزجر عن ذلك كما مضى في مسألة سابقة.

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، وقد ذكرنا بعض صور وجودها في مسألة سابقة .

لكن بقي أن نذكر هنا أن احتقار بعض المهن ، لايزال - أيضا - موجودا ، وقد لمست أعمالا يحتقر أهلها ، ومنها : الجزارة ، والطهي ، والحدادة ، والنجارة ، وبيع المستعمل من الأثاث ، بل إن هناك من يحتقر

---

(٧٩) .
(١) ديوان عمرو بن كلثوم (٢٥) ، وذكره أبو الفرج في الأغاني (١١/ ٥٣) ، والنويري في نهاية الأرب (١/ ٨٢) .
والقروط : جمع قرط ، وهو الشنف ، وقيل : الشنف في أعلى الأذن ، والقرط في أسفلها ، وقيل : القرط الذي يعلق في شحمة الأذن .
انظر مادة « قرط » لسان العرب (٧/ ٣٧٤) .
والشنوف : جمع شَنف - بفتح الشين - الذي يلبس في أعلى الأذن .
انظر مادة « شنف » : لسان العرب (٩/ ١٨٣) .

امتهان الأذان ؛ اعتقادا منهم أنه لايؤذن إلا الوضيعون من الناس ، ولاشك أن هذا خطر عظيم ، ينبغي العدول عنه ، والتوبة إلى الله منه .

التاسعة والتسعون[1]

عظمة[2] الدنيا في قلوبهم ، كقولهم[3] : ﴿ لولا نزل[4] هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[5] ﴾ [الزخرف : ٣١]

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه المسألة أن من خصال أهل الجاهلية مراعاة الدنيا ، وحبها ، وتمكنها من قلوبهم ، بحيث إنه صارت لها المنزلة الكبرى عندهم ، فهم يحبون لأجلها ، ويبغضون لأجلها ، ويوالون فيها ، ويعادون فيها .

بل إنهم من شدة محبتهم لها ، تركوا انقياد الحق من أجلها ، واتباعا لها.

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ على ذلك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ .

ووجه الاستدلال من ذلك ، أنه لما نزل القرآن على محمد بن عبد الله ﷺ استنكروا ذلك ، لكونه ليس من العظماء في نظرهم ، فليس هو ذا

---

(١) في الأصل الثانية بعد المائة ، وفي (أ) الرابعة والتسعون
(٢) في (أ) « عظم » .
(٣) في (أ) « لقوله » .
(٤) في (أ) و (ب) و (جـ) « أنزل » وهو خطأ .
(٥) ﴿ على رجل من القريتين عظيم ﴾ ساقط من (أ) .

مال ، ولذلك تعجبوا من كونه لم ينزل على أهل الأموال ، وهم أحد العظيمين من القريتين .

فهم قاسوا ذلك بمقياس الدنيا ، فمن كان عظيما في دنياه ، فهو المستحق لكذا وكذا ، ومن لم يكن كذلك فلا .

ومما يدل على هذه المسألة ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ حكاية عن قوم نوح ﷺ أنهم قالوا : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء:١١١] ، وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عنهم أيضا : ﴿ مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ [هود : ٢٢٤] .

وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

فهذه استعظامات منهم لما امتن الله ـ تعالى ـ على من ليس أهلا لذلك في نظرهم ، لكونهم ليسوا من أهل الدنيا .

ومن الأدلة على ذلك ، ماأخبر الله ـ تعالى ـ به عنهم من أن الحياة الدنيا غرتهم ، كما قال : ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ [الأنعام : ٧٠]

ومن الأدلة ـ أيضا ـ : تركهم الانقياد للحق حرصا على دنياهم ، ومحبة فيها ، وكراهيتهم التفريط فيها ، كما صنع هرقل عظيم الروم حين ضن بملكه لما رأى مارأى من تغير الروم عليه لما دعاهم للإسلام ، فإنه تـــــرك اتبــــاع الحـــــق حـــــرصـــــا علـــــى

ملكه[1] .

ومن ذلك : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء الله يدل على رضاه عنهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾ [سبأ : ٣٤] ، وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن ذي الجنتين أنه قال لصاحبه : ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ [الكهف : ٣٤] ،ومن ذلك أنهم يتفاخرون بها ، ويجعلونها المقياس بينهم .

ومظاهر محبة الأميين والكتابيين للدنيا ، وعظم شأنها في قلوبهم كثيرة جدا ، لاتحتاج إلى دليل .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإنه ﷺ حقر شأن الدنيا ، وبين منزلتها وهوانها على الله ـ تعالى ـ ، فليست مما يعبأ به،قال ـ تعالى ـ مبينا حقارتها : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس : ٢٤] ،وقال ـ تعالى ـ : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ [الكهف : ٤٥] ،وقال ـ تعالى ـ : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو

---

(١) انظر قصته في صحيح البخاري ـ باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ (١/ ٤ ـ ٧) .

وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [الحديد : ٢٠].

وحذر - تعالى - من الاغترار بزهرتها ، فقال : ﴿ ياأيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ [فاطر: ٥] .

وقال - تعالى - : ﴿ ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] .

وقال ﷺ : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء»

فالدنيا حقيرة مذمومة ، لاينبغي أن تكون ذا بال لدى العقلاء .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فإن الاغترار بالدنيا ، والطمأنينة لها، والركون إليها كثير في هذا العصر ، وذلك أن كثيرا من الناس قد غدت الدنيا مقياسا عندهم ، يحبون فيها ويبغضون فيها ، ويعادون فيها ويوالون فيها .

وهذه هي علة العالم الإسلامي اليوم ، فعلته الرضا بالحياة الدنيا ، والاطمئنان إليها ، حيث لايهمه غير مسائل الطعام واللباس والنكاح ، أما أن يعايش شجون العالم الإسلامي وهموم ، فلا[1]

---

(١) انظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي (٣٨٤) ، موقف الإسلام من الدنيا د . أحمد إبراهيم (٣٨ - ٣٩) .

كما أن كثيرا منهم قد شغلته دنياه ومحبته لها عما يجب عليه من أمور الآخرة، فتجده يقدم أمور دنياه على أمور آخرته ، بل قد لايحسب لآخرته حسابا ، وهذا لاريب أنه ضلال عظيم ، وخطر جسيم .

ومن مظاهر ذلك ـ أعني مظاهر هذه الخصلة ـ : اهتمام كثير من الناس بجمع الأموال دون النظر من أي طريق أتته ، أحرام أم حلال ، بل المهم عنده جمع هذا الحطام .

ومن مظاهر ذلك ـ أيضا ـ : بيع الدين بالدنيا .

ومن مظاهر ذلك ـ أيضا ـ : التواني عن الجهاد ، والتكاسل في سبيله ، محبة في الدنيا ، وكرها للموت .

فهذه بعض مظاهر هذه الخصلة ، والله المستعان .

المائة[1]

التحكم على الله ، كما في الآية .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الخصلة ، أن أهل الجاهلية كانوا يتحكمون على الله ، بمعنى أنهم يقترحون عليه ، فإن الاقتراح والتحكم بمعنى واحد[2]، وهو اقتراح مبني على الاعتراض عليه ، إذ كانوا يعترضون عليه فيما شرعه وقدره ، فيقولون : لو أنه فعل كذا وكذا لكان أحسن وأفضل ، ويوجبون على الله ، ويختارون عليه ، فيزعمون أنه يجب عليه فعل كذا وكذا ، ويريدون منه أن يتبع أهواءهم .

وقد استدل ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف :٣١] .

ووجه الاستدلال من هذه الآية ، أن أهل الجاهلية لما أنزل الله ـ تعالى ذكره ـ القرآن على نبيه محمد ﷺ ، اعترضوا عليه ؛ لأنه ليس من العظماء في نظرهم ، إذ لم يكن ذا يسار ، واقترحوا على الله أن يكون هذا الإنزال على من يرونه عظيما من أهل القريتين ، وهذا هو التحكم .

---

(١) في الأصل : الثالثة بعد المائة ، وفي (أ) : الخامسة والتسعون ، وفي (ب) : التاسعة والتسعون .

(٢) انظر : لسان العرب ، « قرح » (٢/٥٥٨) .

ومما يدل على هذه الخصلة آيات كثيرة : كقوله ـ تعالى ـ إخبارا عن مشركي مكة : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ [الأنعام : ٨] .

فهم اقترحوا أن ينزل الله ـ تعالى ـ ملكا من السماء يكون رسولا بينهم وبينه.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله﴾[الأنعام :١٢٤] .

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم ـ أيضا ـ : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ○ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ○ أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أوتأتي بالله والملائكة قبيلا ○ أويكون لك بيت من زخرف أوترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلابشرا رسولا ﴾ [الإسراء : ٨٩ ـ ٩٣] .

فقد أبوا الإيمان بمحمد ﷺ حتى يستجيب لمطالبهم التي عرضوها عليها ، وذلك بمشاهدة تلك الآيات التي ذكروها .

كما اقترحوا أن يروا ربهم في الدنيا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا ﴾ [الفرقان : ٢١] .

وطالبوا بإنزال القرآن جملة واحدة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

ومن ذلك : تحكم أهل الكتاب حين سألوا موسى رؤية الله ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ﴾[النساء :١٥٣] .

وهذه الآية فيها تحكم على الله ـ تعالى ـ في زمن موسى ، وفي زمن محمد فالتي زمن موسى سؤالهم رؤية الله جهرة ، والتي زمن محمد ﷺ سؤالهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء .

كما أنهم اعترضوا على الله ـ تعالى ـ لما جعل طالوت ملكا عليهم، واقترحوا أن يكون الملك من ذوي الأموال ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

والأدلة كثيرة جدا ، وماذكرته جزء منها .

وهذه المسألة كما تبين من الأدلة من مسائل الأميين والكتابيين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فالتسليم لله ـ تعالى ـ واجب في دينه ، فلايجوز الاعتراض عليه في شيء أبدا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب :٣٦] ، فليس لأحد أن يختار على الله ، ولاعلى رسوله ﷺ ، بل التسليم لهما شرط الإيمان ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجامماقضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء :٦٥].

كما أنه ـ تعالى ـ أثنى على الذين قالوا : ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وبين ـ جل وعلا ـ أن في اتباع أهوائهم فساد السماوات والأرض ، فقال : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾[المؤمنون: ٧١].

فدين الرسل أن ليس مع الحق اختيار،وليس لأحد أن يتحكم عليه.

والتحكم على الله ـ تعالى ـ لايزال موجودا ، وقد سبق ذكر بعض الأمثلة على ذلك في شرح مسألة القدح في حكمة الله؛ لأنه يلزم من قدح في حكمة الله فيما شرعه أن يتبع ماتهواه نفسه ، ويريده هو ، وهذا هو التحكم على الله .

ومن التحكم عليه : مايزعمه المعتزلة من الإيجاب على الله ـ تعالى ـ ، فقد أوجبوا عليه أمورا كثيرة ، منهااللطف[1]، وفعل الصلاح[2]

---

(١) اللطف عند المعتزلة هو : « كل مايختار عنده المرء الواجب ، ويتجنب القبيح ، أو ما يكون عنده أقرب إما إلى اختيار الواجب ، أوترك القبيح » .
شرح الأصول الخمسة (٥١٩) .
وانظر في مسألة إيجابهم اللطف على الله : شرح الأصول الخمسة (٥٢٠ ـ ٥٢١) ، تنزيه الله عما أوجب عليه المعتزلة ، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى للطالب أحمد بناني (١٥٧) .

(٢) الصلاح : ضد الفساد ، وهو الفعل المتوجه إلى الخير من قيام العالم ، وبقاء النوع في العاجلة ، والسعادة السرمدية في الآخرة .
انظر : نهاية الإقدام للشهرستاني (٤٠٦) ، نظرية التكليف د . عبدالكريم عثمان (٤٠٠) .

والأصلح[١]، ووجوب الثواب والعقاب[٢]، ووجوب العوض عن الآلام[٣] .

والله ـ تعالى ـ لايوجب عليه العباد شيئا ، وهؤلاء قد أوجبوا عليه ماذكرت ، فهم تحكموا على الله ـ تعالى ـ في هذه الأمور .

فهذه بعض صور التحكم على الله ، والله أعلم .

---

(١) الأصلح : هو الأقرب إلى الخير والصلاح المطلق من خيرين وصلاحين .
انظر : المرجعين السابقين .
وانظرفي إيجاب المعتزلة الصلاح والأصلح على الله : الملل والنحل (١/ ٤٥) ، الفرق بين الفرق (١١٥) ، لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول لأبي الحجاج المكلاتي (٣٢١) ، نظرية التكليف (٤٠٠) ، تنزيه الله عما أوجبه عليه المعتزلة (١٨٤ ـ ٢١٦) .

(٢) انظر : نهاية الإقدام (٤٠٥) ، الإرشاد للجويني (٢٨٧) ، نظرية التكليف (٤٠٢) ، تنزيه الله عما أوجب عليه المعتزلة (٢٤٧ ـ ٢٥٠) .

(٣) انظر : تنزيه الله عما أُوجب عليه المعتزلة (٢٢٣ ـ ٢٣٤) .

الحادية بعد المائة[1]

ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله[2] : ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾[3] [الأنعام : ٥٢] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية ، ازدراء الفقراء ، أي : احتقارهم ، وتسفيه أحلامهم ، وعدم اعتبارهم .

وهي خصلة فيهم من قديم الزمن ، كما في قصة نوح ﷺ حين قال له قومه : ﴿مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ [هود : ٢٨] ، فكان مما أجاب به : ﴿ولاأقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ [هود :٣١]

وكما في قصة فرعون حين قال : ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ [المؤمنون : ٤٧] .

وهو ـ أيضا ـ شأن قريش مع النبي ﷺ ، كما في الآية التي استدل بها المؤلف ، فإنها نزلت فيهم حين طلبوا من النبي ﷺ أن يطرد من حوله من الفقراء المسلمين ، حتى يكون أرجى لإسلامهم ، كما سبق بيانه.

---

(١) في الأصل : الرابعة بعد المائة ، وفي (أ) السادسة والتسعون بعد المائة .
(٢) في بقية النسخ « فأتاهم بقوله » .
(٣) في (أ) و (ب) زيادة كلمة « الآية » .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ نهى نبيه ﷺ أن يطرد من حوله من الفقراء المسلمين ، استجابة لطلب أولئك ، وهذا يعني مخالفتهم في ذلك .

ومن أدلة وجود هذه الخصلة عند أهل الكتاب : قوله ﷺ لعدي بن حاتم : « مايمنعك من الإسلام إلا ماترى من خصاصة من حولي ».

فهذه الخصلة من خصال الجاهليتين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ،كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ﴾ [الحجرات : ١١] .

ونهى ﷺ عن احتقار الناس ، فقال : « بحسب امريء من الشر أن يحقر المسلم »[١].

وقال ﷺ : « لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، فقال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق وغمط الناس » .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فاحتقار الفقراء وازدراؤهم في الناس كثير ، بل إن اقوال ذوي الجاه والمنزلة وآراءهم ـ وإن كانت لاتزن شيئا بمقياس العقل الصحيح ـ لها المنزلة الكبرى عند كثير من الناس،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ـ (١٩٨٦/٤) ح٢٥٦٤ .

بخلاف آراء الفقراء .

ومن ذلك : إظهار كثير من الناس السخرية بالفقراء ، وكذا زجرهم ، وانتهارهم ، بل ربما ضربهم والتعدي عليهم ، وهضم حقوقهم .

وقد ذكر الأديب الكبير المنفلوطي ـ رحمه الله تعالى ـ رسالة أرسلها إليه أحد المتكبرين ، المزدرين للفقراء ـ وهي تصور حال كثير من الناس ـ يقول فيها : « لي في البلدة التي أسكنها كرامة الحاكم ؛ لأني أشغل وظيفة عالية فيها ، وقد بدا لي أن أختلف إلى المسجد لصلاة الجمعة ، فاختلفت حتى فاجأني يوما من الأيام مالم يكن في الحسبان .

حدث أن صعلوكا كان يعرفني ، ويعرف مقامي ، تمادى في وقاحته وسوء أدبه ، حتى وقف بجانبي في الصلاة ، فاشمأزت نفسي من هذا الأمر اشمئزازا عظيما ، وحاولت أحتمله ، فلم أستطع ، فخفت إن أنا طردته أن يؤاخذني الناس به ، فهل تعرف مسوغا شرعيا يفرق بين درجات الناس في مواقف الصلوات » .

وما أحسن ماأجاب به هذا الأديب الكبيرُ ذلك المتغطرسَ حين قال فيما قال : « إن الذي وقفت بين يديه في مصلاك أعظم شأنا وأجل خطرا من أن يحفل بثوبك اللامع ، وجبينك الساطع ، وردائك المطرز ، وقميصك المحبر ، وأن يعرف لك من الفضل والشرف أكثر مما تعرف لصاحبك . . . أيها العظماء ماهذه القصور التي تسكنونها ، ولاهذه الدور التي تعمرونها ، وهذه الأردية التي تجرون أذيالها ، إلا ألوانا وأصبغا لاعلاقة بينها وبين

حقائق نفوسكم ، ولاصلة لها بجواهر أفئدتكم وقلوبكم ، وما هو إلا أن تطلع عليها شمس الحقيقة حتى تذهب بها ذهابها بألوان السحاب وأضباغ الثياب ، فإذا أنتم عراة مجردون ، لاتشفع لكم إلا فضائلكم ، ولاتنفعكم إلا مواهبكم ومزاياكم »[١]

ومن ذلك : ماسبق من ترك الدخول في الحق إذا سبق إليه الضعفاء ، ونحو ذلك .

فهذه الخصلة لايزال لها في هذا العصر وجود ، والله المستعان .

---

(١) النظرات (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٧) .

الثانية بعد المائة[1]

رميهم أتباع الرسل بعدم الإخلاص[2] ، فأتاهم[3] بقوله : ﴿ ماعليك من حسابهم من شيء ﴾ [الأنعام [٥٢] وأمثالها .

يبين المؤلف ـ رحمه الله ـ أن من خصال أهل الجاهلية التي يريدون بها أن يصدوا الناس عن دين الله : دعواهم أن الذين اتبعوا الرسل إنما اتبعوهم ، لتحصيل أغراضهم الدنيوية ، فهم لم يتبعوهم عن رضا وقناعة بما جاؤا به ، وإنما لكون ذلك يحقق لهم شيئا من مآربهم الدنيوية ، كالمال ، والجاه ، وتحصيل الرئاسة والملك ، ونحو ذلك، فهم ليسوا مخلصين في ذلك .

وقد بين المؤلف أن الله ـ تعالى ـ قد رد عليهم بقوله : ﴿ ماعليك من حسابهم من شيء ﴾ .

ووجه الاستدلال من هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ نفى أن يكون لنبيه شيء من حسابهم على مافي باطنهم ، إن كان باطنهم غير مرضي ، وذلك لما زعم المشركون أن أتباع محمد ﷺ إنما اتبعوه لأجل أمور الدنيا كالأكل

(١) في الأصل الخامسة بعد المائة ، وفي (أ) السابعة والتسعون .
(٢) في بقية النسخ زيادة « وطلب الدنيا » بعد كلمة « الإخلاص » .
(٣) في بقية النسخ « فأجابهم » .

والشرب ونحوهما[1]، فهذا رد من الله ـ تعالى ـ عليهم في ذلك ، فكأنه يقول : ليس لكم إلا الظاهر ، وأما الباطن فلا علم لكم به ، وإنما أمره إلى الله .

ومما يدل على وجود هذه الخصلة في أهل الجاهلية : قوله ـ تعالى ـ مخبرا عن قوم نوح أنهم قالوا : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ [الشعراء:١١١] ، فكأنهم يشيرون بهذا إلى أن أتباعه هم هؤلاء الذين هذه صفتهم ، وأنه ماتبعوه إلالأجل حظ الدنيا .

وقد أجابهم نبي الله ﷺ بقوله : ﴿ وما علمي بما كانوا يعملون ○ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ [الشعراء : ١١٢ ـ ١١٣] .

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ : ما سبق أن أورده المؤلف من مسائل حول رميهم أهل الحق بإرادة الفساد في الأرض والعلو فيها وما تبع ذلك من مسائل .

وقد ذكرت هناك أنه وقع في تلك المسائل أهل الجاهلية الأميون والكتابيون، وهذا يعني أن هذه الخصلة وقع فيها كلتا الطائفتين ؛لأن تلك المسائل داخلة في هذه المسالة .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فكثير من المناوئين لدعوة الحق ، دعوة رسول الله ﷺ يتهمون المنتمين إليه بكونهم أرادوا بذلك

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود (٢/ ٢١٦) ، الفتوحات الإلهية (٢/ ٣٤) ، حاشية الصاوي على الجلالين (٢/ ١٧) .

تحصيل غرض من أغراض الدنيا ، كالملك، والعلو في الأرض ، والشهرة، وتحصيل الجاهة والسمعة الحسنة ، ونحو ذلك ، وقد ذكرت بعض الأمثلة على ذلك في مسائل سبقت.

ومن صور ذلك : اتهام بعض الناس ـ هداهم الله للصواب ـ رجال الحسبة المجتهدين في كشف الجريمة ومحاربتها والقضاء عليها بكونهم ماأرادوا بذلك إلاالشهرة والرياء والسمعة .

ومن صور ذلك : اتهام بعض الناس الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ بمحبة الشهرة ، وأن تسلط عليهم الأضواء ونحو ذلك .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ : اتهام العلماء بمداهنة الأمراء والسلاطين ، لأجل الحصول على غرض من الدنيا ، كالمنصب والمال والجاه .

ومن صور ذلك : مايطلقه بعض الناس على من رأى متمسكا ببعض السنن التي غفل الناس عنها ، أوتساهلوا فيها ، بإرادة الشهرة ، وغير ذلك.

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ مايزعمه كثير من الملاحدة من كون هدف الجهاد الإسلامي هدفا اقتصاديا ، وأن المقصود منه الحصول على لقمة العيش ، أوالاستيلاء على أرض جديدة للتوسع ، ونحو ذلك[١] .

---

(١) انظر : الإسلام في قفص الاتهام (٢٠٠ ـ ٢٠١) ، افتراء ات المستشرقين على الإسلام (٧٠) .

الثالثة بعد المائة[1]

الكفر بالملائكة .

الإيمان بالملائكة هو الركن الثالث من أركان الإيمان التي لايتم إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها .

وهو ينتظم أمورا ثلاثة لابد من استكمالها جميعها ، وهي :

التصديق بوجودهم،وإنزالهم منازلهم ،والاعتراف بأن منهم رسلالله[2]، بيد أن أهل الجاهلية أميهم وكتابيهم ، لم يستكملوا هذه الأمور ، فإن منهم من كذب بوجودهم ، كالدهريين الذين ينكرون الخالق ـ جل وعلا ـ وفرعون الذي جحد وجوده ، لأن من أنكر الخالق ، فلاشك أن إنكاره لهم من باب أولى[3].

وأما ماذكر الله ـ تعالى ـ عن فرعون أنه قال : ﴿ أوجاء معه الملائكة مقترنين ﴾[الزخرف : ٥٣] ، فإنه قاله حكاية للفظ موسى[4].

ومنهم من كان يؤمن بوجودهم كقريش وبعض مشركي العرب ، كما

---

(١) في الأصل السادسة بعد المائة ، وفي(أ) التاسعة والتسعون .
(٢) انظر : المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٣٠٢/١) ، شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٤٠٥ـ ٤٠٦)،الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي (٨) .
(٣) انظر : تفسير القرطبي (١٠١/١٦) ، الإيمان بالغيب لبسام سلامة (١٩٢) .
(٤) انظر : تفسير القرطبي (١٠١/١٦) .

حكى الله ـ تعالى ـ عنهم ذلك في كتابه المجيد بقوله : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ [الأنعام : ٨] ، وقوله : ﴿ وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا نزل علينا الملائكة أونرى ربنا ﴾ [الفرقان : ٢١] إلا أنهم كانوا ينكرون بعضهم ، كما قال أبوجهل لقريش حين أنزل الله ـ تعالى ـ في شأن جهنم : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ [المدثر : ٣٠] : « أسمع ابن أبي كبشة[(١)] يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهر ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم »[(٢)].

فهذه المقولة من أبي جهل تدل على أنه كان ينكر وجودهم ، ويكذب النبي ﷺ في ذلك ؛ لأنه لو كان مصدقا بذلك ، لصدق بما أخبر من قوتهم.

ومن أهل الجاهلية من لم ينزل الملائكة منازلهم التي تنبغي لهم ، وهم في هذا على طرفي نقيض ، فمنهم من غلا فيهم حتى عبدهم من دون الله[(٣)] ، ومنهم من جفاهم ، ووصفهم بما لايليق ، فمن النوع الأول ماأخبر الله ـ تعالى ـ به عن بعضهم أنهم عبدوهم ، فقال : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ○ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾[سبأ: ٤٠ـ ٤١]

---

(١) يعني بذلك النبي ﷺ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٩/ ٦٠) .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٢٣٣) ، بلوغ الأرب (٢/ ٢٣٢٢) ، أديان العرب قبل الإسلام (٣٥٤) .

ومن الثاني : زعم المشركين أن الملائكة إناث ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ [الزخرف : ١٩] ، وقال ـ جل وعلا ـ : ﴿ إن الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ [النجم : ٢١] .

ومنه : ماعند اليهود من العداء لجبريل ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ [البقرة:٩٨] .

قال ابن جرير : « أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا أن هذه الاية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل ولي لهم»[١].

وبين موقف اليهود من جبريل أحد اليهود الذين أسلموا ، وهو عبدالله بن سلام ، الصحابي الجليل ، فإنه لما سمع بمقدم النبي ﷺ إلى المدينة أتاه ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي : ماأول أشراط الساعة ؟ وماأول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ فقال ﷺ : « أخبرني بهذه جبريل آنفا » فقال : جبريل ؟ ذاك عدو اليهود من الملائكة[٢].

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٩/٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ ـ (٥/١٤٨ ـ ١٤٩) .

ومن ذلك : زعمهم ـ لعنهم الله ـ أن الملائكة يتمثلون بصورة الشياطين ، ويغوون بني آدم[1].

فهذه بعض صور الكفر بالملائكة عند أهل الجاهلية ، وأدلتها .

وقد خالف هدي الرسل هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فآمنوا بأن لله ـ تعالى ـ ملائكة مسخرين بأمره ، لايعصونه فيما أمر ، ويفعلون مايؤمرون ، وأنزلوهم منازلهم ، فلم ينتقصوهم حقهم ، ولم يرفعوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وفي حديث جبريل الطويل : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . . . »

وبين ـ جل وعلا ـ أن الكفر بالملائكة ضلال بعيد ، فقال : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [النساء١٣٦] .

ورد على ماكان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الاعتقادات الفاسدة ، وبين الحق في ذلك ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ بل عباد مكرمون

---

(١) انظر :أسفار العهد القديم ـ سفر الملوك ـ الإصحاح الثاني والعشرين ـ الفقرة (٢٠ ـ ٢٨) (ص٥٧٩) ، التوراة د . مصطفى محمود (٦٠ ـ ٦١) ، طباع بني إسرائيل وأثرها في سلوكهم في الوقت الحاضر ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى للطالبة هدى مرعي (١٤) ، عقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها ، رسالةماجستير بقسم العقيدة بالرياض للطالب محمد الدريويش (٢٨٧) .

لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ○ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ○ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ [الأنبياء :٢٦ ـ ٢٩] .

فهذه الآية رد على المشركين اعتقادهم أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .

ولما ادعت اليهود أن روح القدس جبريل ﷺ عدوهم من الملائكة ، بين الله ـ تعالى ـ أن من عادى واحدا منهم ، فقد عادى الله ، ورسله ، وجبريل وميكال، والملائكة أجمعين ؛ إذ لايجوز التفريق بينهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ○ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ .

فهدي الرسل في الملائكة وسط بين الجافي والغالي ، شأنهم في الأمور كلها.

ولاتزال صور الكفر بالملائكة إلى يومنا هذا ، فإنكار وجودهم لايزال موجودا عند الملاحدة من الماديين وغيرهم ، الذين ينكرون وجود الخالق ـ تعالى ـ وكذلك الغيبيات[1] .

---

(١) انظر : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للشيخ عبدالرحمن بن سعدي (٢٩) ، عقيدة الإيمان بالملائكة وأدلتها (٢٩٤) ، وانظر : شرح المسألة الأربعين .

كما لايزال بصورة أخرى عند العقلانيين الذين يزعمون أن الملائكة قوى طبيعية موجودة في المخلوقات ، أوجدها الله فيها منذ الأزل ، أو الفكر الموجود في الإنسان .

وفي هذا يقول محمد عبده : « وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة ، وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات ، وخلقة حيوان ، وحفظ إنسان ، وغير ذلك ، فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة ، فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة ، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان ، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده ، فإنما قوامه بروح إلهي ، سمي في لسان الشرع ملكا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف ، يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية ، إذا كان لايعرف من عالم الإمكان إلا ماهو طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة .

والأمر الثابت الذي لانزاع فيه ، هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لايمكن لعاقل أن ينكره ، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا ، وزعم أنه لادليل على وجود الملائكة ، أوأنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوى طبيعية ، أوناموسا طبيعيا ؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع، فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لاتحجبه الأسماء عن

المسميات »[1].

فمحمد عبده ـ والعقلانيون على أثره ـ يرى أن الملائكة هذه الروح التي جعلها الله ـ تعالى ـ في كل أمر كلي ، فالحيوان فيه ملك ، والإنسان فيه ملك ، والنبات فيه ملك . . .الخ .

أما من يفهم حقيقة الملائكة وفق ماجاء في الوحيين ، فهو ـ بزعمهم ـ من حجبته الأسماء عن المسميات .

وينكر محمد عبده تمثل الملك للأنبياء ، وأن ثمة ملائكة في الأرض وملائكة في السماء ، وغير ذلك من وظائفهم .

وفي هذا يقول : « أما تمثل الصوت وأشباح تلك الأرواح في حس من اختصه الله بتلك المنزلة ، فقد عهد عند أعداء الأنبياء مالايبعد عنه في بعض المصابين بأمراض خاصة على زعمهم ، فقد سلموا أن بعض معقولاتهم يتمثل في خيالهم ، ويصل إلى درجة المحسوس ، فيصدق المريض في قوله إنه يرى ، أويسمع ، بل يجالد ويصارع ،ولاشيء من ذلك في الحقيقة والواقع ، فإن جاز التمثل في الصور المعقولة ، ولامنشألها إلا في النفس ، وأن ذلك يكون عند عروض عارض على المخ ، فلم لايجوز تمثل الحقائق في النفوس العالية »[2].

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (١/٢٦٧ ـ ٢٦٨) ، وانظر : تفسير المراغي (١/٨٦ ـ ٨٧) ، فقد نقل هذا الكلام مقررا له .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (١/٢٧١) .

ويقول مستفهما استفهاما إنكاريا بشأن ملائكة الأرض والسماء : « أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض والسماء ، هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ ! وهل حددت أمكنتها ، ورسمت مساكنها؟!وهل عرفت أين يجلس منهم من يكون على يمينك ، ومن يكون على يسارك ؟! هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، أوتؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟! . . . »[1].

وهذا الذي يعتقده محمد عبده هو رأي الفلاسفة القدامى ومعتقدهم .

يقول ابن القيم ، وهو يصور مذهبهم : « وأما الإيمان بالملائكة ، فهم لايعرفون الملائكة ، ولايؤمنون بهم ، وإنما الملائكة عندهم مايتصوره النبي بزعمهم في نفسه أشكالا نورانية هي العقول عندهم ، وهي مجردات ، ليست داخل العالم ولاخارجه ، ولافوق السماوات ولاتحتها ، ولاهي أشخاص تتحرك ، ولاتصعد ولاتنزل ، ولاتدبر شيئا ، ولاتتكلم ، ولاتكتب أعمال العباد ، ولالها إحساس ولاحركة ألبتة ، ولاتنتقل من مكان إلى مكان، ولاتصف عند ربها ، ولاتصلي ، ولا لها تصرف في أمر العالم ألبتة، فلا تقبض نفس العبد ، ولاتكتب رزقه وأجله وعمله ، ولاعن اليمين ولاعن الشمال قعيد ، كل هذا لاحقيقة لهم عندهم ألبتة ، وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام ، فقال : الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد ، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة ، هذا إذا تقربوا إلى

---

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده (١١٢ ـ ١١٣) .

الإسلام »[1] .

ودعوى أن الملائكة إناث لاتزال كذلك ، وذلك أننا نسمع كثيرا من الناس يسمون الممرضات في المستشفيات بملائكة الرحمة ، ولاريب أن هذه نزعة وثنية ، وقد تغنى بذلك عدد من الشعراء المعاصرين ، وإليك بعضا مما قالوا :

يقول الشاعر إبراهيم طوقان[2]: « ملائكة الرحمة » .

بِيضُ الحمائم حسبُهُنَّه ... أني أردد سجعَهُنَّه

رمز السلامة والودا ... عة منذ بدء الخلق هُنَّهْ

في كل روض فوق دا ... نية القطوف لهُنَّ أنَّه

إلى أن قال :

المحسنات إلى المريـ ... ض غدون أشباها لهُنَّه[3]

ويقول الشاعر محمد حسن فقي : « ملاك الرحمة »

دخلت أزوره فشهدت مالم ... يشاهد مثلَه إلاخيالي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٦١) ، وانظر : الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٧١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠) .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الفتاح طوقان ، شاعر فلسطيني من أهل نابلس ، ولد سنة ١٣٢٣هـ ، وتعلم في الجامعة الأمريكية ، وعمل فترة في إذاعة فلسطين ، ثم مدرسا في بغداد ، له ديوان شعر مطبوع ، وساهم في إخراج كتاب الزهرة لمحمد بن داود الظاهري ، وتوفي سنة ١٣٦٠هـ .
انظر : الأعلام (١/٤٧ ـ ٤٨) ، معجم المؤلفين (١/٤٩) .

(٣) ديوان إبراهيم طوقان (١١٧) .

مــلاك شــع فيــه الطهــر حتــى أراني الفجر في غَلَس الليالي
كـــأن رداءه غيـــم تغشـــى بِـرِقَّتـه أسـاريـرَ الهـلالـي

إلى أن قال :

وأبصـرهـا الطبيـب وكـان يجنـي مسـاءتها كخشية ذي الجـلال
حنـــو منـــه كـــابنتـــه عليهـــا وتقـديـس لـراقعـة الخـلال[1]

وبالنسبة لعداء الملائكة ، فقد شابه اليهودَ الغرابيةُ[2] من الروافض ، حيث إنهم يلعنون صاحب الريش ، ويعنون به جبرائيل ﷺ ؛ لأنه بزعمهم خان الأمانة ، وأعطاها محمدا ﷺ ، وهو مرسل بها إلى علي .

فصور الضلال في مسألة الإيمان بالملائكة لاتزال موجودة عند بعض أهل هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) المجموعة الكاملة لأعمال الشاعر حسن فقي (٥/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

(٢) الغرابية إحدى فرق الرافضة ، سموا بذلك لأنهم يزعمون أن محمدا ﷺ وعليا متشابهان تشابه الغرابين والذبابين ، وبقية معتقداتهم كبقية معتقدات الروافض .
انظر : الفصل (٥/ ٤٢) ، الفرق بين الفرق (٢٥٠) ، اعتقادات فرق المسلمين (٥٩ ـ ٦٠) ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (٧٣ ـ ٧٤) ، خبيئة الأكوان (٣٥) ، مختصر التحفة الاثني عشرية (١٤) ، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة (١/ ٤٦)، غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام د. فتحي الزعبي (٣٣٠) .

الرابعة بعد المائة(1)

الكفر بالرسل .

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، وقد كفر به أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أوكتابيين ، فإنهم لما أتتهم رسل الله بالهدى ودين الحق، ردوا عليهم دعوتهم ، وكذبوهم فيما جاؤا به ، وسخروا بهم ، ومكروا بهم ، وهموا بقتلهم ، بل وقتلوا من قتلوا منهم .

والأدلة على ذلك كثيرة جدا ، فمنذ أن بعث الله أول رسول إلى أهل الأرض كُذب ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء :١٠٥] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء:١٢٣] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء:١٤١] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ [الشعراء :١٧٦] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٦٠] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أُرسلتم به وإنا لفي شك مما

---

(١) في الأصل : السابعة بعد المائة ، وفي (أ) الثامنة والتسعون .

تدعوننا إليه مريب ﴾ [إبراهيم : ٩] ، وقال ـ تعالى ـ مسليا نبيه محمدا ﷺ : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ [الأنعام : ٣٤] ، وقال ـ تعالى ـ في شأن قريش : ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ [صٓ:٤] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا موقف أهل الكتاب من رسله : ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ○ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ﴾ [آل عمران : ٢١ ـ ٢٢] .

وقال ـ تعالى ـ في شأن عيسى ﷺ وموقف اليهود منه حين أرادوا المكر به : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران:٥٤] ، وقال ـ تعالى ـ :﴿ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾[الصف : ٦] .

فهذه الأدلة التي ذُكرت بينت لنا موقف أهل الجاهلية من الرسل ، من

أول رسول إلى آخر رسول وهو محمد ﷺ .

والله - جل وعلا - بين أن هذا ديدن الأمم مع المرسلين ، فقال : ﴿وماأرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [سبأ : ٣٤].

وقد خالف هدي المرسلين هدي الجاهليين في هذه الخصلة ، فهم آمنوا برسل الله : من سبقهم ومن سيأتي بعدهم إلى خاتمهم محمد ﷺ ، كما قال - تعالى - : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [آل عمران : ٨١] .

قال قتادة : « هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا»[1].

وقال - تعالى - : ﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

وقال - تعالى - : ﴿ ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [النساء : ١٣٦] .

والإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، كما جاء في

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٣٢) .

حديث جبريل الطويل حين سأل رسول الله عن الإيمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . » .

والأدلة على وجوب الإيمان بالرسل كثيرة جدا ، لاتخفى .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فمعلوم أن اليهود والنصارى لايزالون يكفرون بكثير من الأنبياء تقليدا لأوائلهم .

كما أن المذاهب المادية التي تنكر وجود الخالق ، تنكر الرسالات السماوية، ولاتؤمن بها ، وتعتقد أن ذلك كله كذب وخرافة .

كما أن الذين يسخرون بالرسل والرسالات لايزالون ـ أيضا ـ موجودين، ومن أقرب الشواهد على ذلك من تم فيه تنفيذ حد الردة عام ١٤١٣هـ بهذه البلاد ـ حرسها الله تعالى ـ حين سخر بالأنبياء ، وسفههم ، وأنكر وجودهم أصلا .

وما أكثر مايسمع الناس من يسب نبي الله ﷺ ، بل إن في بعض البلاد لسب النبي من الأمور التي غدت مألوفة لدى كثير منهم ، ولاريب أن هذا خطر عظيم .

وإن من الكفر بهم ـ أيضا ـ : ترك ماجاؤا به من النور والهدى والتشريعات الربانية ، وهذا لايزال موجودا ، فكثير من الناس لايزالون يفضلون سنن أهل الكفر على سنن المرسلين ، وكثير من البلاد لاتزال تفضل أحكام الطواغيت على أحكام المرسلين ، وهذا أمر لايخفى .

وإن من الكفر بهم اعتقاد أنهم كاذبون فيما جاءوا ، كما يزعم ذلك

الفلاسفة[1] ، أو أنهم لم يبلغوا البلاغ المبين ، كما يزعم ذلك المتكلمة ، الذين يعتقدون أن الرسل ـ عليهم السلام ـ لم يفصحوا فيما جاءوا به مما يتعلق بالله ـ تعالى ـ وأسمائه الحسنى وصفاته العلى[2] .

كما أن من الكفر بهم ـ أيضا ـ : إنزالهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله إياها ، وهذا أمر لايزال موجودا ، فكثير من أهل الشرك والبدع رفعوا الرسل منزلة لايرضون عنها ، فعبدوهم من دون الله ، واستغاثوا بهم ، واستنصروا بهم في الشدائد ، وبالجملة فكل عبادة لله قد صرفوها لهم[3] .

فالمقصود أن هذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، والله أعلم .

---

(١) انظر : درء التعارض (١/ ١٢) .
(٢) انظر : درء التعارض (١/ ٧٩) .
(٣) انظر على سبيل المثال : قصيدة البردة للبوصيري ، الذخائر المحمدية لمحمد علوي مالكي ، السيف المسلول في الرد على عابد الرسول للشيخ عبدالرحمن القاسم .

الخامسة بعد المائة[1]

الكفر بالكتب[2] .

سبق الكلام على هذه المسألة عند شرح المسألة الثامنة والأربعين والمسألة الخمسين ، لكن بقي أن نذكر هنا أن من الكفر بالكتب عدم العمل بها ، وهذا ظاهر عند من يؤمن بالتنزيل ، وهم أهل الكتاب ، فإنهم يؤمنون بإنزال التوراة والإنجيل على أنبيائهم ، غير أنهم تركوا العمل بهما ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ﴾ [البقرة : ١٠١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ [المائدة : ٦٦] .

ومن أعظم مايبين تركهم العمل بما عندهم : تركهم الإيمان بمحمد ﷺ ، مع أنه قد أخذ عليهم في كتابهم أن يؤمنوا به ، وبشرت به أنبياؤهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾[الصف:٦] .

---

(١) في الأصل : الثامنة بعد المائة ، وفي (أ) المائة .
(٢) في (ب) « بالكتاب » .

كما أنهم تركوا العمل بكثير مما جاء في كتبهم ، كتركهم حد الرجم ، واحتيالهم على اصطياد السمك يوم السبت ، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ○ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾[النساء : ١٦٠ ـ ١٦١] ، وقتل بعضهم بعضا ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ○ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[البقرة: ٨٤ ـ ٨٥] .

وقد سبق أن بينا أن هذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين ، فإن الأميين أنكروا التنزيل أصلا .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فالإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان دينه ﷺ ، كما قال: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه . . . ».

والله ـ تعالى ـ توعد من كذب بالكتب فقال : ﴿ الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ○ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل

يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ [غافر : ٧٠ ـ ٧٢] .

وأمر ـ جل وعلا ـ بالإيمان بالكتب فقال : ﴿ آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾[النساء:١٣٦] .

والأدلة كثيرة جدا .

وقد شابه أهل الجاهلية كثير من أهل هذا العصر ،فأنكروا كتب الله المنزلة ، وزعموا أن الله لم ينزل شيئا ، وقد سبق بيان ذلك ، كما أن في أهل هذا العصر من شابه أهل الكتاب في ترك العمل بما جاء في كتاب الله، وشواهد هذا كثيرة جدا ، ومن أعظمها تنحية كتاب الله عن العمل به ، وإحلال الطاغوت اللعين محله .

وسيأتي مزيد بيان في المسألة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

السادسة بعد المائة[1]

الإعراض عما جاء عن الله .

يشير الإمام ـ رحمه الله ـ إلى مسألة مهمة ، وهي مسألة كفر الإعراض .

وكفر الإعراض أن يعرض الرجل بقلبه وسمعه عن دين الله ، فلايتعلمه ، ولايعمل به ، ولايواليه ، ولايعاديه[2].

وهو أحد نواقض الإسلام العشرة المتفق عليها[3].

وهذا النوع قد كثر في أهل الجاهلية : الأميين والكتابيين ، فإنهم أعرضوا عن النظر في الدلائل الكونية ، كما أعرضوا عن النظر في الدلائل الشرعية ، فأعموا أبصارهم ، وأصموا آذانهم ، وأحكموا الغطاء على قلوبهم، إمعانا منهم في الهروب عن معرفة الحق ، والعمل به ، بل وكان بعضهم يوصي بعضا بذلك ، ويحثه عليه .

وقد دلت الأدلة على اتصاف أهل الجاهلية بهذه الخصلة المشينة ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها

---

(١) في الأصل : التاسعة بعد المائة ، وفي (أ) الحادية بعد المائة .

(٢) انظر : مدارج السالكين (١/٣٣٧) ، نواقض الإسلام للإمام محمد بن عبدالوهاب (٣٨٥) .

(٣) انظر : نواقض الإسلام (٣٨٥) .

معرضين﴾[الأنعام :٤] أي : ومايأتي الكفار الذين يشركون بربهم غيره من حجة وعلامة دالة على وحدانيته ، وصدق نبوة نبيه محمد ﷺ إلا أعرضوا عنها ، وصدوا عن قبولها ، والإقرار بما شهدت على حقيقته[١].

وقال ـ تعالى ـ مبينا إعراض أصحاب الحجر عما جاءهم من الآيات : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين ○ وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين ﴾ [الحجر : ٨٠ ـ ٨١] ، أي : أريناهم أدلتنا وحجتنا على حقيقة مابعثنا به نبينا ، لكنهم لم يفيدوا من ذلك ، بل كانوا في صدود وإعراض عنه[٢].

وقال ـ تعالى ـ مبينا إعراض سبأ : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾ [سبأ : ١٥ ـ ١٧].

وقال ـ تعالى ـ مبينا إعراض قريش : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾[الأنبياء :١] أي : مايحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به ، إلااستمعوه وهم لاعبون ، لايعتبرون ،

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١٤٩/٥) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٥٠/١٤) .

ولايتعظون ، ساهية لاهية قلوبهم ، معرضة عن ذكر الله[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون ﴾ [الأنبياء: ٢٤] وقال ـ تعالى ـ :﴿ بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾[الأنبياء: ٤٢] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴾[المؤمنون: ٧١] أي : فهم عن ذكر ربهم ومواعظه وحججه التي احتج بها عليهم معرضون ، لايتدبرون ذلك ، ولايعتبرون به ، جهلا منهم وسفها[2].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومايأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلاكانوا عنه معرضين ﴾ [الشعراء :٥] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون ﴾ [فصلت : ٤] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ [الأحقاف : ٣] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا إعراضهم عن الدلائل الكونية : ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ [القمر : ٢] أي : وإن يروا دليلا واضحا ، وحجة وبرهانا لاينقادوا له ، بل يعرضوا عنه ، ويتركوه[3].

وبين الله ـ تعالى ـ تواصيهم بالإعراض ، فقال : ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾[فصلت : ٢٦] ، فبعضهم يوصي بعضا بعدم السماع للقرآن ، والامتثال لأوامره ، واجتناب نواهيه ،

---

(١) انظر : معالم التنزيل (٣/٢٣٨) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١٧/ ٣٠) .
(٣) انظر : تفسير ابن جرير (٢٧/ ٨٤) ، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٤) .

وبالخلط فيه على النبي ﷺ بالمكاء والتصدية وبعيبه[1].

وكل مامضى من الأدلة فهو في شأن الأميين ، وأما الكتابيون فلا ريب أنهم أعظم إعراضا من الأميين ، لكون أولئك يعرضون مع الجهل ، أما أولاء فهم يعرضون مع العلم .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ [آل عمران : ٢٣] .

وقد علم من حال أهل الكتاب كفرهم بما جاءت به الأنبياء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة : ٨٧] .

كما علم من حالهم ـ أيضا ـ أنهم قتلة الأنبياء ، كما في الآية السابقة، وكما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران : ٢١] ولاشك أن هذا من أعظم الإعراض ، فعدم الاستماع من الداعي مع عدم التعرض له بسوء ، أهون من عدم الاستماع له وقتله .

وقد خالف هدي الإسلام هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فأمر

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (١١٢/٢٤) ، معالم التنزيل (١١٣/٤) ، تفسير ابن كثير (٩٩/٤) .

بالتفكر والنظر في آيات الله الكونية ، والاستدلال بها على خالقها ، واستحقاقه العبادة دون ماسواه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ○ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ○ وفي أنفسكم أفلاتبصرون﴾ [الذاريات :٢٠ ـ ٢١] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ○ وإلى السماء كيف رفعت ○ وإلى الجبال كيف نصبت ○ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [الغاشية:١٧ ـ ٢٠] ، وغير ذلك من الآيات كثير .

كما أمر ـ تعالى ـ بالتفكر في آياته الشرعية وتدبرها ، فقال في موضعين من كتابه: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾[النساء:٨٢] و [محمد :٢٤] .

وأمر ـ تعالى ـ بالإنصات عند سماع آياته ، فقال : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

وتوعد ـ جل وعلا ـ من يعرض عن آياته ، فقال : ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ○ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ○ خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾[طه:٩٩ ـ ١٠١] .

قال ابن كثير : « وقوله ـ تعالى ـ ﴿ من أعرض عنه ﴾ أي : كذب

به، وأعرض عن اتباعه أمرا وطلبا ، وابتغى الهدى من غيره ، فإن الله يضله، ويهديه إلى سواء الجحيم »[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ○ ونحشره يوم القيامة أعمى ○ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ○ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[طه: ١٢٤ـ ١٢٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴾ [الجن : ١٧] .

فهذا جزاء المعرضين عما جاء عن الله .

كما أنه ـ تعالى ـ بين أن الختم على قلوب الكافرين إنما سببه إعراضهم بادئ ذي بدء ، كما سبق بيان ذلك[2].

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فكثير من أهل هذا العصر مبتلون بها ، وشواهد ذلك كثيرة جدا ، منها : أن أهل البدع ـ كما سبق[3]ـ لايزالون يقدمون آراء الرجال وحثالة أذهانهم على ماجاء من عند الله ، ويقلدون مشايخهم، ومن يرونهم علماء ، ويجهدون أنفسهم في معرفة أقوالهم ومانصوا عليه ، ولايكلفون أنفسهم محاولة معرفة كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ ، وتعلمهما ، ثم العمل بهما .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٥) .
(٢) راجع : شرح المسألة الخامسة عشرة.
(٣) راجع : شرح المسألة الرابعة .

ومنهم من يقدم عقله على كتاب الله ـ تعالى ـ ، فالأصل عنده العقل، فإن وافقه النقل فذاك ، وإلا أعرض عنه ، واعتمد على ماأرشده إليه عقله القاصر الخاسر .

ومنهم من يعرض عن استماع كتاب الله وتدبره إلى استماع الغناء والأصوات المطربة ، كالمتصوفة .

ومنهم من يعرض عن كتاب الله وماجاء من عنده ، ويعتاض عنها بخرافات يظنها علما ، كحال الرافضة .

ومنهم يحكم بالأنظمة الباطلة ، والقوانين الطاغوتية ، ويعرض عن تعلم كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ ، ويقبل على تعلم تلك القوانين .

وهكذا تبقى هذه الخصلة الجاهلية إلى هذا العصر ، والله المستعان .

السابعة بعد المائة[1]

الكفر باليوم الآخر[2] .

يعني أن من خصال أهل الجاهلية الكتابيين والأميين : عدم الإيمان باليوم الآخر ، وهو يوم القيامة ، فكانوا ينكرون المعاد غاية الإنكار ، ويستبعدون أن تكون الأجسام تبعث بعد إرمها ، وإذا كانوا ينكرون البعث ، فمابعده من حساب وجزاء وغير ذلك من تفاصيل اليوم الآخر من باب أولى بالإنكار .

وكان من العرب من يقول بتناسخ الأرواح ، فكانوا يعتقدون أنه إذا مات الإنسان ، أوقتل اجتمع الدماغ ، وأجزاء بنيته ، فانتصب طيرا هامة ، فيرجع إلى القبر كل مائة سنة[3].

والكفر باليوم الأخر من المسائل التي كانت موجودة منذ قديم الزمن ، فقد كذب بها قوم عاد ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ○ فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلاتتقون ○ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم

---

(١) في الأصل العاشرة بعد المائة ، وفي (أ) الثانية بعد المائة .
(٢) في (جـ) « الأخير » .
(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٢/٢٣٧) ، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام د . محمد الفيومي (٢٤١ ـ ٢٤٢) .

في الحياة الدنيا ماهذا إلابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ○ ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ○ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ○ هيهات هيهات لما توعدون ○ إن هي إلاحياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين ﴾ [المؤمنون: ٣١ ـ ٣٧] .

وقال ـ تعالى ـ في شأن قريش : ﴿ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلاسحر مبين ﴾ [هود: ٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت﴾[النحل :٣٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ○ قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ○ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ [يس : ٧٨ ـ ٨٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندري ماالساعة إن نظن إلاظنا ومانحن بمستيقنين ﴾ [الجاثية: ٣٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلاأساطير الأولين ﴾ [الأحقاف :١٧] .

ففي هذه الآيات الكريمات ـ وغيرها كثير ـ مايبين لنا أن موقف الأُميين من البعث هو الإنكار التام .

وقال ـ تعالى ـ في شأن الكتابيين : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[التوبة: ٢٩] .

ففي هذه الآية الكريمة إخبار من الله ـ تعالى ـ بأن من اهل الكتاب من لايؤمن باليوم الآخر.

قال البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ : « فإن قيل : أهل الكتاب مؤمنون بالله واليوم الآخر ؟ قيل : لايؤمنون كإيمان المؤمنين »(١).

وأهل الكتاب في اليوم الآخر منقسمون قسمين :

أحدهما : من لايؤمن به أصلا ، وهؤلاء هم السامرة ، كما جاء عن غضيف بن الحارث(٢) أنه قال : « كتب عامل عمر ـ هو ابن الخطاب ـ إلى عمر : أن قبلنا أناسا يدعون السامرة ، يقرؤون التوراة ، ويسبتون السبت ، ولايؤمنون بالبعث ، فماترى ياأمير المؤمنين في ذبائحهم ؟ فكتب إليه عمر أنهم طائفة من أهل الكتاب»(٣).

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٨٢) .
(٢) هو غضيف بن الحارث بن زُنيم السَكوني ، مختلف في صحبته .
انظر : طبقات ابن سعد (٧/ ٤٢٩ ، ٤٤٣) ، طبقات خليفة (٣٠٨) ، تهذيب الكمال (٢٣/ ١١٢ ـ ١١٦) .
(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ـ كتاب الطلاق ـ باب نصارى العرب ـ (٧/ ١٨٧) ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ـ كتاب الجزية ـ باب نصارى العرب ـ (١٣/ ٤٠٢). وانظر في إنكار السامرة البعث ألبتة : الفصل (١/ ١٧٨) .

وهو مذهب الصدوقيين[1]، فإنهم كانوا يرفضون الإقرار به بدعوى خلو التوراة منه[2]، وكذلك الدوستانية[3].

ثانيهما : من يؤمن به ، لكن ليس على الوجه الصحيح ، فاليوم الآخر عندهم ، اعتقاد أن الأموات من الصالحين سينتشرون في الأرض ، ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان[4].

ولاريب أن كلا النوعين يصدق على معتقدهما أنه كافر باليوم الآخر ؛ لأن من لم يؤمن به على الوجه الصحيح ، فلاإيمان له .

وقد خالف هدي الرسل هدي أهل الجاهلية في هذا الأمر ، فإن الرسل كلهـــــــم متفقـــــــون علـــــــى الإيمـــــــان

---

(١) الصدوقيون إحدى فرق اليهود ، وينتسبون إلى صادوق الكاهن الأكبر في عهد سليمان ﷺ ، وقيل : إلى صدوق الكاهن تلميذ أنتيخنوس الذي عاش حوالي ٣٠٠ق. م ، وهم متحررون من تعاليم الشريعة اليهودية ، وينكرون المعاد ، وينكرون تعاليم التلمود ، وهم القائلون بأن عزيرا ابن الله .
انظر : الفصل (١٧٨/١) ، مقارنة الأديان د. احمد شلبي (٢٢٩) ، الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا (٢١٤ ـ ٢١٦) ، المدخل لدراسة التوراة (٢٥٣ ـ ٢٥٧) ، اليهودية والمسيحية (١٨٩ ـ ١٩٢)

(٢) انظر : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية د. فرج الله عبدالباريء أبوعطاالله (١٥٦)، اليهودية والمسيحية (١٩٠) ، المدخل لدراسة التوراة (٢٥٤) .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٢١٩/١) ، أحكام أهل الذمة لابن القيم (٩١/١ ـ ٩٢) .
والدوستانية إحدى فرق السامرة ، ومعنى الدوستانية : الفرق المتفرقة الكاذبة ، ومعتقدهم كمعتقد بقية السامرة .
انظر : المرجعين السابقين .

(٤) انظر : الأسفار المقدسة لعلي عبدالواحد (٥٧) ، طباع بني إسرائيل وأثرها في سلوكهم في العصر الحاضر (١٧) .

بالآخرة[1]، وقد أعلموا أممهم بأن هناك يوما آخِرا، يحاسب الناس فيه على أعمالهم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وحذروهم مغبة الغفلة عنه ، وأمروهم بالاستعداد له .

قال ـ تعالى ـ مخبرا عن نبيه نوح ﷺ أنه قال لقومه : ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ [الأعراف :٥٩] ، وقال : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾ [نوح : ١٧ ـ ١٨] .

وقال إبراهيم ﷺ فيما أخبر به ـ تعالى ـ عنه : ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ [إبراهيم : ٤١] ، وقال : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ [الشعراء : ٨٢] .

وأمر الله ـ تعالى ـ نبيه محمدا ﷺ أن يقسم على البعث ثلاث مرات، فقال : ﴿ ويستبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق ومآأنتم بمعجزين ﴾ [يونس : ٥٣]، وقال : ﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ [سبأ: ٣] ، وقال : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ [التغابن [٧] .

وقرره ـ جل وعلا ـ في كتابه أيما تقرير ، فصرح به ، وضرب له الأمثال ، وغير ذلك مما لايخفى .

والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة ، كما قال ـ تعالى ـ :

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٥٨٩/٢) ، إرشاد الثقات على اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني (٤) .

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكما في حديث جبريل : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر».

وتوعد ـ تعالى ـ من يكذب بذلك ، فقال : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خَبَتْ زدناهم سعيرا ۝ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورُفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾[الإسراء :٩٧ـ ٩٨] .

والكفر باليوم الآخر لايزال موجودا اليوم على ماكان عليه أهل الجاهلية، فالمذاهب المادية التي ينكر أصحابها الخالق ـ جل وعلا ـ ينكرون الآخرة من باب أولى ، كغيره من المغيبات .

كما أن هناك مذاهب باقية على ماهي عليه من دعوى تناسخ الأرواح ، كالبوذية[1] ، والهندوسية[2]، والجينية [3]، وممن نهج نهجهم من الفرق

---

(١) انظر : أديان الهند الكبرى (١٥٧) .

(٢) الهندوسية : إحدى الديانات الشرقية القديمة ، ولاتزال ديانة الجمهرة العظمى في الهند ، وهي مجموعة من العادات والتقاليد والأوضاع التي تطورت مع مر الزمن ، ولايعرف مؤسسها ، من أهم معتقدات الهندوس : القول بتناسخ الأرواح ، وأن لكل قوة طبيعية إلها ، والقول بوحدة الوجود .
انظر : أديان الهند الكبرى (٣٩ ـ ١٠٤) ، الهندوس والسيخ لمحمد الشيباني (٥٦ـ ٥٩) .

(٣) انظر : أديان الهند الكبرى (١١٦) .

المنتمية كذبا وزورا إلى الإسلام ، كالإسماعيلية الذين اتفقوا على إنكار الجنة والنار وغيرها من أمور الآخرة ، وحملوا ماجاء من النصوص على تناسخ الأرواح[1].

ومثلهم الدروز الذين يزعمون أن يوم الحساب هو اليوم الذي يبلغ فيه التوحيد غايته بالانتصار على العقائد الشركية ، أما كون الناس يموتون ، ثم يبعثون ، فهذا عندهم باطل[2]، وغيرهم من الطوائف التي تدور في فلكهم .

فهذه المثل تدل على أن الكفر باليوم الآخر لايزال موجودا ، والله المستعان .

---

(١) انظر : فضائح الباطنية (٤٤ ـ ٤٦) ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (١١١) ، التأويل الإسماعيلي الباطني د. عبدالعزيز سيف النصر (١٥٣ ـ ١٥٥) .

(٢) انظر : إسلام بلامذاهب (٢٨٨) ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (٢٤٨) ، أضواء على عقيدة الدروز (٥٧ ـ ٥٨) .

الثامنة بعد المائة[1]

التكذيب[2] بلقاء الله .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية : أنهم يكذبون بلقاء الله ـ تعالى ـ .

ولقاء الله ـ تعالى ـ يحتمل معنيين :

أحدهما : رؤيته ـ جل وعلا ـ بالأبصار ، كما في قوله : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾[الأحزاب :٤٤] ، وقوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ [الكهف:١١٠] ، وقوله : ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله ﴾[البقرة : ٢٤٩] .

فقد أجمع أهل اللغة على أن اللقاء في مثل هذه الآيات لايكون إلا معاينة بالأبصار[3].

وبآيات اللقاء وأحاديثه احتج السلف على إثبات الرؤية[4].

---

(١) في الأصل : الحادية عشرة بعد المائة ، وهذه المسألة ساقطة من (أ) .

(٢) في (ب) « الكفر » .

(٣) انظر : مختصر كتاب الشرح والإبانة لابن بطة العكبري (مخطوط ل ٨٤) ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (١٩٨) .

(٤) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ـ (٨/ ١٨٤ ـ ١٨٥) ، كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٤٣٣)، الاعتقاد للبيهقي (٤٧ ، ٥٠) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٥١٠) ، الحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) ، ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة (٧٣ ـ ٧٦) .

ثانيهما : أنه عبارة عن القيامة ، وعن المصير إليه ، وعبارة عن حسابه وجزائه ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أوبدله ﴾ [يونس : ١٥] ، فقد قال ابن جرير « قال الذين لايخافون عقابنا ، ولايوقنون بالمعاد إلينا ، ولايصدقون بالبعث »(١).

فابن جرير فسر هذه الآية بالمصير إلى الله ـ تعالى ـ وبالبعث .

وقال البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾[يونس :٧] : « أي : لايخافون عقابنا، ولايرجون ثوابنا »(٢).

وقال ابن جرير في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ألاإنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ [فصلت : ٥٤] : « ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله في شك من لقاء ربهم ، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات ، ومعادهم إلى ربهم»(٣).

وقال في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ [الأنعام : ٣١] : « قد هلك ، ووكس في بيعهم الإيمان بالكفر الذين كذبوا بلقاء الله ، يعني الذين أنكروا البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ،

---

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٩٤ـ ٩٥) .
(٢) معالم التنزيل (٢/ ٣٤٤) .
(٣) تفسير ابن جرير (٢٥/٥) .

والجنة والنار من مشركي قريش ، ومن سلك سبيلهم في ذلك »[1].

وقال البغوي : « أي خسروا أنفسهم بتكذيبهم المصير إلى الله ، والبعث بعد الموت»[2]

وقال ابن قتيبة[3] : « وأما قوله : ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ فإنه أراد الذين كذبوا بالنشور والبعث ، وعندهما يكون لقاء الله ، والمصير إليه ، وإلى حسابه وعفوه أوعقابه ، ولايجوز أن يكون أراد الذين كذبوا بالنظر إليه ؛ لأنهم قبل النظر لم يؤمنوا بالبعث الذي يؤدي إلى ذلك ، ومن أنكر الأصل ، فهو أحرى أن لايقر بالفرع ، ولأن اللقاء قد يكون من غير نظر ، ويكون مع النظر على ماأعلمتك »[4].

وعلى كل معنى، فإن أهل الجاهلية : الأميين والكتابيين لايؤمنون بلقاء الله ، فهم لايقرون برؤيته ومعاينته ، ولايقرون بأن المصير إليه .

فالأميون ـ كماسبق[5]ـ لايؤمنون بالبعث ، ولابالحساب ، ولابالجنة

---

(١) تفسير ابن جرير (١٧٨/٧) .
(٢) معالم التنزيل (٩٣/٢) .
(٣) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، من أئمة المسلمين وعلمائهم ، ولد سنة ٢١٣هـ ، وأخذ عن علماء عصره ، ورمي بأنه على مذهب ابن كرام المجسم، غير أنه اتهام باطل له مؤلفات منها : الرد على من يقول بخلق القرآن ، أعلام النبوة ، المسائل والأجوبة ، ، توفي سنة ٢٧٦هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (١٨٣) الفهرست لابن النديم (٨٥)،تاريخ بغداد (١٠ ـ ١٧٠ـ ١٧١) ، سيرأعلام النبلاء (٢٩٦/١٣ ـ ٣٠١) ، تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٢٧٦)، عقيدة الإمام ابن قتيبة د . علي بن نفيع العلياني .
(٤) المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لابن قتيبة (١٤٠ ـ ١٤١) .
(٥) راجع : شرح المسألة السابعة بعد المائة .

ولابالنار ، ولاغير ذلك من أمور الآخرة ، وإذا كان الأمر كذلك فعدم الإيمان بلقاء الله من باب أولى.

والكتابيون منهم من ينكر اليوم الآخر أصلا ، ولايقر به ، ومنهم من يعتقد أن هناك يوما آخرا ، لكنه عبارة عن المجازاة في الدنيا ، أوغير ذلك مما سبق بيانه[1]، الأمر الذي يعني أنهم لايؤمنون بلقاء الله ـ تعالى ـ الذي يُعنى به رؤيته .

وقد سبق ذكر الأدلة آنفا عند تقسيم معنى « لقاء الله » .

وعندي أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عنى بهذه المسألة الرد على نفاة الرؤية ؛ لأنه ذكر مسألة الكفر باليوم الآخر ، فلامعنى لكونه يذكر لقاء الله ، ويريد به المعنى الآخر له ، وهو المصير إلى الله .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فأثبت لقاء الله ـ تعالى ـ وآمن به ، كما في قوله ﷺ : « ولقاؤك حق ».

وبين ﷺ أن ذلك من الإيمان ، فقال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث »[2].

والله ـ جل وعلا ـ توعد المكذبين بلقائه ، كما في الآيات التي ذكرت

---

(١) راجع : شرح المسألة السابعة بعد المائة .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ـ (١٨/٦) وفي التفسير ـ تفسير سورة لقمان ـ باب ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ ـ (٢٠/٦ ـ ٢١) ، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ـ (٣٦/١ ـ ٣٨)ح٨.

في الاستدلال ، وبين أن مما يُكْرَم به المؤمنون لقاءَه في الجنة ، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ ، وهو من أعظم النعيم في الآخرة .

فلقاء الله ـ تعالى ـ حق لاريب فيه .

وقد خالف المبتدعة من المعتزلة[1] والإباضية من الخوارج[2] والرافضة[3] والزيدية[4] ومن وافقهم هديَ النبي ﷺ في هذه الخصلة ، فأنكروا لقاء الله الذي هو بمعنى رؤيته في الدار الآخرة ، وخالفوا كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ، وإجماع سلف الأمة .

---

(١) انظر : المغني في أبواب العدل والتوحيد (١٣٩/٤) ، شرح الأصول الخمسة (٢٣٢)، شرح الأصول الخمسة (١/٢٣٨) ،الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لأبي الحسين الخياط (٦٦ـ ٦٧) ، الفرق بين الفرق (١١٤) ،الفصل (٣ / ٧) ، الملل والنحل (١/ ٤٥) ،التبصير في الدين (٦٣ ـ٦٤) ،الإرشاد لأبي المعالي (١٦٤)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (٢٧٢) ،شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٠٧) ،شرح المقاصد (٣ / ١٨٢) ، الفرق الكلامية الإسلامية د. علي عبدالفتاح المغربي (٢٣١ـ ٢٣٦) ، المعتزلة وأصولهم الخمسة (١٢٨) .

(٢) انظر : مسند الربيع بن حبيب (٣ / ٢٧) عن الإباضية عقيدة ومذهبا ، إزالة الاعتراض عن محققي آل إباض لمحمد إطفيش (٢ / ٥) ، بهجة أنوار العقول للسالمي (١/ ٦١) ، مختصر تاريخ الإباضية لسليمان الباروني (٦٥) ، الإباضية عقيدة ومذهبا (١٠٤ ـ ١٠٧) ، الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة د. عامر النجار (٩٢) ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٩٤)

(٣) انظر :التوحيد للمسمى بالصدوق (١٠٨ ـ ١٢٢) ،حق اليقين في معرفة أصول الدين (١/٨٦ ـ ٨٧)

(٤) انظر : رسائل العدل والتوحيد (١/ ١٠٥) ،الأساس لعقائد الأكياس للقاسم بن محمد العلوي (٧٩)، المعالم الدينية في العقائد ليحيى بن حمزة(٨٢) ،الزيدية نظرية وتطبيق (٥٢ ـ ٥٣) الإمام زيد المفترى عليه(٢٧٣)

وقد استدلوا على باطلهم هذا بأدلة نقلية وعقلية ، وسأذكر هنا أقوى أدلتهم من كل نوع ، ثم أبين كيف رد عليهم أهل العلم ذلك .

أولا : الأدلة النقلية :

الدليل الأول : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

ووجه الاستدلال من هذه الآية على مازعموا هو ماذكره القاضي عبدالجبار بقوله : « ووجه دلالة الآية هو ماقد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لايحتمل إلاالرؤية ، وثبت أنه ـ تعالى ـ نفى عن نفسه إدراك البصر ، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته ، وماكان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته ، كان إثباته نقصا ، والنقائص غير جائزة على الله ـ تعالى ـ في حال من الأحوال »[1].

والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه :

أحدها : أن الله ـ تعالى ـ نفى الإدراك ، ولم ينف الرؤية ، والإدراك معنى زائد على الرؤية ، إذ إن معناه الإحاطة ، والله ـ تعالى ـ لايحيط به شيء[2]، ولذلك تمدح به ، ولم يكن تمدحه بكونه لايرى ؛ لأن المعدوم ـ

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٢٣٢) ، وانظر : المغني في أبواب العدل والتوحيد (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥) .

(٢) انظر : التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الدار الآخرة للآجري (٨٥ ـ ٨٦) ، الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (١٨) ، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (٣٠٤) ، الفصل (٣/ ٢ ـ ٣) المواقف في علم الكلام (٣٠٩) ، الرسالة التدمرية (٢٥) ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١٢١) الملحق بأضواء البيان .

أيضا ـ لايرى ، فليس في كون الشيء لايرى مدح[1].

ثانيا : أن دعوى عموم النفي في هذه الآية جميع الأوقات والأزمان ، فدعوى كاذبة ؛ لأن الآية وإن قيل بعمومها في جميع الأشخاص باستغراق اللام ، إلا أنها لاتعم الأزمان : لأنها قضية سالبة مطلقة لادائمة ، ومثبتو الرؤية يقولون بموجبها ، حيث إنهم يقولون بعدم رؤية الله في الدنيا[2]، ثم إنه لو سلم بكونها عامة في جميع الأزمان ، فإنه قد جاء مايخصصها ، والخاص مقدم على العام[3].

الدليل الثاني لهم : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

ووجه الاستدلال من هذه الآية على باطلهم من وجهين :

الوجه الأول : دعواهم أن « لن » تقتضي النفي المؤبد ، وقد دخلت على فعل الرؤية ، فدل على أنها غير حاصلة ألبتة[4].

والجواب عن هذا الاستدلال ببيان بطلان زعمهم أن « لن » تقتضي

---

(١) انظر : تفسير الرازي (١٣/١٣١) ، كتاب الأربعين في أصول الدين (١/٢١٤) ، المواقف في علم الكلام (٣٠٩) ، الرسالة التدمرية (٢٥) ، حادي الأرواح (٢٠٢)، شرح الطحاوية (١/٢١٤ ـ ٢١٥) .

(٢) انظر : شرح المواقف للجرجاني (٨/١٤١) ، رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها د. أحمد الحمد (٣٧) .

(٣) انظر : تفسير الرازي (١٣/١٢٨) ، رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها (٣٨ ـ ٤٠).

(٤) انظر : الكشاف (٢/٩٠) ، شرح الأصول الخمسة (٢٦٤) .

النفي المؤبد ،وذلك أن العرب تنفي بها الممكن ، وقد ذكرالنحويون والمفسرون أن المدعين اقتضاءها النفي المؤبد ، أتوا بما لم تعرفه العرب من كلامها[1].

الوجه الثاني من استدلالهم بهذه الآية أنهم قالوا : « إن الله علق الرؤية باستقرار الجبل ، فلايخلو إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه ، اوعلقها به حال تحركه ، ولايجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل ؛ لأن الجبل قد استقر ، ولم ير موسى ربه ، فيجب أن يكون علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه ، ويكون هذا بمنزلة قوله - تعالى - : ﴿ ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ [الأعراف : ٤٠]»[2].

والجواب عن هذا الوجه ببيان أن الذي جُعل شرطا في اللفظ - وهو

---

(١) انظر : شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ١١٢) ، نتائج الفكر للسهيلي (١٣٣) ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (٣/ ١٥٣١) ، المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل (٣/ ٦٦) ، أوضح المسالك لابن هشام (٤/ ١٤٨ - ١٤٩) ، شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام (٨٠) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (١/ ٢٢١) ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لابن أم قاسم المرادي (٤/ ٧٣) ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٣/ ٢٧٨) ، حاشية الصبان على الأشموني (٣/ ٢٧٨) ، شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري (٢/ ٢٢٩) ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل (٢/ ١١٠) ، تفسير الرازي (١٤/ ٢٤٢) ، كتاب الأربعين في أصول الدين (١/ ٣٠٠) ، الانتصاف مماتضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير (٢/ ٩٠) ، شرح المقاصد (٤/ ٢٠٧) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٨٧ - ٣٨٨) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (٢٦٤) وانظر : المغني في أبواب العدل والتوحيد (٤/ ١٦٢).

استقرار الجبل ـ ممكن الوجود ، فالله ـ تعالى ـ قادر على أن يجعل الجبل مستقرا ، وماعلق على شرط ممكن ، فهو ممكن ، والرؤية علقت على ذلك، فدل على إمكانها[1].

وقد قلب أهل السنة عليهم الاستدلال بهذه الآية ، وبينوا أنها دالة أصلا على إثبات الرؤية ، وذلك من وجوه ، منها :

أولا : أنه لايظن بكليم الرحمن أن يسأل ربه مالايجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأمحل المحال ، وموسى ﷺ أعلم بربه ، وأشد تنزيها له من أن يسأله ماليس له أن يسأله ، وهو قد سأل ربه ذلك ، فدل على جوازها[2].

ثانيا : أن الله ـ تعالى ـ لم ينكر عليه سؤله ذلك ، ولو كان لايجوز لنبه إليه[3].

ثالثا : أن الله ـ تعالى ـ أجابه بقوله : ﴿ لن تراني ﴾ ولم يقل : إني لاأرى، أولست بمرئي ، والفرق بين التعبيرين واضح ، وهذا دليل على أنه ـ سبحانه ـ يرى لكن موسى لاتحتمل قواه ذلك لضعفه البشري ، بدليل أنه لما تجلى للجبل تدكدك ، ولم يستقر ، فكيف بالبشر .[4]

---

(١) انظر : تفسير الرازي (٢٤١/١٤) ، كتاب الأربعين في أصول الدين (٢٨١/١) ، حادي الأرواح (١٩٧) ، شرح الطحاوية (٢١٣/١) ، شرح المقاصد (١٨٢/٤) .
(٢) انظر : حادي الأرواح (١٩٧) .
(٣) انظر : المرجع السابق .
(٤) انظر : المرجع السابق .

رابعا : أن الله ـ تعالى ـ تجلى للجبل ، وهو جماد لاثواب له ولاعقاب عليه، فإذا جاز أن يتجلى له وهذه حاله ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه ؟![1]

الدليل الثالث لهم : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾[النساء : ٥٢] .

ووجه الاستدلال من هذه الآية على ماذهبوا إليه : أن الله ـ تعالى ـ استعظم هذا السؤال منهم ، وسماه ظلما ، وجازاهم به في الحال ، ولو كانت رؤيته جائزة لما عاقبهم على ذلك ، ولكان سؤالا لمعجزة زائدة ، ولم يكن ظلما[2].

والجواب عن هذه الشبهة : أن بني إسرائيل سألوا رؤية الله ـ تعالى ـ تعنتا ، وإنكارا لنبوة موسى ﷺ ، وتحكما على الله ، ولذلك استحقوا العقاب ، وأن يسمى سؤالهم ظلما ، وأن يستعظمه الله منهم ، وليس في إنكاره عليهم ذلك دليل على كونه ـ تعالى ـ لايرى[3].

فهذه أهم أدلتهم النقلية ، وقد تبين بطلان الاستدلال بها .

ثانيا : أدلتهم العقلية : استدل المعتزلة ومن وافقهم على نفي الرؤية

---

(١) انظر : المرجع السابق .
(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة (٢٦٢) .
(٣) انظر : الإبانة عن أصول الديانة (١٥) ، تمهيد الأوائل (٣١٠) ، المواقف (٣١٠) ، كتاب الأربعين في أصول الدين (١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) ، شرح المقاصد (٤/ ٢١٠) .

بأدلة عقلية ، نذكر هنا أهمها :

أولا : دليل المقابلة ، والمراد به ماذكره القاضي عبدالجبار بقوله : « هو ان الواحد منا راء بحاسة ، والرائي بالحاسة لايرى الشيء إلا إذا كان مقابلا ، أوحالا في المقابل ، أوفي حكم المقابل ، وقد ثبت أن الله ـ تعالى ـ لايجوز أن يكون مقابلا ، ولاحالا في المقابل ، ولافي حكم المقابل » ثم ذكر أصولا يقرر بها هذه المقدمات والنتيجة التي ذكرها[1].

والجواب أن هذا الدليل مبني على نفي الجهة عن الله ـ تعالى ـ ، ولذلك وافقهم الأشاعرة على ذلك ، ولكنهم أوردوا عليهم إشكالات من جهة أخرى ، كما فعل الرازي[2].

والحق أن الله ـ تعالى ـ في جهة العلو ، فلاتمتنع الرؤية لأجل هذا الدليل، فعباده يرونه في جهة العلو ، والله أعلم .

الدليل الثاني : دليل الانطباع ، وتحريره أن كل مايكون مرئيا ، فلابد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين ، والله ـ تعالى ـ يتنزه عن الصورة والمثال ، فوجب أن تمتنع رؤيته[3].

والجواب عن هذا من وجهين :

أحدهما : أن تنزيه الله ـ تعالى ـ عن الصورة لاوجه له ، فالصورة

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٢٤٨) وانظر بقية ماقرره (٢٤٨ ـ ٢٥٢) .
(٢) انظر : كتاب الأربعين في أصول الدين (١/٣٠٣ ـ ٣٠٤) .
(٣) انظر : الأربعين في أصول الدين (٧١) .

ثابتة للرحمن بلاريب في ذلك[1] ، فنفي الرؤية حذرا من إثبات الصورة لايستقيم ، لكن صورته كسائر صفاته ، نعلم معناها ، ولاندري كيفيتها .

ثانيا : أن القول بانطباع الصورة من باب القياس الفاسد ، وهو قياس الغائب على الشاهد ، ولاريب أنه قياس مع الفارق[2] ، فهم قاسوا صفات الله ـ تعالى ـ على صفات خلقه ، ثم خرجوا بهذا القول ، ولاريب أن ماكانت مقدماته فاسدة ، فهو فاسد .

الدليل الثالث لهم : دليل الموانع ، وتحريره على ماذكره القاضي عبدالجبار بقوله : « . . . أن الواحد منا حاصل على الصفة التي لو رئي المرئي لما رئي إلالكونه عليها ، والقديم (!) سبحانه وتعالى حاصل على الصفة التي لو رئي لما رئي إلالكونه عليها ، والموانع المعقولة مرتفعة ، فيجب أن نراه الآن ، فمتى لم نره دل على استحالة كونه مرئيا»[3]

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين :

أحدهما : بمنع التلازم بين ارتفاع الموانع وحصول الرؤية ، فقد ترتفع الموانع ولاتحصل الرؤية ، فالجسم الكبير يرى من بعد صغيرا ، وماذاك إلا

---

(١) انظر في إثبات الصورة عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها (٧١ ـ ٧٢) ، رؤية الله بين السلف وأهل الاعتزال ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى للطالبة مريم بنت صالح الزامل (٨٩ ـ ٩٠) .

(٣) شرح الأصول الخمسة (٢٥٣) ، وانظر : الاربعين في أصول الدين (٢٩٧)، المواقف في علم الكلام (٣٠٧ ـ ٣٠٨) .

لأن الرائي يرى بعض أجزائه دون بعضها الآخر مع تساوي كل واحد منها في حصول الشرائط وانتفاء الموانع[1].

ثانيهما : ببيان أن هذا الإيجاب مبني على قياس الخالق بالمخلوق ، فكما وجب أن يرى المخلوق إذا توافرت الشروط ، وانتفت الموانع ، فكذلك الخالق ، ولاريب أن هذا قياس مع الفارق ؛ وذلك أن المختلفات لايجب استواؤهما في التلازم[2].

وبهذا يتبين بطلان ماذهب إليه المعتزلة ومن وافقهم في هذه المسألة ، والله أعلم .

---

(١) انظر : الأربعين في أصول الدين (١/٣٠١) ، دلالة القرآن والأثر على رؤية الله بالبصر لعبدالعزيز الرومي (١٢١ ـ١٢٢) .

(٢) انظر : الأربعين في أصول الدين (١/٣٠٣) ، شرح المواقف للجرجاني (٨/١٣٦) ، رؤية الله وتحقيق الكلام فيها (٧٠ ـ ٧١) .

التاسعة بعد المائة[1]

التكذيب ببعض ماأخبرت به الرسل عن اليوم الأخر ، كما في قوله : ﴿ أولئك الذين كفروا[2] بآيات ربهم ولقائه ﴾ [الكهف : ١٠٥] ، ومنها التكذيب بقوله : ﴿ مالك يوم الدين ﴾[الفاتحة :٢] ، وقوله : ﴿ لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، وقوله : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية عدم التصديق ببعض ماأخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر ، وما يجري فيه، ومايصير الناس إليه من الجنة والنار ، وغير ذلك .

وقد كان أهل الجاهلية : الأميون والكتابيون ، إذا أخبرتهم رسلهم بذلك ، استبعدوا ذلك ، وكذبوهم فيما يقولون ، وبما يخبرون .

وقد استدل المؤلف بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ﴾ ، وكأنه يعني بذلك ماجاء في سبب نزول هذه الآية ، فعن مصعب بن سعد[3] قال : « سألت أبي ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾

---

(١) في الأصل : الثانية عشرة بعد المائة ، وهي ساقطة من (أ) غير أن الآيات التي ذكرها المصنف ، ذكرت مع مسألة الكفر باليوم الآخر .
(٢) في (جـ) « كذبوا » وهو خطأ .
(٣) هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري ، أبو زرارة ، تابعي جليل ، توفي سنة ١٠٣هـ انظر : طبقات ابن سعد (١٦٩/٥) ، طبقات خليفة (٢٤٣) ، =

هم الحرورية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ ، وأما النصارى كفروا بالجنة ، وقالوا : لاطعام فيها ولاشراب »[1].

فالجنة ومافيها من الطعام والشراب قد اخبرت به الرسل ، ومع ذلك كفر به النصارى ، وكذبوا الرسل في ذلك .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ .

ووجه الاستدلال منها أن الله ـ تعالى ـ هو الذي يتولى حساب عباده، ومجازاتهم على أعمالهم ، وهذا مما أخبرت به الرسل ، بيد أن من أهل الجاهلية ـ وهم النصارى ـ من يزعم أن غير الله ـ تعالى ـ هو الذي يتولى الحساب ، وهو بزعم النصارى المسيح ابن مريم ﷺ ، فقد جاء في إنجيلهم مانصه « الأب ، لايدين أحدا ، بل أعطى كل الدينونة للابن »[2]، كما جاء ـ أيضا ـ مانصه : «وأوصانا بأن نكرز للشعب ، ونشهد بأن هذا هو المعين من الله ديانا للأحياء والأموات »[3].

ولاريب أن هذا تكذيب لما أخبرت به الرسل من كون الله ـ تعالى ـ هو الذي تولى الأمر كله .

كما استدل بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ لابيع فيها ولاخلة ولاشفاعة ﴾

= تهذيب الكمال (٢٨/ ٢٤ ـ ٢٦) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة الكهف ـ باب ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ ـ (٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

(٢) أسفار العهد الجديد ـ سفر يوحنا ـ الإصحاح الخامس ـ الفقرة (٢٢) (ص١٥٤)

(٣) أسفار العهد الجديد ـ أعمال الرسل ـ الإصحاح العاشر ـ الفقرة (٤٢) إص٢٠٩) ، وانظر : اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام (١٩٢ ـ ١٩٣) .

وقوله : ﴿ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ .

ووجه الاستشهاد من هاتين الآيتين : أن الله ـ تعالى ـ أخبر أن الشفاعة منتفية عن كل أحد يوم القيامة ، إلا من رضي الله عنه ، وهم الذين شهدوا شهادة الحق، وهذا مما أخبرت به الرسل ، غير أن من أهل الجاهلية من يزعم أن الشفاعة حاصلة له ولابد ، كما قال النضر بن الحارث : « إذا كان يوم القيامة سوف تشفع لي اللات والعزى » .

ومما يدل على هذه المسألة ـ أيضا ـ : تكذيب اليهود بلقاء الله ، فإنهم كذبوا بذلك ، كما مضى في المسألة السابقة ، ولقاء الله مما أخبرت به الرسل .

ومنها تكذيب اليهود بالبعث ، فهم ـ كماسبق[1]ـ يؤمنون باليوم الآخر، لكنه إيمان لايفهم منه أنهم يعتقدون أن الله يجمع الأولين والآخرين، ثم يجازيهم على أعمالهم ، إنما هو عندهم مجازاة في الدنيا .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فآمن بما في اليوم الآخر على مراد الله ، فلم يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، ولاريب أن هذا هو الإيمان الصحيح ، وقد ذكرت الأدلة على ذلك في مسألة الكفر باليوم الآخر.

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فإن من المتسبين إلى

---

(١) راجع : شرح مسألة الكفر باليوم الآخر .

الإسلام من ينكر بعض ماجاء عن الرسول ﷺ بشأن اليوم الآخر ، وتفاصيله، ومن ذلك التكذيب ببعض اشراط الساعة ، كالتكذيب بنزول المسيح ابن مريم ﷺ[1] الذي دل عليه كتاب الله ـ تعالى ـ ، وبلغت فيه الأحاديث عن رسول الله ﷺ حد التواتر[2]، وكذلك التكذيب بالدجال ، فقد كذب به الخوارج وبعض المعتزلة[3] ومن المتأخرين محمد عبده ورشيدرضا[4] مع أن الأحاديث فيه عن رسول الله ﷺ بلغت مبلغا عظيما[5] ، والمهدي الذي يكون آخر الزمان ، فقد كذب به جماعة من أهل هذا العصر كأحمد أمين[6]، وعبد الله بن زيد آل محمود[7]، وغيرهما ، مع أن الأحاديث فيه متواترة[8] عن رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر : تفسير القرآ ن الحكيم (٣/٣١٦ ـ ٣١٧) ، و (٦/ ٢٠ ـ ٢١) ، فقد أنكر ذلك محمد عبده ورشيد رضا ، وانظر في الرد عليهما :فصل المقال في رفع عيسى ﷺ ونزوله وقتله الدجال د . محمد خليل هراس (٥٢ ـ ٧٤)

(٢) انظر : النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١١٨) الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة لصديق حسن خان (١٢٩) ، التصريح بما تواتر في نزول المسيح لأنور الكشميري (٤٨) .

(٣) انظر : شرح النووي على مسلم (١٨/٥٨) .

(٤) انظر : تفسير القرآن الحكيم (٦/ ٢١) .

(٥) انظر : النهاية في الفتن والملاحم (٥٩ ـ ١١٧) ، الإذاعة (١٢٣ ـ ١٢٩) .

(٦) انظر : ضحى الإسلام له (٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) .

(٧) في كتاب أسماه «لامهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر » ورد عليه الشيخ حمود التويجري في كتاب أسماه « الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر » .

(٨) انظر :المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم (١٤٢) ،القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر الهيتمي (٢٣) ، العرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي ، ضمن الحاوي للفتاوي (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) ، الإشاعة (١١٢) ، الإذاعة (٥٠) .

ومنها : التكذيب بعذاب القبر ، فقد كذب به بعض المعتزلة[1]، والزيدية مع شهرة الأحاديث فيه ، وكثرتها ، وصحتها[2] .

ومنها : التكذيب بالنفخ في الصور ، فقد كذب به طائفة من العقلانيين ، حيث زعموا أنه ليس على حقيقته ، وإنما المراد به سرعة الاجتماع[3]، مع أن النفخ في الصور ثابت بكتاب الله ـ تعالى ـ ، ولاداعي لتأويله .

ومنها : تكذيب المعتزلة ومن وافقهم برؤية الله[4]، وتكذيبهم بالشفاعة[5]، والحوض[6]،

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة (٧٣٠) ، مقالات الإسلاميين (٢/١١٦) ،التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي (٨٩) ، شرح العقائد النسفية (٦٧) ، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي د . محمد أحمد عبدالقادر (١٦٨ ـ ١٦٩) .

(٢) انظر في ذلك : إثبات عذاب القبر للحافظ البيهقي .

(٣) انظر : تفسير جزء عم لمحمد عبده (٦) ، تفسير جزء تبارك لعبدالقادر المغربي (٣٦)، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (٥٢٤ ـ ٥٢٥) .

(٤) راجع : الرد على منكري الرؤية ضمن المسألة السابعة بعد المائة .

(٥) انظر : مقالات الإسلاميين (١/١٦٦) ،أصول الدين (٢٤٤) ، الفصل (٤ / ٦٣)،التمهيد في أصول الدين (٩٨) ، شرح المواقف للجرجاني (٨/ ٣١٢) .
وانظر في تواتر أحاديث الشفاعة (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (٣/ ٤١) ، اليواقيت والدرر شرح نخبة الفكر لعبدالرؤوف المناوي (١/ ١٤١) ، منهج ذوي النظر في شرح منظومة علم الأثر لمحمد بن محفوظ الترمسي (٨٦) ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (١٤٩ـ ١٥٠) ، شرح الألباني على الطحاوية (٣٠) .

(٦) انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٥) ،الإبانة للأشعري (٧٠) ، الفصل (٤/ ٦٦)، الغنية (١٦٦)، فتح الباري (١١/ ٤٦٧) ، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي (٢٢١) ، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام (٢٠٨) .
وانظر في تواتر أحاديث الحوض :جزء في الحوض لبقي بن مخلد ، تدريب الراوي =

والميزان[1]، والصراط[2]، مع أن هذه الأمور مماتواترت به النصوص.

= (١٧٩/٢)،فتح المغيث (٣ / ٤١) ، لقط اللآليء المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي (٢٥١) ، اليواقيت والدرر (١٤١/١) ، منهج ذوي النظر (٨٦) ، نظم المتناثر (١٥١) .

(١) انظر : التذكرة في أمور الآخرة للقرطبي (٣٧٧) ، زاد المسير (١٧٠/٣) ، ، تفسير القرطبي (٧ / ١٦٥) ،المواقف في علم الكلام (٣٨٤) ،شرح المقاصد (١٢٠)، شرح العقائد النسفية (٦٩)، اتحاف السادة المتقين (٤٧١/١٠) ،شرح السنوسية الكبرى (٣٩٩) ، تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي بن يوسف الكرمي (٢٤ـ ٢٥) .

وانظر في تواتر الميزان نظم المتناثر (١٤٨) .

(٢) انظر :الغنية في أصول الدين (١٦٦) ، شرح العقائد النسفية (٦٩) ،شرح السنوسية الكبرى (٣٩٩) لوامع الأنوار (١٩٢/٢) .

وانظر في تواتر أحاديث الصراط : نظم المتناثر (١٤٨) .

العاشرة بعد المائة[1]

قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس .

أي : أن من خصال أهل الجاهلية قتل من يأمر بالعدل في أمر الله ونهيه ، ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[2] من الناس ، كي يمنعوه من ذلك .

وقد كان أهل الجاهلية الأميون والكتابيون على هذه الفعلة الشنيعة ، فكانوا يتربصون بمن يأمرهم بذلك الدوائر ، فقد تربصوا بالأنبياء ، فقتلوا من استطاعوا قتله ، وتربصوا بأتباعهم كذلك .

وقد دلت الأدلة على ذلك ، فقوم نوح ﷺ توعدوه بالرجم ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عنهم : ﴿ لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴾ [الشعراء : ١١٦] .

وقوم صالح ﷺ تقاسموا على قتله ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون﴾ [النمل : ٤٩] .

(١) في الأصل : الثالثة عشرة بعد المائة ، وفي (أ) : الثالثة بعد المائة ، وهي ساقطة من (جـ) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٢١٦/٣) .

وقال أصحاب مدين لنبي الله شعيب ﷺ : ﴿ ولولا رهطك لرجمناك ومالأنت علينا بعزيز ﴾ [هود : ٩١] .

وبنو إسرائيل قتلوا من قتلوا من الأنبياء ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾ [البقرة : ٨٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ [البقرة : ٦١] .

وقال ـ تعالى ـ في شأنهم : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران : ٢١] .

كما أنهم راموا قتل المسيح ابن مريم ﷺ ، بيد ان الله ـ تعالى ـ نجاه منهم، وكانوا يفتخرون بذلك ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ومن قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس : قتل مؤمن آل يس ، وقصة أصحاب البروج.

وقريش حاولت الفتك برسول الله ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقتلوا من قتلوا من الصحابة ، وعذبوا كثيرا ، وأخبارهم وسيرهم معروفة في كتب السير والتواريخ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد توعد ـ تعالى ـ من قتل الآمرين بالقسط من الناس ، فقال : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ﴾.

وعاب على الأمم قبلنا فعلهم ذلك ، ولاريب أنه تحذير من سلوك مسلكهم وقال ﷺ : « الكبر بطر الحق وغمط الناس ».

وقتل الذين يأمرون بالقسط سواء كانوا أنبياء ، أوغير أنبياء من أعظم الكبر ، بل هو غايته[١].

وعلى هذه الخصلة الجاهليون إلى يومنا هذا ، ففي بعض البلاد يمنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منعا باتا، ويعتقل من يفعل ذلك ، ويسام سوء العذاب، ويقتل من يقتل منهم .

وقد نجى الله ـ تعالى ـ هذه البلاد من هذه الفعلة القبيحة الردية ، ففيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم ، وله جهاز خاص ترعاه الدولة ، نسأل الله لهم التوفيق .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٥) .

الحادية عشرة[1] بعد المائة[2]

الإيمان بالجبت والطاغوت .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية الأميين والكتابيين التصديق بمعبودين من دون الله ، واتخاذهما إلهين ، وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله ، أوطاعة ، أوخضوع له ، كائنا ماكان ذلك المعظم من حجر أوإنسان أوشيطان[3].

وقد ذكر السلف عدة تفسيرات للجبت والطاغوت ، إلا أنه لاتضاد بينها ؛ لأن مردها إلى معنى واحد ، وهو ماأسلفت ذكره .

ومن هذه التفسيرات : أن الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان ، وهـذا مـروي عـن عمـر[4]، وأبـي

---

(١) من المسألة الحادية عشرة إلى المسألة التاسعة عشرة مكتوبة في جميع النسخ بتذكير عشرة .

(٢) في الأصل الرابعة : عشرة بعد المائة ،وفي (أ) : الرابعة بعد المائة ،وفي (جـ) :العاشرة بعد المائة

(٣) انظر : تفسير ابن جرير (٥/ ١٣٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة النساء ـ باب ﴿ وإن كنتم مرضى أوعلى سفر أوجاء أحد منكم من الغائط ﴾ ـ (٥/ ١٨٠) ، وقد وصله الحافظ في الفتح (٨/ ٢٥٢)، وقوّى إسناده ، كما وصله في تغليق التعليق (٤/ ١٩٦).

وأخرجه سعيد بن منصور في سننه ـ كتاب التفسير ـ باب تفسير سورة النساء ـ =

العالية[1]، ومجاهد[2]، وسعيد بن جبير[3].

ومنها : أن الجبت الساحر ، والطاغوت الكاهن ، وهو مروي عن ابن عباس[4]، وأبي العالية[5].

ومنها: أن الجبت الأصنام ، والطاغوت الذين يكونون بين أيدي الأصنام ، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، وهذا مروي عن ابن عباس[6].

قال ابن جرير بعد أن ذكر تفسيرات السلف لهذين اللفظين : « وإذا كان كذلك ، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتا وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كانا مقبولا منهما ماقالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب ، وكعب بن

= (١٢٨٣/٤)ح٦٤٩ ، وابن جرير في تفسيره (١٣١/٥) .
وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/٢) وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وذكره الحافظ ابن حجر في التغليق (٢٥٢/٤) وزاد نسبته إلى مسند مسدد .

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٥) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧٢/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٥) .
(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٢/٥) .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣٢/٥) .
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣١/٥) ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (١٧٢/٢) .

الأشرف ؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في المعصية بالله ، والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين »[1].

وقد فصل الإمام محمد بن عبدالوهاب القول في الطاغوت ، فقال : « والطاغوت عام ، فكل ماعبد من دون الله ، ورضي بالعبادة من معبود ، أومتبوع، أومطاع في غير طاعة الله ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله . . .

الثاني : الحاكم الجائر ، المغير لأحكام الله . . .

الثالث : الذي يحكم بغير ماأنزل الله . . .

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله . . .

الخامس : الذي يعبد من دون الله ، وهو راض بالعبادة . . . »[2].

وقد جاءت الأدلة صريحة في إيمان اهل الجاهلية بالجبت والطاغوت ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾[النساء : ٥١] .

وقال ـ تعالى ـ مشنعا على اليهود : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

---

(١) تفسير ابن جرير (١٣٣/٥) .

(٢) رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه (٢٧٦ ـ ٢٧٨) ضمن مجموع مؤلفاته ، القسم الأول .

الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ [النساء : ٦٠] .

ومعلوم من حال أهل الجاهلية أنهم كانوا يعبدون غير الله من الأصنام والشياطين ، كما قال ـ تعالى ـ :﴿ ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [يس :٦٠] .

وعبادتهم غير الله من الإيمان بالجبت والطاغوت ، ولاريب .

كما أنهم كانوا يتحاكمون إلى غير الله ، من الحكام المغيرين شرعه ، كما قال ـ تعالى ـ :﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ [آل عمران : ٢٣] ، وكما قال ـ تعالى ـ : ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾[1].

كما أنهم كانوا يطيعون سادتهم وكبراءهم في تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل[2].

كما أنهم كانوا يعتقدون في السحرة والكهان والعرافين والمنجمين ، وغيرهم من مدعي علم الغيب.

فالمقصود أن كل مافسر به هذان اللفظان ، فإن أهل الجاهلية كانوا

---

(١) مسألة التحاكم إلى الطاغوت سيأتي لها مزيد بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ (ص) .
(٢) راجع : شرح المسألة السابعة والثلاثين .

عليه .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فقد أخبر - تعالى - أن الكفر بالطاغوت أحد ركني كلمة الإخلاص ، وأنه مابعث نبيا إلا من أجل الدعوة إلى الكفر بالطاغوت ، فقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[النحل : ٣٦] .

وقال - تعالى - : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ونعى - جل وعلا - على من صدق بالجبت الطاغوت ، وشنع عليهم، وأبان خسرانهم ، كما في قوله : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﴾ .

وقد حذا أهل الجاهلية في هذا العصر حذو إخوانهم الأولين ، فآمنوا بالجبت والطاغوت ، وكفروا بالله .

ومن مظاهر ذلك : عبادة غير الله - تعالى - ، فقد علمنا في مسألة سابقة أن كثيرا من أهل هذا العصر قد عَبدوا غير الله - تعالى - ممن يَدَّعون أنهم أولياء وصالحون ، وصرفوا لهم أنواع العبادة كلها ، وتقربوا لهم بها ، وهذا أعظم صور الإيمان بالجبت والطاغوت .

ومن ذلك : طاعة غير الله في تحليل ماحرم الله ، وتحريم ماأحل ، وقد علمنا بوجود هذه الخصلة في شرح مسألة سابقة.

ومن ذلك : الإيمان بالكهنة والسحرة ومدعي علم الغيب ، وهذه الخصلة لاتزال موجودة.

ومن ذلك : التحاكم إلى غير ماأنزل الله من أحكام البشر ، وزبالة أذهانهم، وهذه الخصلة منتشرة في أغلب بلاد العالم الإسلامي اليوم ، وقد سلمت هذه البلاد ـ والفضل كله لله ، فله الحمد ـ من ذلك .

فالإيمان بالجبت والطاغوت موجود بجميع صوره التي كان عليها في الجاهلية.

الثانية عشرة بعد المائة[1]

تفضيل دين المشركين على دين المسلمين .

في هذه المسألة بيان خصلة من خصال أهل الكتاب ، والمراد منها أنهم كانوا يفضلون دين أهل الشرك على دين أهل التوحيد ، مع علمهم خلاف ذلك ، غير أن الحامل لهم عليه هو الحسد ، فكانوا يوهمون المشركين إذا سألوهم عن أي الدينين خير ، بأن دينهم خير من دين أهل الإسلام ، وبأن دينهم هو الحق ، ودين أهل الإسلام هو الباطل ، ودينهم القديم الذي عليه الناس من قرون متطاولة ، ودين محمد ﷺ حادث مبتدع ، وبأنهم على الهدى ، وأن محمدا ﷺ وأصحابه على ضلالة.

وقد دل على ذلك كتاب الله ـ تعالى ـ ، كما في قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾ [النساء : ٥١] .

فقد جاء في سبب نزول هذه الآية أن قريشا سألت أحبار اليهود عن دينهم ودين محمد ﷺ ؟ فزعم هؤلاء الأحبار أن دينهم خير من دين محمد ﷺ .

---

(١) في الأصل : الثامنة عشرة بعد المائة ، وفي (أ) الخامسة بعد المائة ، وفي (جـ) الحادية عشرة بعد المائة .

وقد سبق بيان أن اليهود أحبوا من عادوا نبيهم وطائفتهم غاية المحبة ، وأنهم اظهروا العداء لأهل دينهم(١).

كما سبق بيان أن اليهود ظاهروا المشركين على المسلمين في غزوة الأحزاب، وغيرها من الغزوات(٢).

وهذا كله دليل على تفضيلهم دين المشركين ، ومحبتهم له ، وبغضهم دين المسلمين.

وقد علمنا فيما مضى كيف خالفهم رسول الله ﷺ في هذه الخصلة .

وهذه الخصلة لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فإن كثيرا من الناس يفضل دين المشركين على دين المسلمين ، وذلك إمابلسان الحال ، أوبلسان المقال، أوبهما معا .

ذلك أنه لايخفى أن عباد القبور والأولياء والصالحين والطواغيت والشياطين ، قد أحبوا دين أبي جهل من عبادة اللات والعزى ، وأبغضوا دين محمد ﷺ وهو التوحيد الخالص من شوائب الشرك .

ألاتراهم ينتصرون ، ويناضلون عن هذا الدين الذي هم عليه ، وهو الذي مابعث الله من نبي إلاأمره بتقويض دعائمه ، ونقض أسسه ، ويبغضون من يدعوهم إلى خلافه ؟!

ومن ذلك : تفضيل حكم الطواغيت على حكم الله وشريعته .

---

(١) راجع : شرح المسألة الحادية والثلاثين .
(٢) اراجع : شرح المسألة الحادية والثلاثين .

ومن ذلك تفضيل أنظمة الكفار على أنظمة المسلمين .

ومن ذلك : تفضيل بعض الناس سنن الكفار وعاداتهم على سنة رسول الله ﷺ وهديه ، ودليل ذلك : محاكاة الكفار في كل شيء ، والله المستعان .

الثالثة عشرة بعد المائة[1]

لبس الحق بالباطل .

لبس الحق بالباطل هو خلطهما ، بحيث يشتبهان ، فلايتميز أحدهما عن الآخر[2].

وهذه الخصلة تنطلي على من سمع بعض دلائل الحق ؛ إذ لايتأتى صرفه عنها إلابتشويشها عليه .

وهي إحدى طريقتين من طرق إضلال الخلق ، وذلك أن المراد إضلاله لايخلو من حالين :

إحداهما : أن يكون سمع دلائل الحق ، وطريق إضلال هذا بتشويشها عليه، وتشكيكه فيها .

ثانيهما : أن لايكون قد سمع ذلك ، وطريق إضلال هذا يكون بكتمانها عنه[3].

وهذه من خصال الجاهليتين ،إلا أن لأهل الكتاب القِدح المعلى فيها.

---

(١) في الأصل : السادسة عشرة بعد المائة ، وفي(أ) : السادسة بعد المائة ، وفي (جـ) : الثانية عشرة بعد المائة .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٢٥٤) ، معالم التنزيل (١/ ٦٧) ، تفسير القرطبي (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ، البحر المحيط (١/ ١٧٩) ، تفسير ابن كثير (١/ ٨٤) .

(٣) انظر : تفسير الرازي (٣/ ٤٥) .

فمما يدل على أنها من خصال الأميين ، قوله ـ تعالى ـ في سياق الحديث عنهم : ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ [غافر : ٥] .

فقد ذكر الرازي أن المجادلة بالباطل هي لبسه بالحق[١].

كما أن قريشا كانوا يشككون فيما جاء به النبي ﷺ ، فتارة يزعمون أنه سحر، وتارة يزعمون أنه كهانة ، وتارة يزعمون أنه شعر ، وتارة يزعمون أنه لايعدو كونه أساطير الأولين ، وتارة يدعون القدرة على الإتيان بمثله ، وغير ذلك ، وكل هذا قصدوا من ورائه لبس الحق الذي جاء به النبي ﷺ بالباطل الذي ادعوه[٢].

ومما يدل على أنها من خصال أهل الكتاب ، قوله ـ تعالى ـ : ﴿يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عيكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ○ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ○ ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٠ ـ ٤٢] .

فهذه الآية فيها بيان واضح بأن بني إسرائيل كانوا يلبسون الحق بالباطل.

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾[آل عمران : ٧١] .

---

(١) انظر : تفسير الرازي (٣/ ٤٥) .
(٢) انظر : تفسير الرازي (٢٧/ ٣٠) .

ففي هذه الآية إنكار من الله ـ تعالى ـ على بني إسرائيل فعلهم ذلك .

وقد سلك بنو إسرائيل في لبس الحق بالباطل مسالك شتى ، منها تحريف التوراة والإنجيل ، وخلط صدقهما المنزل ، بكذبها المحرف ، بحيث لايتميز أحدهما عن الآخر عند أكثر الناس .

وهذا معنى ماجاء عن عبدالرحمن بن زيد في تفسير ذلك[1].

ومنها خلط اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وهم يعلمون ان اليهودية والنصرانية بدعة محدثة ، وأن الدين الحق هو دين الإسلام .

وهذا معنى ماجاء عن قتادة[2].

ومنها تأولهم مافي كتبهم تأولا فاسدا ، كتأولهم في مسألة شحوم الخنازير .

ومنها : الإيمان ببعض الكتاب ، والكفر ببعضه الآخر ، فإنهم قد خلطوا بين الإيمان والكفر ، ولاشك أن في هذا تلبيسا على الناس ، وخاصة السذج منهم .

قال الشنقيطي : « قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل ﴾ الحق الذي لبسوه بالباطل هو إيمانهم ببعض مافي التوراة ، والباطل الذي لبسوا به الحق هو كفرهم ببعض مافي التوراة ، وجحدهم له ، كصفات رسول الله ﷺ ، وغيرها مماكتموه ، وجحدوه ، وهذا يبينه قوله ـ

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٢٥٥) .
(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٣١٠) .

تعالى ـ : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ والعبرة بعموم الألفاظ ، لابخصوص الأسباب »[1].

ومنها : الإقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه ، كإقرارهم بأن النبي ﷺ مبعوث لكن إلى غيرهم[2]، وإيمانهم أول النهار والكفر آخره ؛ تلبيسا على الناس بإلقاء الشك في قلوبهم ، كما سبق بيانه[3].

ومنها : تلبيسهم على المشركين ، بزعمهم أنهم أهدى سبيلا من المؤمنين ، وتفضيلهم دينهم على دين المسلمين[4]، إلى غير ذلك من وسائلهم الخبيثة الماكرة التي راموا من ورائها لبس الحق الذي جاءت به الرسل بالباطل الذي ائتفكوه .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإن الله ـ تعالى ـ حرم ذلك ، وشنع على اليهود فعلهم ذلك ، وأمر ـ تعالى ـ ببيان الحق ، وإظهاره واضحا لالبس فيه ولاغموض .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه ﴾[آل عمران : ١٨٧] .

وأمر ﷺ بالنصح للأمة ، كما في قوله : « الدين النصيحة ».

ولاشك أن من مقتضى النصح لهم : دفع مايزول به الإشكال عنهم ،

---

(١) أضواء البيان (١/ ١٣٦) .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير (١/ ٢٥٤) .
(٣) راجع : شرح المسألة الرابعة والخمسين .
(٤) راجع : شرح المسألة الثانية عشرة بعد المائة .

وبيان الحق لهم على الوجه الصحيح .

وهذه الخصلة ، لاتزال موجودة في أهل الضلال من أهل هذا العصر، فلقد سلك هؤلاء ماسلكه الأوائل في هذه الخصلة ، شبرا بشبر ، وذراعا بذراع.

ومن مظاهر ذلك : أن أهل البدع في باب الأسماء والصفات سلكوا مسلك اليهود والنصارى في تحريف كتاب الله ـ تعالى ـ ، وفسروه على غير مراد الله ، وزعموا أن ذلك مراده ، فنفوا بذلك أسماءه وصفاته ، وعطلوه منها ، وزعموا أن هذا دلالة الكتاب .

ومن ذلك : ماوقع فيه أهل البدع في باب القدر ـ سواء كانوا جبرية، أوقدرية ـ ، فإنهم فسروا كتاب الله ، بحسب ماتقرر عندهم مسبقا من المعتقدات الباطلة ، وحملوا الآيات مالاتحتمله ، وعطلوا دلالتها الصحيحة ، وزعموا أن ذلك مقتضى الكتاب .

ومن ذلك ماموه به أهل الكلام المذموم على السذج من المسلمين بتصوير الحق بصور ينفر منها ذوو القلوب الحية ، كتصويرهم أن إثبات الصفات الاختيارية، يعني حلول الحوادث بذات الرب ـ جل جلاله ـ[1]، ودعواهم أن من يثبت مثل الوجه واليدين لله ـ تعالى ـ بأنه يقول بالتبعيض[2]، ودعواهم أن من يقول بالعلو بأنه يقول بأن الله ـ تعالى ـ حال

---

(١) انظر :شرح الطحاوية لابن أبي العز (٩٧/١) .

(٢) انظر : أساس التقديس للرازي (١٤٩ ـ ١٨٧) ، فقد ذكر جملة من الصفات التي =

في جهة مخلوقة[1].

ومن ذلك : وصف من يدعو إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده ، ونبذ عبادة من سواه ، بأنه يكره الصالحين والأنبياء ، ويتنقصهم .

ومن ذلك إظهار الباطل بمظهر الحق ، كتسمية نفي الصفات : تنزيها وتوحيدا، وتسمية نفي القدر : عدلا ، وتسمية الخروج على ولاة الأمر : أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر[2]، وتسمية عبادة غير الله ـ تعالى ـ : توسلا ، وتشفعا.

ومن ذلك : الاستدلال على الباطل بنصوص الكتاب والسنة ، مع عدم دلالتهما على ذلك .

ومن ذلك : رواية الأحاديث الموضوعة المختلقة على النبي ﷺ ، والاستدلال بها على الباطل ، ونسبة ذلك للرسول ﷺ .

ومن ذلك : النفاق الحاصل اليوم ، والظهور بمظهر النصح للأمة ، مع الكيد لها ولدينها .

ومن ذلك : مايجري من الخلط بين الحق والباطل في المحاكم القانونية ، حين يجعلون جزءا منها يحكم بالشريعة ، وبقية ذلك بالقانون الطاغوتي .

فهذه بعض صور وجود هذه الخصلة ، والله أعلم .

= نفاها بحجة أنها توهم التبعيض بزعمه الفاسد .

(١) انظر : أساس التقديس (١٩٤ ـ ٢١٤) .

(٢) وهذه تسمية المعتزلة لما ذهبوا إليه من أصولهم الخمسة الباطلة .

الرابعة عشرة بعد المائة[1]

كتمان الحق ، مع العلم[2] به .

هذه هي الطريقة الثانية من طرق إضلال الناس ، فقد علمنا في المسألة السابقة أن تلك تنطلي على من سمع بعض دلائل الحق .

أما هذه فإنها تنطلي على من لم يسمع ذلك ، فسبيل إضلال مثل هذا، عدم إخباره بها ، وكتمانها عنه[3].

والمراد بكتمان الحق مع العلم به : إخفاء دلائله ممن علم بها ، عمن لم يعلم بها[4].

وهذه الخصلة ـ عندي ـ أنها من خصال أهل الكتاب وحدهم ، وذلك لأن الأميين ليس لديهم معرفة بالحق .

وقد تظاهرت النصوص التي تبين ماوقع فيه أهل الكتاب من كتمان الحق الذي يعلمونه ، ومنها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب

(١) في الأصل : السابعة عشرة بعد المائة ،و (أ) : السابعة بعد المائة ، وفي (جـ): الثالثة عشرة بعد المائة

(٢) في (أ) : « علمه » .

(٣) انظر : تفسير الرازي (٣/ ٤٥) ، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة د. سيد طنطاوي (٣٣٢) .

(٤) انظر : المرجعين السابقين .

يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ [آل عمران : ٧١] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون﴾ [آل عمران :١٨٧] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ﴾ [المائدة :١٥] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولاآباؤكم﴾[الأنعام:٩١]

فهذه الآيات نص في كون أهل الكتاب كانوا يكتمون ماأنزل الله ، مع علمهم به .

وقد علمنا في مسائل سابقة أنهم حرفوا كتاب الله ـ تعالى ـ الذي بين أيديهم، وأظهروا للناس الباطل ، وكتموا الحق الواجب عليهم إظهاره ، كإخفائهم صفة النبيﷺ التي جاءت في كتابهم[١].

كما أنهم كتموا مايجب عليهم بيانه من القول بالحق ، حينما سألتهم

---

(١) راجع : شرح المسألة السادسة والعشرين .

قريش عن أي الفريقين أهدى.

كما أنهم كتموا بعض أحكام شريعتهم ، ككتمانهم حد الزنا.

فالمقصود أنهم كتموا مايجب عليهم بيانه للناس واضحا جليا .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فإن الله - تعالى - أمر ببيان الحق ، ونهى عن كتمانه ، فقال : ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ٤٢] .

وقال - تعالى - : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه﴾.

قال قتادة : « هذا ميثاق أخذه الله على اهل العلم ، فمن علم علما فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم ، فإنه هلكة »[1].

وحذر ﷺ من كتمان العلم ، فقال : « من سئل عن علم فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار »[2].

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٣/٤) ، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١٨٢/٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٨/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه - كتاب العلم - باب ماجاء في كتمان العلم - (٢٩/٥)ح٢٦٤٩ ، وابن ماجه في سننه - المقدمة - باب من سئل عن علم فكتمه - (٩٨/١)ح٢٦٦ ، وأحمد في مسنده (٢٦٣/٢ ، ٢٩٦، ٤٩٥) والطبراني في الأوسط (١٥٣/٣) ح٢٣١١ ، وابن عدي في الكامل (٣٨٣/٢) ، والحاكم في مستدركه - كتاب العلم - (١٠١/١) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٦٨/٢) ، والبغوي في شرح السنة - كتاب العلم - باب وعيد من كتم علما يعلمه - (٣٠١/١) الحديث (١٤٠) ، كلهم من حديث أبي هريرة .
وقد حسنه الترمذي ، والبغوي .

وأمر ﷺ بالتبليغ عنه ، فقال : « بلغوا عني ولو آية»[1].

فكتمان العلم مع العلم به محرم لايجوز ، فمن كتم علما ، فقد شابه اليهود.

وهذه المسألة من المسائل التي لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، وشاهد هذا أنك ترى كثيرا من العلماء يسكتون عن منكرات المعتقدات والأخلاق والسلوك ، فتجد الشرك الصراح في بلادهم ، من عبادة الأضرحة: استغاثة ودعاء وتوكلا وغير ذلك ، ومع ذلك لايحركون ساكنا ، ولايبينون للناس خطر هذا الأمر وعظمه، وتجدهم في باب منكرات الأخلاق والسلوك ، لاينكرون على الناس شيئا فعلوه ، ولايبينون لهم الحق في ذلك.

= وأخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن ـ باب من سئل عن علم فكتمه ـ (١/ ٩٧) ح٢٦٤ من حديث أنس .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٢٥) ح١٠٠٨٩ من حديث ابن عبدالله بن عمرو .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٦٣) : « فيه سوار بن مصعب ، وهو متروك »، وقال الحاكم في المستدرك (١/ ١٠١) : « ووجدنا الحديث بإسناد صحيح لاغبار عليه عن ابن عمرو » .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٤٥)ح ١١٣١٠ ، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٦٠) من حديث ابن عباس .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦٣) : « ورجاله رجال الصحيح » .
وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٤٠١) ح٨٢٥١ ، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ١٥٦) ، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٥٣) ، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٩٧) ح١٤٢ من حديث طلق بن علي .
وأخرجه أبونعيم في تارخ أصبهان (١/ ٢٩٧) ، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٨٢) من حديث جابر بن عبدالله .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأنبياء ـ باب ماذكر عن بني إسرائيل ـ (٤/ ١٤٥) .

يقول المنفلوطي ـ وهو ينعى على ماوقع فيه كثير من المسلمين من الشرك بالله تعالى ـ : « ياقادة الأمة ورؤساءها ، عذرنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها ، وقلنا : إن العامي أقصر نظرا ، وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إذا رآها ماثلة في النصب والتماثيل والأضرحة والقبور ، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله . . . إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم : « كل خير في اتباع من سلف ، وكل شر في اتباع من خلف ، فها تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبرا ، أويتوسلون بضريح . . . والله ماجهلتم شيئا من هذا ، ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة ، فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم ، وانتقاص أمركم ، وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ، ويستعبدون رقابكم ، ويخربون دياركم ، والله شديد العقاب »[1] .

ومن صور كتمان العلم في هذا الوقت : العزلة عن الناس ، مع حاجتهم إليهم .

ومن صور ذلك ـ أيضا ـ : الامتناع عن التعليم ، وإفادة الناس مما منحه الله من العلوم التي يحتاج الناس إليها .

والله ـ تعالى ـ أعلم ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) النظرات (٢/٦٩ ـ ٧٠) .

الخامسة عشرة بعد المائة[1]

قاعدة الضلال ، وهي القول على الله بلا علم .

القول على الله بلا علم ، سبق الكلام عليه ضمن الكلام على مسألة افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ ، وذلك أن كل قائل على الله ـ تعالى ـ بغير علم ، فهو مفتر عليه ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

(١) في الأصل : الثامنة عشرة بعد المائة ، وفي (أ) : الثامنة بعد المائة ، وفي (جـ): الرابعة عشرة بعد المائة .

السادسة عشرة بعد المائة[1]

التناقض الواضح لما[2] كذبوا بالحق[3] ، كما قال : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج[4] ﴾ [ق : ٥] .

يبين المؤلف رحمه الله بهذه المسألة نتيجة تكذيب أهل الجاهلية بالحق الذي جاءهم من عند الله ـ تعالى ـ على لسان رسلهم عليهم السلام ، فيذكر أنهم نتيجة لذلك أصبحوا متناقضين فيما بينهم أعظم التناقض ، فما يقول به هذا لايقول به ذاك ، ومايعتقده هذا لايعتقده ذاك ، فليسوا على مذهب واحد ، ولارأي واحد ، بل قلوبهم شتى .

بل إن الواحد منهم ليتناقض فيما يعتقده ، ويقول به ، فهو اليوم على معتقد، وغدا على غيره ، ليس له ثبات على رأي واحد ، ولاعلى دين واحد .

وقد استدل المؤلف رحمه الله على هذه المسالة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج ﴾ .

---

(١) في الأصل : التاسعة عشرة بعد المائة ، وفي (أ) التاسعة بعد المائة ، وفي (جـ) الخامسة عشرة بعد المائة .
(٢) في (أ) « بما » .
(٣) في (د) « الحق » .
(٤) ﴿ فهم في أمر مريج ﴾ ساقط من (أ) وفيها « الآية » .

ووجه الاستدلال منها ظاهر ، فالأمر المريج هو المضطرب المختلف[1]، والله - تعالى - علل اضطراب أمرهم ، واختلافهم بتكذيبهم بالحق .

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ : « من ترك الحق أمرج عليه رأيه ، والتبس عليه دينه »[2].

ومما يدل على تناقضهم : اختلافهم في المعبودات التي عبدوها من دون الله، وتعددها ، فقوم يعبدون اللات ، وقوم يعبدون العزى ، وقوم يعبدون ودا ، وقوم يعبدون سواعا . . .[3].

بل كان الواحد منهم يعبد صنما ، فإذا وجد ماهو أحسن منه في نظره استبدله به .

ومنه : تناقضهم في مسألة القدر - كما سبق[4] - حيث انقسموا فيه ثلاثة أقسام.

ومنه تناقضهم في الحكم على رسول الله ﷺ ، فتارة يزعمون أنه كاهن ، وتارة يزعمون أنه مجنون ، وتارة يزعمون أنه ساحر ، وتارة يزعمون أنه كذاب[5].

---

(١) انظر : بحر العلوم (٣/٢٦٩) ، تفسير ابن جرير (٢٦/١٤٩ - ١٥٠) ، معالم التنزيل (٤/٢٢١) ، تفسير ابن كثير (٤/٢٢٣) .
(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٣٦) .
(٣) انظر في تعدد أصنامهم وكثرتها : كتاب الأصنام للكلبي .
(٤) انظر : شرح المسألة الثالثة والأربعين والرابعة والأربعين والخامسة والأربعين .
(٥) انظر : معالم التنزيل (٤/٢٢١) ، تفسير القرطبي (١٧/٥) .

ومنه اضطراب النصارى في أمر عيسى ابن مريم ﷺ ، فهم يزعمون مرة أنه ابن الله ، ومرة أنه الله ، ومرة أنه ثالث ثلاثة ، وقد حكى الله - تعالى - اضطرابهم هذا في كتابه ، فقال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ٧٢] ، وقال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة :٧٣] ، وقال - تعالى - : ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠] .

ومما يدل على اضطراب أهل الكتاب - أيضا - ماسبق من ذكر إخبار الرسول ﷺ عن افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتراق النصارى على ثنتين وسبعين فرقة .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإنه - كما سبق آمن بالحق كله ، ولم يكذب بشيء منه ألبتة.

ولما لم يكذب بشيء منه ، فمن أين يأتيه التناقض وهو لم يتبع سوى الحكمة التي قال الله فيها : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [النساء :٨٢] ؟ .

ولذلك من اتبعه ﷺ ، سلم من التناقض ، والحيرة والاضطراب ، ومن خالفه ، وقع في ذلك بلاريب .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فأهل البدع والضلال لما كذبوا بالحق ، لم يزالوا متناقضين ، فأمرهم مريج .

وشاهد هذا ماتراه من انقسام كل طائفة من طوائف أهل البدع ،

فالمعتزلة فرق شتى[1]، والرافضة مثلهم[2]، وهكذا المرجئة[3]، والخوارج[4].

وانظر إلى الطرق الصوفية وتعددها[5]، وتعدد معبوداتهم من دون الله ، واعتقاد كل طائفة أنها هي التي على الحق ، وأن غيرها على الباطل .

وانظر إلى القبوريين وتعدد آلهتهم ، فهذا يعبد هذا القبر ، وهذا يعبد غيره ، فكثرت الآلهة من دون الله ، وهذا يعرفه من يعرف كثرة المشاهد المعبودة .

وانظر إلى تذبذب علماء الكلام وحيرتهم ، وعدم ثباتهم على رأي واحد، واعترافهم ، وندمهم على ذلك[6].

وانظر إلى محكمي القوانين الوضعية ، ومعتنقي المذاهب الأوربية الردية ، كيف أنهم لايثبتون على مذهب واحد ، ورأي واحد ، فتجد بعضهم يحكم بالقوانين الفرنسية ، وآخر بالطليانية ، وثالث بالإنجليزية ، وهكذا ، بل ربما يستبدل هذه القوانين بتلك ، أويلفق بينها .

---

(١) انظر : الملل والنحل (١/ ٤٦ ـ ٧٨) ، الفرق بين الفرق (١١٨ ـ ١٨٤) .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥ ـ ١٠٥) ، الملل والنحل (١/ ١٤٦ ـ ١٩٨) ، الفرق بين الفرق (٢٩ ـ ٧٢) ، فرق الشيعة للنوبختي .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣ ـ ٢٢٣) ، الملل والنحل (١/ ١٤٠ ـ ١٤٦) ، الفرق بين الفرق (٢٠٢ ـ ٢٢٥) .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧ ـ ٢١١) ، الملل والنحل (١/ ١١٥ ـ ١٣٨) ، الفرق بين الفرق (٧٢ ـ ١١٤) .

(٥) انظر : الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ، وتنبه إلى أن هذه الطرق في بلد واحد ، فما بالك بالبلاد الأخرى ؟!

(٦) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ١٥٩ ـ ١٦٦) ، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٧) .

وأما في اعتقاد المذاهب الغربية أوالشرقية ، فقد رأينا شاهد ذلك في الأعوام القليلة المنصرمة ، وما زلنا نرى الدول التي كانت تحكم بنظام ماركس سياسة واقتصادا ، رجعت بعد أن رأت فشله ، وعدم صلاحيته ، فأخذت تتخبط في إيجاد نظم لها ، علها تجد ـ بزعمها ـ الخير فيها .

وفي هذا يقول نذير حمدان : « . . . وأن هذه المذاهب ، وفي مقدمتها الشيوعية ، لم تفشل حاليا بسبب نظامها الاقتصادي وحسب ، وإنما بسبب ثوابتها الفكرية الباطلة ، وقواعدها النظرية اللازمة ، وتطبيقاتها المتقلبة المتحولة »[1]

ونحن نقطع قطعا جازما أن هذه الدول لن تجد دواءها إلا في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسولهﷺ ، وأما غيرها فلن تجد إلا الخسارة في الدنيا والآخرة، والتناقض الواضح .

فهذه بعض المثل التي تدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله المستعان .

---

(١) الحق مواقعه وخصائصه لنذير حمدان (١٤٧) .

السابعة عشرة بعد المائة[1]

الإيمان ببعض المنزل دون بعض .

في هذه المسألة التي ذكرها المؤلف رحمه الله بيان لما كان عليه جاهليو أهل الكتاب من التفريق بين ماأنزل الله ـ تعالى ـ على رسله عليهم السلام .

وذلك أنهم كانوا يؤمنون بما تهواه أنفسهم ، ويوافق رغباتهم ، وماليس كذلك، فإنهم يكفرون به ، فكانوا يؤمنون ببعض التوراة ، ويكفرون ببعضها الآخر، ويؤمنون بما جاء به هذا النبي ، ويكفرون بما جاء به الآخر ، مع أن كلا من عند الله ، فيلزمهم الإيمان بكل ماجاء من عند الله ، أوالكفر به كله ؛ لأن التفريق بين ذلك تناقض .

وقد عاب الله ـ تعالى ـ على أهل الكتاب ذلك ، وتوعدهم عليه ، فقال : ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ○ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى

(١) في الأصل : العشرون بعد المائة ، وفي (أ) : الحادية عشرة بعد المائة ، وفي (جـ): السادسة عشرة بعد المائة .

أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة : ٨٤ ـ ٨٥] .

فهذه الآيات الكريمات بينت منهج أهل الكتاب في الإيمان ببعض المنزل، والكفر ببعضه الآخر .

وهذه الآية نزلت في اليهود ، وذلك أنه كان محرما عليهم في كتابهم قتل بعضهم بعضا ، وإخراج بعضهم بعضا من الديار ، وواجبا عليهم افتداء الأسير من أهل دينهم ، فإذا نشبت الحرب بينهم تبعا للأوس والخزرج ، تسافكوا الدماء ، ولم يأخذوا بوصية كتابهم ، فإذا توقفت الحرب ، تفادوا الأسرى عملا بما في كتابهم ، وهذا هو إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض ، كما ذكر ذلك ابن عباس[(١)].

ومما يدل على ذلك ـ أيضا ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه ﴾ [الرعد : ٣٦] .

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ « هم أهل الكتاب ، ينكرون بعض القرآن »[(٢)].

ومن إيمانهم ببعض المنزل ، وكفرهم ببعضه ، عملهم ببعض الأحكام التي في كتابهم ، وترك العمل ببعضها ، كتركهم العمل بحد الرجم .

ومن ذلك ، كفرهم بما جاء في كتابهم من البشارة بالنبي ﷺ .

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ، كما في مختصر ابن هشام (١٨٧/٢) ، وابن جرير في تفسيره (٣٩٧/١) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦١ ـ ١٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦) رقم (٨٥٩، ٨٦١، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٧٥) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٦٤) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

فهذا بعض مايدل على أن أهل الكتاب واقعون في هذه الخصلة الذميمة.

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فلم يفرق بين ماأنزل الله ، بل آمن بكل ماجاء من عنده ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ [آل عمران : ١١٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ﴾ [البقرة :١٣٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ﴾ المائدة :٥٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ [العنكبوت :٤٦] .

فهذا هدي رسول الله ﷺ .

وقد خالف أهل البدع هدي رسول الله ﷺ في هذه الخصلة ، واتبعوا سنن الكفار من اليهود .

ومن صور ذلك : احتجاج أهل البدع ببعض الآيات ، وترك النظر فيما يوجه دلالتها من الآيات الأخرى ، كاحتجاج المعتزلة ـ مثلا ـ على قولهم الباطل في القدر بما ترونه مؤيدا لمذهبهم ، وتركهم الآيات التي ترد عليهم فهم ذلك ، ومثلهم الجبرية ، وهكذا أهل البدع كلهم .

ومـــن صـــور ذلـــك ـ أيضـــا ـ : إنكـــار الاحتجـــاج بخبر

الآحاد[1] في العقائد ، والاحتجاج به في الأحكام[2].

ومن ذلك : إنكار السنة أصلا من الأصول ، والاكتفاء بالقرآن[3] وذلك أن هذا كله من عند الله ـ تعالى ـ ، فمن آمن ببعض ، وأنكر بعضا ، فقد تناقض ، وأعظم الفرية على الله ، وعلى رسوله ﷺ .

ومن ذلك : التصديق ببعض ماجاء في الكتاب أوالسنة ، وتكذيب بعضها ، كالإيمان ببعض المعجزات ، أوالأخبار ، والكفر ببعضها الآخر ، مما تعجز العقول عن إدراكه ، ونحو ذلك ، والله أعلم .

---

(١) الآحاد : مالم يبلغ نقلته حد المتواتر ، والمتواتر : ماوراه جماعة يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بحيث لايمكن ان يتواطؤا على الكذب عن مثلهم من أول الإسناد إلى آخره، وأسندوه إلى شيء محسوس ، كرأينا ، وسمعنا .
انظر : الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٥٠) ، علوم الحديث لابن الصلاح (٢٤١) ، تدريب الراوي (٢/١٧٦) .

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٦٨ ـ ٧٧٠) ، الإرشاد لأبي المعالي (٣٥٩) ، الشامل في أصول الدين (٥٥٧)، أساس التقديس (٢١٥ ـ ٢١٩) ، السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم د. عبدالموجود عبداللطيف (١٠٨ ـ ١١٢) .

(٣) انظر : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د. مصطفى السباعي (١٥٣ ـ ١٦٦) ، السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم (٨٨ ـ ٨٩ ، ١٠٠ ـ ١٠٤) ، زوابع في وجه السنة د. صلاح الدين مقبول (٣٣ ـ ٧٨) ، دراسات في الحديث النبوي د. محمد مصطفى الأعظمي (٢١ ـ ٤٢) ، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا د. محمد لقمان السلفي (٤٥٦ ـ ٤٦٧) ، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، فتنة إنكار السنة في شبه القارة الهندية ، هذه دعوتنا لعبد اللطيف مشتهري (٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

الثامنة عشرة بعد المائة[1]

التفريق بين الرسل .

يعني المؤلف بهذه الخصلة بيان ماكان عليه أهل الجاهلية الكتابيون من التفريق بين رسل الله عليهم السلام .

والمراد به الإيمان ببعضهم ، والكفر ببعضهم ، فيصدقون بعضهم ، ويكذبون آخرين[2]، كإيمانهم ببعض المنزل دون بعض .

فكما أنهم في تلك الخصلة اتبعوا أهواءهم ، فآمنوا بما يهوونه ، وكفروا بما لايهوونه ، فهنا ـ أيضا ـ آمنوا بمن يهوون ، وكفروا بمن لايهوون .

وقد بين الله ـ تعالى ـ ذلك في كتابه ، فقال : ﴿ ولقد آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ [البقرة :٨٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ﴾ [المائدة: ٧٠] .

---

(١) في الأصل : الحادية والعشرون بعد المائة ، وفي (أ) العاشرة بعد المائة ، وفي (جـ) السابعة عشرة بعد المائة .

(٢) انظر : تفسير ابن جرير (٦/ ٥ ـ ٦) ، بحر العلوم (١/ ٤٠١) ، المحرر الوجيز (٤/ ٢٩٦) ، تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٢) .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ○ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥١] .

قال قتادة رحمه الله : « أولئك أعداء الله اليهود والنصارى ، آمنت اليهود بالتوراة وموسى ، وكفروا بالإنجيل وعيسى ، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى ، وكفروا بالقرآن ومحمد ﷺ ، فاتخذوا اليهودية والنصرانية »[١].

ومن الأنبياء الذين كفر بهم اليهود : سليمان بن داود ﷺ ، فقد كانوا يعدونه ساحرا ، ولذلك تعجبوا لما ذكره النبي من الأنبياء .

ومن الأنبياء ـ أيضا ـ : عيسى ، ومحمد عليهما السلام .

ومن الأنبياء الذين كفر بهم النصارى : محمد ﷺ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية ، فآمن بالأنبياء جميعهم ، ولم يفرق بين أحد منهم ، مستجيبا لأمر ربه حين قال : ﴿ قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وماأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة:١٣٦] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل آمنا بالله وماأنزل علينا وماأنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتي موسى وعيسى والنبيون من

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٦/٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٢٣٧) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٤] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا استجابة نبيه ﷺ لما أمره به : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وهذه سنة المرسلين كلهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[آل عمران:٨١] .

فالله ـ تعالى ـ أخذ العهد على كل واحد منهم ليؤمنن بمن سبقه ، وبمن أتى بعده.

وبين ـ جل وعلا ـ ما لمن آمن بالرسل كلهم من الأجر العظيم ، فقال: ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولـئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما ﴾ [النساء : ١٥٢] .

ومن كفر بواحد فقد كفربهم كلهم ، حيث لاينفعه إيمانه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء:١٠٥] ، مع أنه لم يبعث إليهم سوى نوح ﷺ .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فاليهود والنصارى ، لاشك أنهم لايؤمنون بالنبي ﷺ ، واليهود ـ كما سبق آنفا ـ لايؤمنون بسليمان ولاالمسيح عليهما السلام .

كما أن هذه الخصلة موجودة عند أحد الكتاب المشهورين ، ألا وهو العقاد[1]، حيث إنه يرى أن ماقبل إبراهيم من النبوات ، ليست إلا كهانة ، ويرى أنه رسول جاء بالتوحيد ، وإليك نص ماقاله : « كانت دعوة إبراهيم هي الفتح الجديد في تاريخ العقيدة ، فلم يبدأ إبراهيم عقيدة التوحيد ، ولم يبدأ عقيدة الفداء ، ولم يبدأ عقيدة البقاء ، ولكنه بدأ بالدعوة النبوية ، فاصطبغت العقائد بصبغتها ، حتى كأنها لم تسمع قط قبل ذلك في عهود الكهانات والهياكل »[2].

فهو يرى أن العقائد كانت موجودة قبل إبراهيم ، ولكن ليس عليها أي صبغة نبوية ، حتى جاء إبراهيم فاصطبغت بهذه الصبغة ، وهو بهذا يتجاهل النبوات السابقة على نبوة إبراهيم ﷺ .

فهذا مثال للتفريق بين الرسل ـ وإن كان كما ذكرت قبل قليل ـ لايكاد يوجد إلا عند الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارى ، والله أعلم .

---

(١) هو عباس بن محمود بن مصطفى العقاد ، أديب مصري ، ولد سنة ١٣٠٦هـ ، وتعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وألم بها ، له مؤلفات كثيرة منها : أبو الأنبياء ، عن الله .
انظر : الأعلام (٣/٢٦٦ ـ ٢٦٧) ، الأدب العربي المعاصر لشوقي ضيف (١/١٢٠ ـ ١٢٨) .

(٢) أبو الأنبياء ، ضمن مجموعة موسوعة العقاد (١١/١٩٧) .

التاسعة عشرة بعد المائة[1]

محاجتهم[2] فيما[3] ليس لهم به علم .

يريد المؤلف رحمه الله بهذه المسألة أن يبين أن من خصال أهل الجاهلية أنهم يجادلون ، ويحاجون فيما لابرهان لهم عليه ، من الاعتقادات والأحكام وغيرها .

وهذه الخصومة والمجادلة غرضهم منها دفع الحق بالباطل ، ولبسه به ، وإضلال الناس عنه .

وأول من جادل فيما ليس له به علم إبليس ، وذلك حينما أمره الله ـ تعالى ـ بالسجود لآدم ﷺ ، فامتنع ، وأدلى بحجته الداحضة ، واعترض على ربه .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين .

وقد بين الله ـ تعالى ـ ذلك في كتابه الكريم ، فقال عن أهل الكتاب : ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ○ هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما

---

(١) في الأصل : الثانية والعشرون بعد المائة ، وفي (أ) : الثانية عشرة بعد المائة ، وفي (جـ) : الثامنة عشرة بعد المائة .
(٢) في (أ) : « المحاجة » ، وفي (جـ) و (د) : « مخالفتهم » .
(٣) في (أ) : « بما » .

ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾ [آل عمران : ٦٥ ـ ٦٦] .

وهذه الآية نزلت حين اجتمع اليهود والنصارى عند النبي ﷺ وادعت كل طائفة أن إبرهيم ﷺ منها[١].

وهذا ادعاء بغير علم ؛ لأن إبراهيم ﷺ كان قبل اليهودية والنصرانية ، ولكن غرضهم من هذا دفع دعوة النبي ﷺ ، وتكذيبه في انه على دين إبراهيم ﷺ[٢].

ومن ذلك : جدالهم في دعوى البنوة لله ـ تعالى ـ ، فهم زعموا أن لله ـ تعالى ـ ولدا ، وجادلوا في ذلك وهم كاذبون ، ولايعلمون ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولالآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾[الكهف : ٤ ـ ٥] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ﴾[التوبة : ٣٠] .

وجادلوا في شأن المسيح ﷺ ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[آل عمران: ٦١] .

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة كما في مختصر ابن هشام (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) ، وابن جرير في تفسيره (٣/ ٣٠٥) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٨٤) عن ابن عباس .

(٢) انظر : مناهج الجدل في القرآن الكريم د.زاهر بن عواض الألمعي (٤١٦) .

وجادل الأميون ـ بغير علم ـ في قضايا كثيرة ، منها : قضية الألوهية ، كما قال ـ تعالى ـ مخبرا عن قوم هودﷺ : ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان ﴾[الأعراف :٧١] .

وجادل قوم إبراهيم ﷺ إبراهيم في القضية نفسها ، فرد عليهم ببيان جهلهم بما جادلوا فيه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولاأخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلاتتذكرون ○ وكيف أخاف ماأشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴾ [الأنعام: ٨٠ ـ ٨١] .

فليس لهم حجة ولابرهان على مايحاجون فيه ، إنما هو محض افتراء وتقول بغير علم.

كما جادلت قريش ـ أيضا ـ في هذه القضية ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾[الحج :٣] .

وهذه الآية نزلت في النضر بن الحارث[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغيرعلم ولاهدى ولاكتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾[الحج : ٧ ـ ٨] .

وهكذا كل نبي جادله قومه في هذه القضية بغير علم ، فقد سبق أن ذكرنا أن أهل الشرك ليس لهم مستند في شركهم سوى التقليد ، والتقليد ليس

---

(١) ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٤٤) ونسبه إلى ابن أبي حاتم .

علما .

كما أنهم - أعني الأمين - جادلوا في قضايا النبوة ، كما قال - تعالى -: ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ۝ قال ياقوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون﴾[الأعراف :٥٩ - ٦٢] .

وقال - تعالى - عن جدالهم - بغير علم - في شأن محمد ﷺ : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾[الفرقان :٧] .

وهكذا وقع بين الأنبياء وأممهم .

وجادلوا في البعث بغير علم ، كما قال - تعالى - : ﴿ وقالوا ماهي إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلايظنون﴾[الجاثية : ٢٤] .

وجادلوا في القدر بغير علم ، كما قال - تعالى - : ﴿ سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلاالظن وإن أنتم إلاتخرصون﴾[الأنعام :١٤٨] .

كما جادلوا في التشريعات وغيرها[١].

---

(١) انظر في مسألة الجدل بتوسع : استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن ناصح الحنبلي ، الإتقان للسيوطي (٢/ ١٧٢ - ١٧٥) ، مناهج الجدل في القرآن ، الجدل في القرآن د . =

فهذه الأمثلة التي ذكرتها ـ وغيرها كثير ـ تبين أن أهل الجاهلية ماكانوا يجادلون بعلم ، ليحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، وإنما كانوا يجادلون بغيرعلم، ليكون خلاف ذلك .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فما كان ﷺ يخاصم إلافيما يعلمه ، أما مالم يكن يعلمه ، فكان ﷺ يسكت عنه ، حتى ينزل عليه فيه شيء ، كما في مسألة الروح ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[الإسراء:٨٥] ، وكما في قصة أصحاب الكهف ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾[الكهف: ٢٦] وغيرها .

وأمر الله ـ تعالى ـ بالمجادلة بالتي هي أحسن ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[النحل:١٢٥] ، وقال ـ تعالى ـ :﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾[العنكبوت :٤٦] .

ولاريب أنه لايمكن تحقيق هذا الشرط إلابمعرفة حقيقة مايجادل عليه .

وبين ـ تعالى ـ شدة مقته لمن جادل بغير علم ، ليظهر الباطل على الحق، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾[غافر :٣٥] .

وبين أن سبب المجادلة بغير علم ، إنما هو الكبر ، والكبر ممقوت

= حسن الشرقاوي .

عنده، فقال : ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاكبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ [غافر:٥٦] .

كما أن النبي ﷺ كره المجادلة والخصام والمراء ؛ لما يورثه الجدل والخصومة في الدين ـ غالبا ـ من القول على الله ـ تعالى ـ بغير علم فقال : « مراء في القرآن كفر »[١] .

وقال ﷺ « لاتماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر »[٢] .

وبين ﷺ أن الجدل عقوبة لمن ضل وزاغ عما أتاه من ربه ، فقال : « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »[٣] .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، فأهل البدع لايزالون يجادلون بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ، فعباد القبور لايزالون

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٢٤) والآجري في الشريعة (٦٧) ، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٢٣) ، من حديث أبي هريرة ، قال الحاكم: « صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ١٥٢) رقم (٤٩١٦) من حديث زيد بن ثابت ، قال الهيثمي في مجمع االزوائد (١/ ١٥٧) : « ورجاله موثوقون » .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ـ المقدمة ـ باب اجتناب البدع والجدل ـ (١/ ١٩) ح٤٨ وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٧ـ ٤٨)ح ١٠١، والطبري في تفسيره (٢٥/ ٨٨) ، والآجري في الشريعة (٥٤) ، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٣٣) ح٨٠٦٧ ، والسهمي في تاريخ جرجان (٧٤) ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة الزخرف ـ (٢/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٤١٩) ، قال الحاكم : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٤٧ـ ٤٨) ح١٠١ ، وصححه في تخريج المشكاة (١/ ٦٣ـ٦٤)ح١٨٠ .

ينافحون عن عبادتهم غير الله ، ويزعمون أنها هي الصواب .

ومعطلة الأسماء والصفات ، يتكلمون في أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وينفونها بغير علم ولابرهان ، ويجادلون في ذلك .

والمستدركون على شريعة الله ، الزائدون فيها من الخرافات والبدع ، يخاصمون فيما شرعه الرب من العبادات بغير علم ولابرهان .

ومحكمو شريعة الطواغيت ، يجادلون ـ بغير علم ـ لإقرار أحكام الطواغيت ، ونبذ كتاب الله ـ تعالى ـ .

والداعون للتبرج والسفور والاختلاط والدعارة يجادلون لنشر باطلهم بغير علم.

والقادحون في حكمة الله ، الناقضون على الله ، المتحكمون عليه فيما شرع ، نجدهم يجادلون بغير علم ، لم أباح تعدد النساء ؟ ولِـمَ لَـمْ يُبِحْ تعددَ الرجال ؟ لم كان للرجل مثل حظ الأنثيين ؟ لم جعل العصمة في يد الرجل ولم يجعلها في يد المرأة ؟...الخ .

فهم يجادلون في هذه الأمور بغير علم .

كما أن كثيرا من الناس تجده يتكلم فيما لايحسن من أمور الشرع ، ومع ذلك يجادل فيه ، ويلجلج .

بل إن الخصومة بغير علم ، غدت سمة لبعض الناس .

فهذه الخصلة لاتزال موجودة ، والله المستعان .

العشرون بعد المائة[1]

دعواهم اتباع السلف ، مع التصريح بمخالفتهم .

سبق الكلام على هذه المسألة ضمن الكلام على المسألة الثامنة عشرة، وهي مسألة التناقض في الانتساب ، والله ـ تعالى ـ أعلم .

(١) في الأصل : الثالثة والعشرون بعد المائة ، وفي (أ) : الثالثة عشرة بعد المائة ، وفي (جـ) : التاسعة عشرة بعد المائة .

الحادية والعشرون بعد المائة[1]

صدهم[2] عن سبيل الله من آمن [3].

أي أن من خصال أهل الجاهلية ـ سواء كانوا أميين ، أوكتابيين ـ الحيلولة بين الناس وبين الإيمان بدعوة الرسل عليهم السلام ، وصرفهم عنه ، ومنعهم منه ، وفتنتهم من آمن به ، وسعيهم في ردهم عن دينهم[4].

وكانوا يحاولون الوصول إلى ذلك بما يقدرون عليه من الوسائل ، كالقتل ، والحبس ، والتعذيب ، والإخراج من الديار ، وإلقاء الشبه عليهم، وتشكيكهم في الحق ، وغير ذلك .

وهذه الخصلة قديمة جدا ، فمنذ أن بعث الله ـ تعالى ـ أول رسول إلى أهل الأرض ، وهي موجودة ، كما قال نوح ﷺ فيما أخبر الله عنه : ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ﴾ [نوح:٢٧] ، فغاية مقصدهم إضلال الخلق ، وصدهم عن طريق الله المستقيم .

---

(١) في الأصل : الرابعة والعشرون بعد المائة ، وفي(أ) الرابعة عشرة بعد المائة ، وفي (جـ) العشرون بعد المائة .
(٢) في (أ) « صدودهم »
(٣) في بقية النسخ زيادة « به » ، والكلام يستقيم ولو بدونها .
(٤) انظر : بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي (٣/ ٣٩٠) ، إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (٢٧٥) ، تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٦٦) .

وقال شعيب ﷺ لقومه : ﴿ ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به ﴾ [الأعراف :٨٦] .

وذلك أنهم كانوا يجلسون في الطريق الموصلة إلى نبي الله شعيب ﷺ، يتهددون المؤمنين بالقتل ، ويحذرون من أراد الإيمان ، ويقولون : إن شعيبا كذاب ، فيفتتن الناسؤ بذلك[1].

وقال ـ تعالى ـ في شأن قريش : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ [البقرة :٢١٧] .

وقال: ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾ [الأنفال :٣٦]

وقال : ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس ﴾ [الحج :٢٥] .

وقال : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾[محمد : ١]

وقال ـ تعالى ـ في المنافقين : ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله ﴾[المجادلة :١٦] .

وقال ـ تعالى ـ آمرا نبيه محمدا ﷺ أن يقول لأهل الكتاب : ﴿ قل

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير (٢٣٨/٨) .

ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [آل عمران :٩٩] .

وبين ـ جل وعلا ـ أن من أسباب ماأحل ببني إسرائيل من العقوبات ، صدهم عن سبيل الله ، فقال : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ﴾ [النساء :١٦٠] .

وبين أن هذا الصد ، إنما هو من كبارهم : الأحبار والرهبان ، فقال: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾[التوبة : ٣٤] .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فرسول الله ﷺ يدعو إلى صراط الله المستقيم ، ويبين لهم معالم هذه الطريق ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾[الأنعام :١٥٣] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[يوسف :١٠٨] .

ويحذر في الوقت نفسه من الصد عن سبيل الله ، كما قال ـ تعالى ـ فيما أنزل على نبيه ﷺ مبينا أن من فعل ذلك ، فقد حلت عليه لعنة الله : ﴿ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ○ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ﴾[الأعراف :٤٤ ـ ٤٥] .

وبين ـ تعالى ـ مضاعفته العذاب لمن فعل ذلك ، فقال : ﴿ الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ [النحل : ٨٨] .

وقال ـ تعالى ـ مبينا خسران من فعل ذلك : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ .

وبين ﷺ أجر من دعا إلى هدى ، ووزر من دعا إلى ضلالة ، وأن لكل مثل ماللمدعو أوعليه .

فهدي رسول الله ﷺ مخالف لهدي أهل الجاهلية ، فهم مع الأنبياء على طرفي نقيض ، الأنبياء يدعون إلى سبيل الله ، والجاهليون يصدون عنه.

والصد عن سبيل الله ـ تعالى ـ من المسائل الجاهلية التي لاتزال موجودة ، وسبل الصد في هذا العصر كثيرة جدا ، ولكل طريقته .

فاليهود والنصارى ومن يدور في فلكهم يحاولون بما استطاعوا أن يصدوا الناس عن سبيل الله ، ولايتوانون في ذلك ، واتبعوا كل الأساليب لتحقيق ذلك ، فهم إن رأوا أسلوب القوة ناجحا أعملوه ، كما يجري اليوم في البوسنة والهرسك، وفي كشمير ، وجنوب الفلبين ، وأريتيريا ، وفلسطين ، وغيرها من البلاد .

وإن رأوا أسلوب الغزو الفكري أنجح ، لم يتوانوا في ذلك ، ولاريب أن هذا النوع من أشد الأنواع ، وأخطرها ، وطرق هذا النوع كثيرة جدا[١]

---

(١) انظر في الغزو الفكري : الغزو الفكري والتيارات المعادية للأسلام د.عبدالستار فتح =

ومنها السيطرة على مناهج التعليم في أكثر البلاد الإسلامية ، ودس السموم فيها .

ومن ذلك إلقاء الشبه على المسلمين ، لتشكيكهم في دينهم ، ومن ثم إخراجهم منه بالكلية[1].

ومن ذلك التنصير الذي يجري اليوم على قدم وساق في كثير من البلاد الإسلامية ، وتوضع في سبيله الأموال الطائلة ، والجهود الكبيرة[2].

ومن ذلك محاولة تشويه تعاليم الإسلام ، وشرائعه لدى الجهال به من الوثنيين والنصارى وغيرهم ، الذين يسمعون بالإسلام فقط ، ولايدرون ماهو، فكثير من تلك الدول تحاول أن تظهر الإسلام بمظهر العنف والإرهاب، ونحو ذلك ، وتصطنع الأفلام التي تشوش بها على الناس .

ومن مظاهر الصد عن سبيل الله : إظهار المستمسكين بدينهم ،

= الله سعيد ، الإسلام والغزو الفكري د . محمد عبدالمنعم خفاجي و د. عبدالعزيز شرف ، مجلة البحوث الإسلامية لقاء مع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، العدد (٨) (ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩) .

(١) انظر على سبيل المثال : أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم الآباء البيض لعبد الرحمن بن حبنكة الميداني ، تلبيس مردود في قضايا حية د. صالح بن حميد .

(٢) انظر : قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي لمحيي الدين القضماني (٤٣ ـ ٤٦) ، التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام د . عبدالحميد الشاعر (٢٢ ـ ٢٩) ، مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير لإبراهيم بن سليمان الجبهان ، تنصير المسلمين لعبد الرزاق ديار بكرلي ، ملامح النشاط التنصيري في الوطن العربي د. إبراهيم عكاشة علي ، أصول التنصير في الخليج العربي لكونوي زيقلر ، ترجمة مازن المطبقاني .

الداعين إلى توحيد ربهم - جل وعلا - من قبل عباد القبور وغيرهم ، بأنهم كارهون للرسول ، مبغضون للصالحين ، والله المستعان .

الثانية والعشرون بعد المائة[1]

مودتهم[2] لكفر[3] من آمن[4] .

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من خصال أهل الجاهلية مودتهم كفر من آمن ، أي أنهم يودون أن يرجع الناس عن الإيمان إلى الكفر ، ويرتدوا على أعقابهم بعد إذ هداهم الله . فهم لايودون لهم الخير ، وإنما يودون أن يكفروا كما كفروا هم ، فيكونوا سواء في ذلك .

والحامل لهم على ذلك الحسد .

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين .

وقد دل على ذلك كتاب الله ـ تعالى ـ وواقعهم .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

---

(١) في الأصل : الخامسة والعشرون بعد المائة ، وفي (أ) الخامسة عشرة بعد المائة ، وفي (جـ) الحادية والعشرون بعد المائة ، وهي ساقطة من (ب) .
(٢) في (أ) « موادتهم » .
(٣) في (أ) « بكفر » .
(٤) في (جـ) « مودتهم الكفر والكافرين » والمسألة على هذا المعنى شُرحت ضمن الكلام على مسألة محبة أهل الجاهلية دين الكفار .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ [آل عمران : ٧٢] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ [آل عمران : ١٠٠] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ [النساء :٤٤] .

وقال ـ تعالى ـ في شأن المنافقين : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ [النساء : ٨٩] .

وقال ـ تعالى ـ في شأن الأميين : ﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ [الممتحنة : ٢] .

كما أن الآيات التي ذُكرت في مسألة الصد عن سبيل الله دالة على هذه المسألة ـ أيضا ـ .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فإن الرسل ـ عليهم السلام ـ يدعون إلى الله ـ تعالى ـ وإلى دينه ،

ويرشدون الناس إلى الطريق المستقيم الذي ينبغي سلوكه .

وقد مضى كثير من الأدلة الدالة على المخالفة في مسألة الصد عن سبيل الله، وفي مسألة دعوة الناس إلى الكفر مع العلم ، ودعوتهم إلى الضلال بغير علم .

كما أنه سبق بيان وزر من دعا إلى ضلالة ، وذلك في مسالة دعوة الناس إلى الضلال بغير علم .

وهذه كلها دالة على المخالفة في هذه المسألة .

وهذه المسألة لاتزال موجودة ، والخطط التي حاكها الكفار زمن البعثة دون ماحاكه كفار زماننا بمراحل كثيرة ، فقد ابتكرت في هذا العصر وسائل كثيرة كي يرتد الناس عن دينهم ، ويرجعوا كفارا ، كما سبق ذكر ذلك في مسألة الصد عن سبيل الله ـ تعالى ـ .

الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة والتاسعة والعشرون بعد المائة[1]

العيافة[2] .

العيافة : زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها[3]، والاستدلال بذلك على الحوادث ، واستعلام ماغاب[4].

وقد كان الجاهليون إذا أراد أحدهم أن يمضي إلى سفر ، أوهم بأمر ، زجر الطير ، فإن توجهت إلى اليمين مضى ، وإن توجهت إلى الشمال رجع

---

(١) في الأصل : « السادسة والعشرون ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة والعشرون ، وتمام الثلاثين ، والحادية والثلاثون »
وفي (ب) : « الثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة والعشرون » ولم يذكر سوى خمس مسائل .
وفي (جـ) : « الثانية والعشرون بعد المائة ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة، والثامنة ، والتاسعة والعشرون ، وتمام الثلاثين ، والحادية والثلاثون بعد المائة » ولم يذكر سوى ست مسائل .
وفي (د) : « الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة والعشرون، وتمام الثلاثون [هكذا] والواحدة والثلاثون » ولم يذكر سوى ست مسائل .

(٢) في (ب) : « العافية » .

(٣) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤٠٣) و (٢/ ٥١٥) ، غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٤٥) ، الفائق في غريب الحديث (٣/ ٤٤) ، معالم السنن (٥/ ٣٧٣) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٣٠) ، لسان العرب ، مادة « عيف » (٩/ ٢٦١) .

(٤) انظر : بلوغ الأرب (٣/ ٣٠٧) .

ولم يتم مايريد ؛ لأنه يعتقد حينئذ أن سوءا سيصيبه[1].

وهذه الخصلة من أوابد العرب ، سواء كانوا أميين ، أوكتابيين .

وقد اشتهر بذلك بعض القبائل كبني أسد[2]، وبني لهب[3]، وهو كثير في أشعارهم ، ومنه قول الأعشى :

ماتعيف اليوم في الطير الروح ... من غراب البين أوتيس برح[4]

وقول زهير بن أبي سلمى :

جرت سنحا فقلت لها أجيزي ... نوى مشمولة فمتى اللقاء[5]

---

(١) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (١٣٨/٢) ، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨) ، السنن الكبرى للبيهقي ـ كتاب الضحايا ـ باب أقروا الطير على مكناتها ـ (٣١١/٩) ، مشكل الآثار للطحاوي ـ باب بيان مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ من قوله : أقروا الطير على مكناتها ـ (٣٤٣/١) ، مختصر سنن أبي داود للمنذري (١٢٥/٤) ، معالم السنن (١٢٥/٤) .

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٧٦) .
وبنو أسد : هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة ، بطن من بطون كنانة .
انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم (١٩٠ ـ ١٩٢) .

(٣) انظر : النسب لأبي عبيد (٢٩٦) ،المحكم لابن سيدة ، مادة « لهب » (٤ / ٢٣٢) ، جمهرة أنساب العرب (٣٧٦) ، الاشتقاق لابن دريد (٤٩١) ، الروض الأنف (١١٨/١) ، لسان العرب ، مادة « لهب » (٧٤٥/١) ، تاج العروس ، مادة « لهب» (٤٧٥/١) .
وبنو لهب : هم بنو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب ، حي من أحياء الأزد .
انظر : النسب لأبي عبيد (٢٩٦) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٧٦) .

(٤) ديوان الأعشى (٤٠) ، وذكره ابن سيدة في المخصص (٧/٩) ، والجاحظ في الحيوان (٤٤٢/٣) ، وابن رشيق في العمدة (٢٦٠/٢) ، وابن منظور في لسان العرب (٢٦١/٩) ، والزبيدي في تاج العروس (٢٠٧/٦) .

(٥) ديوان زهير (١٤) .

وقول عمرو بن قميئة النصراني :

فبيني على نجم شخيس نجومه وأشأم طير الزاجرين سنيحها[1]

وقول عنترة[2] :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع
فزجرته ألا يفرخ عشه أبدا ويصبح واحدا يتفجع[3]

والأبيات في هذا المعنى كثيرة جدا[4]، ولعل فيما ذكرت غنية .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فإنه ﷺ لما ذكر العيافة عدها من الجبت ، فقال : « العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت »[5].

---

(١) ديوان عمرو بن قميئة (٣١) ، وذكره ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٥١٧) .

(٢) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاذ العبسي ، من فرسان العرب في الجاهلية وشجعانهم ، وهو معدود في الطبقة الأولى من الشعراء ، وهو من شعراء النصرانية ، توفي قبل الإسلام .
انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٤) ، الأغاني (٨/ ٢٣٧ ـ ٢٤٦) ، خزانة الأدب (١/ ٦٢ ـ ٦٩) .

(٣) ديوان عنترة (٢٦٢ ـ ٢٦٣) ، وذكره الجاحظ في الحيوان (٣/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) .

(٤) انظر في ذلك : المعاني الكبير لابن قتيبة (٣/ ١١٧٩ ـ ١١٨٧) ، الحيوان للجاحظ (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤٨) ، المحاسن والمساوىء للبيهقي (٣٢٤ ـ ٣٣٧) ، نهاية الأرب للنويري (٣/ ١٣٤ ـ ١٤٣) ، بلوغ الأرب (٣/ ٣٠٧ ـ ٣١٩) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د. جواد علي ( ) ، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي د. زهدي صبري الخواجا (٣٩٩ ـ ٤٠٧) .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الطب ـ باب في الخط وزجر الطير ـ (٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)ح٣٩٠٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى : ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ ـ (٦/ ٣٢٤) ح١١١٠٨ ، وعبد الرزاق في مصنفه ـ كتاب الطب ـ باب الطيرة ـ (١٠/ ٤٠٣)ح١١٥٠٢، وابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٥)،

والله ـ تعالى ـ قد أوجب الكفر بالجبت ، والعيافة منه.

ونهى ﷺ عن زجر الطير ، وبين أنه لايضر ، ولاينفع ، فقال : « أقروا الطير على مكناتها»[1] .

= وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الأدب ـ باب من كان يسر حديثه من أهله ـ (٩/ ٤٢ ـ ٤٣) ح٦٤٥٤ ، وأحمد في مسنده (٣/٤٧٧) و(٥/ ٦٠) ، وأبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) ، والدولابي في الكنى (١/ ٨٦) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ـ كتاب الكراهية ـ (٤/ ٣١٢ـ ٣١٣) ، وابن حبان في صحيحه ـ كتاب الطب ـ باب ماجاء في الطيرة ـ (٣٤٥) ح١٤٢٦ ، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٦٩) ، وأبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان (٢/ ١٥٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب القسامة ـ باب العيافة والطيرة والطرق ـ (٨/ ١٣٩) ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٥) ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الطب والرقى ـ باب مايكره من الطيرة واستحباب الفأل ـ (١٢/ ١٧٧)ح٣٢٥٦ ، وفي معالم التنزيل (١/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦) ، والمزي في تهذيب الكمال (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) كلهم من حديث قبيصة بن مخارق .

وقد حسن هذا الحديث النووي في رياض الصالحين (٤٩٣)ح١٦٧٠ ، وجود إسناده الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد (٧٤) .

(١) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب الأضاحي ـ باب في العقيقة ـ (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)ح ٢٨٣٥ ، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٧) ، والحميدي في مسنده (١/ ١٦٧)ح٣٤٧ ، والطحاوي في مشكل الآثار ـ باب بيان مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ من قوله :أقروا الطير على مكناتها ـ (١/ ٣٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الأدب ـ باب من كان يسر حديثه من أهله ـ (٩/ ٤٢)ح٦٤٥٢ ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨)ح٤٠٧ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الذبائح ـ (٤/ ٢٣٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٥٩) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب الضحايا أ باب أقروا الطير على مكناتها ـ (٩/ ٣١١) ، وابن عبدالبر في التمهيد (٤/ ٣١٥) ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الصيد ـ باب العقيقة ـ (١١/ ٢٦٥) ح٢٨١٨ كلهم عن أم كرز الكعبية .

وقد صحح هذا الحديث الحاكم في مستدركه ، ووافقه الذهبي .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ١٠٦) : « رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها ثقات » .

أي : أقروها على مواضعها التي وضعها الله بها ، من أنها لاتضر، ولاتنفع، فلاتطيروها ، ولاتزجروها ، بل دعوها في أماكنها[1].

فالعيافة مما حاربه النبي ﷺ ، وأبطله من عادات أهل الجاهلية .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ففي بعض المجتمعات التي يغلب على أهلها الجهل ، لاتزال العيافة موجودة بينهم، فهم يتعيفون من كثير من الطيور ، وخاصة البوم[2]، فهم يعتقدون أن هذا الطائر إذا وقع على دار أحدهم ، فإنما تنعى إليه نفسه، أوأحد أفراد عائلته.

كما أن كثيرا منهم يتعيف بالغراب ، فإذا قابله أول النهار ، اعتقد أن مكروها يصيبه[3] ، والله المستعان .

---

(١) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد (١٣٨/٢) ، مختصر سنن أبي داود (١٢٥/٤)،معالم السنن (٤ / ١٢٥) ، مناقب الشافعي (٣٠٥/١ ـ ٣٠٨) ، شرح السنة للبغوي (٢٦٦/١١) .

(٢) البوم : طائر كريه المنظر ، يخرج من بيته ليلا ، وهو من الطيور المفترسة ، والعرب في جاهليتهم ينسجون حوله القصص والخرافات .
انظر : الحيوان للجاحظ (٤٩٨/٢) و (٤٠٢/٥) ، حياة الحيوان الكبرى للدميري (٢٢٦/١ ـ ٢٢٨)

(٣) انظر : إصلاح المجتمع لمحمد بن سالم البيحاني (٢٦٥) .

والطرق[1] ....

يبين المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أن من معتقدات أهل الجاهلية مايسمى عندهم بـ « الطرق » .

والطرق : ضرب من ضروب الكهانة التي كان العرب يتوصلون ـ بزعمهم ـ بها إلى معرفة المغيبات[2].

وقد ذكر أهل العلم له تفسيرات منها : أنه الخط يخطه الكاهن في الأرض ، فيتوصل ـ بزعمه ـ إلى معرفة الغيب[3].

وقد كان الخطاط يخط خطين في الأرض يطلق عليهما « ابني عيان » ، فإذا زجر ، قال : ابني عيان ، أسرعا البيان[4].

ومنها : أنه الضرب بالحصى ، فالطارق إذا سئل عن حادثة ، أخرج حصيات معه ، فضرب بها على طريقة مخصوصة ، فيلوح له ـ بزعمه ـ

---

(١) هذه المسألة ليست في (أ) و (ب) ورقمها في (جـ) الثالثة والعشرون بعد المائة.

(٢) انظر : بلوغ الأرب (٣/ ٣٢٣) .

(٣) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤٠٣) ، الآداب للبيهقي (٢٦٧) ، المحكم ، مادة « قرط » (٦/ ١٦٥) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٣٢) ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٢) ، لسان العرب ، مادة « طرق » (١٠/ ٢١٥) .

(٤) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٤٠٣) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٢١)، لسان العرب، مادة « طرق » (١٠/ ٢١٥) .

مايعلم به جواب السؤال[1].

قال سعيد بن جبير- رحمه الله تعالى - في قوله - تعالى - : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾[المائدة :٣] : « حصى بيض ، كانوا يضربون بها »[2].

وفسرها هو[3]والحسن البصري[4]وقتادة[5]بقداح كانت العرب تستقسم بها عند الخروج إلى سفر ونحوه ، فكان إذا خرج عليهم القدح الذي يأمرهم بالخروج ، خرجوا ، وإلا فلا ؛ اعتقادا منهم بأنه لو خرجوا لأصابهم أذى .

وقال السدي : « الأزلام : قداح كانت في الجاهلية عند الكهنة ، فإذا أراد الرجل أن يسافر ، أويتزوج ، أويحدث أمرا ، أتى الكاهن فأعطاه شيئا، فضرب له بها ، فإن خرج منها شيء يعجبه ، أمره ففعل ، وإن خرج منها شيء يكرهه ، نهاه ، فانتهى»[6]

---

(١) انظر : غريب الحديث لابن قتيبة (٤٠٣/١) ، معجم مقاييس اللغة (٤٥٠/٣) ، المشوف المعلم (٤٨٣/١) ، المحكم ، مادة « قرط » (١٦٥/٦) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٣٢/٢) ، جمهرة اللغة لابن دريد ، مادة « رطق » (٣٧١/٢) ، النهاية في غريب الحديث (١٢١/٣) ، لسان العرب، مادة «طرق » (٢١٥/١٠) ، بلوغ الأرب (٣٢٣/٣) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٦/٦) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٦/٦) .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٧/٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٥٧/٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٧/٦) .

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧٧/٦) .

وقال لبيد :

لعمرك ماتدري الضوارب بالحصى

ولازاجـرات الطيـر مـاالله صـانـع[1]

ومنها : أنه الضرب بقضيب في الصوف المخلوط بقطن على صورة مخصوصة[2].

وعندي أنه لاتضاد بين هذه التفسيرات ، فكل واحد منها يعد طريقة من طرقهم في ذلك .

وقد نهى رسول الله ﷺ ، وزجر عن هذه الخصلة الجاهلية ، وبين أنها من الجبت ، كما في قوله ﷺ : « العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت ».

كما أن الله ـ تعالى ـ حرم الاستقسام بالازلام ، وهو من ضروب الطرق ، فقال : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ .

والمعنى : أن الله ـ تعالى ـ حرم عليكم أن تطلبوا ماقسم لكم بذلك؛ لأنه تعرض لعلم الغيب ، ولايجوز لأحد أن يتعرض لعلم الغيب[3].

وهذه الخصلة لاتزال موجودة إلى يومنا هذا[4] ، فالخط على الرمل ،

---

(١) ديوان لبيد (٩٠) ، وذكره ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (٣/٤٥١) ، وابن سيدة في المحكم (٦/١٦٥) ، والعكبري في المشوف المعلم (١/٤٨٣) ، وابن دريد في جمهرة اللغة (٢/٣٧١) ، وابن منظور في لسان العرب (١٠/٢١٥) .
(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/٤٥٠) ، لسان العرب ، مادة «طرق» (١٠/٢١٥) .
(٣) انظر : أحكام القرآن لابن العربي (٢/٥٤٤) .
(٤) تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت (١/٢٩٠) .

وضرب الودع منتشران انتشارا كبيرا ، وكذا التنبوء بها[1].

ومما يلحق بها مما هو موجود في هذا العصر ، مايسمى بـ«زهر الطاولة » والدومينو » وهذان يقومان على التنبوء بالشيء عن طريق الأرقام ، بحيث توضع دائرة على الأرض ، ثم يلقى بالزهر المرقم داخلها ، فإن لم يدخل فيها ، فهو يعني أن ثمة شقاقا سيقع ، وإن دخل فيها تمت قراءة الأرقام الموجودة على الزهر، وكل رقم يدل على حادثة معينة[2].

ومنها : قراءة النار ، حيث إنهم يستدلون على مايقع - بزعمهم - من الأحداث في المستقبل بصور الجمر ، وتلهب النار[3].

ومنها : مايسمى بـ« قراءة الفنجان » ، وهو فنجان القهوة ، حيث يعتمد الكاهن على مايتبقى من القهوة فيه ، فيرسم به على جوانب الفنجان خطوطا ، ثم يتنبأ بما يحصل[4].

ومنها مايسمى بـ«قراءة الكف» ، حيث يعتمد مدعي الغيب على خطوط الكف، ومافيها من تقاطعات ، وتعرجات ، وانقطاعات ، واتصالات ، ثم يزعم أنه يكون كذا

---

(١) انظر :تفسير القرآن الكريم (١ / ٢٩٠) ، قراءة النجوم والحظ والطالع بين الحقيقة والخرافة لمجدي الشهاوي (٤٢ ـ ٤٣) ، اكتساح السحر لأحمد الخروف (٥٧ ـ ٦٠)، الألوهية في العقائد الشعبية (١٥١) .

(٢) انظر : قراءة النجوم والحظ (٤٣ ـ ٤٤) .

(٣) انظر : المرجع السابق (٤٤ ـ ٤٥) .

(٤) انظر : المرجع السابق (٤٥ ـ ٤٦) ،الألوهية في العقائد الشعبية (١٥٢) ، السحر والمجتمع د. سامية ساعاتي (٢١٤) .

وكذا[١].

ومنها : مايسمى بـ« قراءة الكوتشينة » ، وهي كزهر الطاولة التي سبق الكلام عليها قبل قليل[٢].

ومنها : الضرب بحبات الفول[٣].

فهذه بعض الأمثلة التي تدل على وجود هذه الخصلة في هذا العصر ، والله أعلم.

---

(١) انظر : قراءة الحظ (٤٦ ـ ٤٧) ، السحر والمجتمع (٢١٤) ، الألوهية في العقائد الشعبية (١٥٥)

(٢) قراءة الحظ (٤٧) ، السحر والمجتمع (٢١٤) ، الألوهية في العقائد الشعبية (١٥٥).

(٣) انظر : تفسير القرآن الكريم (١/ ٢٩٠) .

يبين الإمام رَحِمَهُ اللهُ أن من خصال أهل الجاهلية ـ سواء كانوا أميين أوكتابيين ـ الطيرة ، وهي في الأصل ، التشاؤم بالطير[٢]، فكانوا إذا أرادوا سفرا أوحاجة ، فواجههم بعض ماكانوا يتشاءمون به ، رجعوا عما كانوا يريدون[٣]، حيث كانوا يعتمدون عليها ، ثم توسعوا في ذلك ، حتى شملت الإنسان والحيوان والأسماء والكلمات ، ولم تعد مقصورة على الطير فقط ، فبعض ذوي العاهات كالأعور والأعرج ، وذوي القبح الشديد هو شؤم في نظر أهل الجاهلية[٤] ، كما أن بعض الحركات التي تصدر من الإنسان كالعطاس هي شؤم في نظرهم ـ أيضا ـ وكانوا يتطيرون بها[٥].

وقد بين الله ـ تعالى ـ في كتابه تطير أهل الجاهلية بالأنبياء

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السادسة عشرة ، وفي (ب) الثالثة والعشرون بعد المائة.

(٢) انظر : تهذيب اللغة ، مادة « طار يطير » (١٤/ ١٢ ـ ١٣) ، الصحاح ، مادة «طير » (٢/ ٧٢٨) ، الحيوان (٣/ ٤٣٨) ، غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٨) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٢)، شرح الكرماني للبخاري (٢١/ ٣١) ، لسان العرب ، مادة « طير » (٤/ ٥١١) ، إرشاد الساري (٨/ ٣٩٦) ، فتح الباري (١٠/ ٢٢٣) ، عمدة القاري (١٧/ ٤١٢) ، تاج العروس ، مادة « طير » (٣/ ٣٦٤) .

(٣) انظر : معالم السنن (٥/ ٣٨٧) ، شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢١٩) ، النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٥٢) ، شرح الكرماني للبخاري (٢١/ ٣١) ، إرشاد الساري (٨/ ٣٩٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٣) ، عمدة القاري (١٧/ ٤١٢) ، فيض القدير (٣/ ٣٩٥) ، مرقاة المفاتيح (٩/ ٢) .

(٤) انظر : الحيوان (٣/ ٤٣٨) ، تاريخ العرب قبل الإسلام د.جواد علي (٥/ ٣٢٥) .

(٥) انظر : تاريخ العرب قبل الإسلام (٥/ ٣٢٥) .

والصالحين، فقال مخبرا عن قوم صالح ﷺ أنهم قالوا له : ﴿ اطيرنا بك ويمن معك﴾[النمل:٤٧] .

أي : مارأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا ، وذلك أنهم كانوا لايصيب أحدا منهم أذى إلا قالوا :هذا من قبل صالح وقومه[١].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ : « ماأصابنا من شر فإنما هو من قبلك ، ومن قبل من اتبعك»[٢].

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن تطير فرعون وآله بموسى ﷺ : ﴿ وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾[الأعراف :١٣١] .

أي : يتشاءموا بهم ، ويقولوا : ماأصابنا هذا إلابسببهم[٣].

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية : «وإن يصبهم بلاء وعقوبة ، يتشاءموا بموسى»[٤]

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن تطير أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون برسلهم : ﴿ قالوا إنا تطيرنا بكم ﴾[يس :١٨] .

أي : تشاءمنا بكم ، فلم نر على وجوهكم خيرا[٥].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٣/٣٦٨) .

(٢) أخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٥/١١٢) .

(٣) انظر : مفردات الراغب (٣١٠) ، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٠) .

(٤) تفسير مجاهد (٣٤٢) ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٩/ ٢٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٨) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٥) انظر : بحر العلوم (٣/ ٩٦ ـ ٩٧) ، معالم التنزيل (٤/ ٩) ، تفسير ابن كثير =

وقال ـ تعالى ـ مخبرا عن تطير قريش بالنبي ﷺ ، وتشاؤمهم به : ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾[النساء :٧٨] .

أي : يقولوا : هذا بشؤمك[١].

فهذه الآيات صريحة في كون أهل الجاهلية ، كانوا يتشاءمون ، ويتطيرون حتى من أهل الصلاح .

ومما يدل ـ أيضا ـ على أن هذه المسألة من خصالهم ، ماجاء عن معاوية بن الحكم[٢] أنه قال : قلت يارسول الله ، أمورا كنا نصنعها في الجاهلية ، كنا نأتي الكهان ، قال : « فلا تأتوهم » قلت : كنا نتطير ، قال: « ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه ، فلايصدنكم »[٣].

وقد جاء ذلك في أشعارهم ، ومنه قول النابغة الذبياني[٤]متطيرا

= (٥٦٨/٣) .

(١) انظر : بحر العلوم (٣٧٠/١) ، معالم التنزيل (٤٥٤/١) ، تفسير ابن كثير (٥٢٧/١).

(٢) هو معاوية بن الحكم بن خالد بن صخر السلمي ، صحابي جليل ، كان يسكن المدينة ، سمع النبي ﷺ ، وروى عنه ، لم أجد من أرخ موته .
انظر : طبقات خليفة (٥٠) ، الثقات لابن حبان (٣٧٣/٣ ـ ٣٧٤) ، تهذيب الكمال (١٧٠/٢٨ ـ ١٧١) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب المساجد ومواضع الصلوات ـ باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ماكان من إباحته ـ (٣٨١/١ ـ ٣٨٢)ح ٥٣٧ ، وأخرجه في كتاب السلام ـ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ـ (١٧٤٨/٤ ـ ١٧٤٩)ح٥٣٧ .

(٤) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني ، كان أحد المحكمين في الشعر في الجاهلية، حيث كان الشعراء يعرضون عليه قصائدهم في سوق عكاظ ، ويحكم بينهم فيها ، =

بالغراب :

زعـم البـوارح أن رحلتنـا غـدا وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ[1]

وقول عنترة متشائما بالغراب ـ أيضا ـ :

ياعبلُ كم يَشجى فؤادي بالنوى

ويـروعنـي صـوت الغـرابِ الأسـودِ[2]

وقول امرىء القيس متشائما بالعطاس :

وقد أغتدي قبل العطاس بهيكل

شـديـدِ منيـعِ الجيـبِ نعـم المنطـقُ[3]

وقصائدهم تزخر بكثيرمن ذلك ، كما سبقت الإشارة إليه في مسألة العيافة.

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فنهى عن التطير ، وقال : « لاعدوى ، ولاطيرة . . . الحديث »[4].

= وقد توفي قبل الإسلام .
انظر : المؤتلف والمختلف للآمدي (٢٥٢) ، الأغاني (١١/٣ ـ ٤١) ، خزانة الأدب (٢٨٧/١ ـ ٢٨٩) .

(١) ديوان النابغة (١٠٥) ، وذكره أبو الفرج في الأغاني (١١ /٨ـ ٩) ، وذكره الجاحظ في الحيوان (٣/٤٤٢) .
والبوارح في البيت جمع بارح ، وهو مامر من الطير والوحش من جهة اليمين ، والعرب تتطير به .
انظر : لسان العرب مادة « برح » (٢/ ٤١١) .

(٢) ديوان عنترة (٦٩) وذكره الجاحظ في الحيوان (٣/٤٤٢) .

(٣) ديوان امرىء القيس (١٠٥) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الطب ـ باب لاهامة ـ (٧/٢٦) ، ومسلم في =

وتبرأ ﷺ ممن فعل ذلك ، فقال : « ليس منا من تطير أوتطير له »[1].

وبين ﷺ أنها من الجبت ، فقال : « العيافة ، والطرق ، والطيرة من الجبت » .

وبين ﷺ أنها شرك ، فقال : « الطيرة شرك »[2].

ونهى ﷺ من وجد في قلبه شيئا من ذلك أن يحققه ، كما في حديث

= صحيحه ـ كتاب السلام ـ باب لاعدوى ولاطيرة ـ (١٧٤٦/٤)ح٢٢٢٠ .

(١) أخرجه الدولابي في الكنى (١٦٦/٢) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٢/١٨)ح٣٥٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣/٥ـ ١٠٤) : « رواه الطبراني ، وفيه إسحاق بن الربيع ،وثقه أبو حاتم ، وضعفه عمرو بن علي ، وبقية رجال ثقات » ، وجود إسناده الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد (٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ـ باب مايقول الرجل إذا رأى غيما ـ (١٩٤)ح٩٣٤، وأبو داود في سننه ـ كتاب الطب ـ باب الطيرة ـ (٢٣٠/٤)ح٣٩١٠ ، والترمذي في جامعه ـ كتاب السير ـ باب ماجاء في الطيرة ـ (١٦٠/٤ ـ ١٦١)ح١٦١٤ ، وابن ماجه في سننه ـ كتاب الطب ـ باب من كان يعجبه الفأل ، ويكره الطيرة ـ (١١٧٠/٢) ح٣٥٣٨ ، والطيالسي في مسنده (٤٧)ح٣٥٦ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الادب ـ من كان يسر حديثه من أهله ـ (٣٩/٩) ح ٦٤٤٢ ، وأحمد في مسنده (٣٨٩/١ ، ٤٣٨، ٤٤٠) ، وابن أبي الدنيا في التوكل (٢١) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ـ باب الرجل يكون به الداء هل يجتنب أم لا ـ (٣١٢/٤) ، وفي مشكل الآثار ـ بيان مشكل ماروي عن رسول الله ﷺ فيمن حلف بغير الله ماحكمه ـ (٣٥٨/١) ، وابن حبان في صحيحه ـ كما في الموارد ـ كتاب الطب ـ باب ماجاء في الطيرة ـ (٣٤٥)ح ١٤٢٧ ، والحاكم في المستدرك ـ كتاب الإيمان ـ (١٧/١ ـ ١٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب القسامة ـ باب العيافة والطيرة والطرق ـ (١٣٩/٨) ، والسهمي في تاريخ جرجان (١٨٧)ح٢٥٣ ، والبغوي في شرح السنة ـ كتاب الطب والرقى ـ باب مايكره من الطيرة ، واستحباب الفأل ـ (١٧٧/١٢ ـ ١٧٨) ح٣٢٥٧ كلهم من حديث ابن مسعود .

قال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه الألباني ، كما في السلسلة الصحيحة ح٤٣٠.

معاوية بن الحكم ، سابق الذكر .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة إلى يومنا هذا ، ولها صور كثيرة ، منها التشاؤم ببعض الأشخاص ذوي العيب ، كالأعور والأحول والأعرج[١]، وببعض الأشجار ، كالأشجار المتجردة من أغصانها ، وببعض الأرقام ، كرقم (١٣) عند النصارى ، ورقم (١٠) عند الروافض ، ورقم (٧) عند بعض أهل البادية ، وببعض الأصوات ، كصوت الغراب والبومة ، وبالمقص إذا كان مفتوحا، وبتقليم الأظافر ليلا ، وبالاغتسال ليلا بقصد النظافة ، وبالضحك الكثير ، وبتسمية الأبناء على الآباء وهم أحياء ، وبمشاهد مايسوء أول النهار كحادث مثلا ، أوبمشاهدة بغيض كعدو ونحوه، وبحكة الرجل ، ورفة العين اليسرى[٢]، وببعض الأولاد ، وخاصة البنات[٣]، وببعض الشهور كصفروشوال[٤]،وببعض الأيام كيوم الجمعة[٥] ، وبالعطاس[٦]، وبالكنس بمكنسة جديدة قبل تقليم

(١) انظر : إصلاح المجتمع (٢٧١) ، الطيرة والفأل في ضوء الكتاب والسنة لمحمود خليفة الجاسم (١٠٠) ، الألوهية في العقائد الشعبية (١٧٠) .

(٢) انظر : الطيرة والفأل في ضوء الكتاب و السنة (١٠٠ ـ ١٠٢) ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لأحمد أمين (٢٩) ، الألوهية في العقائد الشعبية (١٧٠).

(٣) انظر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين (١١٣) .

(٤) انظر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين (١١٣) ، السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات (١٣٧) ، الطيرة والفأل في ضوء الكتاب والسنة (١٠٠)، تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات لأحمد بن حجر آل بوطامي (٧٥) .

(٥) انظر : الألوهية في العقائد الشعبية (١٦٩ ـ ١٧٠) .

(٦) انظر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين (١١٣) الطيرة والفال في ضوء =

أطرافها[1] ، وببعض الألوان كالأسود والأزرق[2] ، وبشرب الماء عند اصفرار الشمس[3] ، وبالعزم على كتابة الوصية ، أوالندم على ماوقع منه من ظلامة للناس ، ومحاولة التحلل منهم ، ورد ظلامتهم إليهم ، وبذكر العقرب والحية ، وغير ذلك من الهوام .

فهذه الأمثلة ـ وإن كانت قليلا من كثير ؛ لأن ماخفي ولانعلمه أكثر ـ تدل دلالة واضحة على أن هذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة في هذا العصر ، والله أعلم .

= الكتاب والسنة (١٠١) .

(١) انظر : الألوهية في العقائد الشعبية (١٧١) .

(٢) انظر : المرجع السابق (١٧٠) .

(٣) انظر : المرجع السابق (١٧١) .

والكهانة[1]. . . . .

يبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن من خصال أهل الجاهلية ، الاعتقاد في الكهانة، وإتيان الكهان ، وسؤالهم ، وتصديقهم فيما يخبرون به ، والاعتماد عليهم في ذلك .

والكهانة : ادعاء علم الغيب ، كالإخبار بما سيقع في الأرض ، مع الاستناد إلى سبب .

والأصل أن هذا السبب المستند إليه ، استراق الجني السمع من كلام الملائكة[2]، مع أن ثمة أسبابا أخرى ، منها : إخبار الجني الكاهن بما يطرأ، أويكون في أقطار الأرض ، وماخفي عنه مما قرب أوبعد[3].

ومنها : رصد النجوم وحركاتها ، والاستدلال بذلك[4].

ومنها : الاستدلال على الأمور بأسباب ومقدمات ، وهذه هي العرافة[5].

---

(١) رقم هذه المسألة في (أ) السابعة عشرة بعد المائة ، وفي (ب) الرابعة والعشرون بعد المائة ، وفي (جـ) الخامسة والعشرون بعد المائة .

(٢) انظر : معالم السنن (٥/ ٣٧٠) ، شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٢٣) ، فتح الباري (١٠/ ٢٢٧) .

(٣) انظر : المراجع السابقة .

(٤) انظر : شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٢٣) .

(٥) شرح مسلم للنووي (١٤/ ٢٢٣) ، النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢١٤ ـ ٢١٥) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي قاري (٩/ ١٢) .

وقد كان الناس في الجاهلية يعتقدون بصحة نبوءة الكاهن ، وأن خبره لابد أن يقع[1].

وكانت الكهانة منتشرة بينهم ، وكان لكل حي كاهن[2].

ومما يدل على وجود هذه الخصلة في أهل الجاهلية قوله ـ تعالى ـ : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ○ تنزل على كل أفاك أثيم ○ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ : « الأفاك : الكذاب ، وهم الكهنة ، تسترق الجن السمع ، ثم يأتون به أولياءهم من الإنس ، فتتحدث الكهنة بما نزلت به الشياطين»[3].

ومن الأدلة ماجاء عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « قلت : يارسول الله، إن الكهان يحدثوننا بالشيء ، فنجده حقا ، قال : تلك الكلمة الحق يخطفها الجني ، فيقذفها في أذن وليه ، ويزيد فيها مائة كذبة »[4].

وعنها ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها قالت : « سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان ؟ فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقا ، فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها

---

(١) انظر : الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي (٣٩٠) .
(٢) انظر : صحيح البخاري (٥/ ١٨٠) .
(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/ ٧٨) ، وابن جرير في تفسيره (١٩/ ١٢٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب السلام ـ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ـ

الجني ، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة ».

وفي حديث معاوية بن الحكم : « أمورا كنا نفعلها في الجاهلية . . . ومنا رجال يأتون الكهان »[1].

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : « ماسمعت عمر لشيء قط يقول : إني لأظنه كذا ، إلا كان كما يظن ، بينما عمر جالس ، إذ مر به رجل جميل ، فقال عمر : لقد أخطأ ظني ، أوأن هذا على دينه في الجاهلية ، أولقد كان كاهنهم ، علي الرجل . . . فقال : كنت كاهنهم »[2].

وفي خبر هرقل الطويل : « وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان. . . »[3].

فقد كان هرقل منجما ، والتنجيم من أنواع الكهانة[4] .

والآثار والأحاديث الدالة على وجود الكهانة في الجاهلية كثيرة جدا[5].

---

(١) (٤/ ١٧٥٠)ح٢٢٢٨ أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الطب ـ باب الكهانة ـ (٧/ ٢٨) ومسلم في صحيحه ـ كتاب السلام ـ باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان ـ (٤/ ١٧٥٠) ح٢٢٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب مناقب الأنصار ـ باب إسلام عمر ـ (٤/ ٢٤٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب بدء الوحي ـ (١/ ٤ ـ ٧) .

(٤) انظر : فتح الباري (١/ ٥٤) ، أبجد العلوم (٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٤) .

(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للفيف من المستشرقين ، مادة « كهن » (٦/ ٧٠ ـ ٧١) لمعرفة مواضع أخبار الكهنة في كتب الحديث التي اشتملها المعجم .

وقد استقصى العلامة الألوسي أخبارهم في كتابه الحافل « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب »[1].

وهذه الخصلة من خصال الأميين والكتابيين كما تبين من الآثار آنفة الذكر .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هدي أهل الجاهلية في هذه الخصلة، فحرم الكهانة وإتيان الكهان والعرافين ، وسؤالهم ، وتصديقهم ، وبين خطر ذلك ، فقال : « من أتى عرافا ، فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين يوما »[2].

وقال ﷺ : « من أتى عرافا أوكاهنا ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[3].

وقال ﷺ : « ليس منا من تطير أوتطير له ، أوتكهن أوتكهن له ».

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، وأعظم من تتمثل فيهم

(١) انظر : بلوغ الأرب (٣/٢٦٩ ـ ٣٠٧) ، وانظر : نهاية الأرب (٣/١٢٨ ـ ١٣٤) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب السلام ـ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ـ (٤/١٧٥١) ، ح٢٢٣٠ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٤٢٩) ، وإسحاق بن راهوية في مسنده (١/٤٣٠)ح٥٠٣، والبزار كما في كشف الأستار (٣/٤٠٠)ح٣٠٤٥ ، والحاكم في مستدركه ـ كتاب الإيمان ـ (١/٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى ـ كتاب القسامة ـ باب تكفير الساحر وقتله إن كان مايسحر به كلام كفر صريح ـ (٨/١٣٥) .
قال الحاكم : « صحيح على شرطهما جميعا ، ولم يخرجاه » ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١١٧) : « رجاله رجال الصحيح ، خلا عقبة بن سنان ، وهو ضعيف » ، وجود إسناده ابن حجر في الفتح (١٠/٢١٧) .

الصوفية ، فإن الذي يسبر أحوالهم ، ويطلع عليها ، يعلم علم اليقين أن أكثر مشايخ الطرق مابين كاهن وعراف ، فادعاء علم الغيب عندهم كأنه من مستلزمات الولاية والكرامة ، ويسمون ذلك بـ « الكشف» ولولا خشية الإطالة لسردت من أخبارهم مما دونوه بأنفسهم المئات ، بل الآلاف من التكهنات[1].

كما أن الكهانة منتشرة بين كثير من الخرافيين الذين يدعون معرفة الغيب ، ويزعمون أنهم يرشدون الناس إلى مايريدون ، ويأكلون أموالهم بالباطل[2].

كما أن من مظاهر وجودها : مايوجد عند بعض من يتطبب بما يسمى بالطب الشعبي ، فيزعم أنه يعرف سبب المرض الفلاني ، وأن علاجه كذا وكذا ، عن طريق الشياطين .

كما أن من مظاهرها ـ أيضا ـ : مايدعيه بعض الفلكيين من المنجمين من معرفة مايحصل بما يسمى بالطالع سواء كان نحسا أوسعيدا ، وهذا موجود في أكثر الصحف والمجلات .

فهذه الخصلة لاتزال موجودة ، والله المستعان .

---

(١) انظر على سبيل المثال : الطبقات الكبرى للشعراني (٢ / ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، وغيرها كثير جدا ، وانظر :الإبريز :٣٥ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٥١، وفي جامع النبهاني كثير .

(٢) انظر : إصلاح المجتمع (٢٦٨ ـ ٢٩٦) .

والتحاكم إلى الطاغوت[1] ....

يبين المؤلف رحمه الله أن من خصال أهل الجاهلية : التحاكم إلى الطاغوت ، وهو التحاكم إلى غير ماأنزل الله - تعالى - ، وهو طاغوت الحكم[2] ، فقد كان أهل الجاهلية : الأميون والكتابيون ينصبون حكاما لهم، يحكمون فيهم ولهم بغير شريعة الله - تعالى - وينقادون لهم .

وقد دل على ذلك ادلة كثيرة ، منها : قوله - تعالى - في شأن أهل النفاق : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ○ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ماأنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾[النساء: ٦٠- ٦١] .

وقوله - تعالى - في شأنهم - أيضا - : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وماأولئك بالمؤمنين ○ وإذا دعوا إلى الله ورسوله إذا فريق منهم معرضون ﴾[النور: ٤٧-٤٨] .

وقوله - تعالى - في شأن أهل الكتاب : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم

---

(١) رقم هذه المسألة في الأصل : الثلاثون بعد المائة ، وفي (أ) : الثامنة عشرة بعد المائة ، وفي (ب) : الخامسة والعشرون بعد المائة ، وفي (ج) : السادسة والعشرون بعد المائة .

(٢) انظر : الدرر السنية (٦/ ٢٧٢) .

وهم معرضون ﴾[آل عمران :٢٣] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن لم يحكم بماأنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[المائدة :٤٤] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾[المائدة :٤٥] .

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾[المائدة:٤٧] .

فإن هذه الآيات نزلت في اليهود ، كما جاء عن البراء بن عازب[١] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : « مر على النبي ﷺ بيهودي محمما[٢] مجلودا ، فدعاهم ﷺ ، فقال : هكذا تجدون حد الزنا في كتابكم ؟ قالوا: نعم ، فدعا رجلا من علمائهم ، فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، قلنا : تعالوا

---

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الحارثي ، أبو عمارة ، صحابي جليل ، استصغر يوم بدر ، وشهد مابعدها ، وتوفي سنة ٧١، وقيل ٧٢ .
انظر : طبقات ابن سعد (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٨) ، طبقات خليفة (٨٠ ، ١٣٥) ، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠) .
(٢) أي : مسود الوجه .
انظر : غريب الحديث لابن الجوزي (١/٢٤٤) ، النهاية في غريب الحديث (١/٤٤٤) .

فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم ، فانزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ إلى قوله : ﴿ إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ [المائدة:٤١] يقول : ائتوا محمدا ، فإن أمركم بالتحميم والجلد ، فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم ، فاحذروا ، فأنزل الله ـ تعالى ـ : ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله ﴾ الآيات(١) .

وأما الأميون ، فكانوا يتحاكمون إلى الكهان ، الذين كان في كل حي منهم واحد ، ويرضون بحكمهم ، ومايقضون به .

عن جابربن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : « كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها : في جهينة واحد ، وفي اسلم واحد ، وفي كل حي واحد ، كهان ينزل عليهم الشيطان »(٢).

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فحرم التحاكم إلى غير ماأنزل الله ـ تعالى ـ ، ووصف الذين يحكمون بغير ماأنزل

---

(١) أخرجه مسلم ـ كتاب الحدود ـ باب رجم اليهود وأهل الذمة في حد الزنا ـ (٣/١٣٢٧)ح١٧٠٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ باب ﴿ وإن كنتم مرضى أوعلى سفر أوجاء أحد منكم من الغائط ﴾ ـ (٥/١٨٠) معلقا ، وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه قال : سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت ، فذكر مثله ، وزاد : وفي هلال واحد .
انظر : فتح الباري (٨/ ١٠٠) .

الله ـ تعالى ـ بأقبح الأوصاف وأخطرها ، وهي الكفر والظلم والفسق ، كما سبق في الآيات المتلوة قبل قليل .

وسمى الله ـ تعالى ـ حكم غيره حكما جاهليا ، فقال : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ [المائدة : ٥٠] .

وأمر بالتحاكم إليه ، فقال : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾[المائدة :٤٨] .

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وأن احكم بينهم بما انزل الله ﴾[المائدة :٤٩] .

وأمر برد التنازع إليه ، فقال : ﴿ وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[النساء:٥٩] .

وأقسم ـ جل وعلا ـ بنفسه الكريمة على انتفاء إيمان من لم يحكم النبي ﷺويرض بحكمه ، فقال : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [النساء : ٦٥] .

وقصر ـ جل وعلا ـ الحكم عليه فقط ، فقال : ﴿ إن الحكم إلا لله﴾[يوسف :٤٠] .

وقال : ﴿ وهو الله لاإله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾[القصص :٧٠] .

فهدي رسول الله ﷺ هو التحاكم إلى ماأنزل الله ، لاإلى الطواغيت والشياطين .

وقد خالف هذا الهدي العظيم الطواغيت من هذه الأمة ، الذين يتحاكمون إلى غير ماأنزل الله ـ تعالى ـ .

ولهذا التحاكم صور كثيرة ، منها : مايدعيه أهل الكلام من وجوب التحاكم إلى العقل ، وجعله فيصلا فيما اختلف الناس فيه ، ونبذ كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ .

والتحاكم إلى العقل مع نبذ السمع من أعظم الأمور التي فرقت الأمة شيعا ، وهو تحاكم خطير جدا .

ومن صور الحكم بغير ماأنزل الله ـ تعالى ـ التحاكم إلى شريعة البشر، والرضا بما يقضون به .

ومن هذا النوع مايسمى بالقضاء العشائري ، الذي تجتمع فيه العشيرة على بعض النظم ، وتجعلها عند كبيرهم ليقضي بموجبها ، وهذا النوع موجود بكثرة[(١)] .

ومنه ـ وهو الطامة العظمى والمصيبة الكبرى ـ ماسنه الطواغيت من التحاكم إلى الدساتير والقوانين التي وضعها حثالة البشر وأراذلهم من الأغبياء الملاحدة ، وهذا الأمر قد خيم بظلامه على أكثر بلاد العالم ، ولم يسلم منه

---

(١) انظر : مجلة المنهل ذات العدد (٤٦٣) الصادرة في شهر شوال عام ١٤٠٨(٤٩) .

ـ حسب علمي ـ إلا بلاد الحرمين ـ حرسها الله تعالى ـ .

وقد وقف منها الملاحدة ـ لعنهم الله تعالى ـ موقفا خبيثا بما يسمونه « لجان حقوق الإنسان » فهم بين الحين والآخر يصفونها بالرجعية ، وبشريعة الغاب ، وبالقسوة . . . ولكن « لايضير السحاب نبح الكلاب ».

والناس في مسألة الحاكمية طرفان ووسط ، وخير الأمور أوسطها ، فمنهم من لايفسر التوحيد إلا بها ، فيطوع كل نص لأجلها ، وينسى ماعداها ، وهذا خطأ وضلال مبين ، ومنهم من يتساهل فيها تساهلا كبيرا يكاد يخرج به من دينه ، حتى ربما زعم بعضهم أنه ليس في القرآن العظيم ولافي السنة النبوية مايدل على وجوب الحكم بما أنزل الله ، وهذا القول قول مخرج من الملة .

ومسألة الحكم بغير ماأنزل الله ـ تعالى ـ قد أوسعها الناس بحثا ، واختلفت طرائقهم في ذلك ، والبحث فيها يحتاج إلى إطالة ، وليس هذا موضعه ، والله ـ تعالى ـ أعلم[1] .

---

(١) انظر في هذه المسألة : رسالة تحكيم القوانين الوضعية للإمام محمد بن إبراهيم ، فهي رسالة فريدة في بابها .

وكـراهـة[1] التـزوج[2] بيـن العيـديـن[3]..................

يبين المؤلف رحمه الله أن من خصال أهل الجاهلية ، أنهم كانوا يكرهون التزوج والتزويج فيما بين عيد الفطر وعيد الإضحى ، والمراد به المدة التي بينهما ؛ لأن هذين العيدين جاء بهما الإسلام ، ولم يكونا معروفين عند أهل الجاهلية .

وقد كانوا يكرهون التزويج والتزوج تشاؤما ، وخاصة في شوال ؛ لانهم يتشاءمون من اسمه ،حيث إنهم يعتقدون أنه مشتق من « الإشالة » التي هي بمعنى الإزالة والرفع ، وهو عندهم كناية عن الهلاك ، فكانوا يتوهمون أن المتزوجين فيه تقع بينهم العداوة والبغضاء ، وبذلك تزول حظوة المرأة من عند زوجها[4].

وقيل : إنهم كانوا يكرهون ذلك ؛ لأن الإبل كانت تشول في ذلك

(١) في (د) : « كراهية » .
(٢) في (ب) و (جـ) و (د) : « التزويج » .
(٣) رقم هذه المسألة في (أ) التاسعة عشرة بعد المائة ، وفي (ب) السادسة والعشرون بعد المائة ، وفي (جـ) السابعة والعشرون بعد المائة .
وفي (أ) زيادة « والله أعلم ، تمت النسخة » ، وفي (ب) « والله أعلم ، آخره ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الراشدين ، وبارك ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين » ، وفي (جـ) « والله أعلم ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم » ، وفي (د) « والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم ، وصلى الله على محمد وسلم » .
(٤) انظر : صبح الأعشى (٢/ ٤٠٢) ، فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٣/ ٤٧٥) .

الوقت بأذنابها من شهوة الضراب ، فتشاءمت به العرب[1].

وقيل : إنهم كانوا يكرهون ذلك ؛ لأن الإبل في ذلك الوقت تشيل بذنبها بعد الطرق ، فتولي عن الضراب ، فالمرأة ـ كما يعتقدون ـ لن تمكن زوجها من نفسها ، وستمتنع منه إذا عقد لها في ذلك الشهر[2].

وقيل : إن السبب في ذلك ، أنه وقع في الزمن الأول طاعون في شهر شوال ، فصاروا يتشاءمون منه[3].

أما ذو القعدة ، فكانوا يكرهون الزواج والتزويج فيه ؛ لكونه من أشهر الحج[4].

وقد استفرغت الوسع في البحث عن أدلة لهذه الخصلة ، فلم أجد سوى حديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ « تزوجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني »[5].

فهذا الحديث قد فهم منه العلماء أن عائشة أرادت به الرد على أهل الجاهلية الذي كانوا يكرهون ذلك .

قال النووي : « فيه استحباب التزويج والتزوج والدخول في شوال ،

---

(١) انظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر (٢/ ٢٢٠) .
(٢) انظر : لسان العرب ، مادة « شول » (١١/ ٣٧٧) .
(٣) انظر : الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي (٢/ ٦٢٢) .
(٤) انظر : مرقاة المفاتيح (٦/ ٢١١) .
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب النكاح ـ باب استحباب التزوج والتزويج والدخول في شوال ـ (٣/ ١٠٣٩)ح١٤٢٣ .

وقد نص أصحابنا عليه ، واستدلوا بهذا الحديث ، حيث قصدت عائشة بهذا رد ماكان عليه أهل الجاهلية ، ومايتخيله بعض العوام اليوم من كراهية التزوج والتزويج والدخول في شوال »[١].

وقال الملا علي قاري[٢]: « قيل : إنما قالت هذا ؛ ردا على أهل الجاهلية ، فإنهم كانوا لايرون يمنا في التزوج والعرس في أشهر الحج ، وقيل : لأنها سمعت بعض الناس يتطيرون ببناء الرجل على أهله في شوال . . . فحكت ماحكت ؛ ردا لذلك ، وإزاحة للوهم »[٣].

وهذه الخصلة لاأعلم لها وجودا بين الكتابيين .

وقد خالف هدي رسول الله ﷺ هديهم في هذه الخصلة ، فلم يتشاءم من أي شهر كان ، وأبطل ماكانوا يعتقدون ، فتزوج في شهر شوال ، وبنى في شهر شوال ، فكانت المدخول بها ، المبني بها أحظى النساء عنده، وأحبهم إليه .

وهذه الخصلة الجاهلية لاتزال موجودة ، فإن من الناس اليوم من يكره التزوج والتزويج فيما بين العيدين ، ويرون نحس الزواج

---

(١) شرح مسلم للنووي (٩/٢٠٩) .

(٢) هو علي بن سلطان محمد بن نور الدين الهروي القاري ، أحد فقهاء الحنفية المتأخرين ، له مشاركات في علوم عديدة ، وخاصة الفقه والحديث ، له مؤلفات منها : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، شرح كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ، وقد توفي سنة ١٠١٤هـ .
انظر : خلاصة الأثر (٣/١٨٥ ـ ١٨٦) ، البدر الطالع (١/٤٤٥ ـ ٤٤٦) .

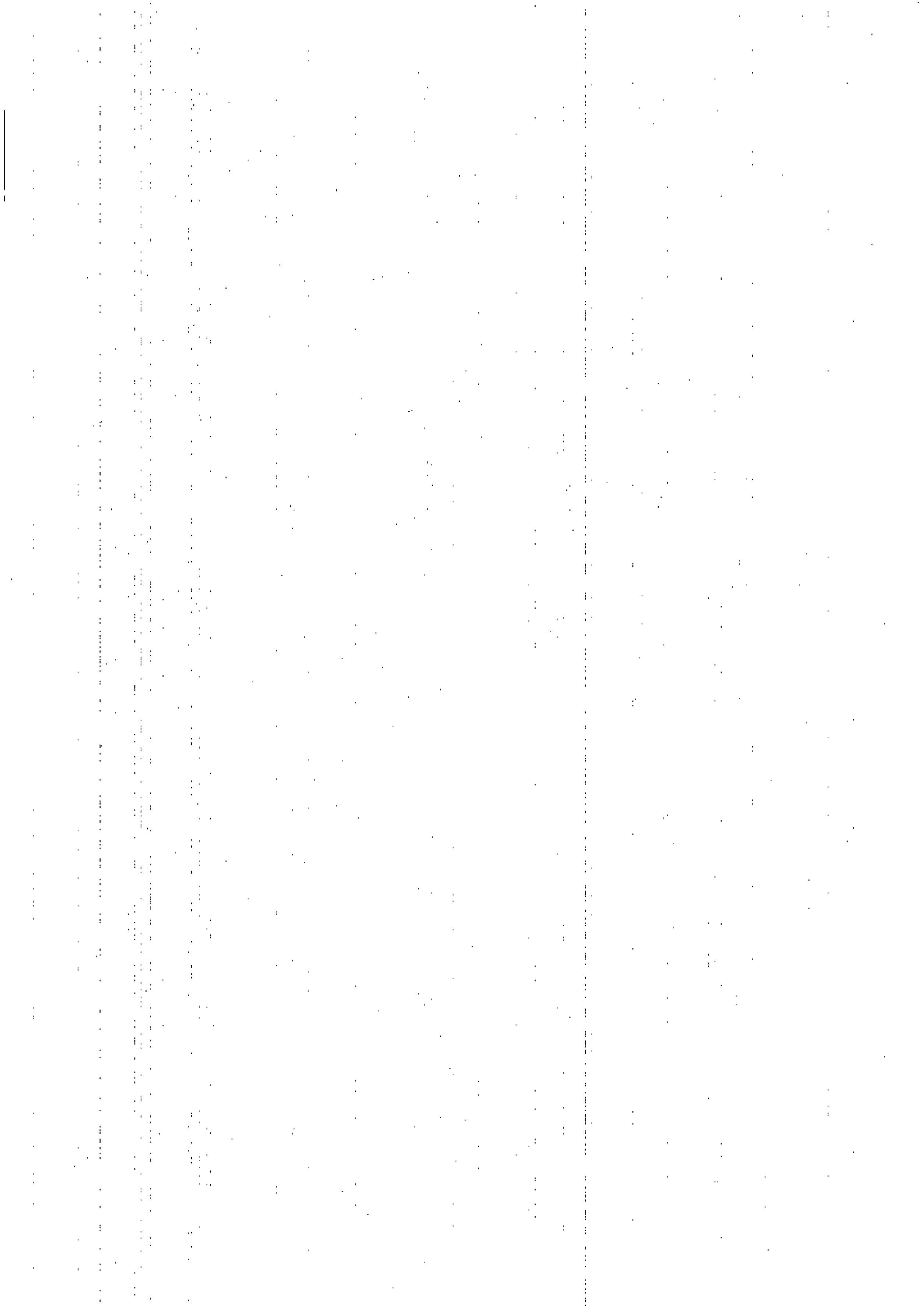
(٣) مرقاة المفاتيح (٦/٢١١) .

فيه[1]، والله أعلم.

(١) انظر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين (١١٣) ، وقد أفادني بعض الإخوة أنهم يعرفون وجود هذه الخصلة في بلادهم : بلاد الشام .



الفهارس




فهرس المصادر

١. آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، د . أحمد الضبيب ، ط١، ١٣٩٧

٢. الإباضية عقيدة ومذهبا ، د . صابر طعيمة ، دار الجيل ١٤٠٦هـ .

٣. الإباضية في موكب التاريخ لعلي يحي معمر ، مكتبة وهبة ، ط الأولى 1979-1399.

٤. أباطيل القاديانية في الميزان د . محمد النجرامي ، دار الفكر ، ط الأولى 1405

٥. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق د . صالح الفوزان ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٦. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة العكبري ، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي ، دار الراية ، ط الأولى 1409 - 1988 .

٧. الإبانة النورية في شأن صاحب الطريقة الختمية لأحمد بن محمد الرباطي ، تحقيق محمد أبوسليم ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى 1411 .

٨. أبجد العلوم لصديق خان ، اهتم بطبعه ونشره عبدالخالق القدوسي ، ط الأولى بباكستان 1403 - 1983 .

٩. أبجدية التصوف الإسلامي لمحمد زكي إبراهيم ، منشورات ورسائل العشيرة المحمدية ، ط٤ 1409 .

١٠. الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ، دار الاعتصام .

١١. إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد لحمد بن عتيق ، مكتبة الرياض الحديثة ، ط٤ ١٣٨٩.

١٢. ابن سبعين لسميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني 1408 .

١٣. ابن الفارض عميد الحب الإلهي لمعروف زريق ، دار أسامة ، ط الأولى 1410 - 1990 .

١٤. الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول لعلي السبكي وولده عبدالوهاب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984 .

١٥. أبو الأنبياء للعقاد ، دار الكتاب اللبناني ، ط الأولى 1978 .

١٦. أبو الحسن الشاذلي عصره ، تاريخه ، علومه ، تصوفه لعلي سالم عمار ، دار التأليف ، ط الأولى 1951 .

١٧. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د . فهد الرومي ، ط الأولى 1407 - 1986.

١٨. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د . محمد محمد حسين ، دار الرسالة بمكة المكرمة ط٩ 1413 .

١٩.إتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين للزبيدي ، دار الفكر .
٢٠.إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، للنجم عمر بن فهد ، تحقيق فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى .
٢١.إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة لعبدا لله الغماري ، عالم الكتب ، ط الثانية ١٤٠٦ - ١٩٨٦
٢٢.الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الرابعة 1398 - 1978 .
٢٣.إثبات عذاب القبر للبيهقي ، تحقيق د . شرف محمود القضاة ، دار الفرقان ، الاردن ، ط٢ 1405 .
٢٤.أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى المؤسسات التبشيرية بقلم عبدالرحمن الميداني ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، ط الأولى 1412 - 1991 .
٢٥.الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي ، تقديم وتحقيق وتعليق د . بكر زكي عوض ، ط الثانية 1407 - 1987 .
٢٦.الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر لحمود التويجري ، مكتبة دار العليان ، بريدة ، ط الثانية 1406 - 1986 .
٢٧.الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، لعلاء الدين بن بلبان ، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٢٨.أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د . محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1408 - 1987 .
٢٩.أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ، حققه وعلق حواشيه د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط الثانية 1983 .
٣٠.الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تعليق عبدالرزاق عفيفي ، مؤسسة النور ، ط الأولى .
٣١.أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ، دار الكتاب العربي .
٣٢.أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، طبعة جديدة .
٣٣.إحياء علوم الدين للغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1406 - 1986
٣٤.الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام منه د . محمد البهي ، مكتبة وهبة ، ط الأولى 1401 .
٣٥.أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ للقرماني ، د . تحقيق فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الأولى 1412 - 1992 .

٣٦.إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، مكتبة المتنبي ، القاهرة
٣٧.الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، اختارها علاء الدين البعلي ، تحقيق محمد الحامد الفقي ، مكتبة السنةالمحمدية
٣٨.أخبار المدينة النبوية لعمر بن شبة ، تحقيق عبدا لله الدويش ، دار العليان ببريدة ط الأولى 1411 .
٣٩.أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي ، تحقيق عبدالملك بن دهيش ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، ط الأولى 1407 - 1986
٤٠.أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار لأبي الوليد الأزرقي ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، مكتبة الثقافة ، ط الخامسة 1408 - 1988 .
٤١.الأخبار النجدية لمحمد بن عمر الفاخري ، تحقيق د . عبدا لله بن يوسف الشبل ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٤٢.اختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن الرحيم لأبي عبدا لله محمد بن عبدالواحد المقدسي ، تحقيق عبدا لله الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى 1409 .
٤٣.أخطاء المنهج الغربي الوافد لأنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني .
٤٤.أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام لمحمد الناصر ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط الأولى 1413 .
٤٥.الأخلاق المتبولية لعبدالوهاب الشعراني ، تقديم وتحقيق د . منيع عبدالحليم محمود ، مطبعة حسان .
٤٦.أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة لوفا صادق ، دار الفرقان ، عمان ، ط الأولى ١٤٠٨ .
٤٧.الآداب للبيهقي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٤٨.أدب الاختلاف في الإسلام د . طه جابر فياض العلواني ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، ط الرابعة 1412 - 1991 .
٤٩.أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي لجرجس داود داود ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط الثانية 1408 - 1988
٥٠.الأديان القديمة في الشرق مع ترجمة لكتاب البوذية د . رؤوف شلبي ، دار الشروق ، ط٢ 1403 .
٥١.أديان الهند الكبرى ، د . أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط التاسعة 1987 .
٥٢.الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبدالقادر شيبة الحمد .
٥٣.آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د . عمر رضوان ، دارطيبة ، الرياض ، ط١ 1413 .

٥٤.الأربعين في أصول الدين للرازي ، تقديم وتحقيق وتعليق د . أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط الأولى 1406 .
٥٥.الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والالحاد د . صالح الفوزان ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط الأولى 1410 .
٥٦.الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد لأبي المعالي الجويني ، تحقيق أسعد تميم مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٥٧.إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٥٨.إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لشهاب الدين القسطلاني ، دار إحياء التراث العربي .
٥٩.إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني،دار المعرفة ، بيروت .
٦٠.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، تحقيق عبدالقادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، 1401 - 1981
٦١.إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى 1399 - 1979
٦٢.إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض لمحمد يوسف اطفيش ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1982 .
٦٣.إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، تحقيق د . سيد إسماعيل كاشف ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان . أساس البلاغة ، لأبي القاسم الزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة 1399 - 1979 .
٦٤.أساس التقديس للرازي ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية 1406 - 1986 .
٦٥.الأساس لعقائد الأكياس في معرفة رب العالمين وعده في المخلوقين ومايتصل بذلك من أصول الدين للقاسم بن محمد الزيدي ، تحقيق د . البير نصري نادر ، دار الطليعة ، ط الأولى 1980 .
٦٦.أساطير المعاصرين د . أحمد نور ، بيت الحكمة ، القاهرة ط الأولى 1409 .
٦٧.أستاذ المرأة لمحمد بن سالم البيحاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٦٨.الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار لمحمد بن علي الكراجكي

٦٩.استخراج الجدل من القرآن الكريم لناصح الدين بن الحنبلي ، ضبط نصه وعلق عليه محمد صبيحي حسن خلاق ، مؤسسة الريان ، بيروت ، ط١ 1413 - 1992 .
٧٠.الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د . محمود زقزوق ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ 1407 .
٧١.الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٧٢.الاستنفار لغزو التشبه بالكفار لأحمد بن الصديق الغماري ، هذبه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدا لله التليدي ، دار البشائر الإسلامية ، ط الثانية 1409 .
٧٣.الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبدالبر ، دار الكتاب العربي .
٧٤.أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ورفيقه ، دار الشعب .
٧٥.الأسماء والصفات للبيهقي ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي ، ط الأولى 1405 .
٧٦.إسلام آخر زمن قرآءة في آرآء حسين أحمد أمين لمنذر الأسعد ، دار المعراج ، ط الأولى 1411 .
٧٧.الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت ، دار الشروق .
٧٨.الإسلام في قفص الاتهام لشوقي أبو خليل ، دار الفكر 1406 - 1986 .
٧٩.الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة د . عبدالعظيم المطعني ، مكتبة وهبة ، ط الأولى 1407 .
٨٠.الإسلام في مواجهة التحديات د . محمد رأفت سعيد ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ 1407 - 1987 .
٨١.الإسلام وتقاليد الجاهلية لآدم عبدا لله الألوري ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط الثانية 1399 - 1979 .
٨٢.الإسلام والتمييز العنصري لصلاح الدين الأيوبي ، دار الأندلس ، ط الثانية 1401 .
٨٣.الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ليوسف كمال ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الأولى 1407 .
٨٤.الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د . مصطفى حلمي ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ط٣ 1406 .
٨٥.الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء المسلمين ، عالم المعرفة ، ط١ 1405 - 1985 .
٨٦.الإشارات إلى معرفة الزيارات لأبي الحسين الهروي ، تحقيق جانين سورديل ، دمشق 1953
٨٧.إشارات المرام من عبارات الإمام لكمال الدين البياضي ، تحقيق يوسف عبدالرازق ، ط١ 1368 .
٨٨.الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٨٩.الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1405 - 1984 .
٩٠.الاشتقاق ، لأبي بكر بن دريد ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، ط الأولى 1411 .

٩١.اشتقاق أسماء الله للزجاجي ، تحقيق د . عبدالحسين المبارك ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية 1406 .
٩٢.الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، دار الكتاب العربي .
٩٣.أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج سالم السيابي ، تحقيق وشرح د . سيد إسماعيل كاشف ، وزارة التراث القومي والثقافة بعمان .
٩٤.أصل السنة واعتقاد الدين رواية ابن أبي حاتم عن أبيه وأبي زرعة ، جمع محمود الحداد .
٩٥.أصل الشيعة وأصولها لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء ، قدم له السيد مرتضى العسكري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط الرابعة 1402 - 1982 .
٩٦.أصول التنصير في الخليج العربي لكونوي زيقلر ، ترجمة مازن صلاح مطبقاني ، مكتبة ابن القيم المدينة المنورة ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٩٧.الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها لصالح زين العابدين الشيبي رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .
٩٨.أصول الدين لعبدالقاهر البغدادي ، مكتبة المثني ، ومؤسسة الخانجي ، مصور عن طبعة مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية باستنبول ، ط١ 1346 - 1928 .
٩٩.أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي مع النص الكامل لكتابه " تلخيص الإبريز " د . محمود فهمي حجازي ، دار الفكر العربي
١٠٠.الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن عثيمين ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى 1404 - 1983 .
١٠١.الأصول من الكافي للكليني ، دار الكتب الإسلامية ، ط الثالثة 1388 .
١٠٢.أصول الوصول لمحمد زكي إبراهيم ، العشيرة المحمدية بمبنى جامع البنات بالأزهر ، ط٣ 1404 .
١٠٣.إصلاح المجتمع لمحمد بن سالم البيحاني ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت ، ط الثانية
١٠٤.إصلاح المساجد من البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة 1397 .
١٠٥.أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق د . عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود ، مطبعة الارشاد ، ١٤٠٥هـ .
١٠٦.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد 1403 - 1983 .
١٠٧.أضواء على الاستشراق والمستشرقين د . محمد أحمد دياب ، دار المنار القاهرة ، ط 1410 .

١٠٨.أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد الفوزان ، دار الوثائق ، الكويت ، ط الثالثة 1410 - 1989 .
١٠٩.أضواء وحقائق على البابية ، والبهائية ،القاديانية د . أمينة محمد نصير ، دار الشروق ، ط١ 1404 .
١١٠.الاعتصام للشاطبي ، تعريف محمد رشيد رضا ، دار الفكر .
١١١.الاعتقاد للبيهقي ، صححه أحمد محمد مرسي ، حديث آكادمي ، باكستان
١١٢.اعتقادات الصدوق لعبدالله بن النعمان ، المطبعة الحيدرية ، ط الثالثة 1393 .
١١٣.اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، مراجعة وتحرير علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية 1402 - 1982 .
١١٤.الأعلاق النفيسة لابن رستة ، ط : دار صادر ببيروت .
١١٥.الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، تقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط الأولى 1972 .
١١٦.الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي ، الدار السعودية .
١١٧.الأعلام للزركلي ، دار العلم للملايين ، ط٦ 1984 .
١١٨.الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار ، تحقيق زهي الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط٣ 1400 .
١١٩.أعلام الموقعين عن رب العالمين ، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد دار الجيل .
١٢٠.إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة .
١٢١.الإفادات والانشادات للشاطبي ، تحقيق د . محمد أبوالأجفان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ 1403 - 1983 .
١٢٢.افتراء ات المستشرقين على الإسلام د . عبدالعظيم المطعني ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط١ 1413 .
١٢٣.إفحام اليهود للسموأل ، تحقيق د . محمد الشرقاوي ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1407 .
١٢٤.الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لموسى الحجاوي ، تصحيح وتعليق عبداللطيف السبكي ، دار المعرفة بيروت .
١٢٥.الأقوال المرضية في الرد على الوهابية لمحمد عطا الكسم ، المطبعة العمومية بمصر ، ط الأولى 1901 .
١٢٦.أقيسة النبي المصطفى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لناصح الدين بن الحنبلي ، تحقيق أحمد حسن جابر وغيره ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ط١ 1393 - 1973 .

١٢٧. اكتساح السحر والشعوذة والكهانة والتنجيم والضرب بالرمل لأحمد الخروف ، دار الفرقان ، عمان ، ط الأولى 1990 .
١٢٨. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1411 - 1990 .
١٢٩. الإلهام النافع لكل قاصد لصالح الجعفري ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .
١٣٠. الإلهيات على هدي الكتاب والسنة والعقل ، محاضرات جعفر السبحاني بقلم حسن محمد مكي العاملي ، الدار الإسلامية ، ط الأولى 1409 - 1989 .
١٣١. الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة لعبدالسلام البسيوني ، دار الإيمان ، الاسكندرية ، ط الأولى .
١٣٢. إمام أهل السنة والجماعة أبومنصور الماتريدي وآرآؤه الكلامية د . علي عبدالفتاح المغربي ، مكتبة وهبة ، ط الأولى 1405 - 1985 .
١٣٣. الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة لصالح محمد الصوافي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1403 .
١٣٤. الإمام زيد بن علي مفترى عليه لصالح بن أحمد الخطيب ، المكتبة الفيصلية ،1984 .
١٣٥. الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ لعبدالله بن سعد الرويشد ، رابطة الأدب الحديث ، ط الثانية 1404 - 1984 .
١٣٦. الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوته وسيرته لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1403 - 1983
١٣٧. الإمام محمد بن عبدالوهاب ومنهجه في الدعوة ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للطالب محمد السكاكر.
١٣٨. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ، تقديم وتحقيق د . ذيب القحطاني ، 1409 .
١٣٩. الأم للشافعي ، دار الفكر ، ط الثانية 1403 - 1983 .
١٤٠. الأموال لأبي عبيد ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط الأولى ١٩٨١ .
١٤١. الأموال لابن زنجويه ، تحقيق د . شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط الأولى 1406 - 1986 .

١٤٢.إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لجمال الدين القفطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ومؤسسة الكتب الثقافية ، ط١ 1406 - 1986 .
١٤٣.الانتصار لطريق الصوفية الأخيار للزمزمي بن محمد بن الصديق ، مطبعة الشرق .
١٤٤.الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لأبي الحسين الخياط ، دار الكتب المصرية 1344 .
١٤٥.الانتصاف مما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير ، مطبوع بهامش الكشاف .
١٤٦.الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبدالبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٤٧.الأنساب للسمعاني ، تقديم وتعليق عبدا لله عمر البارودي ، دار الجنان ، ط الأولى 1408 - 1988 .
١٤٨.الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ، دار الشروق ، ط التاسعة 1408 - 1988
١٤٩.الإنسانية لفهر الدين يونس ، المكتبة العالمية ، تونس ، ط الثانية 1976
١٥٠.الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل لعلاء الدين المرداوي ، صححه وحققه محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط الثانية 1400 — 1980 .
١٥١.الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به للباقلاني ، تحقيق محمد زاهدالكوثري ، مؤسسة الخانجي ، ط الثانية 1382 - 1963 .
١٥٢.أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الثانية ١٣٨٨ .
١٥٣.الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية لعبدالرحمن الافريقي ، تعليق وتصحيح إسماعيل الأنصاري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1404 .
١٥٤.الأنوارالقدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني ، دار جوامع الكلم ، ط الثالثة .
١٥٥.اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم د . محمد لقمان السلفي ، ط الأولى 1408 - 1987.
١٥٦.أوائل المقالات في المذاهب المختارات لعبدا لله بن النعمان ، المطبعة الحيدرية ، ط الثالثة 1393 .
١٥٧.أوجز المسالك إلى موطامالك ، لمحمد زكريا الكاندهلوي ، دار الفكر 1410 - 1989 .
١٥٨.أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، دار الجيل ، بيروت ، ط الخامسة 1399 - 1979 .
١٥٩.أولياء ا لله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي لعبدالرحمن دمشقية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ط الأولى 1413 - 1992 .

١٦٠.إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لإسماعيل باشا ، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقايا ، مكتبة المثنى بغداد .
١٦١.إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار للفلاني ، دار المعرفة ، بيروت .
١٦٢.إيقاظ الهمم في شرح الحكم لا بن عجيبة الحسني ، تقديم محمد حسب ا لله ، دار المعارف .
١٦٣.الإيمان لابن تيمية ، صححه وعلق عليه د . محمد خليل الهراس ، دار الفكر .
١٦٤.الإيمان بالغيب لبسام سلامة ، مكتبة المنار ، الاردن ، ط الأولى 1403 - 1983 .
١٦٥.أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، جمع وتحقيق ودراسة د . عادل جاسم البياتي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ط الأولى 1407 - 1987 .
١٦٦.البابية لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط الثالثة 1401
١٦٧.البابية والبهائية وأهدافهما في دعوى النبوة والرد عليهما لأحمد بن حجر آل أبوطامي .
١٦٨.الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة ، ط الثانية 1401 .
١٦٩.البحر الرائق شرح كنز الحقائق لابن نجيم الحنفي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الثالثة 1413 - 1993 .
١٧٠.البحر الزخار المعروف بمسند البزار ، تحقيق محفوظ الرحمن زين ا لله ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ومكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1409 - 1988 .
١٧١.البحر المحيط لأبي حيان ، دار الفكر ، ط الثانية 1403 .
١٧٢.البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين الزركشي ، قام بتحريره د . عمر الأشقر
١٧٣.بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1403 - 1983 .
١٧٤.بحوث في تاريخ السودان د . محمد إبراهيم أبوسليم ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى 1412 .
١٧٥.بحوث في السياسة د . أحمد سويلم العمري ، مكتبة شباب الجامعة ، ط الرابعة 1987
١٧٦.بدائع الفوائد لابن القيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
١٧٧.البدء والتاريخ ، المنسوب إلى المطهر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية .
١٧٨.البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ، تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبدالعزيز النجار ، مطبعة الفجالة الجديدة .
١٧٩.البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، مكتبة ابن تيمية .
١٨٠.البدعة ـ تحديدها وموقف الإسلام منها ، د. عزت عطية ، دار الكتاب العربي ، ط٢ 1400 - 1980 .

١٨١.البدع والنهي عنها لابن وضاح ، تحقيق محمد دهمان ، دار البصائر ، دمشق ، ط٢ 1400 - 1980 .

١٨٢.بذل النظر في الأصول للأسمندي ، تحقيق د . محمد زكي بدر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط٢ 1412 - 1992 .

١٨٣.البرهان الساطع في تبرؤ المتبوع من التابع لمحمد سلطان الخجندي ، إعداد عبدالملك شاكر ، دار الراية ، الرياض ، ط الأولى 1412 - 1992 .

١٨٤.البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

١٨٥.البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل السكسكي ، تحقيق د . بسام العموش ، مكتبة المنار ، ط الأولى 1408 - 1988 .

١٨٦.البرهان المؤيد لأحمد الرفاعي ، جمع وتحقيق إبراهيم الرفاعي ، دار الرفاعي .

١٨٧.البريلوية : عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط الأولى 1403 - 1983 .

١٨٨.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

١٨٩.البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق د . وداد القاضي ، دار صادر ، ط الأولى .

١٩٠.بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الآلوسي ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية .

١٩١.البناية شرح الهداية للعيني ، دار الفكر ، بيروت ، ط الثانية 1411 - 1990.

١٩٢.بنو إسرائيل في القرآن والسنة د . محمد سيد طنطاوي ، الزهراء للإعلام العربي ، ط١ 1407 .

١٩٣.البهائية لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط السادسة 1984

١٩٤.البهائية : تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية لعبدالرحمن الوكيل ، دار المدني ، ط الثانية 1407 – 1986 .

١٩٥.البهائية والبابية في ميزان الإسلام ، د . محمد عبدالمنعم البري ، دار الحقيقة للإعلام الدولي 1410 .

١٩٦.بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب للأصفهاني ، تحقيق د . محمد مظهر بقا ، جامعة أم القرى .

١٩٧.بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال لإبراهيم السويح ، المطبعة السلفية 1369 .

١٩٨.البيان والتبيين للجاحظ ، دار الفكر للجميع ، 1968 .

١٩٩.بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة لخليل ابراهيم الموصلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1410 - 1990 .

٢٠٠. بين الأصالة والحداثة ـ نقد ومختارات ـ أحمد فرح عقيلان ، النادي الأدبي بالطائف ، ط١ 1406 .

٢٠١. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، دار إحياء التراث العربي

٢٠٢. تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطبعة والنشر 1399 - 1979 .

٢٠٣. التاريخ لابن معين برواية الدوري ، تحقيق د . أحمد محمد نور سيف ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1399 - 1979 .

٢٠٤. تاريخ ابن الوردي ، مكتبة ابن تيمية ، مصورة عن الطبعة الثانية للمطبعة الحيدرية 1389 - 1969 .

٢٠٥. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، للسيد محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار بمصر ، ط١|١٣٥٠هـ .

٢٠٦. تاريخ الإسلام للذهبي ، تحقيق د . عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي

٢٠٧. تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ، د . عبدا لله فياض ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط الثالثة 1406 - 1986 .

٢٠٨. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية .

٢٠٩. تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية 1405 - 1985 .

٢١٠. تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ، عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مجمع اللغة العربية بدمشق 1409 - 1988 ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى 1365 - 1946 .

٢١١. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، ط الثالثة 1405 - 1985 .

٢١٢. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع .

٢١٣. تاريخ جرجان للسهمي ، تحت مراقبة د . محمد عبدالمعيد خان ، عالم الكتب ، ط الثالثة 1401 .

٢١٤. تاريخ الرسل والملوك للطبري ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار المعارف .

٢١٥. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن حسن الأصفهاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٢١٦. تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار لابن حبان ، تحقيق بوران الضناوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط الأولى 1408 - 1988 .

٢١٧. تاريخ الفرق الإسلامية لمحمد خليل زين ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط الثانية 1985 - 1405 .

٢١٨. تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين لعلي مصطفى الغرابي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط الثانية 1985

٢١٩.التاريخ الكبير للبخاري ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
٢٢٠.تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية لمحمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي 1987 .
٢٢١.تاريخ واسط لبحشل ، تحقيق كوركيس عواد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٢٢٢.تاريخ اليعقوبي ، دار صادر 1412 - 1992 .
٢٢٣.التآلف بين الفرق الإسلامية لمحمد حمزة ، دار قتيبة ، دمشق ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٢٢٤.تأنيب الخطيب على ماساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب لمحمد زاهد الكوثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1401 - 1981 .
٢٢٥.تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ .
٢٢٦.التأويل الاسماعيلي الباطني ومدى تحريفه للعقائد الإسلامية ، د . عبد العزيز سيف النصر ، ط١ ، ١٤٠٤هـ .
٢٢٧.تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم لمحمد زاهد الكوثري مع السيف الصقيل للسبكي ، مطبعة السعادة ، ط الأولى .
٢٢٨.تبديد الظلام وتنبيه النيام لإبراهيم الجبهان
٢٢٩.التبرك لعلي الأحمدي ، مؤسسة البعثة ، قسم الدراسات الإسلامية ، ط الثانية .
٢٣٠.التبرك أنواعه وأحكامه د . ناصر الجديع ، مكتبة الرشد ، الرياض .
٢٣١.التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر الاسفراييني ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، ط الأولى 1403 - 1983
٢٣٢.تبيين الحق والصواب بالرد على أتباع ابن عبدالوهاب لمحمد توفيق سوقيه ، مطبعة الفيحاء شام .
٢٣٣.تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر ، عني بنشره القدسي دار الكتاب العربي 1399 - 1979 .
٢٣٤.تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ، تحقيق علي حسن عبدالحميد ، دار عمار ، عمان ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٢٣٥.التحديات المعاصرة في مواجهة الإسلام د . أحمد الشاعر ، دار الطباعة المحمدية ، ط الأولى 1401 .

٢٣٦.تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للشي الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط٤ 1403 - 1983 .
٢٣٧.تحذير العباد من اتخاذ الأنداد لمصطفى عبدا لله درويش ، ط الأولى .
٢٣٨.تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين لأحمد بن حجر آل بوطامي
٢٣٩.تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات لأبي الحسن نور الدين السخاوي ، تحقيق محمود ربيع وغيره ، مطبعة العلوم والآداب ، القاهرة ، ط الأولى 1356
٢٤٠.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، تحقيق عبدالرحم عثمان ، مصور عن الطبعة الثانية .
٢٤١.تحفة السالكين في تعريف طريق رب العالمين لمحمود القادري ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، ط٣ 1389 - 1969 .
٢٤٢.تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٢٤٣.تحقيق البرهان في اثبات حقيقة الميزان لمرعي الكرمي ، تحقيق مشهور حسن ، دار ابن القيم .
٢٤٤.تحكيم الشريعة ودعوى العالمانية د . صلاح الصاوي .
٢٤٥.تخليص الإبريز من تاريخ باريز لفاعة الطهطاوي ، د. محمود فهمي حجازي ، دار الفكر العربي
٢٤٦.التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد السعوي ، ط الأولى 1405 - 1985
٢٤٧.تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار إحياء التراث العربي .
٢٤٨.الترغيب في الدعاء والحث عليه لعبدالغني المقدسي ، تخريج أبي يوسف محمد بن حسن ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٢٤٩.التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ، تحقيق محمد اليونس وغيره ، دار الكتب الحديثة .
٢٥٠.تسهيل المنطق لعبدالكريم بن مراد الأثري ، دار مصر للطباعة .
٢٥١.التشيع : نشوؤه ، مراحله ، مقوماته لعبدا لله الغريقي ، دار الموسم للاعلام ، ط٢ 1412 - 1991 .
٢٥٢.التشيع والإسلام لمحمد باقر الصدر ، مكتبة الثقافة الإسلامية 1393
٢٥٣.التصريح بما تواتر في نزول المسيح لمحمد أنور شاه الكشميري ، رتبه محمد شفيع ، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبدالفتاح أبوغدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ودار القرآن الكريم ، ط الثالثة 1401 - 1981 .
٢٥٤.التصديق بالنظر إلى ا لله تعالى في الدار الآخرة لأبي بكر الآجري ، تحقيق سمير بن أمين الزهيري ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1408 - 1988 .

٢٥٥.التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي لعبدالقادر أحمد عطا ، دار الجيل ط١ 1407 - 1987 .
٢٥٦.التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبدالباقي سرور ، دار نهضة مصر ، القاهرة.
٢٥٧.التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة ، الدار السلفية ، الكويت ، ط الثالثة 1403 - 1983 .
٢٥٨.تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق عبدا لله بن يوسف ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٢٥٩.تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات لأحمد بن حجر آل بوطامي ، مكتبة منار السبيل ط٣ 1409 .
٢٦٠.تطور الفكر الغربي رؤية نقدية د . علي عبدالمعطي محمد واخرون ، مكتبة الفلاح الكويت ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٢٦١.التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي ، تحقيق محمود أمين النواوي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط الثالثة 1412 - 1992 .
٢٦٢.التعريفات للجرجاني ، مكتبة لبنان ، طبعة جديدة 1985 .
٢٦٣.التعصب الصهيوني ، د . مبروك محمد عبدالسميع مصطفى ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ط الأولى 1413 - 1993 .
٢٦٤.تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي ، تحقيق د . عبدالرحمن الفريوائي ،مكتبة الدار بالمدينة المنورة ط الأولى 1406 .
٢٦٥.تغليق التعليق على صحيح البخاري لابن حجر ، تحقيق سعيد القزقي ، المكتب الإسلامي ، طالأولى 1405 - 1985 .
٢٦٦.تفسير القرآن لعبدالرزاق الصنعاني ، تحقيق د . مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، ط الأولى 1410 - 1989 .
٢٦٧.تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، حققه د . أحمد العماري وغيره ، مكتبة الدار وغيرها ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1408 .
٢٦٨.تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٢٦٩.تفسير القرآن العظيم ، الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، ط الثانية.
٢٧٠.تفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت ، دار الشروق ، ط الثامنة 1401

٢٧١.التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للرازي ، دار الفكر 1410 - 1990 .
٢٧٢.تفسير مجاهد ، تحقيق د . محمد أبوالنيل ، مكتبة الفكر الإسلامي الحديثة ، ط الأولى 1410
٢٧٣.تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الثالثة 1394 .
٢٧٤.التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ، ترجمة رؤوف شلبي ، دار الثقافة بالدوحة .
٢٧٥.تفليس إبليس لعز الدين عبدالسلام المقدسي ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا ، مصر
٢٧٦.تقاليد يجب أن تزول ، منكرات المآتم والموالد لطائفة من علماء الأزهر ، حققها محمود مهدي استانبولي ، مكتبة التوعية الإسلامية ، القاهرة ، ط الثانية 1407 .
٢٧٧.التقرير والتحبير على تحبيرالإمام الكمال بن الهمام لابن أمير الحاج ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط الثانية 1403 - 1983 .
٢٧٨.تقريب التهذيب لابن حجر ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، ط الثانية 1408 - 1988 .
٢٧٩.تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي الكلبي ، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس ، دار البصيرة ، الاسكندرية ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٢٨٠.التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية لناصر العقل ، دار المسلم ، الرياض ط٢ 1414 .
٢٨١.التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد لابن نقطة ، ط الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن 1404 - 1984 .
٢٨٢.تكملة الاكمال لأبي بكر بن نقطة ، تحقيق د . عبدالقيوم عبدرب النبي ، جامعة أم القرى .
٢٨٣.التكملة لوفيات النقلة للمنذري ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط الثالثة 1405 .
٢٨٤.تلبيس إبليس لابن الجوزي ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٢٨٥.تلبيس مردود في قضايا حية لصالح بن حميد ، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة ، ط الأولى 1412 - 1991 .
٢٨٦.تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الدار العلمية ، دلهي ، ط الثانية 1405 - 1985 .
٢٨٧.تلخيص المستدرك للذهبي ، مطبوع بهامش المستدرك .
٢٨٨.تمثال الأمثال لأبي المحاسن العبدري ، حققه وقدم له د . أسعد ذبيان ، دار المسيرة ، بيروت ، ط الأولى 1402 - 1982 .

٢٨٩.تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى 1407 ـــ 1987 التمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي ، تحقيق د . عبدالحي قابيل ، دار الثقافة ، مصر ، 1407 .
٢٩٠.التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني ، دراسة وتحقيق مفيد محمد أبوعمشة ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1406 - 1985 .
٢٩١.التمهيد لما في الموطأمن المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي واخرون ، مؤسسة قرطبة .
٢٩٢.تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار د . صالح السحيمي ، دار ابن حزم ، الرياض ، ط الأولى 1410 - 1989 .
٢٩٣.تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي لبرهان الدين البقاعي ، تحقيق عبدالرحمن الوكيل
٢٩٤.التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ، قدم له وعلق عليه محمد زاهد الكوثري
٢٩٥.تنزيه الله عما أوجب عليه المعتزلة لأحمد محمد بناني ، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى
٢٩٦.تنصير المسلمين لعبدالزاق دياربكري ، ط الأولى 1410 - 1989 .
٢٩٧.التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للشيخ عبدالرحمن المعلمي ، تحقيق الألباني ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، 1403 - 1983 .
٢٩٨.التنوير في إسقاط التدبير لأحمد بن عطاء الله السكندري ، دار جوامع الكلم .
٢٩٩.تهذيب الأحكام للطوسي ، دار الأضواء ، بيروت ، ط الثالثة 1406 .
٣٠٠.تهذيب الأصول لعبدالأعلى الموسوي السبزواري ، مطبعة الآداب بالنجف 1399 .
٣٠١.تهذيب رسالة البدر الرشيد في الألفاظ المكفرات لمحمد بن إسماعيل بن محمد الرشيد ، تحقيق جماعة من الأساتذة ، مؤسسة نادر ، بيروت ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٣٠٢.تهذيب الكمال للمزي ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ط الثانية 1403 - 1983 .
٣٠٣.تهذيب اللغة للأزهري ، حققه وقدم له عبدالسلام هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٣٠٤.التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ضمن بحوث أسبوعه .
٣٠٥.التوحيد لأبي منصور الماتريدي ، تحقيق د . فتح الله خلف ، دار الجامعات المصرية .

٣٠٦.التوحيد للصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، صححه وعلق عليه هاشم الحسيني الطهراني ، دار المعرفة ، بيروت
٣٠٧.التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة ، تحقيق د . عبدالعزيز الشهوان ، دار الرشد ، الرياض ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٣٠٨.التوراة ، د. مصطفى محمود ، ط٥ ، دار المعارف .
٣٠٩.التوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني ، الدار السلفية ، الكويت ، ط الثانية 1400 .
٣١٠.التوسل بالأولياء لعبداللطيف السيد علي سالم ،دار الدعوة ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٣١١.التوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان بن عبدا لله بن محمد بن عبدالوهاب ، دارطيبة ، الرياض ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٣١٢.توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ، مكتبة ابن الجوزي ، الاحساء ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٣١٣.توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي ، شرح وتحقيق د . عبدالرحمن علي سليمان ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط الثانية
٣١٤.توفيق الحكيم د . إسماعيل أدهم و د . إبراهيم ناجي ، مؤسسات عبدالكريم بن عبدا لله ، تونس .
٣١٥.التوفيق في أدب الطريق لأحمد بن عطاء ا لله السكندري ، دار جوامع الكلم .
٣١٦.التيجانية لعلي الدخيل ا لله ، دار طيبة ، الرياض .
٣١٧.تيسير التحرير على كتاب التحرير لأمير بادشاه ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣١٨.تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدا لله ، المكتب الإسلامي ، ط السادسة 1405 - 1985 .
٣١٩.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن بن سعدي ، تحقيق محمد زهري النجار ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1410 .
٣٢٠.تيارات الفكر الإسلامي د . محمد عمارة ، دار المستقبل للإسلام ، ط الأولى 1983
٣٢١.الثأر بين القديم والحديث د . رفعت وطواط ، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١|١٩٧٥م .
٣٢٢.الثقات لابن حبان ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، 1401 - 1981
٣٢٣.جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب الإسلامية ، مصر ، ط الثانية ، 1402 - 1982 .

٣٢٤.جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ، دار الفكر 1405 - 1984 .
٣٢٥.الجامع الصحيح للبخاري ، المكتبة الإسلامية ، استانبول 1981 .
٣٢٦.الجامع الصحيح لمسلم ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
٣٢٧.الجامع الصحيح للترمذي ، تحقيق أحمد شاكر وغيره ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط الثانية 1398 - 1978.
٣٢٨.الجامع الصغير للسيوطي ، مع شرحه فيض القدير للمناوي دار المعرفة .
٣٢٩.جامع العلوم ، الملقب بدستور العلماء لعبدالنبي نكري ، دائرة المعارف العثمانية الهند ط٢ 1404 .
٣٣٠.جامع العلوم والحكم لابن رجب ، مكتبة ابن تيمية .
٣٣١.جامع كرامات الأولياء ليوسف النبهاني ، تحقيق إبراهيم عوض ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الثالثة 1404
٣٣٢.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٣٣٣.الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي د . زهدي صبري الخواجا ، دار الناصر ، ط١ 1404 - 1984 .
٣٣٤.الجاهلية الجديدة وآثارها النكدة في المسلمين لناصر العقل ، دار الصميعي ، الرياض ، 1413 .
٣٣٥.جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب ، دار الشروق ، 1409 - 1989 .
٣٣٦.جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين الألوسي ، قدم له علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، ١٤٠١هـ .
٣٣٧.جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد القرشي ، حققه وضبطه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي.
٣٣٨.جمهرة أمثال العرب لأبي هلال العسكري ، ضبطه وكتب هوامشه ونسقه د . أحمد عبدالسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨ - ١٩٨٨
٣٣٩.جمهرة أنساب العرب لأبي محمد بن حزم ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٣٤٠.جمهرة اللغة لابن دريد ، دار صادر
٣٤١.جمهرة النسب لهشام بن محمد الكلبي ، تحقيق د . ناجي حسن ، عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ، ط الأولى 1407 - 1986 .
٣٤٢.الجنى اليانع الأقرب لمحمد الجفري ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، ط الأولى 1326

٣٤٣.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ، قدم له وأشرف على طبعه علي السيد صبح المدني ، مكتبة المدني ومطبعتها .

٣٤٤.الجواب الفائق في الرد على مبدل الحقائق للشيخ عبدا لله بن جبرين ، ط الأولى 1410

٣٤٥.الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ، دار الندوة الجديدة ، ط الثالثة 1400 .

٣٤٦.جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق د . إحسان عباس ، ومراجعة أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .

٣٤٧.جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم ، دار الكتاب العربي ط٢ ، ١٣٩٣هـ .

٣٤٨.الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المعظم لأحمد بن حجر الهيتمي ، دارجوامع الكلم .

٣٤٩.جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للسيد نعمان خير الدين ابن الألوسي ، قدم له علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، 1401 - 1981 .

٣٥٠.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ، دار الفكر .

٣٥١.حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لمحمد الخضري ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي .

٣٥٢.حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية ، دار سعادت ، تركيا ، 1326 .

٣٥٣.حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط الثالثة 1404 .

٣٥٤.حاشية السندي على سنن النسائي الصغرى ، مطبوع بهامش السنن .

٣٥٥.حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣٥٦.حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي .

٣٥٧.حاشية ابن عابدين على البحر الرائق ، المسماة " منحة الخالق على البحر الرائق " مطبوع بهامش البحر الرائق ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٣ 1413 - 1993 .

٣٥٨.حاشية العطار على جمع الجوامع ، دار الكتب العلمية .

٣٥٩.حاشية الكستلي على شرح العقائد النسفية ، دار سعادت ، تركيا ، 1326 .

٣٦٠.حاشية الكلنبوي على شرح الدواني ، 1316 .

٣٦١.حاضر العالم الإسلامي ، تأليف لوثروب ستودارد ، نقله إلى العربية عجاج نويهض ، وفيه فصول وتعليقات وحواش لشكيب أرسلان ، دار الفكر ، ط الرابعة 1394 - 1973 .

٣٦٢.الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ، صححه وعلق حواشيه أبوالفضل عبدا لله الصديق ، مطبعة دار التأليف ، مصر .

٣٦٣.الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لإسماعيل الأصبهاني ، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي دار الراية ، الرياض ، ط الأولى 1411 - 1990 .

٣٦٤.الحجة المؤتاة في الردعلى صاحب كتاب إلى التصوف ياعباد ا لله لأحمد القطعاني ، مكتبة جمهورية مصر ، القاهرة ، ط الثانية 1992 .

٣٦٥.الحداثة في ميزان الإسلام لعوض القرني ، هجر للطباعة والنشر ، مصر ط الأولى 1408 - 1988 .

٣٦٦.الحداثة مناقشة هادئة لقضية ساخنة د . محمد خضر عريف ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ط الأولى 1412 - 1992 .

٣٦٧.الحداثة من منظور إيماني لغدنان رضا النحوي ، دار النحوي .

٣٦٨.الحراب في صدر البهاء والباب لمحمد فاضل ، دار المدني ، ط الثانية 1407 - 1986

٣٦٩.الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د . محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى عمان ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ .

٣٧٠.الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام لمنير محمد نجيب ، مكتبة المنار الزرقاء ، ط٢ 1403 .

٣٧١.حروف المعاني للزجاجي ، حققه وقدم له د . علي الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ودار الأمل ، الأردن ، ط الأولى 1404 - 1984 .

٣٧٢.حسن المحاججة في بيان أن ا لله تعالى لاداخل العالم ولاخارجه ، سعيد فودة ، دار الإمام النووي ، عمان ، ط الأولى 1414 - 1993 .

٣٧٣.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط الأولى 1387 - 1967 .

٣٧٤.حضارة العرب في عصر الجاهلية د . حسين الحاج حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط٢|١٤٠٩ .

٣٧٥.حقائق التصوف لعبدالقادر عيسى ، المطبعة العربية ، حلب ، ط الأولى 1384 .

٣٧٦.الحق مواقعه وخصائصه لنذير حمدان ، دار المأمون للتراث ، ط الأولى 1412 - 1991 .

٣٧٧.الحق المبين في الرد على صاحب الفرقان لمحمد السالمي ، ضمن سلسلة تراثنا ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان .
٣٧٨.حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبدا لله شبر ، دار الأضواء ، ط الأولى 1404 - 1983 .
٣٧٩.حقيقة الإيمان لعمر بن عبدالعزيز قريشي .
٣٨٠.حقيقة البابية والبهائية د . محسن عبدالحميد ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة 1405 .
٣٨١.حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد بن ناصر الغامدي ، مكتبة الرشد ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٣٨٢.الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد النيبال .
٣٨٣.حكم ابن عطاء ا لله السكندري بشرح عبدالمجيد الشرنوبي ، مكتبة القاهرة 1378 - 1958 .
٣٨٤.حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر أبوزيد ، دار ابن الجوزي ، ط٢ 1410 .
٣٨٥.الحكم بغير ماأنزل ا لله وأهل الغلو لمحمد سرور بن نايف زين العابدين ، دار الأرقم برمنجهام ، ط الثالثة 1408 - 1988 .
٣٨٦.الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبي - صلى ا لله عليه وسلم - " بعثت بالسيف بين يدي الساعة " لابن رجب ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط الأولى 1411 - 1990
٣٨٧.الحكمة والتعليل في أفعال ا لله د . محمد ربيع هادي المدخلي ، مكتبة لينة ، ط الأولى 1409 - 1988
٣٨٨.حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم ، وحكم مجلس تأديب القضاة الشرعيين في وزارة الحقانية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ط الثانية 1344 .
٣٨٩.الحكم وقضية تكفير المسلم لسالم البهنساوي ، دار البحوث العلمية ودار البشير ، ط٣ 1405 .
٣٩٠.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، ط٤ 1405 - 1985 .
٣٩١.حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبدالرزاق البيطار ، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار ، مجمع اللغة العربية بدمشق 1380 - 1961
٣٩٢.حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي ، للسيد صالح مجدي ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، مطبعة البابي الحلبي .
٣٩٣.الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير محمد عيون ، مكتبة المؤيد ، ومكتبة دار البيان ، ط الثانية 1412 - 1991 .

٣٩٤.حول المثالية والواقعية ، ترجمة محمد علي التسخيري ، الدار الإسلامية ، ط الأولى 1402 - 1982 .

٣٩٥.حياة الأنبياء بعد وفاتهم للبيهقي ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر ، ط١ 1410 - 1990 .

٣٩٦.حياة الحيوان الكبرى للدميري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الخامسة 1398 - 1978 .

٣٩٧.حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، لحسين خزعل ، ط١|دار الكتب بيروت ، ١٩٦٨ .

٣٩٨.الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الثانية .

٣٩٩.خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان لصديق خان ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1405 - 1984 .

٤٠٠.خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر البغدادي ، دار صادر.

٤٠١.الخطط المقريزية للمقريزي = المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت .

٤٠٢.الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة د . عامر النجار، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ 1406 - 1986 .

٤٠٣.خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ، دار صادر .

٤٠٤.خلاصة مفاتيح الجنان " المعرب " لعباس القمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٤٠٥.دائرة المعارف الإسلامية ، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وغيره ، دار الفكر

٤٠٦.دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٠٧.داروِن ونظرية التطور لشمس الدين آق بلوت ، ترجمة أورخان محمد علي ، دار الصحوة القاهرة 1406 - 1986 .

٤٠٨.داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب ، لعبدالعزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١|١٩٧٤ .

٤٠٩.درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه اليوم والأصحاب لسليم الهلالي ، دار الراية ، الرياض ، ط الأولى 1410 - 1990 .

٤١٠.درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى 1399 - 1979 .

٤١١.دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، ط١ 1409 - 1988 .

٤١٢.دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب د . محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1404 - 1984 .
٤١٣.دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه د . محمد مصطفى الأعظمي ، جامعة الرياض .
٤١٤.دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية د . عرفان عبدالحميد ، مؤسسة الرسالة ، ط١ 1404 .
٤١٥.دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة" د . أحمد محمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط الثانية 1408 - 1988 .
٤١٦.الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبدالرحمن بن قاسم ، المكتب الإسلامي ، ط٢ 1385 .
٤١٧.الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط الثالثة 1386 - 1966 .
٤١٨.الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصرط٢ .
٤١٩.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ، دار الجيل .
٤٢٠.الدر المنثور في تفسير أسماء الله الحسنى بالمأثور لعبدالعزيز يحي ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
٤٢١.الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار المعرفة .
٤٢٢.الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ، ضمن الرسائل السلفية ، دار الكتب العلمية .
٤٢٣.درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي ، تحقيق محمد الأحمدي أبوالنور ، دار التراث .
٤٢٤.الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة لمحمد فتحا السوي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الأخيرة 1392 -1972 .
٤٢٥.دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين لمحمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى 1407 - 1987.
٤٢٦.دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ عرض ونقد ـ لعبدالعزيز بن محمد العبداللطيف ، دار طيبة بالرياض ، ١٤٠٩ .
٤٢٧.الدعوات الكبير للبيهقي ، تحقيق بدر البدر ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ط١ 1409 .
٤٢٨.دعوة التوحيد د . محمد خليل الهراس ، مكتبة الصحابة .
٤٢٩.دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ، مطبوع في آخر أضواء البيان .
٤٣٠.دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي ، حققه وقدم له حسن السقاف ، دار الإمام النووي ، ط الثانية 1412 - 1992

٤٣١.دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيدالجليل الإمام أحمد لأبي بكر الحصني . دار إحياء الكتب العربية 1350 .
٤٣٢.الدليل الشافي على المنهل الصافي لابن تغري بردي ، تحقيق فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى .
٤٣٣.الدهرية في منتهى الغباوة لنعمان زكي الأحمدي ، مطابع الصفا،مكة المكرمة ، 1401 .
٤٣٤.دلائل النبوة لأبي القاسم التيمي ، تحقيق مساعد الحميد ، دار العاصمة ، ط الأولى ١٤١٢ .
٤٣٥.دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للبيهقي ، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه د . عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ط الأولى 1405 - 1985 .
٤٣٦.دلالة القرآن والأثر على رؤية الله بالبصر لعبدالعزيز الرومي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، 1405 .
٤٣٧.الديات لابن أبي عاصم ، تحقيق أبي هاجر بسيوني زغلول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط الأولى 1409 - 1988 .
٤٣٨.الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي ، تحقيق بديع السيد اللحام ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، ط الأولى 1412
٤٣٩.الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ، دار الكتب العلمية .
٤٤٠.الديمقراطية في الإسلام لعباس العقاد ، دار المعارف ، ط السادسة .
٤٤١.الديمقراطية وموقف الإسلام منها لمحمد أنور الرهوان ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .
٤٤٢.ديوان إبراهيم طوقان ، دار المسيرة ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984
٤٤٣.ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره لعبد الله الجبوري ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٤٤٤.ديوان الإسلام لأبي المعالي بن الغزي ، تحقيق سيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1411- 1990 .
٤٤٥.ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٤٤٦.ديوان الإمام الشافعي ، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي ، مؤسسة الزعبي ، بيروت ، ط الثالثة 1392 - 1974 .
٤٤٧.ديوان امريء القيس ، ضبطه وصححه مصطفى عبدالشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤٤٨.ديوان البارودي ، حققه علي الجارم وغيره ، دار المعارف بمصر ، 1391 - 1971 .
٤٤٩.ديوان حافظ إبراهيم ، دار صادر ، ط الأولى 1409 - 1989 .
٤٥٠.ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر .
٤٥١.ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٤٥٢.ديوان شعر المتلمس الضبعي ، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات العربية 1390 .
٤٥٣.ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه وشرحه د . أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٤٥٤.ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشرحه د . أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٤٥٥.ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر .
٤٥٦.ديوان المتنبي ، دار صادر .
٤٥٧.ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتقديم عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية 1406 .
٤٥٨.ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ، الدار العلمية ، ط الثانية 1405 - 1985
٤٥٩.ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين لليافعي ، تحقيق د . موسى الدويش ، دار البخاري ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1410 .
٤٦٠.ذم البغي لابن أبي الدنيا ، تحقيق د . نجم عبدالرحمن خلف ، دار الراية ، الرياض ، ط١ 1409 .
٤٦١.ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة
٤٦٢.ذم الملاهي لابن أبي الدني ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٤٦٣.ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ، دار إحياء التراث العربي .
٤٦٤.ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ، دار إحياء التراث العربي .
٤٦٥.الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، دار المعرفة بيروت .
٤٦٦.الرؤية للدارقطني ، قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه إبراهيم محمد العلي وأحمد الرفاعي ، مكتبة المنار ، ط الأولى 1411 - 1990 .

٤٦٧.رؤية الله بين السلف والاعتزال لمريم الزامل ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .
٤٦٨.رؤية الله وتحقيق الكلام فيها د . أحمد ال حمد ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٤٦٩.رجال عرفتهم ، عباس محمود العقاد ، ضمن مجموعة العقاد .
٤٧٠.الرأي العام د . أحمد بدر ، مكتبة غريب .
٤٧١.الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي ، تقديم وتحقيق وتعليق د . محمد الشرقاوي ، دار الهداية ، ط الثانية 1406 - 1986 .
٤٧٢.الرد على المنطقيين لابن تيمية ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ، ط الثانية 1396 - 1976 .
٤٧٣.الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري ، حققه وقدم له د . محمد محمد حسانين ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الأولى 1409 - 1988 .
٤٧٤.الرد القويم على ملحد القصيم لعبدالله بن علي بن يابس ، مطبعة الإمام ، مصر ، ط الأولى .
٤٧٥.الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد النبوي لحمود التويجري ، دار اللواء ، الرياض ، ط الأولى 1403 .
٤٧٦.الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني للواقدي ، تحقيق د . يحي الجبوري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٤٧٧.رسائل العدل والتوحيد للحسن البصري والقاضي عبدالجبار والقاسم الرسي والشريف المرتضى ، دراسة وتحقيق د . محمد عمارة ، دار الشروق 1407 - 1987 .
٤٧٨.رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق د . موسى الدويش 1410 .
٤٧٩.رسالة التوحيد لمحمد عبده ، تحقيق حسين الغزال ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط الثانية 1397 .
٤٨٠.رسالة التوحيد لإسماعيل الدهلوي ، نقله إلى العربية وعلق عليه أبوالحسن الندوي ، المكتبة اليحيوية ، سهارنفور الهند ، 1394 - 1974 .
٤٨١.رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد الميلي ، مكتبة الإيمان ، الاسكندرية ، ط١ 1409 - 1989 .
٤٨٢.رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، دار صادر ، بيروت .
٤٨٣.رسالة في إثبات وجود النبي في كل مكان لحسين بن محمد الشافعي ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .
٤٨٤.رسالة في أصول الفقه للعكبري ، دراسة وتحقيق وتعليق د . موفق بن عبدالقادر ، المكتبة المكية ، مكة ، والمكتبة البغدادية ، ط الأولى 1413 - 1992 .

٤٨٥.رسالة في الرد على الرافضة لأبي حامد محمد المقدسي ، تحقيق عبدالوهاب خليل الرحمن ، الدار السلفية ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٤٨٦.الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري ، دار الكتاب العربي ، بيروت
٤٨٧.الرسالة اللدنية لأبي حامد الغزالي ، ضبطه وقدم له رياض العبدا لله ، دار الحكمة ، بيروت ــ دمشق ، 1406 - 1986 .
٤٨٨.رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد المالقي ، تحقيق د . أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط الثانية 1405 - 1985 .
٤٨٩.رفاعة الطهطاوي رائد فكر وإمام نهضة د . حسن فوزي النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٤٩٠.رفاعة الطهطاوي ، زعيم الحركة الفكرية في عصر محمد علي ، لجمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربية .
٤٩١.الرفاعية لعبدالرحمن دمشقية ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٤٩٢.رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي بن يوسف ، تحقيق عادل الجطيلي ، مكتبة الصحوة ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٤٩٣.الرهص والوقص لمستحل الرقص لإبراهيم بن محمد الحلبي ، تحقيق د . صالح السدلان ، ط الأولى 1410 .
٤٩٤.روح البيان لإسماعيل البروسوي ، دار إحياء التراث العربي ، ط السابعة 1405 .
٤٩٥.روح التشيع لعبدا لله نعمة ، دار البلاغة ، بيروت ، 1413 - 1993 .
٤٩٦.روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٤٩٧.الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم السهيلي ، قدم له وعلق عليه وضبطه طه عبدالرؤوف سعد ، دار الفكر
٤٩٨.روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام لابن غنام ، حرره وحققه ناصر الدين الأسد ، وقابله على أصله عبدالعزيز بن محمد ال الشيخ ، ط الثالثة 1403 .
٤٩٩.الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ، حققه وقدم له وعلق عليه د . عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب ، ط الأولى 1409 - 1989 .

٥٠٠.روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية 1405 - 1985
٥٠١.روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية ، راجعه وحقق أصوله وعلق عليه د . السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى 1405 - 1985
٥٠٢.روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ، راجعه سيف الدين الكاتب ، دار الكتاب العربي ، ط١ 1401 - 1981 .
٥٠٣.زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة 1404 - 1984 .
٥٠٤.زاد المعاد في هذي خير خير العباد لابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ومكتبة المنار الإسلامية ، ط٣ 1402 .
٥٠٥.زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٥٠٦.الزهد لابن المبارك ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٥٠٧.الزهد لابن أبي عاصم ، تحقيق د. عبدالعلي عبدالحميد ، الدار السلفية ، الهند ، ط١ 1983 .
٥٠٨.الزهد لهناد بن السري ، تحقيق عبدالرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، ط١ 1406 .
٥٠٩.الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر ، شرحه وعلق عليه سمير حسين حلبي ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٥١٠.زوائد مسائل الجاهلية لعبدا لله الدويش ، ضمن مجموعة مؤلفاته ، دار العليان ، ط١ 1411 .
٥١١.زوابع في وجه السنة قديما وحديثا لصلاح الدين مقبول أحمد ، مجمع البحوث الإسلامية ، الهند ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٥١٢.الزواجر عن اقتراف الكبائر لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، دار المعرفة ١٤٠٢هـ .
٥١٣.الزيدية ، د . أحمد محمود صبحي ، الزهراء للاعلام العربي ، ط الثانية 1404 - 1984 .
٥١٤.الزيدية : نشأتها ومعتقداتها لإسماعيل الأكوع ، دار الفكر المعاصر ، ط الأولى 1413 - 1993
٥١٥.الزيدية نظرية وتطبيق لعلي بن عبدالكريم الفضيل شرف الدين ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٥١٦.سارتر والوجود ، د . سليمان بطرس ، المؤسسة الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت .
٥١٧.السارترية تهافت الأخلاق والسياسة د. خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية بيروت ، ط٢ 1402 .
٥١٨.ساعات بين الكتب للعقاد ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ 1404 .

٥١٩.سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لأبي الفوز السويدي ، دار الكتب العلمية 1409 - 1989 .
٥٢٠.السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة .
٥٢١.سر تأخر العرب لمحمد الغزالي ، دار القلم ، ط الثالثة 1409 .
٥٢٢.السحر والمجتمع د . سامية الساعاتي ، دار النهضة العربية بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ .
٥٢٣.سقط الزند لأبي العلاء المعري ، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٥٢٤.سقوط الماركسية ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، دار الصحوة ط١ ،١٤٠٨ هـ .
٥٢٥.سلسلة الدروس الدينية في العقائد الإسلامية لناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة النور للمطبوعات 1408 - 1988 .
٥٢٦.السلطة السياسية ، عبدا لله ناصف ، المكتبة العربية بيروت ، ١٩٧٥ .
٥٢٧.سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل المرادي ، دار ابن حزم ، ودار البشائر الإسلامية ، ط الثالثة 1408 - 1988 .
٥٢٨.سمط اللآلي لأبي عبيد البكري ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٤هـ .
٥٢٩.سنن ابن ماجه ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية .
٥٣٠.سنن أبي داود ، إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، مصورة عن الطبعة الأولى 1388 .
٥٣١.سنن الدارقطني ، عني به السيد عبدا لله هاشم المدني ، دار المحاسن ، القاهرة .
٥٣٢.سنن الدارمي ، دار الفكر .
٥٣٣.سنن سعيد بن منصور ، حققه وعلق عليه حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ط١ 1405 .
٥٣٤.سنن سعيد بن منصور ، دراسة وتحقيق د . سعد آل حميد ، دار الصميعي ، الرياض ط١ 1414 .
٥٣٥.السنن الصغرى للنسائي ، اعتنى به ورقمه وصنع فهارسه عبدالفتاح أبوغدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط الثانية المفهرسة 1409 - 1988 .
٥٣٦.السنن الكبرى للنسائي ، تحقيق د . عبدالغفار البنداري واخر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1411 - 1991 .

٥٣٧.السنن الكبرى للبيهقي ، دار الفكر .
٥٣٨.السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات لمحمد عبدالسلام الشقيري ، دار الجيل 1408 - 1988 .
٥٣٩.السنة لابن أبي عاصم ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى 1400 - 1980 .
٥٤٠.السنة لمحمد بن نصر المروزي ، خرج أحاديثه وعلق عليه سالم السلفي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٥٤١.السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم د . عبدالموجود عبداللطيف ، مطبعة طيبة مصر ط٢ .
٥٤٢.السنة والشيعة أوالوهابية والرافضة لمحمد رشيد رضا ، المنار 1347
٥٤٣.السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي د . مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة 1402.
٥٤٤.سير أعلام النبلاء للذهبي ، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية 1402 - 1982 .
٥٤٥.سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله 1401 .
٥٤٦.سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأمين سعيد ، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض ١٣٩٥هـ .
٥٤٧.السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي ، المكتبة الإسلامية .
٥٤٨.السيرة النبوية لابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا واخران ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط الثانية .
٥٤٩.السيف المسلول على عابد الرسول للشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، ط٢ 1410 - 1990 .
٥٥٠.السيد أحمد البدوي د . عبدالحليم محمود ، دار الشعب ، القاهرة .
٥٥١.السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر لمحمد فهمي عبداللطيف ، المركز العربي للصحافة ط٢ .
٥٥٢.الشامل في أصول الدين لأبي المعالي الجويني ، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه هلموت كلوبفر ، دار العرب .
٥٥٣.شأن الدعاء للخطابي ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٥٥٤.شبهات التصوف لعمر بن عبدالعزيز قريشي
٥٥٥.شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر .
٥٥٦.الشخصية اليهودية من خلال القرآن د . صلاح الخالدي ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى 1407 .
٥٥٧.شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي .

٥٥٨.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه .
٥٥٩.شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، حققه وقدم له د . عبدالكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، ط الثانية 1408 - 1988 .
٥٦٠.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للالكائي ، تحقيق د . أحمد سعد حمدان ، دار طيبة .
٥٦١.شرح إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لمحمد بن أحمد الشنقيطي " الداه" ، دار الفكر .
٥٦٢.شرح بشارة لوقا د . إبراهيم سعيد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط الرابعة .
٥٦٣.شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه .
٥٦٤.شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول للقرافي ، حققه طه عبدالرؤف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، ودار الفكر ، القاهرة .
٥٦٥.شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ، عالم الكتب .
٥٦٦.شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، ١٩٥١م .
٥٦٧.شرح رسالة افسس د. إبراهيم سعيد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط الثالثة 1983 .
٥٦٨.شرح السنة للبغوي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية 1403 - 1983 .
٥٦٩.شرح السنوسية الكبرى لأبي علي السنوسي ، تحقيق د . عبدالفتاح بركة ، دار القلم ، الكويت 1402
٥٧٠.شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي ذر الخشني ، مطبوع مع السيرة النبوية بتحقيق د . همام سعيد وغيره ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط الأولى 1409 - 1988 .
٥٧١.شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء - صلى الله عليه وسلم - تحقيق حسنين محمد مخلوف ، مكتبة ابن تيمية .
٥٧٢.شرح صحيح مسلم لأبي زكريا النووي ، المسمى : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار الفكر .
٥٧٣.شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب ، تحقيق د . شعبان محمد إسماعيل ، مكتبة الكليات الأزهرية 1403 - 1983

٥٧٤.شرح العقائد النسفية للتفتازاني ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٥٧٥.شرح عقود رسم المفتي لابن عابدين ، ضمن مجموعة رسائله ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٧٦.شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق د. عبدا لله التركي ورفيقه ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط الأولى 1408 - 1987 .
٥٧٧.شرح العقيدة الطحاوية للألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى 1398 - 1978 .
٥٧٨.شرح القصائد العشر للتبريزي ، ضبطه وصححه عبدالسلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ 1405 - 1985 .
٥٧٩.شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات لأبي جعفر النحاس ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٥٨٠.شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٨١.شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق د . عبدالمنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1402 - 1982 .
٥٨٢.شرح كتاب الفقه الأكبر لعلي القاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٥٨٣.شرح الكرماني على البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط الثانية 1401 - 1981
٥٨٤.شرح الكوكب المنير لابن النجار ، تحقيق د . محمد الزحيلي و د . نزيه حماد ، جامعة أم القرى ، 1402 - 1982 .
٥٨٥.شرح اللمع للشيرازي ، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبدالمجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٥٨٦.شرح مختصر الروضة للطوفي تحقيق د . عبدا لله التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى 1409 - 1989 .
٥٨٧.شرح مسائل الجاهلية لمحمود شكري الالوسي ، المكتبة السلفية ، مصر .
٥٨٨.شرح معاني الاثار للطحاوي ، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية 1407 - 1987 .

٥٨٩.شرح المعلقات السبع للحسين بن أحمد الزوزني ، صححه وراجعه لجنة من الأدباء ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ .
٥٩٠.شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها لأحمد بن الأمين الشنقيطي ، قدم له د . فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، طبعة مزيدة ومنقحة 1405 - 1985 .
٥٩١.شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت .
٥٩٢.شرح المقاصد للتفتازاني ، تحقيق وتعليق د . عبدالرحمن عميرة ، عالم الكتب ، ط الأولى 1409 .
٥٩٣.شرح منتهى الإرادات للبهوتي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
٥٩٤.شرح المواقف للجرجاني ، مطبعة السعادة ، ط الأولى 1325 .
٥٩٥.الشريعة للآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، أنصار السنة المحمدية .
٥٩٦.الشريعة الإسلامية وأثرها في الظاهرة الإجرامية للنقيب حمود القثامي ، دار المجمع العلمي ، جدة ، 1398 - 1978
٥٩٧.شعراء السعودية المعاصرون التاريخ والواقع د . أحمد كمال زكي ، دار العلوم ، الرياض ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٥٩٨.شعراء النصرانية للأب لويس شيخو ، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين ، بيروت .
٥٩٩.الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه د . يحي الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، ط الخامسة 1407 - 1986 .
٦٠٠.شعر علي بن جبلة ، جمعه وحققه د . حسين عطوان ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثالثة .
٦٠١.الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، دار المعارف .
٦٠٢.شفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيد أباد الدكن ، ط الثانية 1371 - 1952 .
٦٠٣.شفاء الصدور في الرد على الجواب المشكور ، دار الإفتاء العامة ، تحقيق عبدالسلام العبدالكريم ، دار الوطن ، ط الأولى 1413 .
٦٠٤.شفاء العليل في بيان ماوقع في التوراة والانجيل من التبديل لأبي المعالي الجويني ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط الثالثة 1409 .
٦٠٥.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية ، دار المعرفة.

٦٠٦.شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي المكي ، تحقيق د . عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ط الأولى 1405 - 1985 .
٦٠٧.شواهد الحق في الاستعانة بسيد الخلق ليوسف النبهاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .
٦٠٨.الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على مافيه من زيغ وكفر وضلال بالعقل والنقل لمحمد عبدالرزاق حمزة ، مطبعة الإمام ، مصر .
٦٠٩.الشوقيات لأحمد شوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الثانية عشرة 1413 - 1992 .
٦١٠.الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أحمد بن حجر آل بوطامي .
٦١١.الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ حياته وفكره ، د . عبدا لله العثيمين ، دار العلوم بالرياض .
٦١٢.الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة لهاشم الحسيني ، دار العلم ، الكويت ، ط الأولى 1978 .
٦١٣.الشيعة في التصور الإسلامي لعلي عمر فريح ، دار عمار ، الاردن ، ط الأولى 1405
٦١٤.الشيعة وأهل البيت لاحسان الهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ـ باكستان ، ط٦ 1404 - 1984 .
٦١٥.الشيعة والتصحيح ، د . موسى الموسوي ، ١٤٠٨هـ .
٦١٦.الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال ا لله ، ط الثانية 1405 .
٦١٧.الشيعة والقرآن لاحسان الهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط السادسة 1404
٦١٨.الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام لعباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية
٦١٩.الصارم البتار للإجهاز على من خالف الكتاب والسنة والإجماع والآثار لحمود التويجري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط الأولى 1409 .
٦٢٠.الصارم المسلول في الرد على الترابي شاتم الرسول لأحمد بن مالك .
٦٢١.الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن عبدالهادي ، تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1403 - 1983 .
٦٢٢.الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة لمحمد صفي الدين الحنفي ، تحقيق عبدالرحمن دمشقية ، عالم الكتب ، الرياض ، ط الأولى 1410 .
٦٢٣.صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1407 - 1987 .

٦٢٤.صحيح ابن خزيمة ، حققه محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى 1395 - 1975 .
٦٢٥.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ط الثالثة 1404 - 1984 .
٦٢٦.الصحيفة النادرة لأحمد الرفاعي ، جمع وتحقيق إبراهيم الرفاعي ، دار ال رفاعي
٦٢٧.صراع مع الملاحدة حتى العظم لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، ط الرابعة 1405 .
٦٢٨.صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم لداود بن جرجيس ، مطبعة نخبة الأخبار بمبيء 1306 .
٦٢٩.الصلة لابن بشكوال ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 .
٦٣٠.الصواعق الالهية في الرد على الوهابية لسليمان بن عبدالوهاب
٦٣١.الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية لسليمان بن سحمان ، تحقيق عبدالسلام العبدالكريم ، دار العاصمة ، ط الأولى 1409 .
٦٣٢.الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له د . علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، ط١ 1408 .
٦٣٣.الصوفية بين الأمس واليوم د . سيد حسين نصر ، ترجمة د . كمال اليازجي ، الدارالمتحدة .
٦٣٤.الصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣ 1405 .
٦٣٥.الصوفية الوجه الآخر د. محمد جميل غازي ، إعداد عبدالمنعم الجداوي .
٦٣٦.صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان لمحمد بشير السهسواني ، صححه الشيخ عبدالله بن جبرين ، مطابع نجد التجارية ، الرياض ، ط الخامسة ١٣٩٥ - ١٩٧٥ .
٦٣٧.صيحة الحق لأبي الوفاء محمد درويش ، عني بطبعه وتحقيقه عبدالله الأنصاري ، المكتبة العصرية 1402 - 1982 .
٦٣٨.ضحى الإسلام لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط العاشرة
٦٣٩.الضعفاء الكبير للعقيلي ، تحقيق د . عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1404 .
٦٤٠.ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري ، لأبي شامة شهاب الدين أبي محمد الشافعي ، تحقيق د . أحمد الشريف ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٦٤١.ضياء الصالحين في الأدعية والزيارات للحاج محمد صالح الجوهرجي ، دار الأضواء ، ط الأولى 1409 - 1989 .
٦٤٢.طائفة الختمية أصولها التاريخية وأهم تعاليمها د . أحمد محمد جلي ، دار خضر للطباعة والنشر ، ط الأولى 1413 - 1992 .
٦٤٣.طائفة القاديانية لمحمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية 1351 .
٦٤٤.الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفوي ، تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 .
٦٤٥.طباع بني إسرائيل وأثرها في سلوكهم في الوقت الحاضر هدى مرعي ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى .
٦٤٦.الطبقات لخليفة بن خياط ، حققه وقدم له د . أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، ط الثانية 1402 .
٦٤٧.طبقات الأولياء لابن الملقن ، تحقيق نور الدين شريبة ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، ط١ 1393 .
٦٤٨.طبقات الشافعية للاسنوي ، تحقيق كما يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1407 .
٦٤٩.طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه د . الحافظ عبدالعليم خان ، دارالندوة الجديدة 1407 - 1987 .
٦٥٠.طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، دار المعرفة ، ط٢ .
٦٥١.طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق جوزف هل ، دار الكتب العلمية ، ط٢ 1408 .
٦٥٢.الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر .
٦٥٣.الطبقات الكبرى للشعراني ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
٦٥٤.الطرق الصوفية في مصر : نشأتها ونظمها وروادها د . عامر النجار ، دار المعارف ، ط الرابعة .
٦٥٥.طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1402 - 1982 .
٦٥٦.طه حسين في ميزان العلماء والأدباء لمحمود مهدي الاستانبولي ، المكتب الإسلامي ، ط١ 1403 .
٦٥٧.الطيرة والفأل في ضوء الكتاب والسنة لمحمود بن خليفة الجاسم ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1413 .
٦٥٨.ظهر الإسلام لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي

٦٥٩.ظلام من الغرب لمحمد الغزالي ، دار الاعتصام .
٦٦٠.عارضة الأحوذي لابن العربي ، دار الكتاب العربي .
٦٦١.عبدا لله النديم خطيب الثورة العرابية لنجيب توفيق ، مكتبة الكليات الأزهرية
٦٦٢.العبر في تاريخ من غبر للذهبي ، حققه وضبطه أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية .
٦٦٣.العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تصحيح محمد منير الدمشقي ، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، ١٤٠٤ .
٦٦٤.العتبات المقدسة في الكوفة لمحمد سعيد الطريحي ، دار الكتبي ، بيروت ، ط الثانية 1406 - 1986 .
٦٦٥.العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء ، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه د. أحمد بن علي سير مباركي ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1400 - 1980 .
٦٦٦.العرب والإسلام لأبي الحسن الندوي ، مكتبة المنارة ، مكة ، ط٢ ، 1408 - 1988 .
٦٦٧.عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته ، لمحمد تقي الندوي ، ترجمة د . مقتدى حسن ياسين ، دار الصحوة .
٦٦٨.عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ، مكتبة النجاح ، 1381 .
٦٦٩.عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني ، تحقيق : محمد الغامدي ، مكتبة العلوم والحكم ، ط١|١٤١٤ .
٦٧٠.العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مؤسسة الرسالة ط٢ 1406 - 1986 .
٦٧١.العقد الفريد لابن عبدربه ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وغيره ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1403 - 1983 .
٦٧٢.العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لابن عبدالهادي ، تقديم علي صبح المدني ، مطبعة المدني .
٦٧٣.العقلانية هداية أم غواية لعبدالسلام البسيوني ، دار الوفاء ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٦٧٤.العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون لعلي بن حسن عبدالحميد ، مكتبة الغرباء الأثرية ، ط الأولى 1413 - 1993 .

٦٧٥.عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن لحمود التويجري ، دار اللواء ، الرياض ، ط الثانية 1409 - 1989 .
٦٧٦.عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي د . محمد أحمد عبدالقادر ، دار المعرفة الجامعية
٦٧٧.العقيدة الحقة في الرد على أهل الحلول والوحدة المطلقة لأحمد الرفاعي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الأولى 1404 .
٦٧٨.عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية لأحمد بن سعد الغامدي ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ 1405 .
٦٧٩.عقيدة الدروز : عرض ونقض د . محمد أحمد الخطيب ، عالم الكتب ، ط الثالثة 1409 - 1989 .
٦٨٠.عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ، تحقيق بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٦٨١.العقيدة وأثرها في بناء الجيل د. عبدا لله عزام ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ط الثانية 1400 .
٦٨٢.علل الشرائع لابن باويه القمي ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، 1385 العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ، تحقيق إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية ، باكستان ، ط الثانية 1401 .
٦٨٣.العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني ، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي ، دار طيبة ، ط الأولى 1405.
٦٨٤.علماء نجد خلال ستة قرون لعبدا لله بن عبدالرحمن البسام ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، ط الأولى 1398 .
٦٨٥.العلمانية : النشأة والأثر في الشرق والغرب لزكريا فايد ، الزهراء للاعلام العربي ، ط١ 1408 .
٦٨٦.العلمانية : نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة لسفر الحوالي ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1402 - 1982 .
٦٨٧.العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ للمقبلي ، دار الحديث ، بيروت ، ط٢ .
٦٨٨.علم اليقين لمحسن الكاشاني ، دار البلاغة ، بيروت ، ط الأولى 1410 .
٦٨٩. علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، 1401 - 1981 .
٦٩٠.عمدة الحفاظ في تفسير أشراف الألفاظ للسمين الحلبي ، تحقيق د . محمد التونجي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الأولى 1414 - 1993 .

٦٩١.عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط الأولى 1392 - 1972 .
٦٩٢.عمل اليوم والليلة لابن السني ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ومكتبة المؤيد ، الطائف ، ط الأولى 1407 - 1987
٦٩٣.عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ، مكتبة الرياض الحديثة .
٦٩٤.العهود الوفية في السلسلة اليوسفية الحبشية الشاذلية لمحمد التابعي الشرابي الشاذلي ، 1343
٦٩٥.عوارف المعارف للسهروردي ، تحقيق د . عبدالحليم محمود و د . محمود بن الشريف ، مطبعة السعادة .
٦٩٦.العين للخليل بن أحمد ، تحقيق د . مهدي المخزومي وغيره ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط١ ١٤٠٨ - ١٩٨٨ .
٦٩٧.غاية الأماني في الرد على النبهاني لمحمود شكري الآلوسي ، مكتبة العلم ، جدة .
٦٩٨.غاية المرام في علم الكلام للآمدي ، تحقيق حسن عبداللطيف ، مطابع الأهرام ، 1391
٦٩٩.غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، عني بنشره ج . برجستراسر ، مكتبة المتنبي .
٧٠٠.غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين القمي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الأولى 1381
٧٠١.الغرب في مواجهة الإسلام لمازن المطبقاني ، مكتبة ابن القيم ، المدينة ، ط الأولى 1410 - 1989 .
٧٠٢.غريب الحديث لأبي عبيد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .
٧٠٣.غريب الحديث لابن قتيبة ، تحقيق د . عبدا لله الجبوري ، وزارة الأوقاف العراقية ، ط١ 1397 .
٧٠٤.غريب الحديث لأبي الفرج بن الجوزي ، وثق أصوله وخرج أحاديث وعلق عليه د . عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٧٠٥.الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د . عبدالستار فتح ا لله ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الثانية 1399 .
٧٠٦.غزو في الصميم لعبدالرحمن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط الثالثة 1410 - 1990
٧٠٧.الغفران بين الإسلام والمسيحية لإبراهيم خليل أحمد ، دار المنار ، القاهرة ، ط الأولى 1409 - 1989 .

٧٠٨. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٧٠٩. الغنية في أصول الدين للمتولي الشافعي ، تحقيق عماد الدين حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط الأولى 1406 - 1987 .
٧١٠. الغنية لطالبي طريق الحق لعبدالقادر الجيلاني ، مصطفى البابي الحلبي ، ط٣ 1375 .
٧١١. غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ، د . فتحي محمد الزغبي ، دار لمعارف ، ط الأولى 1409 - 1988 .
٧١٢. الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق علي البجاوي وغيره ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط الثانية .
٧١٣. الفاخر ، لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، مكتبة البابي الحلبي ط١ ، ١٣٨٠هـ .
٧١٤. الفتاوى البزازية المسماة بالجامع الوجيز لابن البزاز الكردي ، المطبوع بهامش الفتاوى الهندية .
٧١٥. فتاوى الشيخ شلتوت ، دار الشروق ، ط التاسعة .
٧١٦. فتاوى قاضيخان محمود الأوزجندي ، مطبوع بهامش الفتاوى الهندية .
٧١٧. الفتاوى الهندية المسماة بالفتاوى العالمكيرية ، لجماعة من علماء الهند ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط الرابعة 1406 - 1986
٧١٨. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، جمع وترتيب وتحقيق محمد بن عبدالرحمن ابن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، ط الأولى 1399 .
٧١٩. فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه ، حققه وخرج حديثه وعلق عليه د . عبدالمعطي قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٧٢٠. فتح الله بخصائص الاسم الله لمحمد موسى الروحاني ، المكتبة الامدادية ، باكستان ، ط٢ 1405 .
٧٢١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، قام باخراجه وتحقيقه محب الدين الخطيب ، رقمه محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة السلفية ، ط الثالثة 1407 .
٧٢٢. الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني لمحمد بن عبدالله بن حسنين ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

٧٢٣.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للشوكاني ، دار إحياء التراث العربي .
٧٢٤.فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي (على التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) للشرقاوي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط الرابعة ، 1374 - 1955 .
٧٢٥.فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، تحقيق محمد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٧٢٦.فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط الثانية 1411 .
٧٢٧.فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي للسخاوي ، تحقيق عبدالرحمن عثمان ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ط الثانية 1388 - 1968 .
٧٢٨.فتح الملهم شرح صحيح مسلم لشبير أحمد الديوبندي العثماني ، مكتبة الحجاز
٧٢٩.فتح وفيض وفضل من الله في شرح كلمة لاإله إلا الله محمد رسول الله لصالح الجعفري ، دار جوامع الكلم .
٧٣٠.فتنة إنكار السنة في شبه القارة الهندية الباكستانية د. سمير عبدالحميد إبراهيم ، مكتبة دار السلام ، ط الأولى 1412 .
٧٣١.الفتوح لابن أعثم الكوفي ، دار الندوة الجديدة ، مصور عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن .
٧٣٢.الفتوحات الالهية على تفسير الجلالين لسليمان العجيلي ، ط الحلبي .
٧٣٣.الفتوحات المكية لابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية .
٧٣٤.فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع لعبدالله بن أحمد بن قدامة ، مطبعة الجبلاوي 1397 .
٧٣٥.فجر الإسلام لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي - ط الحادية عشرة 1975
٧٣٦.الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق ، للزهاوي ط الواعظ بمصر 1323 .
٧٣٧.الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1402 - 1982 .

٧٣٨.الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي ، حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة .
٧٣٩.فرق الشيعة للحسن بن موسى النوبختي ، دار الأضواء ، ط الثانية 1404 - 1984 .
٧٤٠.الفرق الكلامية الإسلامية : مدخل ودراسة د . علي عبدالفتاح المغربي ، مكتبة وهبة ، ط الأولى 1407 - 1986 .
٧٤١.فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها لغالب بن علي عواجي ، مكتبة لينة ، ط الأولى 1414 - 1993 .
٧٤٢.الفروع لابن مفلح ، راجعه عبدالستار أحمد فرج ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الرابعة 1405 - 1985 .
٧٤٣.الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، ضبطه وحققه حسام الدين المقدسي ، دار الكتب العلمية 1401 - 1981.
٧٤٤.الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، تحقيق د . محمد إبراهيم نصر وغيره ، دار الجيل ، بيروت .
٧٤٥.فصل المقال في رفع عيسى حيا ونزوله وقتله الدجال د . محمد خليل هراس ، علق عليه وخرج أحاديثه أبوالفداء الأثري ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٧٤٦.الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين للقاسمي ، تحقيق عاصم البيطار ، دار النفائس ، بيروت ، ط الأولى 1403 - 1983
٧٤٧.فقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي لجمال سلطان ، مكتبة الدراسات الإسلامية ، ط الأولى 1413 - 1992 .
٧٤٨.الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ، تحقيق إسماعيل الأنصاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية 1400 - 1980 .
٧٤٩.الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ، مكتبة وهبة ، ط الحادية عشرة 1405 - 1985 .
٧٥٠.الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث د. عبدالقادر محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط الثانية 1986
٧٥١.الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، د . حسن ظاظا ، دار القلم ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ .

٧٥٢.الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبدالرحمن عبدالخالق ، مكتبة ابن تيمية ، ط الثانية 1404 .
٧٥٣.فلسفة جان بول سارتر د . حبيب الشاروني ، منشأة المعارف .
٧٥٤.الفلسفة في الهند د . علي زيعور ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ط١ 1413 - 1993 .
٧٥٥.الفهرست لابن النديم ، تحقيق رضا تجدد ، دار المسيرة ، ط الثالثة 1988 .
٧٥٦.فهرس الفهارس والأثبات ، لعبدالحي الكتاني ، اعتناء د . إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط الثانية 1402 - 1982
٧٥٧.فوائد قصة الجاهلية المذكورة في السيرة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مطبوع ضمن مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة ، تقديم عبدا لله حجاج ، دار الجيل ، بيروت ، ط الثانية 1407 .
٧٥٨.فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لعبدالعلي محمد بن نظام الدين ، مطبوع بهامش المستصفى .
٧٥٩.فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي ـ تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر.
٧٦٠.الفوضوية لهنري أرفون ، ترجمة هنري زغيب ، منشورات عويدات ، ط١ 1983 .
٧٦١.في الأدب الجاهلي لطه حسين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط السادسة عشرة .
٧٦٢.في الأدب الحديث لعمر الدسوقي ، دار الفكر ، ط الثامنة 1973 .
٧٦٣.في تاريخ الأدب الجاهلي د . علي الجندي ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1412 .
٧٦٤.فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ، دار المعرفة .
٧٦٥.في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام ، د. محمد إبراهيم الفيومي ، عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٧م .
٧٦٦.في مقارنة الأديان بحوث ودراسات د . محمد الشرقاوي ، دار الهداية ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٧٦٧.القاديانية لاحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة ، ط السدسة عشرة ، 1404 .
٧٦٨.القاديانية نشأتها وتطورها د . حسن عيسى عبدالظاهر ، دار القلم ، ط٣ 1404 .
٧٦٩.قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الأولى 1405 -1985 .
٧٧٠.قاموس إلياس العصري .
٧٧١.قاموس القرآن أوإصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ، تحقيق عبدالعزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، ط الخامسة 1985 .

٧٧٢.قانون طريقة السادة الحامدية الشاذلية بالديار المصرية لسلامة حسن الراضي ، تصحيح حامد أحمد بدوي .
٧٧٣.قذائف الحق لمحمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى 1411 - 1991 .
٧٧٤.قرآءة في وثائق البهائية ، د . عائشة عبدالرحمن ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ 1406 - 1986.
٧٧٥.قرار المحكمة الشرعية الفيدرالية بالباكستان بكفر القاديانية ، تعريب محمد بشير ، مكتبة دار العلم ط الأولى 1408 .
٧٧٦.القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحسين إلهي بخش ، مكتبة الصديق ، ط الأولى 1409 - 1989 .
٧٧٧.قصيدة البردة للبوصيري ، شرح وتحقيق ونقد فتحي عثمان ، دار المعرفة ، القاهرة ، ط الأولى 1973 .
٧٧٨.القضاء والقدر لعبدالرحمن المحمود ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٧٧٩.القضاء والقدر في الإسلام د . فاروق الدسوقي ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية 1406 - 1986 .
٧٨٠.قضايا هامة في حاضر العالم الإسلامي لمحي الدين القضماني ، المكتب الإسلامي ، ط الأولى 1407 .
٧٨١.القواعد للمقري ، تحقيق أحمد بن عبدا لله بن حميد ، جامعة أم القرى
٧٨٢.القواعد الأربع للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ضمن مجموعة مؤلفاته ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
٧٨٣.القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د . إبراهيم البريكان ، دار الهجرة ، السعودية ، ط الأولى ١٤١٤ .
٧٨٤.القول الأسمى في ذم الابتداع والتقليد الأعمى لسليم السالم ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٧٨٥.القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٧٨٦.القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل لإسماعيل الأنصاري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، 1405 - 1985 .

٧٨٧.القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر الهيتمي ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
٧٨٨.القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد للشوكاني ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط الثانية 1399 .
٧٨٩.القومية بين النظرية والتطبيق لمصطفى محمد طحان ، دار الوثائق ، الكويت ، ط١ 1409 - 1989 .
٧٩٠.القوميةفي نظر الإسلام لمحمد أحمد باشميل ، بيروت ،1960 ط الثانية - 1380 .
٧٩١.قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، ودار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني ، ط الثانية 1402 .
٧٩٢.قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر لأبي الهدى الصيادي ، دار الكتب العلمية ، 1399 .
٧٩٣.كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس لإبراهيم التجاني ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الأولى ١٣٧١ - ١٩٥٢ .
٧٩٤.الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٧٩٥.الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم ، دار المعرفة ، بيروت .
٧٩٦.الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، مطبوع في آخر الكشاف .
٧٩٧.الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط الرابعة 1403 - 1983 .
٧٩٨.الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ، قرأها ودققها على المخطوطات يحي مختار غزاوي ، دار الفكر ، ط الثالثة 1409 - 1988 .
٧٩٩.الكبائر للذهبي .
٨٠٠.الكتاب لسيبويه ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الثانية 1408 .
٨٠١.الكتاب المقدس " كتب العهد القديم والعهد الجديد " دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
٨٠١.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، دار المعرفة .
٨٠٢.كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ، راجعه وعلق عليه هلال مصيلحي مصطفى هلال ، عالم الكتب ، بيروت ، 1403 - 1983 .

٨٠٤.كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية 1404 - 1984 .
٨٠٥.كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعبدالعزيز البخاري ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
٨٠٦.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،لحاجي خليفة ، مكتبة المثنى ، بغداد .
٨٠٧.الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبدالرؤوف القاسم ، دار الصحابة للطباعة والنشر ، ط الأولى 1408 - 1987 .
٨٠٨.كشف المحجوب لأبي الحسن الهجويري ، تحقيق : محمد أبوالعزائم ، دار التراث العربي ، القاهرة .
٨٠٩.كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها ونقد بعض آرآئه د . ربيع المدخلي ، مكتبة دار ابن القيم ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1410 - 1989 .
٨١٠.الكفاية في علم الرواية ، تقديم محمد الحافظ التيجاني ، مراجعة عبدالحليم محمد عبدالحليم وغيره ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
٨١١.كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع لابن حجر الهيتمي ، ط مصطفى البابي الحلبي .
٨١٢.كلمة الحق في القرآن موردها ودلالتها لمحمد الراوي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1409 .
٨١٣.الكليات لأبي البقاء الكفوي ، قابله على نسخه الخطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د . عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٨١٤.الكنى والأسماء للدولابي ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية 1403 ، مصورة عن الطبعة الأولى .
٨١٥.الكنز الثري في مناقب الجعفري لعبدالغني صالح الجعفري ، دار جوامع الكلم ، القاهرة .
٨١٦.كنوز الأسرار في الصلاة والسلام على النبي المختار لعبدا لله الهاروشي ، دار جوامع الكلم .
٨١٧.الكواشف الجلية عن معاني الواسطية لعبدالعزيز السلمان ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، ط الحادية عشرة 1402
٨١٨.كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة لعبدالرحمن الميداني ، دار القلم ، ط الأولى 1405 .
٨١٩.الكوكب الدري على جامع الترمذي ، لرشيد أحمد الكنكوهي ، طبع في مطبعةندوة العلماء لكهنؤ 1395 - 1975 .

٨٢٠.الكلام على مسألة السماع لابن القيم ، تحقيق راشد الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى 1409 .
٨٢١.كيف تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها من جديد د . عمر الأشقر ، دار النفائس ، ط١ 1412 .
٨٢٢.لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن " تفسير الخازن " دار الفكر ، 1399 - 1979 .
٨٢٣.لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول ، لأبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي ، تحقيق د . فوقية حسين محمود ، دار الأنصار ، ط١ ، ١٩٧٧م .
٨٢٤.لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لابن فهد المكي ، دار إحياء التراث العربي .
٨٢٥.اللزوميات أولزوم مالايلزم لأبي العلاء المعري ، قدم له وأشرف على اختياره وتصحيحه عمر أبوالنصر ، دار الجيل ، بيروت .
٨٢٦.لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
٨٢٧.لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الاطلاق للشعراني ، دار جوامع الكلم ، مصر 1407 .
٨٢٨.لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٨٢٩.لماذا أفتى علماء المسلمين بكفر الخميني لوجيه الحديثي ، ط الثانية 1409 .
٨٣٠.اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق د . عبدالحليم محمود وغيره ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، 1960 .
٨٣١.لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة لأبي المعالي الجويني ، تقديم وتحقيق فوقية حسين محمود ، عالم الكتب ، ط الثانية 1407 - 1987 .
٨٣٢.لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، لمؤلف مجهول ، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .
٨٣٣.لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية للسفاريني المكتب الإسلامي ، بيروت ، ومكتبة أسامة ، الرياض ، ط الثانية 1405 - 1985 .
٨٣٤.الماتريدية دراسة وتقويما لأحمد الحربي ، دار العاصمة ، ط الأولى 1413.

٨٣٥.الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس السلفي الأفغاني ، مكتبة الصديق ، ط الأولى 1413 - 1993 .
٨٣٦.المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم لأبي القاسم الآمدي ، صححه د . ف . كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ 1411 - 1991 .
٨٣٧.المآتم في بيوت الأفراح والمآتم لعيد غالب أحمد عيسى ، دار ابن زيدون ، ط الأولى 1405 .
٨٣٨.مآخذ بحار الأنوار للمجلسي ، المكتبة الإسلامية ، ط الثانية
٨٣٩.مؤامرة الصهيونية على العالم مع ترجمة بروتوكولات صهيون لأحمد عبدالغفور عطار ، ط الثالثة ، بيروت ، 1399 - 1979 .
٨٤٠.مؤامرة ضد الإسلام في مصر
٨٤١.ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الثامنة 1404 - 1984 .
٨٤٢.ماهي النصرانية لمحمد تقي العثماني ، مكتبة دار العلوم ، كراتشي ، 1403 - 1983
٨٤٣.مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان
٨٤٤.المبدع في شرح المقنع لابن مفلح ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1980 .
٨٤٥.المبسوط للسرخسي ، دار المعرفة ، بيروت .
٨٤٦.مجلة الباحث اللبنانية ، العدد الأول ١٩٩١م .
٨٤٧.المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ذات العدد ١٣٩ الصادرة عام ١٩٩١
٨٤٨.مجلة العربي الكويتية ذات العدد ٣٨٦ الصادرة في ١٤٠٢ .
٨٤٩.مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه
٨٥٠.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ، دار الكتاب العربي ، ط الثالثة 1402 - 1982
٨٥١.المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين ، جمع فهد السليمان ، دار الوطن ، الرياض ، ط الثالثة 1411
٨٥٢.المجموع شرح المهذب للنووي ، دار الفكر .
٨٥٣.مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم وساعده ابنه محمد ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين .

٨٥٤.مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز ، أشرف على تجميعه وطبعه د . محمد الشويعر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط٢ 1411 - 1990 .
٨٥٥.مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٨٥٦.مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، دار العاصمة ، مصورة عن الطبعة الأولى .
٨٥٧.مجموعة فتاوى ابن تيمية الكبرى ، دار المنار 1408 - 1988 .
٨٥٨.المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، دار الكتاب اللبناني ،ط الأولى 1980 .
٨٥٩.مجموعة النفحات الربانية المشتملة على سبع رسائل ميرغنية ، الحلبي ، ط٢ 1400 .
٨٦٠.محاسن التأويل للقاسمي ، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ط الثانية 1398 .
٨٦١.المحاسن والمساويء لإبراهيم بن محمد البيهقي ، دار صادر ، بيروت .
٨٦٢.محاضرات في النصرانية لمحمد أبوزهرة ، دار الفكر العربي ، ط الثالثة .
٨٦٣.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، مكتبة ابن تيمية القاهرة 1413 - 1992 .
٨٦٤.محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للرازي ، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٨٦٥.المحصول في علم أصول الفقه للرازي ، دراسة وتحقيق طه جابر فياض العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية 1412 - 1992.
٨٦٦.محق التقول في مسألة التوسل لمحمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار بالقاهرة ، 1369
٨٦٧.المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيدة ، تحقيق مصطفى السقا ود .حسين نصار ، دار الكتاب الإسلامي ، مصور عن الطبعة الأولى .
٨٦٨.المحلى لابن حزم ، تحقيق أحمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة .
٨٦٩.محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية لخليل الرحمن عبدالرحمن ، دار حراء ، مكة المكرمة ، ط الأولى ١٤٠٨ .
٨٧٠.محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ، ترجمة وتعليق عبدالعليم البستوي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1404 - 1984 .
٨٧١.محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة لسليمان بن صالح الخراشي ، دار الجواب 1413 .

٨٧٢.المحنة د . فهمي جدعان ، دار الشروق ، ط الأولى 1989 .
٨٧٣.المحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار ، تحقيق عمر السيد عزمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والترجمة .
٨٧٤.المختار في الرد على النصارى للجاحظ ، تحقيق د . محمد عبدا لله الشرقاوي ، دار الصحوة ، ط الأولى 1405 - 1984 .
٨٧٥.مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر لابن منظور ، تحقيق رياض عبدالحميد مراد وغيره ، دار الفكر دمشق ، ط الأولى 1404 - 1984 .
٨٧٦.مختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الالوسي ، تحقيق محب الدين الخطيب
٨٧٧.مختصر سنن أبي داود للمنذري ، تحقيق أحمد شاكر والفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1400 - 1980 .
٨٧٨.مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لمحمد بن الموصلي ، دار الندوة الجديدة 1405 .
٨٧٩.مختصر طبقات الحنابلة لابن الشطي ، دراسة فواز زمرلي ، دار الكتاب العربي ، ط الأولى 1406 .
٨٨٠.مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي ، اختصره وحققه وعلق عليه الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ط الأولى 1401 - 1981 .
٨٨١.المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
٨٨٢.المختصر في معاني أسماء ا لله الحسنى لمحمود سامي ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي .
٨٨٣.المخصص لابن سيدة ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي .
٨٨٤.مدارج الحقيقة في الرابعة عند أهل الطريق لإبراهيم حلمي القادري ، الناشر عادل البهي وعبدالسلام سعيد بالاسكندرية 1381 .
٨٨٥.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد الحامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت المدخل لابن الحاج ، دار الفكر .
٨٨٦.المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ، تحقيق د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .
٨٨٧.المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د . محمد علي البار ، دار القلم والدار الشامية ، ط١ ، ١٤١٠هـ .
٨٨٨.المدنية والإسلام لمحمد فريد وجدي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1353 .

٨٨٩.مدينة الحسين " مختصر تاريخ كربلاء " لمحمد آل كيدار ، مطبعة شركة سيهر ، إيران ، ط الأولى 1368 .

٨٩٠.مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ، دار الشروق ، ط الثانية 1407 - 1987 .

٨٩١.المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها د . عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط الرابعة 1407 - 1987 .

٨٩٢.المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي لمحمد الحسن ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، مصر ، ط الثانية ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ .

٨٩٣.مذهب أهل السنة والجماعة ومنزلتهم في الفكر الإسلامي لفاطمة أحمد رفعت ، دار المعرفة الجامعية ط الأولى 1989 .

٨٩٤.المراجعات لعبدالحسين الموسوي ، تحقيق حسين الراضي ، الدار الإسلامية ، بيروت ، ط الثالثة 1406 - 1986 .

٨٩٥.مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي ، تحقيق علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى

٨٩٦.مراقد المعارف في تعيين مراقد العلويين والصحابة والتابعين لمحمد حرز الدين ، ط الآداب في النجف 1389 .

٨٩٧.المرأة الجديدة لقاسم أمين ، ط مصر 1901

٨٩٨.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ، دار الكتاب الإسلامي .

٨٩٩.مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي ، شرحه وقدم له د . مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1406 - 1986

٩٠٠.مسائل الإمام أحمد لأبي داود ، مقدمة تصدير التعريف به لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة .

٩٠١.المسائل الخمسون في أصول الدين للرازي ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، المكتب الثقافي ، ط الأولى 1989 .

٩٠٢.المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير لابن قتيبة ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط الأولى 1410 - 1990 .

٩٠٣.المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ، تحقيق محمد كامل بركات ، جامعة أم القرى ، 1400 .

٩٠٤. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د . ناصر القفاري ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى 1412 .
٩٠٥. المسامرة للكمال بن أبي شريف ، مع شرحها المسايرة لابن الهمام ، مع حاشية قاسم الحنفي ، ط١ ، ١٣١٧هـ ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق .
٩٠٦. المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الكتاب العربي .
٩٠٧. المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي ، دار صادر ، مصور عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق 1324 .
٩٠٨. المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، انتقاء ابن الدمياطي ، حققه وعلق عليه وقدم له د . قيصر أبوفرح ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٩٠٩. مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين .
٩١٠. المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية 1408 - 1987 .
٩١١. مسند أبي داود الطيالسي ، دار المعرفة .
٩١٢. مسند أبي يعلى الموصلي ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، بيروت ، ط الأولى 1404 - 1984 ...
٩١٣. مسند أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ، ط الخامسة 1405 - 1985 .
٩١٤. مسند اسحاق بن راهويه ، تحقيق د . عبدالغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1412 - 1991 .
٩١٥. مسند الشافعي ، ترتيب السندي ، تحقيق يوسف علي الزواوي وغيره ، دار الكتب العلمية .
٩١٦. مسند الشاميين للطبراني ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1409 .
٩١٧. مسند الشهاب للقضاعي ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٩١٨. المسودة في أصول الفقه لآل تيمية ، جمعها وبيضها شهاب الدين أبوالعباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني الحراني ، حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة المدني 1384 - 1964 .
٩١٩. مشاهد ومزارات ومقامات آل البيت في سورية لهشام عثمان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط الأولى 1414 - 1994 .

٩٢٠.مشاهد العترة الطاهرة وأعيان الصحابة والتابعين لعبدالرزاق الحسيني ، مطبعة الآداب في النجف 1387 .
٩٢١.مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، دار اليمامة ، الرياض ، ط الأولى 1392 .
٩٢٢.مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني لمحمد الخضر الشنقيطي ، دار البشير ، عمان ، ط الأولى 1405 - 1985 .
٩٢٣.مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي - تحقيق الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط الثالثة 1405 - 1985 .
٩٢٤.مشكل الآثار للطحاوي ، دار صادر ، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية1333.
٩٢٥.المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم لأبي البقاء العكبري ، تحقيق ياسين محمد السواس ، جامعة أم القرى 1403 - 1983 .
٩٢٦.مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري ، تحقيق موس محمد علي ، دار الكتب الحديثة .
٩٢٧.مصطلحات إسلامية لمحي الدين القضماني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى 1410 - 1990 .
٩٢٨.المصنف لعبدالرزاق ، تحقيق وتخريج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ط الثانية 1403 - 1983 .
٩٢٩.المصنف في الأحاديث و الآثار لابن أبي شيبة ، حققه وصححه عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية .
٩٣٠.المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة .
٩٣١.المطالب العالية من العلم الإلهي للرازي ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، دار الكتاب العربي ، ط الأولى 1407 - 1987 .
٩٣٢.معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ حكمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط الأولى 1403 - 1983 .
٩٣٣.المعارف لابن قتيبة ، حققه وقدم له د . ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط الرابعة .
٩٣٤.معالم التنزيل للبغوي ، إعداد وتحقيق خالد العك ومروان سوار ، دار المعرفة ، ط الأولى 1406 .

٩٣٥.المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية لآية الله الحسني ، دار الملاك ، الثانية 1993 - 1414 .
٩٣٦.المعالم الدينية في العقائد ليحي بن حمزة ، تحقيق السيد مختار محمد أحمد حشاد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط الأولى 1988 .
٩٣٧.معالم السنن للخطابي ، تحقيق : أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1400 .
٩٣٨.معاني الحروف للرماني ، حققه وخرج شواهده وعلق عليه د . عبدالفتاح شلبي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط الثانية 1407 - 1986 .
٩٣٩.المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1405 - 1984 .
٩٤٠.معاهد التحقيق في رد المنكرين على أهل الطريق لمحمود بن عفيف الدين الوفائي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده 1380 - 1960 .
٩٤١.المعتزلة لزهدي حسن جار الله ، النادي العربي في يافا ، 1366 - 1947 .
٩٤٢.المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد المعتق ، دار العاصمة ، ط الأولى 1409 .
٩٤٣.المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري ، قدم له وضبطه خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1403 - 1983 .
٩٤٤.المعجم لابن الأعرابي ، تحقيق د . أحمد البلوشي ، مكتبة الكوثر ، ط الأولى 1412 - 1992 .
٩٤٥.معجم الأدباء لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي .
٩٤٦.معجم اصطلاحات الصوفية لعبدالرزاق الكاشاني ، تحقيق وتقديم وتعليق د . عبدالعال شاهين ، دار المنار ، ط الأولى 1413 - 1992 .
٩٤٧.المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق د . محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، ط الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .
٩٤٨.معجم البلدان لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي 1399 - 1979 .
٩٤٩.معجم الشعراء للمرزباني ، صححه د . ف . كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى 1411 .
٩٥٠.المعجم الصغير للطبراني ، صححه وراجع أصوله عبدالرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط الثانية 1401 - 1981 .
٩٥١.المعجم الكبير للطبراني ، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط الثانية .
٩٥٢.معجم مااستعجم من البلاد والمواضع للبكري ، مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت .

٩٥٣.المعجم المختص بالمحدثين للذهبي ، تحقيق د . محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ط الأولى 1408 .
٩٥٤.المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للفيف من المستشرقين ، مصورة عن طبعة مكتبة بريل في مدينة ليدن ، 1936 .
٩٥٥.معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي .
٩٥٦.معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون ، دار الفكر 1399 - 1979 .
٩٥٧.معرفة السنن والآثار للبيهقي ، ، وثق أصوله وخرج حديثه وقارن مسائله وصنع فهارسه وعلق عليه د . عبدالمعطي أمين قلعجي ، جمعية الدراسات الإسلامية كراتشي وأخرون ، ط الأولى 1412 .
٩٥٨.معرفة الصحابة لأبي نعيم ، تحقيق د . محمد راضي عثمان ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط الأولى 1408 - 1988 .
٩٥٩.المعرفة والتاريخ للفسوي ، تحقيق د . أكرم العمري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1394 - 1974 .
٩٦٠.المعلم بفوائد مسلم للمازري ، تحقيق محمد الشاذلي النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية 1992 .
٩٦١.معيار العلم في فن المنطق لأبي حامد الغزالي ، دار الأندلس ، بيروت ، ط الرابعة 1983 .
٩٦٢.المغازي للواقدي ، تحقيق د . مارسدن جونس ، عالم الكتب .
٩٦٣.المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح المطرزي ، دار الكتاب العربي .
٩٦٤.المغني لابن قدامة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1403 - 1983 .
٩٦٥.المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبدالجبار ، حققه جماعة من الباحثين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر
٩٦٦.المغني في أصول الفقه للخبازي ، تحقيق محمد مظهر بقا ، جامعة أم القرى ، ط الأولى 1403 .
٩٦٧.مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي المالكي ، الزهراء للاعلام العربي 1410 - 1990 .
٩٦٨.مفتاح باب الأبواب د . ميرزا محمد مهدي خان ، ط المنار 1321
٩٦٩.المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة .
٩٧٠.مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الثانية 1389 - 1969 .
٩٧١.مقالات الكوثري لأحمد خيري ، ط الأولى 1372 .

٩٧٢.مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر لأحمد بن محمد بن عياش ، مطبعة العلوية ، النجف 1346

٩٧٣.مكائد يهودية عبر التاريخ لعبدالرحمن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط الثالثة 1408 .

٩٧٤.الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة 1404 - 1984

٩٧٥.المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط الثانية 1403 - 1983

٩٧٦.منازل السائرين للهروي ، دار الكتب العلمية 1408 - 1988 .

٩٧٧.مناقب الشافعي للبيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث .

٩٧٨.من أعلام الشعر السعودي د . بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، ط الأولى 1412 - 1991

٩٧٩.مناقب شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة لمحمد سر الختم الميرغني ، ضمن مجموعة النفحات الربانية المشتملة على سبع رسائل ميرغنية ، مطبعة الحلبي ، ط الثانية 1400 .

٩٨٠.مناهج الجدل في القرآن د . زاهر الألمعي ، ط الثالثة 1404 .

٩٨١.مناهل الرشاد في الأجوبة عن أسئلةهل تشاد لأبي بكر الكشناوي ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الرابعة 1398 - 1978 .

٩٨٢.مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية

٩٨٣.المنتخب لعبد بن حميد ، تحقيق مصطفى بن العدوي شلباية ، الجزء الأول دار الأرقم ط الأولى 1405 - 1985 ، والجزء الثاني والثالث ، مكتبة ابن حجر ط الأولى 1408 - 1988.

٩٨٤.المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى 1412 - 1992 .

٩٨٥.المنتقى لابن الجارود ، حديث آكادمي ، باكستان ، ط الأولى 1403 - 1983 .

٩٨٦.المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للباجي ، دار الكتاب العربي ، مصورة عن الطبعة الأولى 1332 .

٩٨٧.المنتقى من أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم للمجد بن تيمية ، تصحيح محمد الفقي ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1403 - 1983 .

٩٨٨.منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب للشيخ عبدالعزيز بن حمد ال معمر ، دار ثقيف ، الطائف ، ط الثالثة 1400 - 1980 .

٩٨٩.المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ، تحقيق عبدالحليم محمود ، دار الكتاب اللبناني ط٢ 1985 .

٩٩٠.من القيم والآداب البدوية لأحمد العبادي ، وزارة الاعلام الأردنية ، 1976 .
٩٩١.المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي ، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، ط الأولى 1405- 1985
٩٩٢.منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ، دار الهداية ، الرياض ، ط الثانية 1407 - 1987 .
٩٩٣.منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى 1406 - 1986 .
٩٩٤.المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ، تحقيق حلمي محمد فودة ، دار الفكر ، ط الأولى 1399 - 1979 .
٩٩٥.منهج ذوي النظر للترمسي ، مصطفى البابي الحلبي ، ط الرابعة 1406 - 1985 .
٩٩٦.منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د . فهد الرومي ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ .
٩٩٧.المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغرى بردى ، حققه ووضع حواشيه د . محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984
٩٩٨.من لايحضره الفقيه لأبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، تحقيق حسن الموسوي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط الخامسة .
٩٩٩.موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ، تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتب العلمية .
١٠٠٠.المواقف في علم الكلام للإيجي ، عالم الكتب .
١٠٠١.مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للحطاب ، دار الفكر ، ط الثالثة 1412 - 1992 .
١٠٠٢.الموجز لأبي عمار عبدالكافي الإباضي ، تخريج وتعليق د . عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ط الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ .
١٠٠٣.الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين ، 1965 .
١٠٠٤.موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط الثانية 1407 .
١٠٠٥.موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ، دار الفكر ، مصور عن طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .
١٠٠٦.الموطأ للإمام مالك ، صححه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي ، ، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٠٠٧.ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي د . إبراهيم عكاشة علي ، جامعة الإ ام محمد بن سعود الإسلامية 1407 - 1987 .
١٠٠٨.ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة .
١٠٠٩.الميزان الكبرى للشعراني ، دار الفكر ، ط الأولى .
١٠١٠.نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن عثيمين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط الأولى 1405 .
١٠١١.النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الفكر .
١٠١٢.نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي ، تحقيق د . محمد البنا ، دار الرياض
١٠١٣.نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب ، تحقيق أم عبدا لله العسلي ، دار العاصمة ، الرياض ط الأولى 1407 .
١٠١٤.نسب قريش لأبي عبدا لله الزبيري ، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه أ. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ، ط الثالثة .
١٠١٥.نشأة الأشعرية وتطورها لجلال محمد عبدالحميد موسى ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 .
١٠١٦.نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لآبي سعيد الأندلسي ، تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ، دار الأقصى عمان .
١٠١٧.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
١٠١٨.النسب لأبي عبيد ، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر ط الأولى 1410 - 1989 .
١٠١٩.نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي د . محمد زين الهادي العرمابي ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى 1407
١٠٢٠.نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي ، مصورة عن الطبعة الأولى بدار المأمون ، القاهرة .
١٠٢١.النظرات للمنفلوطي ، دار الجيل ، بيروت .
١٠٢٢.نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى أبي الحسن الأشعري لوهبي سليمان غاوجي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط الأولى 1409 - 1989 .

١٠٢٣.نظرية التطور الدارونية خرافة باسم العلم د . طالب الجنابي ، دار الأضواء ، بيروت ، ط الأولى 1410 - 1989 .
١٠٢٤.نظرية التكليف د . عبد الكريم عثمان ، مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ .
١٠٢٥.النظرية الماركسية في ميزان الإسلام د . أمير عبدالعزيز ، مكتبة الأقصى ، عمان ، ط١ 1401 .
١٠٢٦.النظم السياسية ـ أسس التنظيم السياسي ـ د . عبدالغني بسيوني عبدا لله ، الدار الجامعية .
١٠٢٧.نظم العرب القبلية المعاصرة د . محمود سلام زناتي ، ط الأولى 1992 .
١٠٢٨.نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1400 ، 1980 .
١٠٢٩.نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ، حققه ووضع فهارسه يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط الأولى 1406 - 1986 .
١٠٣٠.النقشبندية : عرض وتحليل لعبدالرحمن دمشقية ، دار طيبة ، ط الثالثة 1409 - 1988 .
١٠٣١.نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين الصفدي ، وقف على طبعه أحمد زكي بك ، مصور عن الطبعة الجمالية بمصر 1329 - 1911 ، توزيع مكتبة حراء ، جدة
١٠٣٢.النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، راجعه وعلق عليه د . السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .. ، ط الأولى 1412 - 1992 .
١٠٣٣.نماذج من حركات الجهاد الإسلامية الحديثة : السنوسية ، الباديسية ، القسامية لصفوت منصور ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .
١٠٣٤.النهاية " الفتن والملاحم " لابن كثير ، صححه إسماعيل الأنصاري ، أنصار السنة المحمدية ،لاهور .
١٠٣٥.نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .
١٠٣٦.نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٠٣٧.نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني ، حرره وصححه الفرد جيوم ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
١٠٣٨.نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإسنوي ، دار الكتب العلمية ، ط الثانية ١٤٠٣ .
١٠٣٩.النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادت ابن الأثير ، تحقيق طاهر محمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية .

١٠٤٠.نورالإنصاف في كشف ظلمة الخلاف لأبي الهدى الصيادي ، ط الأفندي بمصر .

١٠٤١.الهجاء والهجاءون في الجاهلية د . محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط الثالثة 1389 - 1970 .

١٠٤٢.هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للحافظ ابن القيم ، خرج أحاديثه وعلق عليه مصطفى الشلبي ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط الأولى 1408 - 1988

١٠٤٣.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا ، مكتبة المثنى ، بغداد ، مصورة عن طبعة استانبول 1951 .

١٠٤٤.هذه دعوتنا لعبداللطيف مشتهري ، الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية ، ط الأولى 1399 - 1979.

١٠٤٥.هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، ط الرابعة 1984 .

١٠٤٦.هذيل في جاهليتها وإسلامها د. عبدالجواد الطيب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس 1982 .

١٠٤٧.همجية التعاليم الصهونية لبولس حنا مسعد ، المكتب الإسلامي ، بيروت

١٠٤٨.الهندوس والسيخ أو العدو الخفي لمحمد بن إبراهيم الشيباني ، مكتبة ابن تيمية ، ط٣ 1408 .

١٠٤٩.هوامش على كتاب نقد الفكر الغربي لمحمد حسن آل ياسين ، دار النفائس ، بيروت ، ط السابعة 1403 - 1983 .

١٠٥٠.الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ، أنصار السنة المحمدية ، لاهور .

١٠٥١.الوافي بالوفيات للصفدي ، باعتناء هلموت ريتر ، دار النشر فرانز شتايز ستوتغارت ، ١٤١١ .

١٠٥٢.واقعنا المعاصر لمحمد قطب ، مؤسسة المدينة جدة ، ط الأولى 1407 - 1986 .

١٠٥٣.وجها لوجه الإسلام والعلمانية د . يوسف القرضاوي ، دار الصحوة القاهرة ، ط١ 1408 .

١٠٥٤.وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق لجمال بشير بادي ، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى 1412 .

١٠٥٥.وجودية سارتر ، د . آدم إبراهيم ، مؤسسة الهرم للطباعة والنشر والدعاية والإعلان بمصر ، ١٩٨٧ م .

١٠٥٦.الوجيز في تاريخ العالم المعاصر لحسان الحلاق ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط الثانية 1986 .

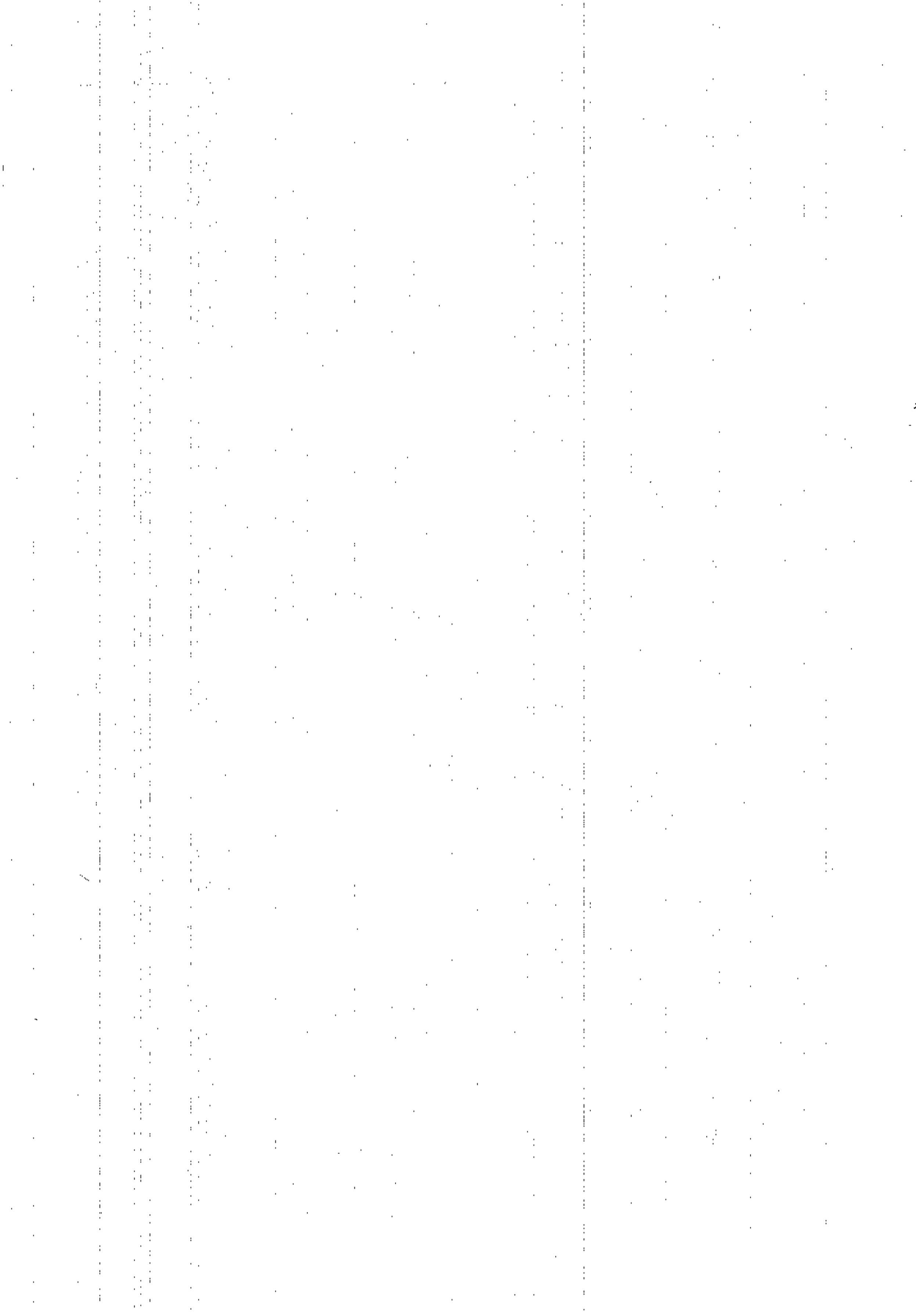
١٠٥٧.الوحشيات لأبي تمام ، حققه عبدالعزيز الميمني ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ .

١٠٥٨.الوشيعة في عقائد الشيعة لموسى جار الله ، مكتبة الكليات الأزهرية

١٠٥٩. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية .
١٠٦٠. الوفيات للسلامي ، حققه وعلق عليه صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ط الأولى 1402 .
١٠٦١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، حققه د .احسان عباس ، دار صادر .
١٠٦٢. و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها لأحمد عبدالجواد ، مكتبة الكليات الأزهرية .
١٠٦٣. اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية د . محمد سعيد البوطي ، مؤسسة الرسالة ، ومكتبة الفارابي : طبعة جديدة 1407 - 1987 .
١٠٦٤. لامع الدراري على جامع البخاري لرشيد الكنكوهي ، ضبط أبي زكريا الصديقي ، تعليقات محمد زكريا الكاندهلوي ، المكتبة الامدادية 1395 - 1975 .
١٠٦٥. ياشيعة العالم استيقظوا لموسى الموسوي .
١٠٦٦. اليهودية والمسيحية د . محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٩ - ١٩٨٨ .
١٠٦٧. اليواقيت والدرر شرح شرح نخبة الفكر للمناوي ، تحقيق ربيع السعودي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى 1411 - 1991 .
١٠٦٨. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام د . فرج الله عبدالباري أبوعطاالله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الثانية 1412 - 1992 .



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات